

EveryScreen.com

Book Series - Book No. V

'Net's First Ever Opinion Site in Arabic!

(Established in July 18, 1998)

About 3 million words of original and daring views

Dubbed by Alexa as the

'Most Popular in Personal Multi-Issues Pages'
in any Language on the Web

مدحت محفوظ

العرب ومستقبل الثقافات القومية

لماذا نحن دائما في الجانب الخطأ من معركة الحضارة ؟
—أو : لعنة الجين المفقود !



Medhat Mahfouz

Arabs and the Future of National Cultures

Why We're Always on the Wrong Side of the Battle of Civilization?

—Or: The Curse of the Lost Gene!

- ▶ **EveryScreen.com** Book Series - Book No. V
- ▶ Original entry: <http://everyscreen.com/views/culture.htm>
Date: December 1993 - May 1996.

- ▶ This file: http://everyscreen.com/views/pdf/EveryScreen.com_Culture_ArabsOfTheCurseOfTheLostGene.pdf
Created: Saturday, March 25, 2006.
This version's date: Wednesday, September 01, 2010.

- ▶ © 1993 - 2010 Medhat Mahfouz. All Rights Reserved.
- ▶ Reproduction, full or partial, in any form, printed or electronic, recent or future, is strictly forbidden without a thorough written permission from the author.
- ▶ Production of electronic edition: Author's Office (*MSoft*)

For Best Printing Results:

I) **Print on both sides:**

Step 1: Select even range of pages, e.g. 1 to 50, or the whole document (which we adjusted to end with even page number).

Step 2: Print 'Odd pages only.'

Step 3: Flip paper stack and print (for the same range, of course) 'Even pages only' with 'Reverse pages' option ticked.

II) Some PDF advanced printing options for older versions of Adobe Acrobat Reader:

'Print as image' may help avoiding some rare Arabic printing glitches, such as deflected display of the cashidas.

‘Something is rotten in the state of Denmark’

Hamlet

‘الثقافة كاللغة إما أن تقبلها كلها أو تتركها كلها’

مارجريت مييد

‘علينا الأخذ بحضارة الغرب ما يستحب منها وما يعاب’

طه حسين

‘أنت لا تستطيع مهاجمة الغرب باستخدام ميكروفون مصنوع

فيه’

زكي نجيب محمود

‘موتوا!’

نجيب محفوظ

—عن الانغلاق العربي والشكوى من الغزو الثقافي

‘Might is right’

Literally ‘Justice is nothing else than the interest of the stronger.’

Thrasymachus the Chalcedonian

As in Plato’s *The Republic* Book I (Of Wealth, Justice, Moderation, and Their Opposites)

‘Today, after more than a century of electric technology, we have extended our central nervous system itself in a global embrace, abolishing both space and time as far as our planet is concerned’

Marshall McLuhan

—*Understanding Media* (1964)

‘The new electronic interdependence recreates the world in the image of a global village’

Marshall McLuhan

—*The Medium Is the Message* (1967)

‘It’s all in the genes!’

Everybody, except the leftists

‘It’s the economy, stupid!’

Everybody, even stupid

جيل الهزيمة يدعونا للثأر من هزائم الماضي بإضافة هزيمة جديدة كل عشر سنوات . مدحت محفوظ في جريدة 'العالم اليوم' الاقتصادية اليومية الكارثة ليست هنا ، إنما في أنهم بشعاراتهم العمياء وعجرتهم العروبية والإسلامية الجوفاء يضللوننا عن حقيقة أننا نهزم مرة كل يوم يعود فيه أطفالنا من المدرسة دون تلقي التعليم العصري الحقيقي العلماني النظيف ، ونهزم خمس مرات في اليوم كلما قرعت الأجراس تدعونا لتلاوة نفس تعاويد وخزعبلات اليوم السابق ، بل ونهزم ٨٦٤٠٠ مرة بعدد الثواني التي نغلق فيها أو لا ننضو عنا ثوابتنا وهويتنا المتخلفة لنجاري بقية الشعوب سباقها المرعب في التقنية والعلم والاختراع . باختصار شديد : لو كان في هويتنا شيء واحد جيد لما كانت هذه هي حالنا !

كان مخطط الكتاب مجرد صفحة واحدة بعد ، تشير لكتابات سابقة غير معممة للمؤلف وتقترح أجزاء ومراجع جديدة !) .

في ٢٠ أبريل ١٩٩٣ اكتمل المخطط العام لهذا الكتاب ، وكان عبارة عن ملخص لكل فصل على حده . **تقريباً هذا هو ما سوف تقرأه الآن** ، ذلك أن ما حدث أن تأجلت للأسف فكرة الكتاب المذكور بسبب مشروعات أخرى للكاتب صرفته عنها الواحد تلو الآخر . من ثم تم في مايو ١٩٩٦ تجميع تلك الفصول الموجزة في دراسة واحدة مطولة ، تصلح للقراءة المتصلة .

بالطبع تم هنا وهناك بعض التنقيح لتلك الفصول الموجزة المجمعة . لا سيما وأن متغيرات نوعية مهمة كانت قد استجدت للتو في الشهور الأولى من تلك السنة ، كان من أبرزها قدوم الدكتور كمال الجنزورى لرئاسة الوزارة في مصر ، وبنيامين نيتانياهو لرئاستها في إسرائيل ، بما أوحى بمعطيات جديدة لمصر وللمنطقة العربية ككل . هذا النص ظل على حاله الذى ستره الآن منذ مايو ١٩٩٦ ، حيث هذه النسخة

' النهائية ' هي التي كانت معدة للتعميم في كتاب ' دليل الأفلام ' الذي صدر في أغسطس ١٩٩٨ ، إلا أن تعميمها تأجل مرة أخرى بناء على مبدأ الاكتفاء بدراسة واحدة للتوضيحية الواحدة ، ومن ثم عممت فقط دراسة نظرية الفيلم الهولليوودي .

Think Internet! هو الشعار الذي اخترناه لموقعنا هذا الشهر (ديسمبر ١٩٩٩) ، دشن في الثاني منه بتعميم هذه الدراسة الأخيرة كأول صفحة عمود رأي متخصصة باللغة العربية على الغشاء ، تحت اسم هولليوود .

في عالم الجلوبة الجديد المقدم الذي نحن مقدمون عليه لن يقسم الكوكب وسكانه لدول وقوميات إنما إلى شركات ، هذا يتبع مايكروسوفت وهذا يتبع شل وهذا يتبع فايزر وهذا ' بدون ' لا وطن له ، وهلم جرا !

الصفحة المستقبلية التي سبق تعميمها وتحولت لسلسلة محاضرات كما قلنا في البداية ، فقد قمنا بفصل القضايا التقنية الخالصة ، وعممت قبل أيام قليلة تحت عنوان موجز تقني لصناعة الترفيه لتصبح ثانياً صفحة رأي في هذا الموقع تحت عنوان التقنية .

ثم ها نحن نبرد اليوم الجزء الخاص بالجلوبة والذي سردنا للتو تاريخ تطوره من الثمانينيات حتى سنة ١٩٩٦ ، ليكون نواة لهذه الصفحة التي تراقب بالخبر والتحليل قضايا الجلوبة وأوقاعها الثقافية أو عامة قضية الصدمة المستقبلية لدى الشعوب المتخلفة . [لاحقاً أصبحت <http://everyscreen.com/views/globalization.htm> تغطي قضايا مختلفة أكثر تخصصاً ، وتغير اسم الصفحة كما تقرأها الآن إلى <http://everyscreen.com/views/culture.htm>] .

بهذا نكون قد أنهينا خطة إيراد هذه الدراسات الثلاث المطولة بمناسبة هذا الشهر وذلك الشعار . هذه الدراسات يجمعها أنها كتبت من قبل ومن ثم لم تكتب خصيصاً من أجل الموقع . من هنا نعدكم في العام الجديد ، العقد الجديد ، القرن الجديد ، الألفية الجديدة ، بمزيد من صفحات الرأي جديدة حافلة ولا تقل إثارة للفكر والتأمل . فقد ولد مبدأ صحافة الرأي الإلكترونية ولا نعتقد أنه سيتراجع أبداً . فقط كونوا معنا !

الهدف الرئيس لهذه الصفحة هدف مزدوج . أولاً محاولة عامة لرسم ملامح عالم الجلوبة الجديد المقدم الذي نحن مقدمون عليه . عالم لن يقسم فيه الكوكب وسكانه لدول وقوميات إنما إلى شركات ، هذا يتبع مايكروسوفت وهذا يتبع شل وهذا يتبع فايزر وهذا ' بدون ' لا وطن له ، وهلم جرا . ثانياً وهو الأهم والأكثر توسعاً ، محاولة تحليل العقلية العربية ، والمكونات العضوية والبنوية فيها ، والتي جعلتنا دائماً في الجانب الخاطئ من معركة الحضارة ، منذ إخناتون (التوحيد) مروراً بالإسلام (المزيد من التوحيد) وانتهاءً بعبد الناصر (مصر العظيمة مصر العزيمة مصر الهزيمة) وصدام حسين (أم المارك) . وستحاول بالتالي الإجابة على سؤال هل من الممكن تجاوز هذا المصير القدرى ، أم هو فعلاً قدرى أو جيني أو حتى اخترناه .

لماذا نحن دائما في الجانب من ثم يصبح السؤال : إذا لم تكن هويتنا ، أو في الخطأ من معركة الحضارة ... هذا التحليل النهائي جذورها الجينية ، هي السبب الأصيل لتخلفنا ، فما الذى باستطاعته أن يكون السبب إذن ؟

إذا لم تكن هويتنا ، أو فى التحليل النهائي جذورها الجينية ، والتطبع - غبي عشائري پارانوي ذاتى متخلف انفعالى ، هي السبب الأصيل لتخلفنا ، فما وجاهل ؛ المكون الثقافى أهم عنده من كافة مقومات الحياة الذى باستطاعته أن يكون السبب المادية . وهذه هى بالضبط مواصفات الشعوب التى إذن ؟

انقرضت أو أبيدت كالهنود الحمر أو الأبوريجين .

باختصار شديد : لو كان فى هويتنا شيء واحد جيد لما كانت هذه هى حالنا !

...

هذه الدراسة أحدثت صدى كبيرا على الإنترنت ، لكننا نود أن نذكرك طوال الوقت بأنها كتبت قبل وقت طويل جدا ، سنة ١٩٩٣ ، ووضبت ١٩٩٦ ، وعممت ١٩٩٩ ، ومن ثم قد لا تبدو شديدة المعاصرة بالنسبة لكتابات أخرى أحدث للكاتب ، قد تبدو فيها مثلا مصر أكثر انتزاعا من محيطها العربى ، بل وعداء له . بكل اعتزاز تظل هذه الدراسة هى التى أسست لكل شيء . هى التى أفاضت فى خصائص العرق الساموى ، أى أنها كانت تؤسس لذلك التمايز الكبير بين مصر والغزاة البدو الذين طالما هاجموها من الشرق ، من الهكسوس حتى العرب . حديث الدراسة عن النكبة الأخناتونية التى حلت بمنطقة الشرق الأوسط باختراع إله التوحيد وما أنزله بألفية كاملة من عصور الظلام بكل العالم ، لم تكن إلا بداية بحث مطول لاحق ، كانت نواته تلك النواة التى احتوتها الدراسة نفسها عن الأعماق الجينية للشعوب ، والتى بعد قليل دعت الكاتب للتمييز بين مصر الحقيقية ومصر الأخناتونية التى لظفتها جينياتها سريعا كما هو ثابت فى التاريخ . ورغم أن الكاتب سيظل يشعر بالعار أن المتسبب الأصلى لعصور الظلام كان شخصا مصريا قعيدا شائها عقليا وجسديا ، إلا أن الإنجازات الاقتصادية التى حققتها مصر سواء فى السنوات القليلة التى أعقبت توضيها ، أو الموجة الأكبر منها بدءا من سنة ٢٠٠٤ ، زادت قناعته بأن الصراع بين قوى البداءة والبناء ، سيظل صراعا مفتوحا على المصريين أن يشبتوا أنفسهم فيه ، ولعل الخطوة الأولى فيه هى تطهير ترابهم من فلول هؤلاء الذين أسمتهم الدراسة 'جراد يثرب' !



Kimonos, Dashikis, Dirndls, Saris, Trench Coats, Miniskirts, etc...

Some Say This Was the Best TV Commercial Ever Made. Others Say It Was Also the First Declaration of Contemporary Globalization!

اتفاقية الجات هي الصياغة القانونية لما يسمى الجلوبية ، فالجات تقنن إلغاء كافة القيود ، وتجعل العالم قرية جمركية وثقافية واحدة بمعنى الكلمة . هذه الاتفاقية ، وبكافة المقاييس ، تعد انتصارا ليس له نظير ، لا فقط لحرية التجارة ولحق المستهلك في الاختيار ولبدأ الأرض لمن يستعمرها وحسب ، بل ولوحدة وحرية الثقافة العالمية ، ذلك إن لم تكن تعريفا جديدا لمفهوم الحرية في حد ذاته .

[توضيح : الجلوبية Globalization من الجلوب وهي كرة الأرض ، وأحيانا تترجم ' الكونية ' وهذه مبالغة مضحكة ، أو العولمة وهي ترجمة سخيفة لكلمة worldization وهي كلمة لا وجود لها في الإنجليزية . نفس الحال مع كلمة الكوكبية ... إلخ] .

هذا التقنين للمستقبل يضع **الثقافات القومية في مفترق طرق** لم يسبق له مثيل في التاريخ : فإما أن تقبل الانصهار والدوبان في الثقافة العالمية الواحدة ، أو أن تصر على ما تسميه ذاتها وتراثها وتقاليدها ، وهو ما يعنى التقوقع والخروج الطوعي من عجلة التاريخ .

الاتجاه الأول تمثله أميركا ، فهي ترفض كل القيود على حرية الثقافة ، كما تطابق بين الابداع والمال الذي يمبول هذا الابداع ، بحيث يصبح الأخير مالكا لكل شيء ، وتعتبر أن هذا هو سر القوة الدائمة لمنتجاتها الثقافية وغير الثقافية ، في السينما مثلا والكلام ينطبق على كل الأنشطة الثقافية الأخرى ، بدءا من الأغاني حتى برامج الحاسوب ، قدمت أميركا النموذج الذي يحتذى ، فهي لم تصدر لنا مطلقا الحياة أو الثقافة الأميركية كما يقال عادة ، ولو فعلت ذلك لما نجحت أفلامها أبدا ، إن السينما الأميركية ومنذ وقت مبكر جدا سينما تم تصميمها ، لتكون عالمية وليس أميركية ، وذلك كي

يفهمها الجميع وتشعب الجميع ويحبها الجميع ، وأهم كل شيء أن تجد من يشتريها ، (ذلك إن لم نقل إنها صممت لتكون فقط سينما بالمعنى الصحيح للكلمة ، وهو ما فشل فيه الآخرون) ، والنتائج ظاهرة دائما ، لكن ليس بقدر ظهورها في التسعينيات ، حيث تخطت الإيرادات الخارجية الإيرادات المحلية لها لأول مرة ، وحقق فيلم ' الحارس الشخصي ' عالميا أكثر من خمسة أضعاف ما حققه أميركيا .

أنا فرنسي ، إذن أنا غير موجود ! بينما يحدث هذا ينخفض مثلا إنتاج السينما المصرية إلى أقل من الثلث في عام واحد ، وتراجع مثلها صناعات السينما القومية الأخرى في أوروبا أو ربما كان ديكارت استثناء! والعالم ، والتي سبقته للتهشم أو التهشم دون رجعة ، وما يسرى على السينما يسرى بدرجات ربما أقل حدة لكن واضحة أيضا في مختلف صناعات الثقافة والإعلام والاتصال بأنواعها .

بالتوازي تتصاعد دعاوى الإنغلاق في كل مكان ، وزعيم هذا الاتجاه ليس بلادا تمنع الأفلام والأطباق والكتب والمجلات [ولا زالت ، ولا تزال] ، مثل إيران أو أشباهها إنما فرنسا ، وبغض النظر عن الجذور التاريخية المحتملة ، فقد بدأ الأمر في العام ١٩٩٣ بمعارضة جنونية لتحرير الثقافة في إتفاقية الجات ، وأفلحت فرنسا رسميا في تأجيل هذا التحرير لمدة ١٠ سنوات ، حتى وإن لم توافقها الجماعة الأوروبية ذاتها ،



An Icon of Cultural Globalization!
[Later in October 2002 we ran a separate story on Coca-Cola].

[والتي كان يرأسها آنذاك مهندسها الفرنسي الرومانسي العظيم چاك ديبلور ، الذي أرادها نسخة من أميركا وليست من الاتحاد السوفيتي أو ' أممية خامسة ' Fifth International كما نفضل نحن تسميتها ، واختارت مبدأ التنافسية والتحرير الطوعى والتدريجي وفتح الأبواب أمام المواد الأميركية دون قيود تذكر . لكن اتضح أن إرادة ديبلور شيء وإرادة فرانسوا ميتران أو خلفه الجديد چاك شيراك الذي لا يقل يسارية رغم تسميته يمينا ، شيء آخر . ومنذ العام ١٩٩٤ زادت عصبية نزعة الإنغلاق في فرنسا ، وتعددت مظاهرها وهذه بعضها فقط : صبيحة افتتاح نفق المانش صدر قانون يحظر الاستخدام العلني للغة الإنجليزية ، وخلال كأس العالم الأخير لكرة القدم أقامت فرنسا دورة أسمتها الفرانكوفونية ، بعد خروج الفريق الفرنسي من التصفيات ، واختاروا مواعيد المباريات لتتطابق بالضبط مواعيد مباريات البطولة الأصلية في أميركا ، حتى لو أدى ذلك لعدم مشاهدة أى أحد لها ، وأخيرا ، وحتى إلى يوليو ١٩٩٥ أجهضت الجماعة الأوروبية مشروعا فرنسيا جديدا لزيادة الدعم للتلفزيون الأوروبي في مواجهة المنافسة الأميركية] .



Reds!

المشكلة الحقيقية هي الإغراء المذهل الذي يعزز به مثل هذا السلوك لبلد في مثل مكانة فرنسا ووزنها التاريخي بالذات في منظور متخلفي العالم ، من الميول الغريزية للعزلة والتخلف عند الدول الأقل تقدما .

توضيح : لأغراض التعريف الخاصة بهذه الدراسة نقول إننا نقصد بالعرب والمسلمين ، العرب الحقيقيين والمسلمين الحقيقيين ، أبناء العرق الساموي الآسيوي ، ذوى الخصائص الجينية المعروفة للعرب منذ بدء ظهور هذا العرق ، والمعروفة للمسلمين المتمسكين بالإسلام الصحيح الأصولي منذ ظهور الإسلام ، لا كل من نطق العربية ولا كل من كتبت في بطاقة هويته كلمة إسلام . هؤلاء يتركزون بالأساس في الجزء الآسيوي من الدول الناطقة بالعربية ، أما في الجزء الأفريقي فليسوا سوى أقليات حتى وإن اغتصبوا السلطة أحيانا ووصلوا لمستويات بشعة في البغي والنهب ، كما هو الحال في الجزائر أو السودان ، أو كما في مصر ما بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٧٠ . المؤكد على الأقل أن المصريين ليسوا عربا وليسوا مسلمين ، باستثناء أقلية عربية صغيرة جاءت محتلة وبقيت -ولا نقول استوطنت لأن لا وطن لبدوى أو مسلم- على مدى الأربعة عشر قرنا الأخيرة ، بعضها لا يزال يعيش في الصحراء وبعضها توغل في القرى والمدن وإن دون اختلاط بيولوجي كبير ، لكن للأسف عادت لها منذ ١٩٥٢ الكلمة العليا -أو على الأقل الصوت الأعلى- واحتطفت كل البلد لحسابها ولحساب أجدتها العروبية المسلمة الخارجية الخيانية . لهذا السبب نكتب أصلا ، وبذلك المعنى المحدد وحده نستخدم الكلمات ، ويقدر ما نجد الشعوب الأخرى قد تطبعت بدرجة ملموسة بطباع العرب ، كالنهب والسلب والإغارة والغدر واللجن والپارانويا والدموية والسلفية الدينية وكرهية الغير والتقنذ القبلي والأخذ بالثار وتعدد الزوجات ... إلخ ، فإننا نتحدث مجازيا -ومجازيا فقط- عنهم باعتبارهم عربا أو مسلمين . أما لأية درجة تطبع حقا هذا الشعب أو ذاك بطباع هجامة يثرب ، فهذا يخرج عن نطاق هذه الدراسة .

باختصار ، نحن نستخدم كلمتي عربي ومسلم -أو على نحو أعم كلمة ساموي- بمعنى تلك الخصائص المحددة لهذه البركة الجينية المحددة التي تجامعت وتبلورت قبل ٣٠٠٠ عام أو نحوها ، في تلك الصحارى المجذبة التي عرفت لاحقا باسم شبه جزيرة العرب . هذا لا يعني بالضرورة أن تلك الخصائص موجودة الآن بصورتها الأكثر مثالية ونقاء فيما يعرف الآن بالسعودية ، بل الواقع أن من كانت تتوافر فيه تلك الخصائص الوحشية الدموية هم أكثر من هبوا إلى تلك الغزوات المسماة بالفتوحات الإسلامية ، حيث استقرت بهم الأمور في سوريا ثم بغداد عاصمتي الخلافة . من هنا ربما يكون أكثر من يمثل الخصائص العربية الكلاسية النقية الآن هو صدام حسين وعشيرته بكل ما فيهم من دموية وهمجية

وهجامية وسلب واغتنام (إلى آخر ما قاله ابن خلدون في وصف العرب) ، ذلك كلما تيسر ، لا تفرق بين أخ وابن عم وغريب كما يقول المثل المصري عندنا عن العرب البدو هوام الصحراء هجامة المدن !

هنا تلوح لنا La Belle France أقرب لعاهرة قبيحة La Laide France تستجدي ما يفعله المتخلفون بجسدها الخالي من أى جمال ، أو بعبارة أكثر تهديبا ، تلوح لنا كطابور خامس يطعن الحضارة في ظهرها بتشجيع المتخلفين عبر الجلوب بالاعتزاز بما هم عليه من تخلف ، أو فقط -وهذا أقصى ما يمكن أن نصل له من تهذيب- تلوح لنا كنوع انتهازي من الرأسمالية يستجدي التعاقدات من هنا وهناك بقصر نظر مفرط المثيل . للأسف فرنسا تجد المجد والزعامة في أن تصبح الدولة رقم ١ في العالم الثالث ، عن أن تصبح الأخيرة فيما يسمى بمجموعة السبعة أو الـ G7 ، أو وحيا العظماء السبعة ! ما يلوح لنا أبعد من هذا ، أو لعله تفسيره الوحيد ، أن فرنسا كأمة مأزومة مهزومة ، لا تختلف كثيرا في وضعيتها في الحقيقة عن الوضعية العربية ، بلد مأزوم مهزوم حضاريا وثقافيا واقتصاديا ، ويعانى من كل البارانويات التي يعج بها العقل العربي كنظريات المؤامرة والغزو الثقافي ... إلخ . إنهم أمة من المهازيم لا تزال تتجرع كأس المرارة والذل والهوان منذ ووترلوه وحتى الآن ، وربما ستظل كذلك للأبد . لا تستطيع ولا تريد أن تمحو من ذاكرتها أبدا ، أو تتجاوز حقيقة أن خراقة تحديها يوما لأمة الإنجليز أصحاب الثورة الصناعية ، كانت تطاولا سافلا أحق لا أكثر ولا أقل . وجيلنا الذى شب تعلمه روايات تشارلز ديكنز أن الإنجليز هم أنبل شعوب الأرض والفرنسيون أحطها لم يعد الأمر الآن مجرد خيال قصصى وحكى ميلودرامى بل حقائق سياسية وثقافية تؤكدتها الأيام وواقع يومية معاش يمسننا حتى في دخلنا ومستوى اقتصادنا ، ولا يقلل من شأن ما قاله تلك المنافسة الشرسة المستعرة الآن بين العرب والفرنسيين على ذلك اللقب المذرى ، قاع العالم (بالمناسبة أنا شخصا لا زلت مؤمنا أن ثمة بالأمر نأرا لم يحسم بعد . يوم قرأت قصة مدينتين في طفولتي خرجت كما الجميع في فصلى الدراسى يزدري فرنسا وكل ما يمت لاسم فرنسا بصلة . الفارق أنى لم أتقبل بسهولة ضياع دم أكثر شخصية أحببتها في القصة ، ذاك الرجل الذى ينظر للسقف وكأنه لا يبالي بكل ما يجرى حوله ، والحقيقة أنه لا يبالي لسبب واحد هو أنه يعرف أكثر من أى أحد إطلاقا حقيقة هذا الجنون الذى يجرى . حتى اليوم تفور الدماء في عروقى كلما تذكرت القصة وأهتف لنفسى أن دم سيدنى كارتون ، أول شخصية قصصية انطبعت في نفسى إطلاقا ، وأول وربما آخر من هزنى من بينها طيلة عمرى ، دمه لا يمكن أن يذهب هباء هكذا أبدا ، لا يمكن مهما طال الدهر ! أيضا بالمناسبة لا تتوقع من هذه الصفحة كما قد يوحي عنوانها أنها ستفيض كثيرا في موضوع الغزو الثقافى . المسألة محسومة سلفا : غزو ثقافى إيه إللى أنت جاي تقول عليه ؟ أنجح فيلم أميركى لا يحقق في كل عرضه في مصر ما يحققه من حفلة عرض واحدة في دار عرض في نيو يورك أو حتى تل أبيب . المشكلة ليست في وجود غزو ثقافى ، المشكلة في عدم وجوده !) .

[من عادة العرب أن تسمى الشىء بعكسه . مثلا يسمون تحضر وانفتاح وحراك مكة الغناء الزاهرة ما قبل الإسلام جاهلية ويسمون جهامة وعبوس وقمع عصور الظلام بنور الإسلام ، يخلقون المنتقم الجبار ويدعونه صباح مساء الرحمن الرحيم ، يسمون البلطجة وقطع الطريق والانحراف الجنسى نبوة ووحى ، يخلقون دين الصحراء ويختارون له علما أخضر ، يصممونه بحيث يكتب ويقتل كل شىء حر طبيعى أو أصيل في الإنسان ثم يسمونه بدين الفطرة ، يطلقون جراد يثرب الدموى ينهش الأخضر واليابس في كل العالم ويسمون هذا سماحة الإسلام ، يخلقون أشرس وأبشع مؤسسة دينية في التاريخ ويقولون الإسلام لا يعرف الكهنوت ، يسمون أجهل الناس

(رجال الدين ، من غيرهم ؟) بالعلماء ، يجسسون النساء في البيوت أو خلف البراقع ويضربونهن وأحيانا يذبحونهن ويقولون هذا تكريم من الله لمن (وطبعا لم يقولوا لنا ولو لمرة واحدة لماذا اختار الله المرأة ليكرمها وليس الرجل) ، يسمون مصر أم الدنيا وهي أم الدين ، يطلقون على إسرائيل وصف الدولة الدينية وهي أكثر علمانية مليون مرة من أى بلد عربي ، يذبحون الحيوانات بأبشع وأحرم الطرق الممكنة ويسمون هذا الحلال ، وهكذا وهكذا إلى ما لا نهاية . إنهم بارعون في هذا . دائما ما يجدون التسميات العكسية لما هو جوهر الأشياء الحقيقي ، ومن ثم يطلقونها عليها ، والأدهى أن يصموا الآخرين بعد ذلك بالمعايير المزدوجة . واليوم ، ومع الاحترام للجبرتي والطهطاوى وطه حسين ، ولأسباب هي العكس بالضبط من أسابهم ، وستكون إحدى ثيمات هذا المبحث وكل الموقع ، يطلقون على عاصمة الظلام والتخلف والبداءة الكونية باريس ، عاصمة النور ! موقعنا هذا يفضل تسمية الأشياء بمسمياتها ، لذا لم يؤمن يوما إلا بأن باريس هي عاصمة التخلف والبداءة والإظلام لكل الكوكب . ولم يتوقف قط عن الحديث عن فرنسا كحصان طروادة الذي يمثل الخطر الأعظم إطلاقا على حضارتنا المعاصرة ، أكثر من الخوميني وابن لادن وصدام وبشار . الشيوعية سقطت لكن طاورها الخامس لا يزال نشطا ، تشاكل morphed تحت مسميات جديدة كالاشتراكية الديمقراطية والطريق الثالث والاتحاد الأوروبي ... إلخ ، دون أن يجيد في جوهره قيد أنملة عن مبادئ ستالين أو رويسبير . في الواقع الشيوعية لم تكن إلا المرحلة عائرة الحظ في هذا كله ، والنجاح مذهل قبلها وبعدها لهذا التيار الظلامي القاتل للتميز والمنافسة المصادر لقوانين أمننا الطبيعية والمركع للحضارة ، أية حضارة وكل حضارة . النظم بل القدرات العظمى تأتي وتذهب بما فيها الاتحاد السوفييتي وتبقى فرنسا القلعة الأم للجمهورية والاشتراكية . هي الأم وكلهم صبية ، هي رأس الأفعى وكلهم لعب عيال ، هي المفصلة وكلهم دبايس .

ذات يوم قال أرسطو إن الجمهورية خطأ ، ولا نعتقد أن استجد منذ ذلك الحين شيء يحمل المرء على الاعتقاد بغير ذلك . فرنسا تفعل العكس بإيمان عقيدى عجيب بالجمهورية ، وما يتفرع عنها من شعارات كالديموقراطية وحقوق الإنسان ، تتوطن فيها كما لا تتوطن في أية أمة أخرى . هذا هو الذى يحملنا للقول بأن باريس عاصمة الظلام في عالمنا ، أو باختصار - كما جاء بالأخص في صفحة العلمانية- هي عمارنة التاريخ الحديث . أيضا باختصار ، لا شك لدينا أن كما بدأ اليسار في باريس ، انتهى أيضا في باريس . مظاهرات مايو ١٩٦٨ كانت الذروة المطلقة لذلك المد ، تلاها إنكسار متواصل عالميا لا قرار له . أيضا باختصار ، لا شك لدينا أن الأمية الخامسة ستسقط كما سقطت الأربع السابقات ، وأن مائتي عام من حكم رعاع الباستيل لكل المجتمع الإنساني بالحديد والنار وإرهابهم المشين لكل العقول كل ذلك الوقت تشهد الآن لحظات احتضارها الأخيرة !

أولا واصل القراءة في هذه الصفحة حتى تصل لهذه الفكرة . بعد ذلك انظر تعميقا لإشكالية اليمين واليسار في فرنسا في صفحة الليبرالية <http://everyscreen.com/views/liberalism.htm> .

بعد قليل تطورت قناعاتنا بسرعة لتجزم بأن فرنسا كعقبة كأداء لا أمل في صلاحها أو شفائها من مرض الجمهورية ، لا مفر من أن تكون الخطوة الأولى لأي عملية تطوير جدى لهذا العالم ، وتأسيس ترتيب عالمي جديد يحمي اقتصاده الضخم ومكتسباته الحضارية الطويلة ، هي قصف باريس نوويا ، فلا جدوى من أى حلول أخرى ، وهذا ستجده في صفحة الإبادة بمناسبة إعداد أميركا الخطط لقصف سبع دول نوويا ليس منها فرنسا .

أيضا ثم رأى يستحق الوقوف عنده في صفحة الحضارة ، للكاتبة الإيطالية أوربانا فالانتشي يختص بموقف عاهرتنا القبيحة من بن لادن وأحداث سبتمبر والعالمين العربي والإسلامي ككل ، وإلى الصدارة منه مقولتها الشهيرة ' **أوروبا عاهرة تبيع نفسها للعرب والمسلمين... وفرنسا أكبر دولة راعية للإرهاب الإسلامي في العالم** ' .

بالمثل تابع لاحقا الإرهافات الأولى في سبتمبر ٢٠٠٢ للمواجهة التي طال انتظارها بين الحضارة ممثلة في قائدها أميركا ، والماضوية اليسارية ممثلة في فرنسا ، والتي تتبنى وتحتضن كل الماوضويات الأخرى بما فيها الإسلام ، ذلك في صفحة الجلوبة ، بمناسبة كفاح فرنسا المستميت لإنقاذ رقبة صدام حسين من إطاحة أميركا به .

لماذا يأتي الاستعمار البريطاني بالتقنية والاقتصاد الحر ، ويأتي الاستعمار الفرنسي بالثقافة ؟ وهل الإنجليز قوم متعالون حقا ، والفرنسيون أناس محبون للجميع ؟ وما هي حقيقة العلمانية الفرنسية ، وهل تظل شيئا جميلا يستحق



Not Just a Dream 'Trainer'!

الانهار لو عرفنا أساسها الأيديولوجي ؟ أسئلة نوقشت بالأسفل بإيجاز ، ثم ببعض الاستفاضة في صفحة سبتمبر بمناسبة قرار انفاق ٨ بليون دولار على تحديث أحياء المسلمين في فرنسا ، فقط مكافأة لهم على قتل اليهود !] . هكذا فاليوم ، فإن هذا هو التحدي الكبير والفاصل لما يسمى ثقافات قومية ، إما أن ' تشارك ' (والكلمة واضحة ومحددة) في صنع الثقافة الجلوبة الواحدة والوحيدة (**حلم أتاتورك العظيم** وغيره) ، بمعنى إنتاج سلعة ثقافية تصلح لكل العالم ، وليس لاستهلاكها المحلي (بفرض إمكانية هذا الأخير أصلا) ، وعليها تعلم وإتقان أصول وحرفيات الفنون ووسائل الاتصال كما تصنع الآن ، ولا بد لها من إعادة تقييم وتعريف الكلمات التي ربما أصبحت جوفاء أو مجرد شعارات مدلكة للغرائز ومنها الوطنية والتقاليد والدور المجتمعي للدين والانتماء والشرقية والقيم الخاصة والثقافات والمحلية والتنوع واللغة الخالدة والتميز والقومية والتراث... إلخ ، وهي كلها - شئنا أم أبينا - تعادل في قاموس العصر الرقمي كلمة واحدة هي التخلف .

هذه الكلمات والشعارات ، لم يعد لها وجود مؤثر ، لا في المجتمعات المتقدمة التي قبلت بمبدأ الانفتاح ، ولا في المجتمعات النامية التي حققت قفزات سريعة في العقود الأخيرة ، ولا خيار أمام الآخرين سوى هذا الانفتاح الثقافي المطلق ، وبدليل هذا شيء مرعب ، هو الانعزال في جزر مظلمة وعاجزة ، تقنيا واقتصاديا وثقافيا ، وسط محيط جلوبي

حتى مشرق وسريع الانطلاق . هذا هو التحدى الذى يطرح نفسه على الثقافات القومية على نحو عاجل وملح . وبالمناسبة هذا كان الأمر أقرب للعكس من هذا فيما مضى ، حيث المحيط هو المتخلف والأكثر تناميا فى الحجم ، بينما يتوالد وينعزل فى وسطه تكاتل أو تبلور صغير ، ربما بما يمكن تسميته بمفهوم الجزر التطورية . مثال ذلك أن يهاجر النبهاء للمدن فيكفون عن الإنجاب وتصبح هذه المدن تدريجيا جزرا تطورية معزولة وسط محيط ريفى متخلف لا يكف عن الإنجاب ، أو أن يكف العالم المتقدم عن الإنجاب ويزداد ثراء وصغرا بينما لا يكف المحيط (العالم الثالث) عن الإنجاب ويزداد فقرا وربما خالقا أوضاع قد لا تحل أبدا إلا بالإبادة الكتلية . الآن لحسن الحظ ، المحيط هو الذى يتسارع نحو التنمية والتحديث والتوحد ، و فقط بعض الجزر هى التى تنعزل ترفل فى تخلفها . الشئ الوحيد المشترك بين الظاهرتين أن كليهما آلية تطورية تفرز طوال الوقت ما هو تقدمى وتطورى وأفضل عما هو رجعى وماضوى وأسوأ .

باستثناء الجملة بين قوسين مربعين الخاصة بمتابعة ما جرى لاحقا على الموقف الفرنسى فالفقرات السابقة هى ما كتبناه صبيحة إقرار إتفاقية الجات فى ديسمبر ١٩٩٣ . ورغم الإشارات الواضحة لحجم التحديات التى تنتظر ثقافتنا القومية فإن الكلام يبدو اليوم أكثر رومانسية وتفانؤلا مما يجب ، وقد يكون على العكس بالضبط مما سيلى من حديث والذى ستحركه آلام وأوجاع كيف واجهت عقليتنا المتخلفة التبعات الحقيقية لمبدأ الجلوبة . بادئ ذى بدء هناك حديث البارانونيا التقليدى : الكتاب المصريون لم تعجبهم كلمة الجلوبة أصلا ، ذلك أنها لا تتماشى مع منهج الترجمة السائد عندنا لعقود وقرون ، وراحوا يبحثون عما يسمونه ترجمة المعنى . هنا استخدموا عددا لا حصر له من الكلمات مثل العولمة والكونية والكوكبية... إلخ ، لكن الكلمة التى أعجبت الصحافة العربية أكثر من سواها هى ' الأمركة ' وليس طبعا بقصد حسن أو سعيد أو مرحب . فيما يخص بترجمة الكلمة الأمر الذى استغرق وقتا طويلا من المناقشة نحن شخصا نرفض مبدأ ترجمة المعنى ونراه سببا لتردى حركة الترجمة العربية ككل وفى مصر بالذات وسببا رئيسا لتراجع مكانة اللغة العربية . لكن لو كان لنا اقتراح ترجمة معنى لكلمة الجلوبة فلن نجد سوى كلمة عربية ذات معنى جميل جدا هى الاستعمار . لكن لو نحينا أن هذه الكلمة نفسها ابتذلت فى الحقبة الناصرية حتى وصلت لمعناها العكسى ، فإنها تعانى هى أيضا من المشكلة الرومانسية فهى لا تعدو محاولة لترجمة محتوى الشعار وليس أكثر .

وعامة كما سيتضح بعد قليل ، نحن نستخدم مصطلح الجلوبة (العولمة لو شئت) فقط لشهرته الفائقة ، ولأننا يجب أن نناقش ما يناقشه حاليا كل الناس . لكننا فى الحقيقة نعنى به تبادليا مجرد كلمة الإمبريالية التقليدية القديمة (المؤذية لبعض الأسماع ربما !) ، ولا نكاد نجد حتى الآن ما يمكن أن يقنعنا أنه يمكن أن يعنى شيئا جديدا مختلفا ، وبالأخص ذلك التفسير الكليبتونى اليسارى الذى يتخيل عالما متسامحا ذا قيادة جماعية عالمية ، وهو تصور غير واقعى بالمرّة فى رأينا . فكلمة جلوبة السائدة منذ بداية التسعينيات هى كلمة مبهمّة العالم يقصد بها غالبا شكل ما من توحيد الاقتصاد الكوكبى ، أو فى الحالات الأكثر تحديدا يقصد بها الترتيب العالمى الجديد الذى بدوره مصطلح لم يتبلور محتواه بعد . ولأننا لاحقا سنشرح كيف أنه سيكون إمبريالية كوكبية واحدة بالضرورة ، فإننا نعنى بها الإمبريالية بذات المفهوم التاريخى السائد منذ الأسكندر الأكبر وحتى الآن .

الشعار الذى انطلق (أو بالأحرى أعيد إطلاقه ، فهو حقيقة واقعة لم تمت يوما منذ الأسكندر الأكبر حتى اليوم ، وإن وهنت فى نصف القرن الأخير تحديدا بعد هوجة ما سُمى بالاستقلال) ، فحواه أن العالم ككيان اقتصادى وتقنى

سيدار بأقصى كفاءة ممكنة بالمعنى الهندسى للكلمة إذا أصبح وحدة واحدة . لكن هذا على صعيد النظرية فقط ، إذ هناك هوة بين الاسم الرومانسى الذى سيفترض أن الجلوبية ستعى ' إعمار ' العالم المتخلف وبين أن ذلك أمر من شبه مستحيل من الناحية التطبيقية ، على الأقل فى إطار الإشارات الواردة من أمنا حتى الآن . ونحاطر هنا وقبل الدخول فى مناقشات تفصيلية لقضايا الجلوبية بالقول إن ذلك افتقاد مروع منا لجوهر ما تدور حوله الجلوبية أصلا منذ تحققت لأول مرة على يد الأسكندر الأكبر -تلميذ أرسطو المباشر- ومن ثم الإمبراطورية الرومانية فغيرها من الامبرياليات الأخرى بعد ذلك ، ألا وهو الوصول لأكفا إدارة ممكنة للكوكب من خلال تحويله لوحدة ثرمودينامية اقتصادية واحدة معدومة الفوائد تقريبا . والأرجح فى نهاية المطاف وفى ظل استجاباتنا بالغة الرجعية المتشبثة بأيام التشرذم الكوكبى أو ما يسمى بالاستقلال الوطنى ، أن يعود الغرب قريبا للمربع رقم واحد من جديد ويعيد اكتشاف ما توصل له نادى روما فى مطلع السبعينيات من أن لا مستقبل للكوكب ولتنميته إلا بالتحجيم الجذرى لنمو عدد سكانه وذلك بأى وسيلة ممكنة ، وإن كان الوقت متأخرا الآن من الناحية العملية للحدوث عن أى وسيلة سوى الإبادة أى التخلص من القطاع الأكبر من هؤلاء السكان ممن يمثلون عبئا باهظا على نمو الكوكب بل وحتى على توازنه البيئى والإيكولوجى (يمكنك أن تصل بمستويات الإبادة إلى ٨٠ ٪ من العشيرة الإنسانية دون أن يتأثر الاقتصاد الكوكبى بأكثر من ١٠ ٪ فقط !) . ربما هذا هو الكلام العملى الحقيقى الوحيد ، مع العلم بطبيعة الحال أن الإبادة ليست عملية عفيفة بالضرورة ولا تعنى القتل إلا بالكاد وفى حالات الضرورة فقط . الوسيلة الشائعة والرخيصة للإبادة حاليا هى الفيروسات الحديثة القاتلة حتى وإن بدت عشوائية لحد ما وإن ظلت عادلة ككل ومنسجمة مع قوانين الانتخاب الطبيعى إذ تميل لقتل الضعفاء والفقراء بالأساس . [فى ١٥ نوفمبر ١٩٩٨ تحدثت جريدة الصنداي تايمز اللندنية باستفاضة فى صفحتها الأولى عن القنبلة الجينية (أو الإثنية) التى قالت إن إسرائيل قد نمتها بالفعل . ولا شك أنها فكرة رائعة ستحسن كثيرا من مستقبل العالم فى القرن الجديد ، كما نتوقع أن تزيد دقتها يوما بعد يوم مع ازدياد المعرفة الجينية أو مثلا يوم أن يصبح إدخال البصمة الجينية لكل الأفراد أمرا مألوفاً فى الملفات الحكومية أو ما شابهها ، بل يمكن أن نتخيل مستقبلا إمكانية تصميم فيروس يقتل فردا واحدا محددًا فقط صمم من أجله حتى لو حدث وأصاب كل الناس . فى يناير ٢٠٠١ جاءت خطوة جديدة تخص القنابل الجينية ، كذلك لم يكن من حديث لأوروبا سوى قذائف اليورينيوم المنضب ، والفكرة نشأت من أن هذه المادة عديمة القيمة من مخلفات المفاعلات النووية اتضح أنها صلبة للغاية وتغطية القذائف الحارقة للدروع بما يعطيها فعالية فائقة ، الآن بعد أن ثبت أيضا قدرتها على القتل عبر الإصابة بالسرطان قد تصبح وسيلة إبادة كتلية جديدة للمستقبل وكل المطلوب اتخاذ الاحتياطات اللازمة لعمليات المناولة أو لو غطت مثلا بطبقة رصاص ... إلخ . كل شىء جائز !] . لكن بلا شك تظل الوسيلة الكريمة الأساسية للإبادة هى التعقيم . ونحن نتصور أن العالم سينضج سريعا بحيث يصل إلى نقطة يجعل التعقيم فيها إجباريا للدول أو للأفراد لمن هم دون ناتج معين للفرد ، ذلك بأن يحدد عدد السكان بطريقة دولية أى بمنح نوع من الحصص السكانية للدول المختلفة تبعا لإسهامها فى الناتج الكوكبى الإجمالى ، أو على المستوى الفردى بأن يفرض على البالغين ضرورة الحصول على تصريح مسبق بالإنجاب بالطبع بناء على مستوى إسهامهم فى الناتج الإجمالى للبلد أو الكوكب ، وما إلى ذلك من الأفكار كثير بل يعتبر بعضه مطبقا بدرجة أو بأخرى فى كثير من الأماكن ، المهم فقط أن لا تترك عملية الإنجاب للطبيعة والصدفة كما هو الحال فى السابق [انظر كتابنا

حضارة ما بعد الإنسان <http://everyscreen.com/views/pdf/posthumancivilization.pdf> وكذلك صفحة
الإبادة http://everyscreen.com/views/extermination_part_2.htm#AtomicWar !

١- الأوقاع الثقافية :



The Japanese Choice:
Modernism Cannot Be Divided!

الجلوبة تطرح مبدئيا إشكالية ما يسمى **التعددية** . والمخيف في الخطاب الثقافي العربي الحديث عن التعددية وكأنها حق (!) ، وربما يسعون لصدور قرار بها من منظمة اليونسكو المشلولة بفكرها الرجعي ، أو حتى مما يدعى بمجلس الأمن صديقنا الأكثر ألفة ومنقذنا الدائم بقرارات لحفظ ماء الوجه لا أكثر (ليس بوسع المرء أن يقف ضد منظمة اليونسكو إذا وعت أن ما تقوم به هو شيء جيد لإثراء المتاحف بحفريات الثقافات العالمية لكن ليس للإبقاء على هذه الأشياء حية في الواقع اليومي للشعوب) . لا يوجد أبعد ما يكون عن الحقيقة والواقع من افتراض أن التعددية حق لأنها لو كانت هكذا فعلا لما اندثرت أى ثقافات ولما تقدم العالم قط . يكفي أن نذكر أن **كمال أتاتورك** كرس السنوات الطويلة من ختام حياته للبحث عن إسهام ما ممكن لتركيا في الثقافة العالمية .

الأكثر أهمية ، إذا كان لنا أن تعلمنا شيئا من دراسة الهندسة ، فهو أنه يوجد حل واحد وحيد يحقق وحده الكفاءة القصوى . مثل هذه المعادلات حين تقوم بإجراء التفاضل لها ومساواة الناتج بالصفر ، تحصل على قيمة واحدة ، تكون هناك إجابة واحدة فقط ، ثمة طريق واحد فقط لا غير للكفاءة القصوى . هنا -في عالمنا الكبير- من الغباء لأى شخص أو لأية أمة أن يفعل أى شيء سوى أن يبحث عن تلك الكفاءة القصوى ، التي هى شيء واحد وحيد لكل البشرية ، لكل الكوكب . هنا تصبح التعددية ، وبحكم التعريف نفسه ، إهدارا للموارد ، تضييعا لوقت ، تخلفا ، أو كما قلنا

غباء ! هوية واحدة فقط شديدة التحديد والتوصيف ، هي المؤهلة للمضى بأفضل سرعة ممكنة نحو المستقبل ، ما عداها يزداد تخلفا مع كل لحظة تمر عليه .

أولا : يجب القول أنك لن تشارك في ثقافة إذا كان لنا أن تعلمنا شيئا من دراسة الهندسة ، فهو العالم الجلوبى إلا بأشياء صغيرة هنا وهناك ، أنه يوجد حل واحد وحيد يحقق وحده الكفاءة كنوع من الطعام ، أو قطعة موسيقى أو القصوى . مثل هذه المعادلات حين تقوم بإجراء رقصة ما ، أو تقليعة من العطور أو الأزياء أو قطع الأثاث . أما المشاركون بالجزء الأكبر من الثقافة فهم بلا مناص صناع التقنية وتحديد الولايات المتحدة . التقنية هي الشئ المهم ودون أن تخترعها لا تتوقع أن يكون لك أثر عداها يزداد تخلفا مع كل لحظة تمر عليه .

ثقافى يذكر على بقية العالم [ثقافة التيار

الرئيس الجلوبية فوق القومية قضية أخرى فى الواقع ، ونوقشت تفصيلا فيما بعد فى صفحة الفن الجماهيرى] .



Sensational Global Failure!

ثانيا : تلك الإسهامات ' الصغيرة ' لم تأت بالصياح أو بقرار من أحد . الهند لم تستخدم قوة السلاح فى جعل العالم يأكل أرز الكارى ودجاج التكا ، ولم ترسل جيوشا من الدعاة للهداية لليوجا إنما تركت عضوا فى البييتلز يكتشفها بنفسه ويرسلها لكل ثقافة العالم . إيطاليا لم تستصدر قرارا من مجلس الأمن بجعل البييتزا أكلة عالمية . كوبا فرضت سيجارها باهظ التكلفة على ثقافة وأسلوب حياة الطبقات الراقية لكل العالم ، ذلك عندما كانت دولة رأسمالية وعندما تحولت للاشتراكية وعندما ستعود للرأسمالية مرة أخرى . اليابان لم تقم بأى جهد خاص كى تتحول أفلام شركة مانجا الاستحراكية لغزو كل متاجر الفيديو فى العالم الغربى إنما الجمهور الغربى هو الذى كان يتهافت عليها من تلقاء نفسه . حتى

فرنسا لم تفرض عطورها وأزياءها على نساء العالم

عنوة ، بينما ما تحاول فرضه بالقوة من أفلام أو غيره يلاقى رفضا ذريعا .

ثالثا : العكس بالعكس ، فيما أن هذه مسألة تخضع لما يمكن تسميته المزاج الجماهيري العالمي ، فنادرا ما تأتي الدعاية المنظمة أو الإلحاح بنتائج تذكر فيها . وكثيرا ما تفشل أشياء ناجحة للغاية محليا في النفاذ للخارج ، كما مصارعة الثيران الإسبانية مثلا ، أو تنتشر ببطء شديد كالبيسبول الأمريكية (رغم كل جبروت أميركا المتعارف عليه) .

رابعا : هذه الأشياء تصلح لكل البشر ، أى أنها إسهام فى ثقافة جلوبية حقيقية ، وليست إنقاذا لثقافة محلية من الموت بمجرد الإبقاء عليها فى محيطها كما هى بحجة الحفاظ على التعددية .

خامسا : لم يفلح أحد متمسك بمحليته فى الحفاظ عليها ، وبالأحرى تأكيدا لم يفلح فى صنع شىء جلوبي ، وهذا درس مؤلم لا يلقى أحده من منصة محاضرات ، إنما هو واقع يومية معاش . فشعوب كاليان والصين والهند شعوب تندفع بنهم لثقافة الغير الأكثر تقدما (وكما سنرى فإنها تدوس معظم ثقافتها القومية بلا هوادة أو ندم فى خضم هذه المسيرة) .



Nice, Beautiful and Sensual: Our Worst Nightmare!

سادسا : وهو الأهم أنك على الأرجح جدا لن تفرض شيئا على

العالم ما لم تكن غير متخلف ، أى مقاربا له تقدما وتحضرا ، ونقصد بهذا التقنية والاقتصاد قبل أى شىء آخر . وليس أقل دلالة على ذلك التخلف أن الشىء الوحيد عندنا المؤهل أو المرشح لأن يصبح جزءا من الثقافة الجماهيرية العالمية هو شىء نكرهه ونحاربه للغاية : **رقص البطن !**

[نهديك هذه القصة عن بداية إعادة إحياء رقص البطن الشرقى فى مصر من خلال مهرجان عالمى له فى القاهرة فى يونيو ٢٠٠٣ ، فقط لتكتشف من خلال المشاركات والجمهور سواء بسواء ، أنه أقرب جدا لأن يصبح يوما ظاهرة عالمية من أن يعود لمحليته عندنا مرة أخرى . أيضا نذكرك بمدى الشهرة التى حققها مع مطلع القرن الجديد من خلال المغنية الكولومبية لبنانية الأصل شاكيلا ، التى تقدمه كفن انتصابى erotic خالص ، وبوعى عميق منها لبعده الحسى التنويمى الفريد والقوى جدا من نوعه ، وللمزيد عن جيل المغنيات هذا انظر صفحة الفن الجماهيرى] .

سابعا : التوحيد والتقييس standardization - أو بعبارة أصرح طمس الهويات الصغرى وتقليصها لمجرد مناسبات فلكلورية كرنفالية احتفالية بهيجة لا أكثر ، ذلك لحساب هوية عالمية واحدة وحيدة- هو روح وفلسفة الجلوبة [ربما تعمقنا لاحقا فى صفحة جديدة اسميناها الفن الجماهيرى فى الفوارق بين الفلكلور وبين الفن الجماهيرى ، حيث الأول أشبه بالمشغولة اليدوية إن استعنا الوصف من صفحة هولليوود حيث عقدت نفس المقارنة بين السينمات القومية وسينما هولليوود ، والأخير يعنى الفن القياسى الذى ينتج على نطاق اقتصادى تصنيعى واسع ويرضى كل الأذواق . ربما تجوز ذات المقارنة على صعيد الهوية الجلوبة ككل ، مع فارق أن الجلوبة طيف يشمل ما هو أكثر بكثير من الفن

وحده . هنا سنجد هويات قومية ' فلكلورية ' فى مواجهة هوية جلوية ثقافية ' جماهيرية ' الاتساع والانتشار تمثل المواصفة القياسية للهوية فى العالم] . فقط وليكن شعارنا : **شقيقنا العالم لن نسمح لك ولا لأنفسنا أن تسبقنا كثيرا !** ثامنا : هذا التقييس أو التوحيد لا تفرضه إرادة شخص ما أو غطرسة حكومة ما أو حتى هيمنة قدرة عظمى ما ، إنما يفرضه ببساطة مفهوم الكفاءة ، حيث لا يجب أن يتوانى أحد عن الأخذ بما ثبت أنه أفضل وأكفأ فى مكان آخر فى العالم . نعم ، هذه جميعا مصطلحات هندسية واقتصادية جافة ، لكنها فى الحقيقة تفاعلية وديالكتيكية أكثر مما يبدو للوهلة الأولى . ومثلا لا تعنى كما يقول البعض إنها -أى الجلوبة- هى آليا الأمركة . صحيح أن ما يأخذه العالم عن أميركا حاليا يكاد يكون هو كل الجلوبة ، بحكم النجاح الساحق للتجربة الأميركية تقنيا واقتصاديا وأيدولوجيا ونمطا فى الحياة... إلخ ، لكن أميركا نفسها لا بد وأن تنصاع أحيانا لنجاحات الآخرين وللتقييس الأصح إذا لم يكن لديها (على الأقل جدا هناك ثلاثة أشياء : عليها أن تأخذ بالنظام المترى فى القياس ، وبالمائتى وعشرين قولتا للكهرباء المنزلية ، وبكرة القدم كعبة أولى فى الرياضة . وأقصى ما يمكن أن يفعله العالم بالنسبة لهذه الأخيرة ، وهذا حادث بالفعل ويسرعة مدهشة ، هو أن يعتمد التسمية الأميركية لها السوكر soccer كتسمية قياسية احتراما لأن لدى أميركا لعبة أخرى اسمها football ، ويصعب لها تغيير اسمها -المفارقة السيئة أنها حتى لا تلعب بالقدم !) . لا تستغرب ، فكل الأمور سوف تسير بهذه الطريقة فى عالم جعلته ثورة الاتصالات والمعلومات قرية صغيرة بمعنى الكلمة .

إذن -وبلا المواربة المعتادة **لقد فعلتها اليابان وألمانيا ، والآن تفعلها الصين والهند .** المصاحبة عادة لهذا النوع من فمتى يأتى دورنا فى التخلص من هويتنا بثقة وشجاعة ؟ الحديث- العرب هم آخر قوم **بصراحة : لقد قضى انضواء أكبر كتلتين بشريتين فى العالم على الأرض يمكن تخيل أن يسهموا فى التعددية الثقافية كما قد يفهمها مستقلة فى الوجود بعد اليوم .** عالم اليوم . ربما يمكن تصور أن **بعبارة أخرى : لا مكان لأحد فى عالمنا على التقنية سريع التقدم دون أن ينسى شيئا اسمه الهوية !** تسهم اليابان أو الهند أو الصين فى الثقافة العالمية بأشياء هنا وهناك (اليابان هى القوة الثقافية الثانية فى العالم ولها طوال التسعينيات **لنمحو هويتنا وديننا وماضيها ، ونجعل التقنية أيدولوجيتنا . هذا هو الشرط الأول للتنمية كما نراه مطبقا حول العالم .** أربعا أو خمسا من أبحاث ١٠٠ فيلم

سنويا على مستوى العالم ، ناهيك عن هيمنة المانجا المتواصلة على محلات الفيديو ، بمعنى أنها وجدت فى جودزيبلا ضالة أتاتورك الضائعة لها ! لكن فقط لا تنس أن اليابان وقبل هذا بسنوات جعلت من نفسها القوة الاقتصادية والتقنية الثانية فى العالم وقبل هذا بعقود أخرى **قتلت ثقافتها وتراثها قتلا بدستور كتبه الجنرال ماكارثر بخط يده وليس حتى على آلة كتابة ومن الملفت أنهم لا يسعون لتعديله قط وكأنهم لا يريدون اكتساب هذا الحق أبدا !) .**

نعم ، لقد فعلتها اليابان وألمانيا ، والآن تفعلها الصين والهند . فمتى يأتي دورنا في التخلص من هويتنا بثقة وشجاعة ؟ قبل ثلاثة أرباع قرن من الآن كان المصريون يسخرون من الطربوش والبرقع ويتسابقون لارتداء الملابس الغربية . هذا ما يفعله الشباب الصيني والهندي صباح مساء اليوم بولعهم بكل شيء غربي بدءا من التقنية حتى الموسيقى .



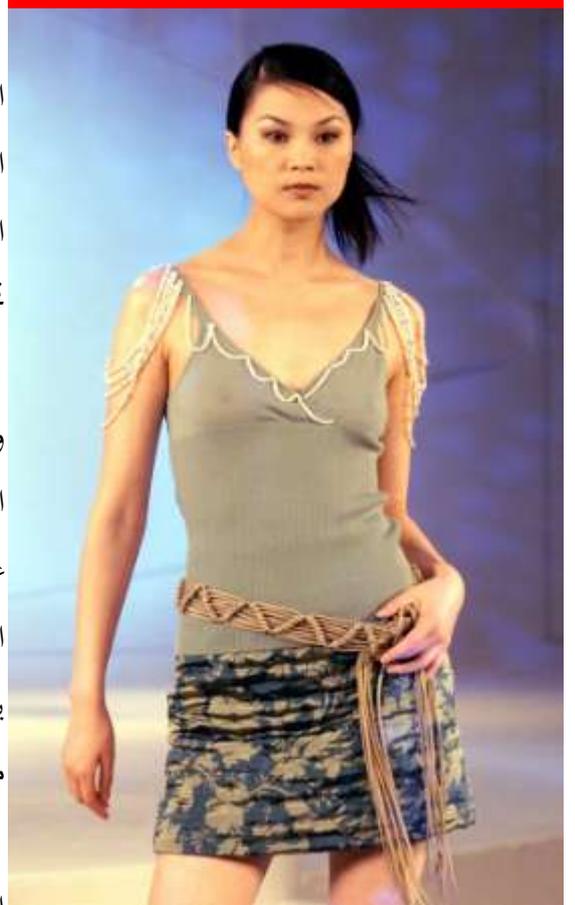
Silk Road's One Way Ticket; or: East's All-New 'Identity':
Take 2: A Passage to India!

بصراحة : لقد قضى انضواء أكبر كتلتين

بشريتين في العالم في ركاب الثقافة الغربية على

آخر أمل لأية ثقافة قومية أخرى مستقلة في الوجود بعد اليوم . أو بعبارة أخرى : لا مكان لأحد في عالمنا على التقنية سريع التقدم دون أن ينسى شيئا اسمه الهوية !

(ولعله ليس من قبيل الخيال العلمي أن نتخيل وقتا قريبا تسمى فيه البلاد -لن يكون اسمها دولا آنذاك- باحداثيات عواصمها على الخريطة ، أو تعرف برقم سابقة الهاتف الدولي -كأن تسمى مصر مثلا البلد +31+30 أو البلد ٢٠ ، وهكذا- وذلك باعتبار أن الاسماء تحمل في حد ذاتها بعض رواسب الهوية التي يجب التخلص منها) .
بكلمات أخرى مثل هذه الدول لا تنادي بالتعددية إنما تمارسها وتفعل هذا بعد أن أصبحت بالفعل قوى اقتصادية مؤثرة نسبيا ويجترمها العالم بعد أن اندمجت في ثقافته على حساب ما اتضح أنه قيم بالية عندها . إنما أن ينادى المتخلفون بالتعددية فهذا هو الوبال بعينه على البشرية هذا بفرض أن منحهم أحد أذنا صاغية من الأصل . فالعالم يعي تماما أن هذه الشعوب متخلفة تقنيا وحضاريا لأن ثقافتها أو معظمها على الأقل متخلف وتخطاه الزمن .



Silk Road's One Way Ticket; or: East's All-New 'Identity':
Take 1: The Lady from Shanghai!

نقول هذا ونحن نعلم جيدا أن العرب قدموا بالفعل واحدا من تلك الإسهامات البسيطة التي أصبحت جزءا من ثقافة المواطن العادي في الغرب . هذا حدث مرة واحدة عندما ترجمت ألف ليلة وليلة للغات

الأوروبية وعصفت بالحياة الثقافية هناك وما تزال تعصف ، بدءا من ظاهرة فالينتينو حتى أحدث أفلام ديزني .



Arabs Were in World Main Stream Culture ...Once!

أما تمسكهم اليوم بالتعددية فليس مطلباً حقيقياً بالمرّة ولن يقابل إلا بالسخرية مع ما هم عليه من تخلف ويجب عملياً على الأقل أن ينسوا قضية الثقافة بالمرّة وأن يركزوا أولاً على جسر الهوة التقنية ومن ثم الاقتصادية المربعة بينهم وبين العالم المتقدم . وبالنسبة للثقافة هناك حل أسهل سلكه من هم في مثل هذا الوضع الميؤوس ، أو على الأقل هو حل ليس مستحيلاً كما بالضرورة المطالبة قسراً بالتعددية . هذا الحل هو ترك ثقافتهم ومن ثم **تبني ثقافة أخرى أفضل** .

(بمناسبة الحديث عن الدساتير ، ربما الصواب فيما يخص **الدستور المصري** -وهذا يسرى على من يشاء من الآخرين بالطبع- أن يلغى بالكامل ، ويستبدل بقانون من مادة واحدة تكلف بمقتضاه المحكمة الدستورية العليا برقابة قوانين السلطة التشريعية وقرارات السلطة التنفيذية في ضوء دستور أجنبي أكثر حداثة وعلمانية ، وليكن الدستور

الأميركي مثلاً ، أو مجموعة الدساتير المتسقة معه . ولا يغيب عن الذهن أن بعضاً من أرقى دول العالم مثل بريطانيا وإسرائيل ليس لها دساتير مكتوبة ، زائد بالطبع ما قلناه عن أن دستور الدولة الرابعة المهمة قد كتبه لها جنرال أميركي . أيضاً لا بد من ملاحظة أن فكرة الدستور في حد ذاتها تكاد تتعارض بحكم التعريف نفسه ، مع طبيعة عالمنا على التقنية سريع التغير) .



Take It or Leave It!

إذن المشكلة التي تواجه الثقافات القومية هي ببساطة هي أن عليها أن تستبدل نفسها بثقافة أخرى . ويفترض أن عالمة الأنثروبولوجيا الأشهر **مارجريت مييد** قد حسمت هذه القضية قبل ثلاثة أرباع القرن بأن لا حلول وسط في هذا الشأن ، وذلك عندما قالت إن **الثقافة كاللغة إما أن تقبلها كلها أو تتركها كلها** .

الواقع الذي نراه ونتعمى عنه ونخشى الاعتراف به أن غالبية شعوب العالم تفعل هذا بحماس ، ونحن لا نرى منه سوى ما يعجبنا وهو كلام بعض المثقفين عندهم عن ضرورة الحفاظ على ما يسمونه التعددية الثقافية أو الهوية القومية . في اليابان أو المكسيك ومثلهما كثير ، تحصد **أفلام هوليوود** ٩٠٪ من

إيرادات شبكات التذاكر ، والبقية للأفلام المحلية . في مصر النسبة هي العكس .

أشياء كثيرة من هذا القبيل ، أو ربما ثانوية أحياناً ، كافية غالباً لأن تدلك على أين وضعت الشعوب تعهداتها ، وإلام يتطلع شباب المستقبل فيها ، الانخراط في الجلوبة أم الانكفاء على الذات الماضية .

...

هذه عندهم الكدح وعندنا الرزق ، عندهم الانفتاح وعندنا الهوية ، هذه الورقة لا تعتقد عندهم الحرية الجنسية وعندنا الدين ، عندهم الابتكار وعندنا بالمرّة أن الهند أو الصين التقديس ، عندهم المنهج وشمول الرؤية وعندنا الأحادية وكون التي أصبحت قناة إم تي القبيلة كل العالم ، عندهم كل شيء موضوعي ومادى وعندنا كل شيء الموسيقى المتحررة شيء ذاتي ومشخصن ، عندهم المواجهة والواقعية والشفافية وعندنا أكثر نجاحا فيها من الكرامة والشرف وشكليات الفضيلة ، عندهم الفرد والنقاش والتمرد بلدها الأم أميركا ، وقوة الشخصية وعندنا السمع والطاعة والأسرة والإجماع . العقل العربي عقل دون إنسانى لا يمكنه حتى تجريد المعانى والرموز الشعوب تريد الحفاظ والأفكار . كل ما يفهمه هو فقط رابطة الدم ، هى معياره الوحيد فى على ثقافتها القومية ، الحكم على الأمور ، لا قيمة للأفكار ولا للمبادئ ولا حتى بل العكس بالضبط أنها للمصالح . فقط أنا وأخى ضد ابن عمى ، وأنا وابن عمى ضد تريد إحالتها للمتحف الغريب (أحد الأمثال الشعبية العربية الدارجة لا نهائية العدد ، لكن والتخلص منها بأسرع ما من القلة القليلة جدا منها المفعلة فعلا على أرض الواقع بحيث ترقى يمكن . وكل ما نستطيع لمستوى القانون الاجتماعى والثقافى إن لم يكن لمستوى التحفظ به مؤقتا فى هذا القداسة !) . الإنسان الأبيض لا يهتم برأى الآخرين فى مظهره أو فى شخصه أو ' بصورته المشوهة ' ، ويهتم فقط برأيه هو فى السياق أن ربما يكون نفسه ، ولن نذهب أبعد فنقول أنه -أو الإنسان اليابانى وسنعود لهذه الشعوب سقف لن لهذا ، لا يهتم حتى بذلك ، إنما فقط بالحقيقة الموضوعية ، تتخطاه فى الانضمام بالمحتوى !

أمركة نفسها لو شئت) ، بسبب أن الرغبة وحدها لا تكفى ، وأنها وإن خلعت جلدها القديم فإنها لم تستطع خلعه بنسبة ١٠٠٪ . كاملة .

وعندما يتجرأ أحد على ذكر كلمة التغيير فإن الشعار الجاهز الذى يشهر فى وجهه على الفور هو ما يسمى **ثوابت الأمة** . هذه الورقة تفترض ما يلى :

أولا : أنها أكثر مما يجب وتتم من الناحية الكمية وحدها على عقلية ستاتية رجعية رافضة للتجدد والتغيير . نحن من أكثر المهتمين بإشكالية الثوابت ، بل الواقع نأمل فى التفرغ للبحث فى هذا الطموح الفلسفى المثير يوما الفارق الوحيد أننا نعتبر ما عمره من عمر الكون هو فقط الثوابت ، وما عدا هذا هو متغيرات ! لكن ما أبعد الفجوة ليس فقط بين هذا وبين الستاتية الكلية للعقل العربى ثقافيا وسياسيا أو حتى تقنيا ، بل بينها وبين أى فكر آخر فى كل بقية العالم ، الذى يدرك أنه بات عالما على التقنية ومن ثم سريع التطور .

[البداية بالنسبة لنا قد تكون مشروع موقع بالإنترنت نخطط له بعد EveryScreen.com ، سوف يحمل عنوان nOusia.com ، والكلمة تركيب لكلمتى nous, ousia اليونانيتين القديمتين بمعنى عقل المادة أو روح الجوهر المادى . التحكم (ومنه قانون القوة) Control ، الاجتماع (أى الحاجة للتفاعل) Socialization ، الفردانية (بمعنى تميز كل فرد) Individuality ، الاستعداد (بمعنى التطور رأسيا) Sophistication ، التلايف (بمعنى التطور أفقيا) Conglomeration ، التخصص (كميل تصاعدى فى

مسيرة التطور ، أو ربما كان ميلا ثابتا كغيرة من النواسيات المذكورة الأخرى (Specialization ، هي من بين الأشياء المرشحة كثنوابت ، والتي يبدو أنها كانت حقيقة واقعة منذ عصر تكون المجرات ، وإن كانت خاضعة بالطبع لمزيد من البحث مستقبلا أو للحذف أو الدمج أو الإضافة] .

ثانيا : أنها جميعا إجمالا هم آلات عاقلة باردة ثوابتها العلم والعلمانية والعملية ثوابت متخلفة وليس بها والعالمية ، ونحن حيوانات غريزية انفعالية هاجسها الأهل والعرض أى شىء جيد تحت أى والأرض والفرض . ولهذا السبب هم دوما بناءون ، بينما نسقنا معيار مقبول عالميا ، القيمي الذى نراه سماويا ومقدسا هو تحديدا الذى يجعلنا طوال الوقت طفيليين همجا مارقين هدامين وقطاع طرق نسعى لتقويض كل يكفى أن عندهم الكدح ما يبينه الغير ، العدو دائما أبدا . والنتيجة أن التاريخ العربى لم يكن وعندنا الرزق ، عندهم سوى منوال تكرارى لا نهائى من حلقتين لا ثالث لهما : غزوة بدر الانفتاح وعندنا الهوية ، ثم صلح حديبية ، بدر ثم حديبية وهلم جرا من مجازر غدر وإبادة عندهم الحرية الجنسية وقطع طريق عند القوة فتمسكن واستكانه وكذب يسمى التقية عند وعندنا الدين ، عندهم الضعف . الشرف والوضوح ورغبة التعايش الصادق مع الغير أمور الابتكار وعندنا غير واردة من الأصل فى مثل هذا السيناريو .

التقديس ، عندهم ببساطة نحن متخلفون لأننا اخترنا الثوابت الخطأ ، أو بالأحرى المنهج وشمول الرؤية طبعا أن اختارتها لنا جييناتنا !

وعندنا الأحادية وكون القبيلة كل العالم ، عندهم كل شىء موضوعى ومادى وعندنا كل شىء ذاتى ومشخصن ، عندهم المواجهة والواقعية والشفافية وعندنا الكرامة والشرف وشكليات الفضيلة ، عندهم الفرد والنقاش والتمرد وقوة الشخصية وعندنا السمع والطاعة والأسرة والإجماع . العقل العربى عقل دون إنسانى لا يمكنه حتى تجريد المعانى والرموز والأفكار . كل ما يفهمه هو فقط رابطة الدم ، هى معياره الوحيد فى الحكم على الأمور ، لا قيمة للأفكار ولا للمبادئ ولا حتى للمصالح . فقط أنا وأخى ضد ابن عمى ، وأنا وابن عمى ضد الغريب (أحد الأمثال الشعبية العربية الدارجة لا نهائية العدد ، لكن من القلة القليلة جدا منها المفعلة فعلا على أرض الواقع بحيث ترقى لمستوى القانون الاجتماعى والثقافى إن لم يكن لمستوى القداسة !) . الإنسان الأبيض لا يهتم برأى الآخرين فى مظهره أو فى شخصه أو بصورته المشوهة ، ويهتم فقط برأيه هو فى نفسه ، ولن نذهب أبعد فنقول أنه -أو الإنسان اليابانى وسعود لهذا ، لا يهتم حتى بذلك ، إنما فقط بالحقيقة الموضوعية ، بالمحتوى !

إجمالا هم آلات عاقلة باردة ثوابتها العلم والعلمانية والعملية والعالمية ، ونحن حيوانات غريزية انفعالية هاجسها الأهل والعرض والأرض والفرض . ولهذا السبب هم دوما بناءون ، بينما نسقنا القيمي الذى نراه سماويا ومقدسا هو تحديدا الذى يجعلنا طوال الوقت طفيليين همجا مارقين هدامين وقطاع طرق نسعى لتقويض كل ما يبينه الغير ، العدو دائما أبدا . والنتيجة أن التاريخ العربى لم يكن سوى منوال تكرارى لا نهائى من حلقتين لا ثالث لهما : غزوة بدر ثم صلح حديبية ، بدر ثم حديبية وهلم جرا من مجازر غدر وإبادة وقطع طريق عند القوة فتمسكن واستكانه وكذب يسمى

التقية عند الضعف . الشرف والوضوح ورغبة التعايش الصادق مع الغير أمور غير واردة من الأصل في مثل هذا السيناريو .

كجميع العرب نحن أيضا من المهتمين بإشكالية الثوابت ، الفارق يقولون لك عندنا تبقى الزوجات على أسمائهن الأصلية وفي الغرب يتخلين عنها لصالح اسم الزوج ، وكأن احترام وتكريم المرأة الوحيد أننا نعتبر ما عمره من عمر أكثر عندنا منه عندهم ! طبعا خطأ ! أكذوبة فاحشة ! السبب الكون هو فقط الثوابت ، وما عدا ذلك هو متغيرات !

ونرفض تمثّل فكرة الأسرة النووية التي جاء بها عصر الصناعة ، حيث مفهوم بناء حياة جديدة أو مستقلة عن الجذور فكرة غير واردة أصلا في العقل العربي ولا يطبق أحد تخيلها . والنتيجة أنك لا تتزوج امرأة إنما قبيلة كاملة تدس أنفها في غرفة نومك مدى الحياة ، والعكس بالعكس بالنسبة للمرأة . التكافل والتواصل والتواد والتراحم وصلة القرى ، كلها قيم بائدة عفا عليها الزمن وهجرها العالم ، لصالح مبدأ الفردانية والتنافسية المطلقين . قد ترد قائلا إن الاجتماع قدرة ، كان كذلك وسيظل هكذا للأبد ، والجماعة أقوى من مجرد مجموع الأفراد . طبعا هذا صحيح ، لكن ثمة فارق هائل بين أن يبني الاجتماع على المشاعر والانفعالات فتكون هي الرابطة الأساس بين أعضائه ، وبين أن يبني على العقل والمصلحة . تلك المجتمعات الغربية التي يصمها كتابنا طوال الوقت بأنها فردانية ومفككة ، هي في الواقع أقوى ترابطا من مجتمعاتنا بمراحل . ولا مجال للمقارنة أصلا ، ذلك أن هذا الترابط مبني عندهم على أساس من المادية ، بالمعنى الفلسفي للكلمة . مصلحة الفرد من مصلحة الشركة التي ينتمى لها ، حتى لو كان طوال اليوم يتنافس ويتشاجر مع زملائه فيها . ازدهار ومصلحة الشركة من ازدهار ومصلحة الاقتصاد ككل ، حتى لو كانت تسعى كل الأيام لتدمير منافساتها . أو -وهذا من نافلة القول- هو ككل جوهر نظرية آدم سميث الاقتصادية القائمة على أن المصلحة العمومية تكمن في التنافس أو في سعى كل فرد لمصلحته الشخصية لا أكثر . بمعنى أوضح الاجتماع الصحيح ، لا يقوم على حماية المجتمع لكل أفراد ، بل حماية المجتمع لنفسه ، أى بما قد ينطوى عليه هذا من تضحية إلزامية بالضعفاء والزائدين عن الحاجة . هذه كلها تمثل الوجه المادى الإيجابى الذى تنص عليه علوم الاجتماع وعلوم الاقتصاد وعلوم البيولوجيا . وربما لنا عودة لهذه الأخيرة بعد قليل ، بالذات مع ظهور النظرية المثيرة المسماة بالجين الأثانى التي تستكشف مثل هذا الكلام على الصعيد البيولوجى أو حتى الميكروبيولوجى المحضين . وشتان بين أى من كل هذا الكلام ، وبين عبارة ' أنا وأخوى على ابن عمى ، وأنا وابن عمى ع الغريب ' ، ذلك المعنى العاطفى الأجوف وغير المادى بالمرّة الذى لا تعرف سواه شعوبنا انفعالية الطباع متوارية العقول .

انظر حتى للمفردات المستخدمة . كلمة العالم العربى لا تقرأها في الصحف الأجنبية إلا وقد وضعت بين قوسين استغرابا أو استهزاء أو دعوة للفرجة على حفريات التاريخ التي ترى أنها هي ' العالم ' وما وراءها بحر الظلمات وبلاد الجان ، بينما كلمة world تعنى في مخيلة الغرب كوكبا كامل الكروية . الكلام يطول ويطول ، لكن : ببساطة نحن متخلفون لأننا اخترنا الثوابت الخطأ ، أو بالأحرى طبعا أن اخترناها لنا جبيناتنا ! (هل اخترنا نسقنا القيمي برغبتنا أم هو موجود في جبيناتنا قد تكون مادة لمناقشة لاحقة ، لكن عند هذه المرحلة نقول نعم ' اخترنا ' ولا تملص من

المسئولية . وأرجو ألا تكون ثمة نظرية مؤامرة أخرى في هذا ، وكلمة سارتر الشهيرة تقول ما معناه أنك أنت الذى تختار لمن تذهب لاستشارته فى مشكلتك : الكاهن أم أنيس الحانة النكرانى) .



Hypocrisy or Deprivation:
Why Do Women of Niqab Love Bikini?

ثالثا : أن لا شىء يمكن تجميده بما فيه القيم والأخلاق نفسها عند نصوص عمرها آلاف السنين فهذا ضد منطق الطبيعة والتطور ومن غير الممكن قبوله نظريا .

رابعا : أنها -أى تلك الثوابت- فعلا أكذوبة فى الواقع العملى ولا تزيد عن كونها نوعا من التبرج السياسى للبعض أو الديماجوجية المحضنة . نتمسك بالكرامة والكبرياء الزائف ولا نرى الفقر والتخلف الذى نحن عليه ، ولعل أحد

أشهر ما يقال عليه حاليا الثوابت العربية وهو قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالصراع العربى الإسرائيلى ، يختلف مائة وثمانين درجة عن 'ثوابت' ما قبل عقود قليلة بأن لا صلح لا اعتراف لا تفاوض مع إسرائيل .



You Can't Afford Leaving It!

قس نفس الكلام على الثابت المخيف الآخر وهو الدين والذى أصبح فى الأعوام الأخيرة -وهذا مجرد مثال- يسمح على نطاق واسع بالخلائية والخيانة الزوجية وحتى بالدعارة ، فقط بعد وضع مسميات دينية جديدة مستنزلة لها تقنن تعدد الزوجات والزواج محدد المدة وزواج المتعة المدفوع... إلخ (دع جانبا وهو الأهم دفع الأجر المناسب لرجال الدين لأداء المراسم والطقوس ، وكأن كل الاعتراض ليس على الحريات الجنسية الاجتماعية والفردية (الشخصية) ، إنما فقط على ممارستها دون توريد القرابين للكليروس ، أو : **طعام الكهنة هو كل ما يدور حوله الدين** ، وحاول الرجوع لنصوص سفر اللاويين ونحوه من الشريعة الموسوية ، أو أية شريعة أخرى) . الموضوع كله رياء فى رياء ، والضحية هى الإنسان البسيط ، وطبعا القارئ يفهم كل ما نقصد ولا حاجة للإفاضة .

خامسا- دون التخلص من كل هذه الثوابت ، والانخراط enlist فى مسيرة التحديث العالمية -ليس تقنيا فقط ، إنما بتبنى الثقافة والهوية العالمية التى اكتشفتها واعتمدها سائر البشرية فى سياق وصولها لهذا النجاح ، فالبديل مرعب . إنه الإبادة . هذا ما علمتنا إياه تجربة السكان الأصليين فى كل قارات العالم .

هكذا تصبح **في الثقافة العربية إشكالية التغيير ثلاثية الأس** - إن جاز هذا التعبير الرياضياتي . فمشكلتنا ليست في الرواسب اللا شعورية كالتى قد تمتع الأمم المذكورة قبل قليل من القبول الكامل بالمستقبل ، بل فى أننا لا نمتلك قدرة التغيير تلك التى تتميز بها معظم الشعوب الأخرى ، وثالثاً أننا نرفض بالدقة والتحديد وبوعى كامل نوع الثقافة المطلوب أن نشغل قلاب (سويتش) **مارجريت مييد** إليه ، ما يستحب منها وما يعاب ، بالتعبيرات الرفيعة للدكتور **طه حسين** ، تلك الثقافة التى سوف نفصل بعض خصائصها بعد قليل . (هذا مع كل الاحترام لا يقلل من تحفظاتنا المعتادة على د . طه حسين كيسارى صاحب فكرة الماء والهواء فى التعليم وكانت سر نكبته ونكبة كل شىء الكبرى فى الحياة المصرية الاقتصادية والعلمية والاجتماعية ، وكأول من أطلق على عصابة يوليو اسم ثورة ، وأول من نظر إطلاقاً لتوجههم يساراً فى وقت كانوا فيه بلا بوصلة إطلاقاً ، أو ربما كانوا يبحثون عنها فى ماضيهم الذى كان إسلامياً على نحو عام) . ما نقوله فقط عند هذه المرحلة أن بعض مثقفينا -ولو بروح تصالحية مخلصه- يعتقد أحياناً أننا من الممكن أن نكون متقدمين ومخترعين دون أن تكون سيقان وصدور نساءنا عارية فى الشوارع .

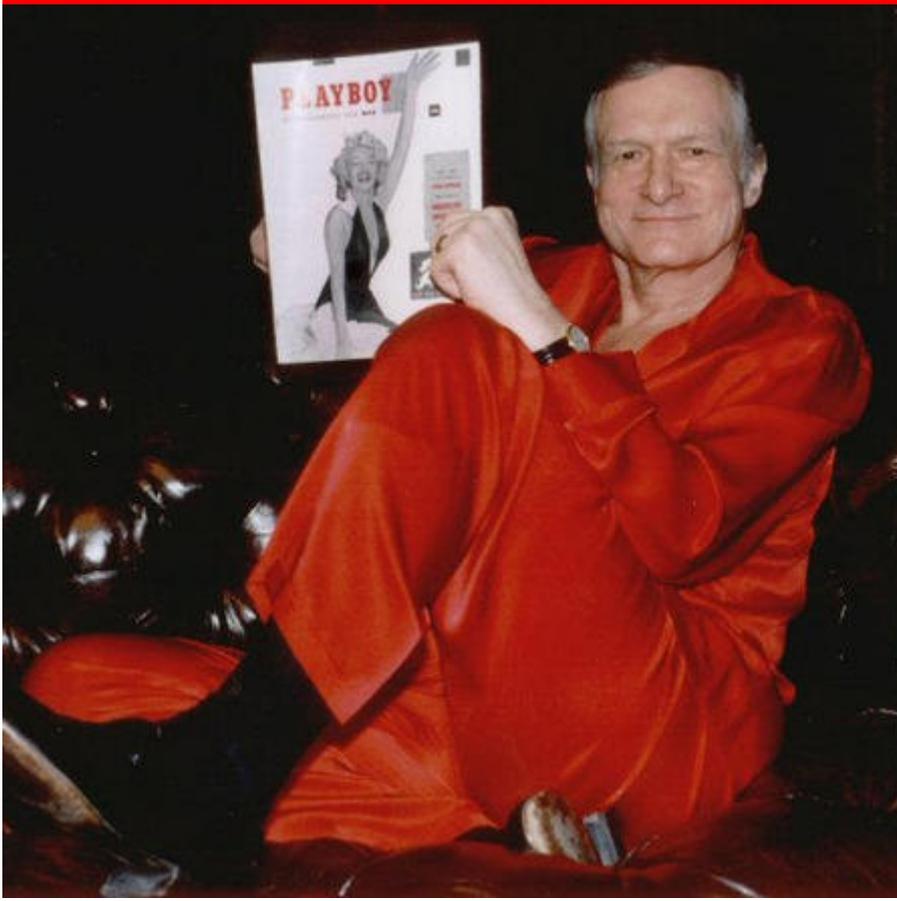
- ١- **هذا عالم من القوة .** ببساطة هذا مستحيل . **عرى النساء جزء من الحرية المطلقة وتحطيم**
- ٢- **فى عالم من القوة ، المقدسات التى يجب تربية الأطفال عليها منذ نعومة أظافرهم . ومن غير** التقنية هى اسم اللعبة . **تحطيمها كلها دينية وغير دينية ، وإزالة كل غشاوتها عن العقل ، لا**
- ٣- **لن نكتسب التقنية قبل مجال بالمره لشيء اسمه خيال أو إبداع أو اختراع أو ابتكار . لا** أن تنجلي عقولنا . **غشاوتان ، حجاب الجسم وحجاب العقل ، فقط غشاوة واحدة ،**
- ٤- **لن تنجلي عقولنا دون حجاب أو لا حجاب .** أن تتعري نساؤنا . ببساطة أكثر : ١- هذا عالم من القوة . ٢- فى عالم من القوة ، التقنية
- ٥- **عرى النساء يتوقف** هى اسم اللعبة . ٣- لن نكتسب التقنية قبل أن تنجلي عقولنا . ٤- لن
- ٦- **الثقافة تتوقف على** تنجلي عقولنا دون أن تتعري نساؤنا (وتمارس بناتنا الجنس بحرية فى سن صغيرة) . ٥- عرى النساء (وممارسة البنات الجنس بحرية فى سن صغيرة)
- ٧- **تغيير التكوين الجينى** أمر يتوقف على الثقافة . ٦- الثقافة تتوقف على التكوين الجينى . ٧-
- ٨- **بدون حسم سؤال هل أنت مع التقنية أم مع الثقافة لصالح الأولى ، فإن البديل هو الإفناء** أنت مع التقنية أم مع الثقافة الكامل . **لصالح الأولى ، فإن البديل** أنا لن أستطيع القول أنى أعيش فى مجتمع عصرى وصحى قبل أن أستطيع
- هو الإفناء الكامل .** شراء مجلة البلاى بوى بكل حرية وعلن من كشك الصحف أسفل منزلى .

هذا ليس شيئاً يحدث بقرار من وزير الإعلام يصدر صباح الغد ، إنما لن يتأتى قبل أن يكون المجتمع قد قطع أشواطاً طويلة ومريرة من أجل الرخاء الاقتصادى والتفتح العقلى ، وهما أمران شديدى التفاعل والارتباط والاعتماد أحدهما على الآخر .

هذه الترابطات هى ما سنحاول تحليله وإثباته فيما تبقى من هذه الدراسة .

[ظاهرة التفاوت في قبول المستقبل لم تعد خافية على أحد ، وفي ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠ وتحت عنوان 'ثورات ثقافية' جاء مقال توماس إل . فريدمان كاتب العمود اليسارى الشهير بجريدة النيو يورك تايمز . المقال يتحدث عن مدى استعداد الصين للدخول في منظمة التداول العالمية WTO وصل فيه إلى حد القول أن الحزب الشيوعى نفسه هو أول السعداء بما يسمى ضغوطا خارجية لأنها تسهل له الترويج للاصلاح الاقتصادى وسط الشعب الصينى !

المؤسف أنه لم يجد طوال الوقت سوانا عرب الشرق الأوسط لعقد المقارنات : 'أربطوا أحزمة المقاعد ، في الصين اختاروا المستقبل... في الشرق الأوسط اختاروا الماضى ! ' . [أيضا متابعة أخرى لذات الموضوع في ٢٤ أبريل ٢٠٠٢ ، بمناسبة عمود آخر لفريدمان في المقارنة بين الصينيين والعرب !] .



Red Pajamas:
No Real Future Before We See Our Arabic Playboy!

حتى نشخص أولا الشق الخاص بمدى قدرتنا على تغيير أنفسنا نقول أننا ومنذ قرون نعيش في عصر يكتسب فيه قطاع كبير من البشر صفات لا إنسانية أصلا كالدقة البالغة والحكم الموضوعى وكبح الذاتية وعدم الكلل وقهر الشعور بالملل واستبعاد العواطف والانفعالات . إلا البعض القليل الذى يحفز على العمل والمنافسة كالطموح مثلا ، وذلك في مقابل العواطف 'الشرقية' إن جاز التعبير كالكرامة والانتقام والشرف والعرض... إلخ .

ربما كانت هذه عواطف إيجابية للعيش أيام حماسة الحروب الدينية والقومية ذات السيف والرمح ، لكن ما

نراه اليوم أن البشر أشباه الآلات يتسامون عليها ، وتقتصر ممارستهم لها عند اللزوم على الفرجة على مباراة لكرة السلة أو الذهاب لأحد الأفلام مساء والانفعال مع أى منهما . الواضح كثيرا أننا لا نملك من الخصائص الجينية والنفسية إلا أقل القليل مما يؤهلنا لاكتساب هذه الصفات الجديدة ، ومن ثم نجد أن مقاومة التقدم أقوى بكثير عندنا مما هي عليه في الثقافات الصفراء أو اللاتينية . هذا الرفض للتقدم هو ما يسمى عندنا الطبع يغلب التطبع (أو بالعامية عندنا عبارات وفيرة مثل الكبير كبير ، أو ع الأصل دور... إلخ . وكلها تصب في الحقيقة اليمينية جدا القائلة بأن الناس يولدون ثم لا يتغيرون أبدا ، ذلك أن الجينات قدر المرء الوحيد الذى لا فكاك منه) .

قد يقال إن الآلات هي التي صبغت البشر -وستظل تصبغ المزيد منهم- بهذه الصفات . هذا صحيح بدرجة ما ، لكنه لا يجب أن يعيننا عن حقيقة أن هناك عرقين من البشر بالذات دون غيرهما ، كانا الأسرع في تقبل هذا التحول إن لم نقل صنعه -وهذه الأخيرة هي الأدق .

إنهم من كانت لديهم أصلا تلك العقلية الباردة ودشنوا بها بسرعة وقوة مذهلين الثورة الصناعية بشقيها التقني والمالي ، ألا وهم تحديدًا الإنجليز واليهود .

وقبل الاسترسال في هذا يجب التوضيح هنا أننا لسنا بصدد الحديث هنا عن الأعراق races ، أو إحياء محاولات قديمة لإثبات تطابق الأصول العرقية لذلكما الشعبين ، وأشهرها ما سمي النظرية الأنجلو-إسرائيلية ، والتي باءت بالفشل علميا في حينها ، وإن كان من آثارها غير المباشرة أن اتضح أن الرابطة الأنجلو-ساكسونية هي أيضا رابطة واهية ، وأصبح الإنجليز يصرون على أن القبائل التي استوطنت إنجلترا وسميت الساكسون لا تحمل تشابها لغويا أو ثقافيا يذكر بينها وبين ساكسون القارة ، بل هم شديدو الصلة ببقية سكان الجزر البريطانية من الأنجلي (مثلا ترى الموسوعة البريطانية طبعة ١٩١٠ في مدخلها الموجز عن نظرية الـ Anglo-Israelite Theory ، أن الكتاب الذي صدرت فيه لأول مرة واسمه Philo-Israel ، كان معييا ثيولوجيا وأثنولوجيا حيث يفترض أن الإنجليز ومستعمراتهم والولايات المتحدة هم سلالة 'الأسباط العشرة' بعد شتات الملك الفارسي سرجون لليهود . لكن في ذات الوقت ترى ذات الموسوعة كم هي واهية أيضا الرابطة الأنجلو-ساكسونية . فالساكسون البريطانيون لا يشبهون ساكسون القارة ، ويشبهون بشدة الأنجلو من حيث العادات واللغة والسلوك) .

نحن لا نتوق لإحياء نظرية كهذه ، بل ننطلق فقط من التشابه العميق الذي ينفرد به العرقان الأنجلو واليهودي من حيث خصائصهما النفسية بعد-الإنسانية (بالطبع نقصد باليهود الأشكيناز منهم ، من عركتهم محارق بلاد الصقيع فصاروا عرقا لا يمت بصلة للعرق الساموي شرق الأوسطي الانفعالي التطيري التقليدي ، والمسمى بالبرابرة في القاموس الأرسطي ، ذلك الذي لا يزال بالتأكيد على تحلفه أيا ما

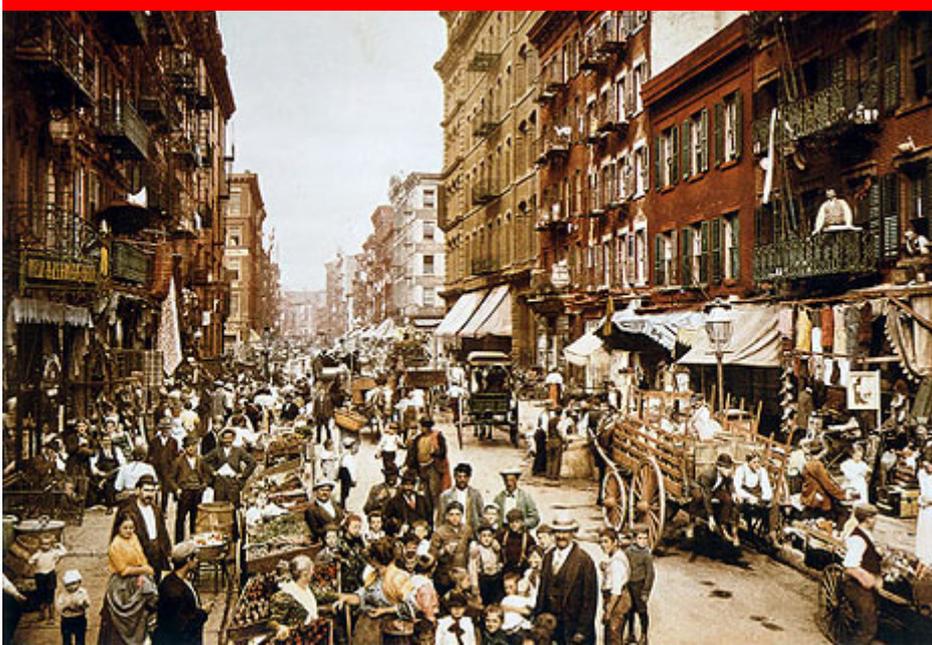


Post-Human Machines:
The Industrial Revolution Was Anglo. Didn't Ask Why?

كانت دياناته ، والتي لا يمكن أن نستثنى اليهودية منها) . بالتالي لا يهمنا هنا إثبات أي شيء يتعلق بالأعراق رغم أن بحوث الهندسة الجينية تجعلنا نشم في الهواء نظريات سوف تقلب خلال من ٥-٧ أعوام من الآن كل نظريات البشر السابقة عن أنفسهم ، وأقلها تفجير فكرة المساواة التي جاءت بها ما تسمى بمبادئ الثورة الفرنسية ، مبادئ جمهورية المقصلة ، تلك التي ما أن مدت على استقامتها حتى أتتنا بالشيوعية البغيضة . ورغم كل ما تبدو عليه حضارتنا اليوم من

اندفاع العودة إلى اليمين كما أرادته لها الطبيعة منذ فجر التاريخ ، لم تتخلص بالكامل بعد من بذور الاشتراكية الدخيلة فيها ، ولا تزال تخشى إجراء مراجعة لها رغم مرور أكثر من قرنين عليها . وبالمناسبة يجب القول إن الثورة الفرنسية التي أتت بحكم الدهماء المدعو الجمهورية أحيانا والديموقراطية أحيانا أخرى والاشتراكية أحيانا ثالثة ، هي أم كل كوارث العالم الحديث ، تماما كما كانت ثورة إخناتون التي أتت بالأديان المتجلاة ووأدت كل الحضارات القديمة هي أم كل كوارث العالمين القديم والوسيط . نعم ، ثورة إخناتون هي الزلزال ، والأديان المتجلاة الثلاث وكل عصور الظلام هي التوابع . والثورة الفرنسية (أو هوجة الباستيل لو شئت) هي الزلزال ، والثورة البلشوية (أو هوجة قصر الشتاء لو شئت) وهوس الديموقراطية وحقوق الإنسان (أو هوجة البناية النيو يوركية ذات الاثنين وأربعين طابقا لو شئت) هي مجرد توابع . إذا كانت هوجة قصر الشتاء قد انحسرت في نهاية المطاف ، وهوجة نيو يورك تعاني من إرهابات الاحتضار المحتوم ، فإن هوجة الباستيل لا تزال نشطة للغاية ومتغلغلة في كل مكان ، والأسوأ أن لا يكاد يوجد وعى عالمي يذكر بمدى الشرور والتخلف الكامنة فيها ، بفضل مساحيق التجميل الكثيفة التي تتجمل بها ، مما برعت فرنسا في تصنيعه وتصديره للعالم . بعد قليل سنتحدث عن مدى التوطن الجيني للفكر اليسارى أيضا في مصر ، ومن ثم قد نقترح تعديل هذه المقولة لأن مصر هي أم كل كوارث العالمين القديم والحديث معا . على أنه -بغض النظر عن إذا ما كان منبع كوارث البشرية الآنية هو وادى النيل أم لا ، يظل حسم الموقف تجاه ما أتت به الجمهورية الفرنسية من أطروحات أيديولوجية ، هو -في اجتهادنا المتواضع- الإشكالية رقم ١ أمام العقل العلمى اليوم ، والتحدى رقم ١ أمام مستقبل هذا الكوكب !

تأكيدا ما نحن برجعين نريد العودة بالتاريخ لما قبل الثورة الفرنسية . فقط نريد له مواصلة مسيرته وحضارته التي شبه تجمدت لقرنين بسببها ، منطلقا تحديدا نحو عالم يتجاوز كل ديماجوجيتها الإنسانية البغيضة ، إلى عقلانية آلية موضوعية يحكمها ذكاء بعد-إنسانى فائق .



A Vision to the World:

It's Dawn of the 20th Century. The Anglo-Jewish Life Style Is Prevailing!

المهم ، ما يعنينا هنا أقل طموحا بكثير من حديث الجينيات ، وهو مجرد رصد ظاهرى وإحصائى (ولتقل إن شئت أن هذه حالة مشابهة لوضعية فرويد عندما لم يجد بين يديه الأدوات العلمية الحاسمة اللازمة ، ومع ذلك مضى في تنمية نظرياته) ، رصد لنوعية العقلية التي تتجاوب بسهولة مع الطباع اللا عاطفية لعصر الآلة-و-المصرف ، وللطباع المتقاربة

بين تلكما الفئتين المذكورتين من

البشر ، شديدة التباعد عن طباع بقية البشر ، بحيث نميل مجازا أو مؤقتا لرؤيتهما كعرق حيوى واحد تجمعهم سمات كثيرة مشتركة لا تكاد تتوفر للأعراق الأخرى .

[**تحديث: أكتوبر ٢٠٠١** : لا أعتقد أن من التسرع القول الآن إن حقبة الأيديولوجية الإنسانية ، أو الفكر اليسارى ككل ، قد بدأت بسقوط الباستيل في ١٤ يوليو ١٧٨٩ ، وانتهت يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بالهجوم الإسلامى على مركز التداول العالمى فى نيو يورك ، ذلك مع كل ما نراه الآن من مراجعة أمنية و استراتيجية وثقافية وأيديولوجية لأغلب المفاهيم الأساسية التى قام عليها هذا النسق الفكرى المتداعى والمعادى للتقدم على طول الخط . حيث لا نعتقد أن التاريخ سيعود للوراء من جديد ويسمح بمثل هذه الأفكار مرة أخرى . فى صفحة سبتمبر ستجد تحليلا لكيف كان هذا الحدث الأخير نتيجة طبيعية ومنطقية للحدث الأول فى عمر هذه الحقبة] .

بعبارة توجز ما سبق نقول : أولا أن شعلة حضارتنا المعاصرة (وتعريف الحضارة هو فتح جبهة frontier جديدة للتقنية) نجمت عن اتحاد ربما بدا غريبا فى حينه وإن كان منطقيا فى الحقيقة ، بين **شاييلوك و جيمس وات** ، وأن هذا اللقاء بين هذين العقليين العمليين الرياضياتيين الآليين الباردين ، لم يكن فقط مجرد لحظة تاريخية عملاقة أفضت للعالم الجديد المقدم الذى نعيشه ، بل كان لها أن كشفت عن وجود قطاع بشرى ربما لا تقل جذوره عن عشرة قرون مضت ، يتميز بوفرة العقل وقلة العاطفة لأبعد مدى ، ويتجاوز الصفات المألوفة لبقية البشر العاديين ، ذلك رغم أنه كما قلنا لم يتم بعد (وقد لا يتم أبدا) إثبات وجود تاريخ جيني مشترك لعنصرى هذا الاتحاد (وبالمناسبة ليس فى كل هذا الكلام جديد ، فهو ذات المنهج الأرسطى القديم فى تصنيف الأمم لحضارية وهمجية ، أو بما يحمل ذات المغزى لبلاد باردة وبلاد حارة أو لغربية وشرقية أو لأوربية وساموية أو كل ما إلى ذلك . فقط العيب الوحيد فى كلام ' المعلم ' أنه صواب . المهم دائما أبدا أن كان أرسطو والكثيرون ممن ساروا على خطاه السديدة من بعده يحكمون على الشعوب بناء على معيار أساس واحد : قدرتها على كبح عواطفها إعمالا للمنطق العقلى البارد أم فى الاستسلام لها) . ثانيا أن ذلك اللقاء الحضارى الأنجلو-يهودى تواصلت إنجازاته بأن نجمت عنه الحضارة الصناعية ثم ومن قلبها بزغت الحضارة بعد-الصناعية الراهنة ، واللذان يمكن تسميتهما معا ودون خطأ يذكر باسم واحد مشترك هو الحضارة الأنجلو-يهودية ، وشاء من شاء وأبى من أبى فالغالبية العظمى لإنجازات الخمسائة عام الأخيرة تقنية وعلمية وحتى فكرية وثقافية جاءت كلها من يهود أو پروتستانت ، أول دينين تعلمنا فى التاريخ . ثالثا أن هذه الحضارة الأنجلو-يهودية أسفرت بمرور الوقت عن أول حضارة بعد-إنسانية يعرفها كوكب الأرض ، أولا لأنها دفعت لأول مرة إلى طليعة صفوف العشيرة البشرية بفئة خاصة مغمورة من الناس لم تكن تتجانس سلوكيا مع الطبائع البشرية التقليدية التى يمثل الانفعال والمبالغة فى شأن القيم المعنوية مكونا عضويا جوهريا فيها (أى بعد-إنسان) ، وثانيا لأنها أفلحت بالتوازي فى إكساب بعض من البشر أنفسهم الكثير من صفات وخصائص الآلات التى كان يبدو أن هذا الكائن البشرى فى مجمله لم يكن مؤهلا أو صالحا لها ، وثالثا وهو الأهم لما آلت إليه تلك الحضارة من سيادة للآلات ككل -باعتبارها العشيرة الأكثر قدرة ماديًا وعقليًا التالية للإنسان فى شجرة التطور الدارونية للكوكب- على مقدرات هذا الكوكب بنحو مباشر وغير مباشر (ونقصد بالدرجة الأولى اليوم الآلات السيليكونية الذكية التى أصبحت تتخذ وبوضوح كبير معظم القرارات الكبيرة الحاسمة ، وكانت قد بدأت بداية متواضعة فى الخمسينيات فى الحقول العسكرية ثم امتدت وتشعبت وتعاضمت قدراتها بما لا يقاس الآن) . (ملحوظة : أنت تعرف جيمس وات لكن شاييلوك يستوجب وقفة لبرهة . نحن لا نستطيع الإشادة بمنطقه العقلانى البارد قدر إشادة داهية الكتابة شيكسبير نفسه . وبقيننا الأكيد أنه كتب عنه -أو بالأحرى اضطر للكتابة عنه-

تماما بالطريقة التي اضطر مثلا للكتابة بها لاحقا سلامة موسى عن الخليفة المأمون . ذاك الأخير خصص في كتابه ' حرية الفكر وأبطالها في التاريخ ' فصلا عن رجل الدين المتطرف أحمد بن حنبل ، وصوره على أنه شهيد للفكر ، بينما كلنا يعلم أنه يمقته ويمقت أمثاله أشد المقت ، وأن كل ما قصده أن يخبر القارئ بمعلومة أن من بين خلفاء المسلمين من لم يكن يؤمن بالقرآن أصلا ، كذاك المأمون الذي راج اسمه فجأة بين المصريين حين اختاره خلفاء البارون إيمان اسما لأهم شارع -أو بالأحرى المدخل الرئيس- لضاحية مصر الجديدة التي بناها ، وكذا أولاده -أى المأمون- الخلفاء لجيلين من بعده على الأقل !) .

[تحديث : يناير ٢٠٠١ : لاحقا توسعنا في هذا بتدشين صفحة الحضارة بدراسة رئيسة كتبنا كجزء منها لأول مرة نظرية كنا نطرحها شفاهة منذ عقود وكان بالأحرى أن نقرأها هنا لولا أن لم نشأ في حينه لأطروحة الثقافات القومية هذه أن تكون أكثر صراحة ، أو قل عدوانية لو شئت ، مما هي عليه بالفعل . تلك النظرية تقضى تقسيم البشر تقسيما جينيا لست طبقات هي التي فرضت على دياناتها (وليس العكس) ، ومن ثم أوغلنا في تعريفنا الخاص لمعاداة الساموية الذي لامسناه أكثر من مرة عبر هذه الصفحة ونراه يحل الكثير من الالتباسات المعاصرة بأن يرصد أن لم يعد منها اليهود ، بالذات الغربيين منهم ، بحكم التحولات الكبرى التي طرأت على خصائصهم الجينية خلال ألفى عاما من الشتات ، ثم يجعل من معاداة الساموية جزءا من عقيدة كل نخبوى حق نصير للمسعى الحضارى للكوكب] . [الجزء المقصود استقل لاحقا ليصبح جزءا من صفحة جديدة أخرى هي العلمانية فاقرأه هناك] .

٢- الأوقاع السياسية :

التركيبة الطبقة لعالم اليوم هي إحدى نتائج تلك الفوارق الجينية - السلوكية والنفسية والعقلية- بين الشعوب (وهو أمر بدأ بعض الداروينيين الجدد يتنبهون له ويولونه اهتماما خاصا ، وتوالت فيه الكتب في السنوات الخمس الأخيرة) . تستطيع الأرقام أن تثبت بسهولة مدى تربع العرق الأنجلو-يهودي على قمة هذه التركيبة ، هذا بعبارة لم يسبق له مثيل ربما تبدو الإمبراطورية الرومانية بجانبه كمجرد دويلة صغيرة ، وليكن ذلك مثلا بالمقارنة بين الناتج الداخن الإجمالي GDP لأميركا الناشئة وأوروبا المجيدة ، أو بين الناتج الداخن لدويلة إسرائيل الصغيرة ونواتج المحيط الواسع من الدول المحيطة بها رغم ما في هذه الأخيرة من ثروات طبيعية غير مسبوقه . إلا أن تفسير وتحليل هذه الهوة الطبقة لن يتأتى إلا من خلال إمعان النظر في تلك الطباع التي جعلت من بعض شعوب أكثر تقبلا للمستقبل من شعوب أخرى ، وذات استعداد لدوس ماضيها بلا هوادة أو رحمة أو ندم ، في مقابل شعوب تجد ملاذها الوحيد في الاعتصام بماضيها ، على الأقل كنوع من التعويض النفسى أو من الاستجابة التكيفية تجاه ما يمليه عليها المستقبل من قرارات تجدها مؤلمة وصعبة بسبب تركيبها النفسى .

هناك على قمة سلم تقبل المستقبل (ومن ثم سلم الثروة الطبقة) من يمكن تسميتهم بصناع **تقنيات الغد** وهم أناس لا تكبلهم تقريبا أى عوائق تراثية (أو دينية بالطبع باعتبار الدين الجزء الأهم من التراث) ، ويأتى على رأسهم الكثير من دول الغرب بطبيعة الحال . ونحن نطرح هذا التصنيف المعتمد على نوع التقنية لما ثبت بداهة من رابطة قوية بين حجم تراكم الثروة وبين نوع التقنية محل التخصص . إذن فالمحدد الأساسى لتصنيف دولة في الصف الأول هو مدى استثمارها في تقنيات الغد ، والأرقام لا ترى بعد الولايات المتحدة أكثر من إسرائيل دولة تستثمر بكثافة في الهندسة الجينية التي ستكون المصدر الأساسى للثروات في ربع القرن القادم (تقريبا كل ما نأكله في مصر هو منتجات منماة جينية هناك حيوانية كانت أو نباتية) ، أو في -وهو أقل حداثة نسبيا من الهندسة الجينية- الرقاقات والبرمجيات الحاسوبية [في أسبوع واحد من شهر ديسمبر ١٩٩٥ قررت إنتل وموتورولا أكبر صانعتين للرقاقات في أميركا والعالم استثمار أكثر من ثمانية بلايين دولار في إسرائيل ، فقط في هذا الشق الدقيق من تقنيات الحاسوب . أما برمجيا فيكفى إسرائيل أنها صاحبة المعمل الوحيد لشركة مايكروسوفت خارج أميركا وأنها صانعة النسخة العربية من برمجيات الويندوز الكبرى التي تشتغل بها كل حواسيب العالم العربى ولعل من المفروض من حيث المبدأ أن نستحى من كتابة مقالات تهاجمها باستخدامها] .

على أن الخطر الكبير على الولايات المتحدة أو غيرها يأتى من القوى المحافظة والمتدينة داخلها وتحديدًا تلك التي تقاوم بشراسة هذا التوجه المستقبلى . ومن دلالات الأرقام الصارخة استطلاع نشرته مؤخرا مجلة نيوزويك يقول إن ثلثى الشعب الأمريكى يؤدي صلوات بين الحين والآخر وأن نصف هؤلاء يترددون بين الحين والآخر على دور العبادة . الصارخ في هذا -وما لم تقله المجلة- أن هذه النسب هي أكثر من ١٠ أضعاف مثلتها في أوروبا ! من هنا وعلى الجرى البعيد يجب أن نضع بشدة الاعتبار لدول أخرى تبذل جهودا قوية لقهر قوى التراث فيها وتقبل المستقبل على عواهنه وبلا تحفظات تذكر ، وقطعت بالفعل شوطا مهما في هذا ، ويجب القول أن زحرة القدرة power shift لم يتأت

تاريخيا إلا من هذا تحديدا أى من تبني التقنية الجديدة أو التحفظ نحوها . إن الفارق بين أن يكون الدين مخدرا يعين العبيد على تحمل العمل الشاق وبين أن يصبح سلطة ونفوذ ، هو بالضبط الفارق بين أن تكون الإمبراطورية الرومانية (أو أية إمبراطورية أخرى) وبين أن لا تكون . ويوم تضمحل الولايات المتحدة وتتحول لقوة من الدرجة الثانية فلن يكون الأمر إلا لهذا السبب . إن **الإمبراطوريات تختنق بعبيدها** وليس لأى سبب آخر (وبأخص الأخص لو كانوا متدينين) ، أو هكذا علمنا التاريخ . ومن غير المؤكد حاليا أن أميركا أو حتى أوروبا تجيد انتقاء عبيدها لا كما ولا كيف ، فما بالك إن كانت تستجلبهم متدينين جاهزين ومعادين لمفاهيم الحضارة والتطور أصلا ! إنهم يسمحون حاليا باستجلاب المهاجرين من كسالى وسط العالم القديم ، بنفس القواعد التي يطبقونها مثلا على مهاجري شرق آسيا وشرق أوروبا الأكثر علمانية ودينامية . لقد انهارت الإمبراطورية الغربية يوما بمعاول العبيد المسيحيين ، والآن يحلم خلفائهم المسلمون بتكرار التجربة بنجاح ساحق مشابه وعشر قرون أخرى من الظلام) ، ولا شك أن يوما قاسيا للندم قريبا سوف يحل بالحضارة إذا استمرت على مثل هذه الدرجة من عمى البصيرة .



Our 'Natural' Union Should Be Across the Atlantic not the Channel!

بريطانيا الشريك المؤسس في الحلف الحضارى الأنجلو-يهودى هي إحدى الدول المؤهلة لهذا الاختراق المستقبلي (فقط بمناسبة الكلام عن الظلام وعصور الظلام ، عصور الظلام عندهم تشمل على الفروسية والملك آرثر وإعلان الماجنا كارتا ، ومع ذلك يسمونها عصور ظلام ، إما للأدب الزائد ، وإما لأن معايير النور والظلام تختلف عندهم عنا ، أو على الأقل لوجود فارق بين ضوء منطقي وبين ظلام

أصيل وحقيقي !) . ولعل المطلوب فقط هو التمسك بالتراث الثالثى العظيم ، والإسحاب فورا من الاتحاد الأوروبي ذو الميول اليسارية الماضية والمعادية بدرجة أو بأخرى للحلوبة . وأنا شخصيا أحرص على شراء وقراءة الفايانانشيال تايمز يوميا ، زائد غيرها من الجرائد البريطانية المختلفة وإن على نحو أقل انتظاما نسيبا ، ولم أجد مرة واحدة ، حتى في حدود الرؤية البريطانية المميزة للوحدة الأوروبية كوحدة اقتصادية محض دون أية أبعاد سياسية أو ثقافية أو تنطوى على أى تخالط آخر من أى نوع ، لم أجد رأيا يمكن أن يقنعني بجدوى استمرار بريطانيا في التحالف شرقا وليس غربا . بالعكس كانت الآراء الأكثر إقناعا تلك الداعية للوحدة مع النفط ، كالتى أطلقها مثلا كونراد بلاك صاحب التليجراف . أردنا هنا فقط التأكيد على الكمون الحضارى الهائل لبريطانيا ، أما فكرة ما يسمى بالتكتلات الكبرى ، وبالذات منها الاتحاد الأوروبي ، فسوف نأتى لها بعد قليل .

[فى تلك الأيام كانت -ولا تزال فى الواقع- الجرائد الأمريكية وفى طليعتها النيو يورك تايمز لا تصل لمصر بسبب الثمن الباهظ للنقل ، وطبعاً لم تكن قد دشنت بعد مواقعها الرائعة الحالية على الغشاء . رغم ذلك لا يوجد ما يمكن أن يقلل من أهمية جرائد عظيمة كالتايمز والفائنانشيال تايمز] .

بالمثل يمكن أن نرى أيضاً أفعالا عميقة المدلول فى دول أخرى كدعوة ملكة **أميركا ، إسرائيل ، بريطانيا ،** وربما هولندا ، **هى القيادة هولندا** لعلماء الهندسة الجينية الذين تحظر بلادهم تجاربهم لإجرائها فى **المؤهلة لأن تحكم ما عداها** بلدها ، وهو بلد ليس بعيداً عن القيم الأنجلو-يهودية إن عرفنا أن يهود **من الدول فى عالم** أمستردام وبنوكهم كانوا الممول الرئيس لاكتشاف أميركا وللثورة الصناعية **المستقبل .** الإنجليزية . وبالطبع من نافلة القول إنها البلد الرائد فى تحرير الجنس والعقائير لأبعد الحدود المعروفة حتى الآن ، ولعل ذلك السلوك من ملكتهم قد يصبح أ نموذجاً نمطياً بعد قليل لكل أمه تتوى بالفعل الدخول فى سباق الثروة القادم .

ببساطة : **أميركا ، إسرائيل ، بريطانيا ، وربما هولندا ، هى القيادة المؤهلة لأن تحكم ما عداها من الدول فى عالم المستقبل .**

الطبقة الثانية تصنع ما يمكن تسميته **تقنيات اليوم** وهى التقنيات ذات القيمة السوقية العالية للوقت المعين ، ومثالها العظيم للمؤهلة الأولى هو **اليابان** . ونحن نقبل مؤقتاً جدلية أنهم مجرد 'قطط استنساخ' copycats ، لكن حتى نعود لتصنيف جديد لهم فى مرحلة متأخرة من هذه الدراسة ، ربما تضعهم فوق العرق الأنجلو نفسه بكثير ، فسنقبل الحديث عنهم هنا كنموذج مبكر ، أو النموذج الأول ، لصناع تقنيات اليوم . والأدق أننا نقصد بهؤلاء عامة كل من يسير على خطى معسكر الحضارة فى اكتساب التقنية منها بجد وأدب ، أو ما يكمن تسميته بالأمم المتحضرة ، أو بمعسكر التحضر (لغويا التحضر هو اكتساب الحضارة) . هى دول تبدو



'Japanization' of the World:
Say Welcome to the Victorious!

ناجحة للغاية لكن لا يجب أن يخفى هذا كون

أن لها درجة ما من السقف التراثى يحول بينها وبين الخوض العميق فى مجاهيل المستقبل . الفارق بين هاتين الطبقتين هو الذى غاب عن أذهان الكثيرين بمن فيهم الأميركيون أنفسهم ، ذلك وهم يرون صناعات الصلب والسيارات تنهوى فى

بلادهم في الخمسينيات والستينيات لصالح الصناعة اليابانية ، ولم يهتموا كثيرا أن النخبة الصناعية والعسكرية الأمريكية كانت تنمى في هذه الفترة تحديدا تقنيات الترانزيستور والحاسوب والليزر والفضائيات . واليوم يشكو الأمريكيون أن حواسيبهم الشخصية وإلكترونياتهم المنزلية لا تقوى عالميا على منافسة منتجات نمور آسيا مثلا (بلاد أخرى لها سقف للتنمية سوف تصله يوما أو وصلته فعلا وسوف تتجمد أو تبدأ في الهبوط بعده) ، ولا يرون -إن لم يكن يهاجمون- نخبهم التي تنمى بلا قيود أخلاقية تذكر تقنيات الهندسة الجينية التي أنها ستكون كما قلنا مصدر الثروة الأول في ربع القرن القادم ، أو لا تزال تجنى أرباحا هائلة من القطاع الأعلى تقنية في تقنيات اليوم كالرقاقات الحاسوبية أو كتابة البرمجيات ، وكتلاهما موجة أحدث وأعلى تقنيا من بقية تقنيات الحاسوب والرقميات الأخرى ، التي تشتغل بها دول التصنيف الثاني .

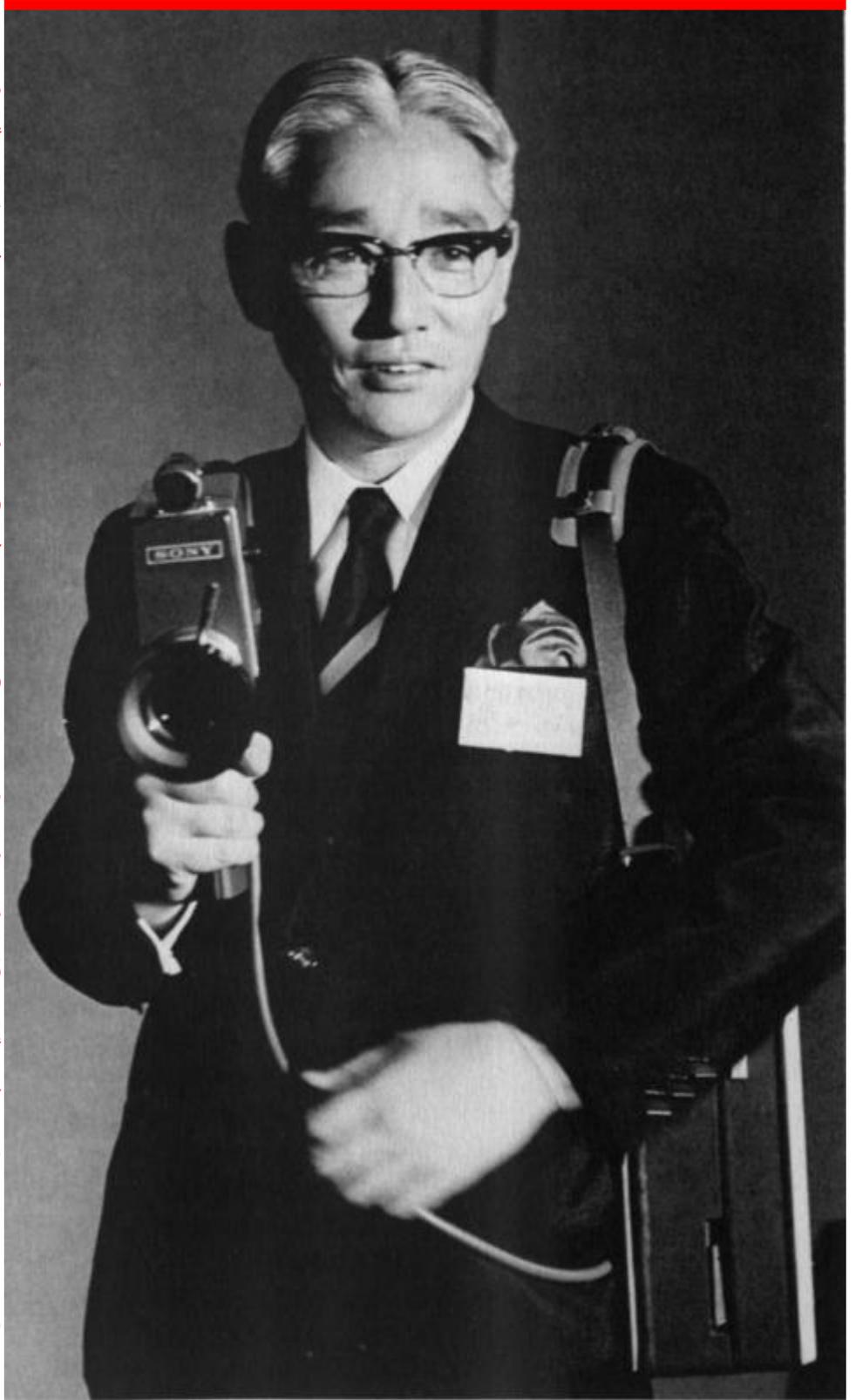
على أية حال هذه كما قلنا ليست نبوءات قاطعة ونحن نرى بالفعل اليابان وهي تولى مثلا الهندسة الجينية اهتماما كبيرا . ولا نستبعد قط على بلد قال له إمبراطوره أن يخرج للترحيب ' بالمنتصرين ' عشية الحرب العالمية الثانية ، أن يقهر في داخله كل ما تبقى من عوائق التراث وهي قليلة للغاية مقارنة ليس بقرون مضت بل بصبيحة نفس يوم ذلك الخطاب الإمبراطوري الشهير .

نعم ، نحن نسهب هنا في الكلام عن شعوب ' المستوى الثاني ' هذه لأننا نرى من خلالها الكثير جدا من الدروس المستفادة لنا نحن ، هذا إن حدث وكان لنا أصلا -نحن الذين وصلنا للحقيقة المطلقة والنهائية في كل شؤون الحياة قبل ١٤ قرنا من الآن- أن نقرر أن نتعلم من أحد . اليابانيون بكلمة هم شعب المفاجآت وتأكيذا لم ير التاريخ تحولا ديناميا في حياة شعب مثلما حدث خلال ساعات قليلة في اليابان ما بين إسقاط القنبلة الثانية على ناجازاكي وتسليم مذكرة الاستسلام للجنرال ماكارثر على ظهر البارجة ميسوري وتوقيع اتفاقية التسليم في ذات اليوم الثاني من سبتمبر ١٩٤٥ . قبل أيام بل ساعات كان اليابانيون أشرس شعب مقاتل -ولحد الانتحارية (كاميكازي)- في التاريخ ضد الغرب ، بل كان بعضهم مستعدا للانقلاب على الإمبراطور لو فكر في الاستسلام ، لكن بالمساء كانت فتياته تقدمن الورود وكثوس الساكى لجنود الأسطول الأمريكى . لو كان اليابانيون قد قالوا يومها ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة لما أصبحوا ثاني أكبر قدرة اقتصادية في العالم . كانوا قد أبيدوا . ما حدث أن بعد عشر سنوات فقط كانت إلكترونياتهم تملأ العالم وصلبهم يغلق ديترويت ' بالضبة والمفتاح ' ، ولو كانت أميركا تريد الهيمنة فعلا كما يقول خصومها لضربتهم نوويا من جديد ، فإغارتهم على ديترويت وحدها أجدر بهذا ألف مرة من إغارتهم على بيرل هاربور .

طبعاً بجانب ما فعلوه في ذلك اليوم الدرامى العاصف يتضاءل شأن ما فعلوه مثلا إزاء إهانات الآخرين (في الأربعينيات وصفهم دووجلان ماكارثر بصبي في الثانية عشرة بينما الحضارة الغربية ناضجة في الخامسة والأربعين ، في الخمسينيات قال نيكيتا خروتشوف إن ليس لديهم ما يقدموه للعالم إلا الزلازل والبراكين ، وفي الستينيات تهكم ديغول واصفا إياهم بباعة ترانزيستور جوالون) ، لم يعلنوا الحرب ولم يسحبوا السفراء بل حتى لم يصدرُوا بيان شجب وإدانة ، كل ما فعلوه ببساطة أن قرروا أن يغيروا ما بأنفسهم . ما هذا الذى نقوله ، وفي أى سياق ؟ من العبث أن نتحدث عن التهذيب وآداب السلوك في سياق أصلى هو الحديث عن العرب ، أصل كلمة الغطرسة في كل التاريخ الإنساني .

الأجوف فقط هو الذى يتغطرس . المملوء حتى لو تغطرس فهو يمارس حقه ، بل فى الحقيقة امتلاؤه يميل لجعله متواضعا عفا .

ببساطة تلك شعوب تتعلم من هزائمها وأخطائها ، أو بعبارة أخرى : تعرف شيئا لا نقوى عليه نحن اسمه سعادة الاستسلام . حين تضرب أميركا اليابان بالقنابل النووية لا تزداد كراهية اليابانيين لها ، إنما يزداد انبهارهم بها . هذا هو الفارق بين اليابانيين والعرب . وبكل كل تأكيد فإن شعب ترك كل 'ماضيه' الإنسانى قى ذلك اليوم ، واستحال بين ضحية وعشاها آلات سيليكونية بلا انفعالات من أى نوع ، هو شعب ذو جينيات خاصة مختلفة . ليس مفاجأة أن كان أول من فكر فى مشروع الجيل الخامس فائق الذكاء للحوسبة . ولن يستغرب المرء قط إن أصبح قائدا لكل العالم فى عصر حضارة بعد-الإنسان ، الذى ربما يتطلب ما يتجاوز الخصائص الجينية للأنجلو-يهودية . فأنت حين تجمع الآلية السيليكونية للسلوك مع التراث الجينى شديد الدموية الذى وصل من الطموح لدرجة أن شرع بالفعل فى إبادة كامل الشعب الصينى هائل العدد



Never Jealous of America:

Sony Corporation Was Founded in 1946 by Two Former Officers of the Defeated Japanese Navy. Their First Gigantic Victory Was to Launch Sony Corporation of America in 1960.

Akio Morita Lived in the States Ever After!

مستخدما الأسلحة البيولوجية ، سوف تحصل ساعتها على مزيج مذهل غير مسبوق . نقول هذا دون أن نقصد الإيحاء بأن شيئا قد استجد على الخصائص الجينية للأمة اليابانية حين هزمت فى الحرب الثانية ، فبالأكيد كلا الشقين موجود

منذ أزل الدهر ، وأقصى ما فى الأمر أن كنا نرى واحدا فقط وها نحن نكتشف الوجه الآخر ، أى السيليكونى صارم العقلانية المذكور . بالتأكيد إن لذلك التراث الجينى الذى لا يعرف الرحمة وجهه الإيجابى الكبير على الجرى البعيد ، ولعلنا سنغامر بمد هذه النبوءة على استقامتها فى تذييل هذه الدراسة ، وندفع أنها ، أى الأمة اليابانية ، ربما تكون الوحيدة الأكثر قاطبة من أمة الأنجلي فى اتساقها مع قوانين أمان الطبيعة مطلقة التنافسية ، والمؤهلة من ثم لوراثة الإمبراطورية الأمريكية فى حال انهيار هذه الأخيرة . وأن ساعتها ستبدو الاعتبارات التقنية شيئا سهل المنال بل وشديد الوقتية إذا ما قورن بما يمكن تسميته معادن الشعوب أو أعماقها الجينية هذه التى لا تتغير بسرعة أو بسهولة بل يكاد يستحيل محوها ، وقطعا يستحيل للغير اكتسابها ما لم تكن قد ورثتها فى دمائك بالفعل .

الدرس الأكبر ، أو **حين تهزم عليك أن تقول إن لديك مشكلة . مشكلة فى علمك ، بالأحرى الأصغر مشكلة فى تقنيتك ، مشكلة فى اقتصادك ، أو بالأولى مشكلة فى الأبسط والأكثر عقلك ، مشكلة فى ' هويتك ' ، مشكلة فى ' ثوابتك ' ، ولو كنت بديهية ، المستفاد هنا أن متدينا لقلت أيضا إن لديك مشكلة فى دينك . نعم ، حتى منطق الحروب لم تصنع من هذه . أنا شخصا لو كنت متدينا وتلقيت الهزيمة تلو الأخرى كهذه ، أجل التطاحن حتى لآمنت على الفور أن الله إله الإسلام إله مزيف وأن يهوه إله التوراة الموت . الحروب لم القديم هو الإله الصحيح ، أو بالأحرى طبعا علمانية الصهيونية هى تصنع من أجل التطاحن الإله الأصح . مبدأ الحرب كاحتكام للوصول للحقيقة آخر ما يمكن حتى الموت . الحروب أن نعرفه ، نحن لا نعرف الحرب كما يعرفها بقية البشر ، بل اخترعنا احتكام ، بل احتكام لها قواعدا من عندنا (أو للدقة استقيناها من الهنود الحمر) . نحن شبه ودى إن جاز نهزم ونهزم ولا نستسلم أبدا . وأنت حين تهزم ولا تستسلم تكون القول ، بين طرفين بساطة قد اخترت الإبادة ، خيارا اخترته لنفسك بنفسك ، ولم يختره لك أحد .**

اختلفت رؤاهما للعالم . حين تفشل كل وسائل الاتفاق ، بيعتان بجيوشهما لساحة حاوية ذات صباح مشرق ، وفى المساء يوقعان وثيقة يقر فيها أحدهما بأنه كان يرى الأمور خطأ ويواصلان التعايش والتعاون على هذا الأساس الجديد . هذه هى الحرب ، وهذا هو شرفها ونبلها ، وسر انتحار القائد المهزوم فيها هو اعترافه بأن خطأ نظرتة للعالم هو الذى أدى لموت جنوده ومعاناة شعبه . عندنا الحرب هى فقط حرب إبادة ، لا أحد يستسلم ولا أحد ينتحر ولا حتى ' يتنحى ' . إما أن نقضى على إسرائيل أو أن تقضى هى علينا ، أقصد إما أن نقضى على إسرائيل أو أن نقضى على إسرائيل . نستخدم كل الوسائل عدا تلك الحرب الشريفة ، بدءا من أن نخطف الطائرات والرهائن ، حتى الإرهاب والمخارية ' بفتائين ' يهتمون بالمدينين فى غزة ولبنان وكل مكان كى نولول للعالم حين يقتل بعض هؤلاء المدينين . وحتى فى المرات النادرة جدا التى حاربناها فيها بجيوش ترتدى زيا عسكريا فإننا اخترنا أن نحاجمها جلسة فى يوم العيد .

المشكلة ليست فقط أن العرب ليس فقط يهزمون ولا يستسلمون ، بل إنهم لا يتخيلون أن للهزيمة ثمن أصلا . يتصورون بعد كل هزيمة أن من الممكن إعادة الوضع إلى ما هو عليه . تقول sorry وكل شىء يرجع لسابق عهده .

الأرض تعود ، حتى المعونات الغربية تعوض الدمار . ينسون أنهم كبدوا الخصم خسائر اقتصادية وفي الأرواح ، وكل ما عليه أن ينسى هو أيضا . لهذا السبب لا تكون شروط الخصم هي عينها بعد كل حرب ، وهذا ما يسمى في أديباتنا المصرية عن السلام الفلسطيني ، أنه تاريخ الفرص الضائعة !

الدرس الأكبر ، أو بالأحرى الأصغر الأبسط والأكثر بديهية ، المستفاد هنا أنك حين تهزم عليك أن تقول إن لديك مشكلة . مشكلة في علمك ، مشكلة في تقنيك ، مشكلة في اقتصادك ، أو بالأولى مشكلة في عقلك ، مشكلة في ' هويتك ' ، مشكلة في ' ثوابتك ' ، ولو كنت متدينا لقلت أيضا إن لديك مشكلة في دينك . نعم ، حتى منطق الدين الذى نتشدد به طوال الوقت ننساه في خضم شهوة الانتقام هذه . أنا شخصا لو كنت متدينا وتلقيت الهزيمة تلو الأخرى كهذه ، لآمنت على الفور أن الله إله الإسلام إله مزيف وأن يهوه إله التوراة القديم هو الإله الصحيح ، أو بالأحرى طبعا علمانية الصهيونية هي الإله الأصح . مبدأ الحرب كاحتكام للوصول للحقيقة آخر ما يمكن أن نعرفه ، نحن لا نعرف الحرب كما يعرفها بقية البشر ، بل اخترعنا لها قواعدا من عندنا (أو للدقة استقينها من الهنود الحمر) . نحن نهزم ونهزم ولا نستسلم أبدا . وأنت حين تهزم ولا تستسلم تكون ببساطة قد اخترت الإبادة ، خيارا اخترته لنفسك بنفسك ، ولم يختره لك أحد .

[فى أبريل ٢٠٠١ وصل الكاتب لثمين جديد لمعدن وقماشة الشعب الياباني عندما رأى شبابه المحتفل بفوز الزعيم اليميني چونيتشيرو كويتشيرو كويتشيرو برئاسة الحزب ومن ثم الوزارة ، يرقص ويغنى بحماس وشبابية لا تذكرنا إلا بالأحداث الشبابية الكبرى التى غيرت التاريخ ، ولنقل مثلا مايو ١٩٨٦ أو الودستوك . فقط ثم فارق واحد أنه هنا لا ينادى بالسلام أو المساواة أو كبح الشركات الكبرى ، بل فقط العكس مائة وثمانون درجة ! يتظاهر مطالبا بحرية الاقتصاد وتحرير المنافسة ، وتفكيك الشركات المتعثرة وعدم محاولة انقاذها أو الإبقاء على شغيلتها ، شباب يتظاهر مناديا بإطلاق نسب البطالة ، وليس محاربتها ! شباب يأتى بما لا يقل صعقا بحال عما فعلته أمهاته ذات يوم حين سمعن الإمبراطور يقول ' أهلا بالمنتصرين ! ' . شباب يخطو خطوة كبرى جديدة نحو أن يصبح الشعب بعد-الإنسانى الأول لهذا الكوكب . اقرأ هذا المدخل الذى هو جزء من صفحة الجلوبة الحالية ، مردفا بتحليل شخصى مطول من الكاتب عن كيف هزه هذا الحدث ، وجعل كل حياته تتداعى أمامه من جديد بكاملها مساء ذلك اليوم ٢٣ أبريل ٢٠٠١ .

...

عاود الكاتب الحديث عن الشباب الياباني فى صفحة بعد-الإنسان حين رأى العصاة اليسارية-العروبية-الإسلامية العالمية تشعل الأرض نارا فى كل مكان من كوكب الأرض قبيل حرب تحرير العراق ، ولم يكن ليتجاهل ساعتها مقارنة أى شباب هنا وهناك بشباب المستقبل الحقيقى فى اليابان العظيمة .

...

أيضا بمناسبة فضيحة رئيس وزراء ماليزيا مهاتير محمد بالهجوم على اليهود قبيل تقاعده فى أكتوبر ٢٠٠٣ ، عقد الكاتب مقارنة فى صفحة الحضارة بين تجربة التحديث كما جربتها ماليزيا ويبدو أنها وصلت لطريق مسدود ، وبين تجربة اليابان لا نهائية التجدد ، والتى تلخصها أفضل تلخيص فى كل زمان وأوان كلمة ' أهلا بالمنتصرين '

هذه ، والتي على العكس لم تتمسك بأية هوية ولا تراث ولا مقدسات لا ' ثوابت ' يمكن أن تعوقها عن عناق المستقبل . في هذه القصة الكثير من الأمثلة لما أسميناه أعلاه أن يغيروا ما بأنفسهم] .

وبعد ، هكذا تحدثنا عن المستويين الأول والثاني ، وأخيرا يأتي بالطبع المستوى الطبقي الثالث في عالم اليوم وهو **صناع تقنيات الأمس** أى تقنيات الثورة الصناعية التي لم يعد يوجد عليها اليوم سوى تحفظ أخلاقي وتراثي واحد هو تلويث البيئة ، ويمكن أن تقبله -أو بالعكس تتجاوز عنه- هذه الدول بسهولة . ويمكنك لو شئت أن تبحث هنا أو هناك عن تصنيف رابع لدول تقنيات أمس الأول والتي تكاد تقتصر على الاشتغال بالزراعة والحرف القائمة عليها .



Thailand's National Industry No. 1!

باختصار ،
ومما يحلم المرء
بتنفيذه يوما هو
تأسيس مؤشر
يعتمد على
قياسات علمية
محكمة ربما
نسميه ' مؤشر

قبول المستقبل ' Future Acceptance Indicator . المعايير التي نتخيلها ربما تشمل أشياء كثيرة تتراوح ما بين قبول بل الحماس لمبدأ الاقتصاد الحر بما يعنيه من موت غير رحيم للضعفاء في خضم سعي المنافسة ، وما بين قبول بل الحماس لمبادئ الحريات الشخصية وإلى القلب منها بالطبع الحرية الجنسية فحرية تناول العقاقير . وأن ربما على الأرجح سوف نجد **هولاندا أو إسرائيل أو ربما تايلاند** (التي جعلت من تجارة الجنس صناعتها القومية رقم ١ وتألقت فيها) ، في طليعة الشعوب المتنافسة على المركز رقم ١ على رأس هذه القائمة !

[في صفحة العلمانية حانت لاحقا فرصة للمزيد من المناقشة عن الخلفيات التي كانت وراء التفكير في مثل هذا المؤشر ، مما تخرجنا ربما من ذكره في حينه هنا في صفحة الثقافة ، رغم أنه كان مكونا أساسا لدى كتابة هذا الكلام الذي قرأته للتو . وكان ذلك إنطلاقا من فكرة نمو أديان معينة لدى شعوب بعينها ، مما يربط الاثنان معا -قبول المستقبل ونوع العقيدة- بالجذور الصينية لتلك الشعوب كل على حدة] .

[بمرور الوقت وبعد ١١ سبتمبر ومن ثم احتلال العراق ، أصبح كلامنا يتخذ منحيا سياسيا أكثر ، وأسسنا بالفعل نواة لمؤشر آخر عكسي أسميناه مؤشر النشاط Roguery Indicator . إلى هذا الحد ساءت الأمور ، وكله تأكيد لتوقعاتنا المبكرة في صفحة الثقافة هذه (بالأسفل) أن المحك الحقيقي في قبول أو رفض المستقبل -ناهيك عن اختراعه- هو البنية الصينية للشعوب أو ما أسماه كيسيونجر لاحقا بالطبقات الجيولوجية للأمم (اقتباس وضعناه أعلى صفحة العلمانية) . كما توصلنا لأن التحالفات لا يجب أن يعقدها معسكر الحضارة أبدا بناء على قوة هذا الحاكم المحلي أو ذاك ، أو حتى بناء على اعتبارات المصلحة ، إنما فقط على المعايير الصينية للشعوب ، هذا كى تدوم وتأتى بنتائجها على المدى الطويل . فتلك وحدها التي تحدد مدى استعداد هذا الشعب أو ذاك للسعى للتغيير أم التمسك بالمكون ' التيمايوسى ' timaeus بالمصطلح الأفلاطوني ، أى

المكون الانفعالي غير العقلاني فيه . وهذه كلها أكدتها شواهد انتكاسة تركيا للإسلام رغم عقود التحديث الصارم الذى تنبأه كمال أتاتورك وبضعة أجيال بعده ، وهى مفاجأة أفدح بكثير بكل ما يمكن قوله مثلا عن الفشل شبه المتوقع لتجربة التحديث المايزية العابرة أو لأن باكستان من تحت أنف رمز حداثتها بيرفيز مشرف راحت توزع سرا خبرتها التقنية النووية على كل من يطلبها من المارقين من العرب والمسلمين ، كلها بما يثبت أن المكون الثقافى-الجينى هو أقوى من أى شىء دنيوى عند تلك الشعوب عالية المكون التيمايوسى . لكن ربما فى المقابل لا تكون الانتكاسة التركية الدرامية أقل فدحا من انتكاسة روسيا للشمولية اليسارية بعد أن تخيل الجميع إمكانية تحولها لليبرالية بعد سقوط الشيوعية ، حيث اتضح أن مدى قبولها للمستقبل يمكن أن يتوقف عند بعض الحريات الجنسية هنا أو هناك ، بما يتماشى مع أفضل الحالات التى ترتقى فيها الجينيات الأرتوذوكسية لتقارب الجينيات الكاثوليكية ، لكن ليس أكثر من ذلك أبدا . اقرأ أيضا عن هذه الهيراكىة الجينية فى صفحة العلمانية . [<http://everyscreen.com/views/secularism.htm#SixGradesOfHuman>] .

...

لا يجب أن تحدونا أية رحمة ونحن نحيل إذن ، الطبيعة الأنجلو-يهودية للتقدم هى مكنم قيمنا وتراثنا وثقافتنا إلى المتاحف وجمعيات الأس الثالث لإشكالية الثقافة العربية ، الذى يجعل حفظ التراث ، فليس بتلك القيم أو التراث وضعيتها أصعب كثيرا من تلك الشعوب التى تعانى من شىء جيد واحد لا يوجد بالفعل فى التحلف أحادى الأس ، أو ثنائى الأس ، إن جازت الحضارات الأحدث . علينا بالتالى أن نكف هذه الأوصاف الرياضياتية . ذلك أنها -أى الثقافة عن محاولات التهجين الثقافى المستحيلة العربية- نصبت لقرون تلك الفئة من البشر تحديدا كعدو بيننا وبين ما يعجبنا فى هذا 'الآخر' ، تاريخى عقائديا وأيديولوجيا لها ، وآخر ما تبغيه اليوم أن فالتهجين أخبث فكرة ممكنة طالما أدت يقال لها إن هؤلاء هم الصواب ، فما بالك أن تطالبها ببساطة وبلا مجهود يذكر من أصحابها إلى تميمع عملية التغيير بل إجهاضها برمتها . بإدارة المفتاح القلاب للثقافة نحوهم . لكننا رغم كل السؤال ببساطة : إما تقدم أو لا تقدم ! شىء لا يجب أن يملى علينا الصدق الأخلاقى والعلمى

سوى القول بأن لا أمل ولا مكان لنا فى عالم الغد سريع التحرك هذا إن لم نفجر وبأسرع إيقاع ممكن كل ما نسميه تراثنا وقيما إلى آخره ، ونستقبل بلا تحفظات قيم ومنجزات التقدم حتى لو كان ذلك التقدم هو ما أسميناه اصطلاحا الحضارة الأنجلو-يهودية . ويجب فى كل الأحوال أن لا ننسى أن كل ما ندعوه قيمنا وتراثنا الأصيل ، ليس بالشىء المختلف كثيرا عن قيم وتراث الغرب قبل خمسة أو عشرة قرون فى عصر الحروب الدينية وما قبلها ، وهو تأكيدا ليس بالشىء الجديد أو الغائب عنهم ، بل أنهم عاشوه بالفعل ويرون فينا أنفسهم لكن فقط من خلال آلة زمن يودون أن لا يركبونها ثانية أبدا . لا يجب أن تحدونا أية رحمة ونحن نحيل قيمنا وتراثنا وثقافتنا إلى المتاحف وجمعيات حفظ التراث ، فليس بتلك القيم أو التراث شىء جيد واحد لا يوجد بالفعل فى الحضارات الأحدث . علينا إذن أن نكف عن محاولات التهجين الثقافى المستحيلة بيننا وبين ما يعجبنا فى هذا 'الآخر' ، وأبسط نتائج هذا ما نراه اليوم من نفاق دينى كاسح فى أوساط الشباب والشابات بأن يرتدى ويقول شيئا ويفعل أشياء أخرى . إن علينا أن نعلم أن دعوة التهجين هى أخبث فكرة ممكنة طالما أدت ببساطة وبلا مجهود يذكر من أصحابها إلى تميمع عملية التغيير بل إجهاضها برمتها . وعلينا بإيجاز أن

نسارع لفصل الثقافة (والتراث) عن الدولة (والحياة اليومية) ، ولنرحب ببساطة بكل ما نسميه حاليا غزوا ثقافيا ، فإن نقبله بفهم ووعى بجذواه سيجعلنا نستفيد منه ، وقبله قهرا لن يكون بالشىء المفيد بالذات بعد فوات الأوان ، وإن كان فى كل الأحوال قادما لا محالة . إن السؤال ببساطة : إما تقدم أو لا تقدم !

القدرة حق ، أنت لا تجدها على عتبة منزلك فى الصباح ، بل القدرة حق ، أنت لا تجدها على تكافح عقودا من العلم والتقنية لاكتسابها . هى العدل الذى يعطى عتبة منزلك فى الصباح ، بل تكافح كل ذى حق حقه ، وقبل كل شىء هى قانون الطبيعة الأسمى ، عقودا من العلم والتقنية لاكتسابها . ومحاولة الالتفاف عليها تعنى تغليب الضعف والكسل والتخلف . هى العدل الذى يعطى كل ذى حق أيضا علاقات القوة ليست اختراعا أميركيا أو إسرائيليا ، هى الطبيعة الأسمى ، ومحاولة الالتفاف موجودة منذ فجر الكون ، منذ لحظة الانفجار الكبير . هى عليها تعنى تغليب الضعف والكسل موجودة فى القوى التى تربط المجرات معا كما فى القوى التى تسبب ترابط مكونات الذرة .

أيضا علاقات القوة ليست اختراعا إن الكون لا يحكمه سوى قانون أكثر قاعدية واحد منذ لحظة أميركيا أو إسرائيليا ، هى موجودة منذ ما يسمى بالانفجار الكبير هو قانون القوة (أو للدقة هى أربعة فجر الكون ، منذ لحظة الانفجار أشكال من القوة تلك التى تحكم كل الكون بدءا من المجرات حتى الكبير . هى موجودة فى القوى التى الجسيمات) ، وقد ساعدنا داروين على اكتشاف ذات القانون تربط المجرات معا كما فى القوى التى على الصعيد البيولوجى لكوكب الأرض ، لكننا مع ذلك نملك من تسبب ترابط مكونات الذرة .

العواطف القديمة ما يعمينا عن هذا القانون ، ونفضل نعتنه بقانون الأدغال ، أو نتحدث عن الكيل بمكيالين (ما يسمى عالميا المعايير المزدوجة Double Standards) ، بيننا وبين من نعتبرهم أعداءنا . بينما الحقيقة أنه يوجد ألف مكيال إذا كنا أمام ألف حالة ، أو بالأحرى لا يوجد سوى مكيال واحد فى كل العالم هو مكيال القوة . ومن المثير للشفقة حقا أن يتوقع الضعيف المتخلف ذات المعاملة كالقوى المتطور لدى تطبيق هذا المكيال . منذ قديم الزمن اعتاد البشر اللجوء إلى الملائكة لحسم أى صراع بين فردين منهم . ويسمون هذا الأسلوب ' الطريقة العادلة ' . ودائما أبدا يخرج الطرفان راضيان تماما عن وسيلة التحكيم هذه ، وهى فكرة ' طبيعية ' للغاية تضرب بجذورها لملايين السنين ، اعتمدت عليها الطبيعة على نحو محورى كإحدى آليات التطور . ولطالما لجأت إليها كافة الحيوانات لحسم الصراع على الأنتى أو الطعام أو غيرها ، وهى أسلوب حضارى للغاية باعتبار أن الحضارة تعنى بالضرورة التطور إذ أنها تنحى الأضعف وتعزز وجود الأفراد الأقوياء .

الأسوأ هنا أن البارانونيا المتمثلة فى مقولة الكيل بمكيالين المتواصلة ، أنها مجرد تظاهرة أخرى لبارانونيا التمحور حول الذات المركبة لدينا (الأم عندنا تقول لطفلها كل صباح وهو ذاهب للمدرسة فى الصباح ' اوعى تضع حقك ' ' اوعى حد يضحك عليك ' ' اضرب إلى يقرب منك ' ، لكنها لا تقول له أبدا ' واجبك كذا ' ' لا تأخذ دون أن تعطى ' ' كن مهذبا مع الجميع الأفضل منك والأقل ' !) . تلك مقولة الكيل بمكيالين هى أيضا مجرد تظاهرة أخرى لعاطفتنا فى الحكم على الأمور ، والتى هى المقوم الأساس لفشلنا الحضارى ، كما سبق وذكرنا ، بينما لأن الغرب يحكم بصرامة

باردة بمكيال واحد هو القوة ، لذا هو موضوعي وعادل... إلخ . نكتفى هنا بواحد من الأمثلة البسيطة على هذا ، هو الطريقة التي نتحدث بها عن ' المذابح ' الإسرائيلية . دائما ما ننسى المقدمات التي أجبرتها عليها ، وننسى عشرات التحذيرات التي وجهت لنا ، وطبعا قبل وبعد كل شيء ننسى قوانين القوة وحفائقها القائمة على الأرض . تأمل مثلا واقعة قريبة من هذا ما يسمى مذبحه **صابرا وشاتيلا** ، لم يكن لإسرائيل دخل مباشر بها ، إنما الكتائبون اللبنانيون . نتذكر الحادث ونملاً الدنيا دنيا صياحا ونحيبا حوله ، وننسى سيناريو الأيام السابقة عليه . ذلك كان أقل ما يمكن أن تفعله عندما يحتل شعب آخر سريع التوالد لبلادك . وتتحالف منظمته المسلحة مع المسلحين من أبناء بلدك من ذات دينهم ممن كانوا أقلية فقيرة تافهة لكنهم سريعو التوالد أيضا . ويتحالف الاثنان مع دولة توسعية مجاورة من ذات دينهم متخلفة اقتصاديا وهممة لالتهمام ما بنيتهم من رخاء ونجاح في بلدك . ماذا تفعل عندما يفضى كل هذا في لحظة إلى أن ترى رئيس جمهوريتك المنتخب على شاشة التليفزيون مضرجا في دمائه ؟ أليس أقل ما يمكن أن يكون عليه رد فعلك أن تتوجه إلى ذلك الشعب الدخيل الذي يكاد يبني مستوطناته في قلب عاصمة بلادك نفسها ، محاولا طرده . وماذا تفعل حينئذ لو رفضوا ركوب الشاحنات والرحيل ؟ إن من فعلوها ليسوا حتى سفاحين متعطشين للدماء طبعا أو تاريخا ، بل بالعكس تماما كانوا نخبه نخبه المتحضرين العرب ومحل حسد الجميع . مرة أخرى وعاشرة ، من ذا الذي يكيل بمكيالين في هذا العالم ؟ الآلات نفسها لم تكن لتقف ساكنة في حالة كتلك . للأسف نكتب هذا [أبريل ١٩٩٦] ، والعويل العربي حول عملية **عناقيد الغضب ومذبحة قانا** في ذروته . لم أجد شخصا واحدا أسأله عن المقدمات التي أدت لها ، وإلا واكتشفت أنه يتخيل أنها جاءت فجأة ، ولجهد ممارسة إسرائيل لتسليتها المعتادة في قتل العرب . لو أردت الصراحة أكثر ، الكل عرف بهذه المقدمات في وقتها حتى سواء تباغت بها تليفزيوناتنا أو ذكرتها على نحو عابر وكأنها أحداث غير مهمة . نحن نفرح في ظواهرنا أو على الأقل في بواطننا بقتل حزب الله للإسرائيليين ، أو على الأقل جدا جدا أننا لا نخزن لهم أبدا أطفالا كانوا أو فتيات أو نساء . هذا هو الشعور الوحيد الذي يملكنا ساعتها ولا نفكر في العواقب . وحين تأتي العواقب وساعة دفع الحساب تتمسح الفعلة كلية من ذهننا ، ويبدأ العويل المذل عن القوة الغاشمة والمجازر والمذابح ، إلى آخر هذه الأسطوانة المشروخة . هذا فقط واحد من المعايير المزدوجة المتغلغلة في عقولنا الباطنة ، وربما تلوح لنا فرص لكثير غيره في مراحل لاحقة من هذه الدراسة .

[**تحديث** : مثال آخر على كوننا نحن لا العالم ، هو الذي يكيل بمكيالين ، الضجة الهائلة التي ملأت سوريا بما العالم طيلة سنة ٢٠٠١ عن عضو الكنيست عزمى بشار الذي تحاكمه إسرائيل بتهمة الاتصال مع سوريا . لم يسأل أحد نفسه قط ، ماذا كان سيفعل بشار الأسد لو ذهب عضو برلمان من عنده ليزور إسرائيل ، لا حتى ليحرض على الحرب ضد بلده الذي يحمل جنسيته كما فعل عزمى بشار ، إنما فقط ليدعو للسلام . المؤكد أن هذا الشخص لم يكن ليرى نور صباح اليوم التالي . أيضا لم يسأل أحد عزمى بشار نفسه الذي يضع هذه الخيانة كمحك للديموقراطية في إسرائيل : ألم يسمع عن شيء اسمه الخيانة العظمى في البلاد التي يدافع عنها وأن عقوبتها هي الموت ، وأنها تطبق لأشياء أهون بكثير مما يفعل هو ؟ العالم يكيل بمكيال واحد هو مكيال القدرة ، وحين نقول القدرة أو القوة فنقصد الحداثة والتقنية والثروة والعلمانية وأشياء كثيرة هي التي تأتيك بتلك القدرة والقوة . وما يهمننا قوله ثانية هنا إن المشكلة في الكلام الكثير عن الكيل بمكيالين أنه مؤشر للبارانويا وللضعف والهزيمة ، أكثر منه يؤشر أو يؤسس لأي حق] .

إن هذه الصفحة التي تقتبس كلاما كثيرا في صدرها من طه حسين وزكى نجيب محمود ونجيب محفوظ (كما ستحدث كثيرا بالضرورة عن الخديوى إسماعيل) ، إنما تفعل ذلك عامة لتقديرها للشق التنويرى الانفتاحى العام الذى ناضلوا من أجله ، وليس بالضرورة تبنيها لمواقفهم السياسية . منها مثلا كون التعليم كالماء والهواء حقا لكل من يولد أيا كانت ظروف هذه الولادة !

الواقع أننا نرى الأمر أعمق بعدا من مجرد ميول تنويرية إنسانية لبعض الأفراد . إن مصر فى ذروة جبروتها الفرعونى نكصت عن إفعال قوانين القوة فلم تحتل أحدا قط ، وهذا لم يحدث قط إلا أيام حكم الألبانى محمد على باشا لها ، ونفذه -وليس هذا بمستغرب بعد كل ذلك التاريخ المصرى المستفز لأى أحد- بقدر غير قليل من التهور ! للأسف حتى لحظة كتابة هذا ، لا يزال الساسة المصريون يجلبون لنا سخرية العالم حين يتحدثون عن دور مصر الاستراتيجى بينما الكل يعلم أن مصر صفر تاريخى كبير ، فجوة استراتيجية يتوالى عليها المحتلون لا أكثر (المغتصبون لو كنت تفضل المدلول الجنسى لكلمة فجوة . ولا نريد أن نذهب أبعد من هذا ونذكر بكيف اعتاد عموم المصريين تمثل خريطة النيل امرأة ترفع ساقها لأعلى ، وأنهم اختاروا وضع العاصمة فى المكان الأكثر إغراء للقادمين . هذه الصورة الإدراكية الرمزية بالغة الذبوع ، التى لم نخترعها نحن ولم يخترعها أى أحد محدد ، إنما فقط ترسخت لقرون فى الوجدان الفلكلورى للمصريين وترجم بجلاء تصورهم الإداركى لأنفسهم ولبلدهم ولتاريخهم كمجرد خنوع خالص لا أكثر . أقصى ما فى الأمر أن يقولوا لك إن مصر ، الفجوة ، قد ابتلعت أو استوعبت كل الغزاة وطبعتهم بطبعها ، وتأكيدا ما هذه إلا بأكذوبة لحفظ ماء الوجه ومداراة تاريخ كامل من استمراء الهزيمة والاستعباد !) . عامة وبالذات الآن أنت لا تستطيع أن تلعب دورا إقليميا أو غير إقليميا دون أن تنتج تقنية . وباستثناء براعتنا فى تخنيط الجثث وبناء المقابر لها ، ذلك ما لم نفعله أبدا .

الطبيعى بعد ذلك أن المرة الوحيدة التى لعبت فيها مصر دورا إقليميا بالفعل كان دور زعيمة قطاع الطرق فى المنطقة وكل العالم . وهذا الذى حدث بعد ١٩٥٢ كان بالتحديد قطع طريق فى ذات الوقت على إرهابات وليدة لنهضة اقتصادية ومن ثم دور إقليمى إيجابى تنويرى وحقيقى ، هو الإشعاع الثقافى لتجربة الليبرالية المصرية ، الذى نشر الحداثة والفنون المصرية لدرجة أن كاد يجعل العامية المصرية لغة لكل العرب ، لكنها التجربة التى وأدها هؤلاء أنفسهم بالشعارات السوداوية لما أسموه بثورتى ١٩١٩ و ١٩٥٢ . والحقيقة الأبعد والواضحة تماما أن تجربة الليبرالية المصرية برمتها لم تكن لتوجد أبدا لولا احتلال الإنجليز لمصر ، فكانت -وهذا مما لا يقلل من شأنها بالمرّة- مجرد المرآة التى تعكس حضارة المستعمر ونور الاستعمار .

مع ذلك نقول إن ربما يوجد بالفعل ما يبرر لدى ساستنا الحاليين توهمهم بأن لمصر دورا إقليميا . فمصر تقوم بتوصيل خمس أو ست رسائل سنويا من أميركا لخصومها فى المنطقة ، مقابل أجر قدره ٣ بلايين دولار . أما مجموعة الرسائل التى وجهت لصدام حسين قبيل حرب تحرير الكويت ، فهى مهمة خاصة خارج نطاق المرتب السنوى الثابت ، وحصلت فى مقابلها على إلغاء ديون بأربعين بليون دولار . المؤكد شيئان : أن مصر المعاصرة هى أغلى بوسطجى فى التاريخ ، وأن أميركا طيبة القلب وفيرة الموارد راضية جدا عن خدماتها !

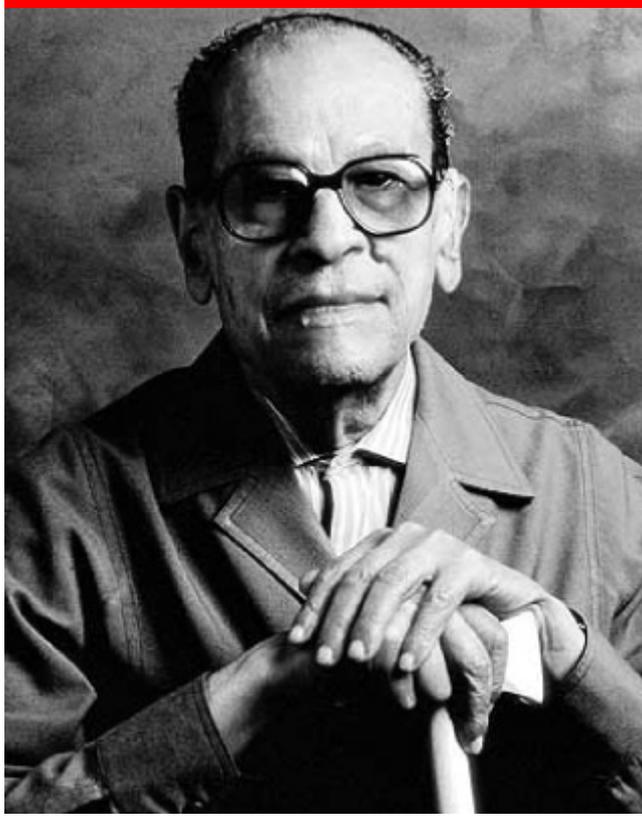
إن التاريخ الثقافي والفكري وحتى السياسي ، المصرى -وربما أيضا العربى كله- هو تاريخ يتراوح ما بين اليسار المتطرف واليسار المتطرف جدا ، ونادرا ما بزغت فيه فكرة القوة ناهيك عن فكرة القوة المستنيرة التطورية أو مفهوم الانتخاب الطبيعى ، وذاكرتى تحاول هنا تمثل مسيرة أناس بالغى البأس مثل رمسيس الثانى ومحمد على . أليست مهزلة تثير الشفقة أن ينظر فى مصر لحزب الوفد الجمهورى الدهمائى صاحب هوجة ١٩١٩ على أنه حزب ' اليمين ' و' الليبرالية ' ؟ (وأتحدك أن تأتى فى أية قضية ، حتى لو كانت المخصصة نفسها ، باختلاف واضح ، جذرى أو حتى ثانوى ، بين مواقف جريدته وبين مواقف جريدة حزب التجمع اليسارى !) .

المؤكد فى عالمنا العربى -مثله تقريبا مثل معظم العالم الثالث البائس- أنه لا يوجد شىء على يمين الحكومات [التى أصبحت قناة الجمعية تسميها لاحقا ' النظم '] ، تلك التى تحاول -رغما عنها على الأرجح- تبنى قدر ما من أجنحة التحديث والانفتاح على العالم ومنافساته الإيجابية الشرسة . والمعارضة -كل المعارضة ، وهنا تأتى المقارنة الشهيرة بين من يده فى النار ومن يده فى الماء ، أو من يتكلم ' من وسع ' -معارضة يسارية تتمسح بالشعب (حتى -وهى مفارقة- لو كانت باسم الدين الذى يصنف تقليديا -وإن دون أى سند موضوعى فى الحقيقة- كيمين) ، ومن ثم لا يعينها سوى تحجيم ذلك التحديث لأدنى درجة ممكنة ، باعتباره رجسا من عمل الشيطان ، الذى هو عادة الخارج المسمى الغرب أو القدرة العظمى أو الغزو أو الإملاءات أو التبعية ... إلى آخر هذا القاموس !

سياسيا هناك شعوب يمينها نفسه يسار ، كالشعب الفرنسى الذى يكاد يصعب تخيل أن ينصلح حاله يوما ، وهناك شعوب مهما تغلغل فيها الشيوعية وأفكار المساواة تعود يمينية دارونية أقوى مما كانت مثل ألمانيا وإيطاليا وربما روسيا . إنها ككل شىء آخر فى الدنيا أمور ترجع للبنية التحتية الجينية .

والسؤال الذى يطرح نفسه ويحتاج لوقفه ما فى هذا السياق : إذا كنا نعيش فى محيط يسارى متغلغل هكذا حتى الجينات منا ، فماذا عن نموذج مثل نجيب محفوظ ذو الولاء للتحديث والعلم بما لا يحتل التفاوض . هل يحتل اليسارية كما يشاع دوما ، أم هو ' الليبرالى الذى لا يرحم ' حسب وصفنا الشخصى الأثير والدائم له ؟ بالطبع لا يمكن القبول باختطاف غوغاء اليسار والناصرية لاسمه فى صفوفهم لعقود طويلة زورا وعلى نحو غيى ومضحك معا . هؤلاء لم يلحظوا مثلا أن ' بداية ونهاية ' كانت العمل الأدبى والسينمائى الوحيد أثناء حقبة ثورة يوليو ، بل وبالضبط المدهش فى أوج عنفوانها ، الذى هجا الضباط ، وتحديدا عندما يأتون من الطبقات الدنيا . يتعاملون عن هذا ، وكأنه لم يكن يتحدث عن ناصر وعامر وكل طغمة يوليو (دع جانبا ما هو أكثر مباشرة وفى رأى أقل ضريا فى الصميم ، مثل ' ميرامار ' و' ثرثرة ... ' ... إلخ) . وبعد ذهاب عبد الناصر وجمعى السادات أصبح هجاء نجيب محفوظ للثورة أكثر علنية ووضوحا (الكرنك) ، بل وتبرا هو منهم بصراحة لعلها تنشز عن كل أدبه الجم التقليدى . مع ذلك لم يوجد قط من يمكن أن يراجع فكرة نجيب محفوظ اليسارى الداروجة . لا أتخيل مثلا كيف يجدونها متسقة مع قصص الفتوات التى تعتبر أحد أعظم التجسيديات فى كل التاريخ الأدبى لمفهوم القدرة حق ، بأرقى معنى ممكن لكلمتى قدرة وحق . ربما أغوت سذاجتهم وسطحيتهم كلمة ' الحرافيش ' دوغما أدنى تأمل للمحتوى الذى يقال ، والذى يجهض فكرة الاشتراكية من جذورها ! الحقيقة أن البعض ربطه بنيتشه من خلال موت الإله فى نهاية ' أولاد حارتنا ' . الأخرى هو ربطه به من خلال ' فتوات حارتنا ' ! ورأى الشخصى أن لا يربط بنيتشه فى أية حالة ، فهذا فيلسوف يمينى يبدو دارونيا نعم ، لكنه إنسانى . ومن ثم فهو

محدود الأفق مفتقد للجوهر الثورى الحقيقى للدارونية وبالتالى يمينيته منقوصة جذريا . أخيرا ، لا معنى بالمرّة للقياس بكون كثير من أصدقائه يساريين . هو كأديب صادق بالضرورة كل الناس وكل الطبقات ، وبالنسبة لمصادقته لليساريين فالسبب بسيط للغاية وهو أن أى مثقف فى العالم الثالث لا يمكن أن يجد حوله إلا مثقفين يساريين ! إن هذا لا يزيد بالمرّة عن كون العبارات الدينية موجودة على لسان شخصياته فى كل فقرة ، دون أن يجعل هذا منه مسلما بل فى نظر المسلمين ألد أعداء الإسلام .



The Ruthless Liberal!

حتى فيما يتعلق ببعض المواقف والآراء المثيرة للبس مثل رثائه الإجبارى لعبد الناصر بأمر من محمد حسنين هيكل ، يقول جمال الغيطانى فى تصريح متكرر جدا له نقلا شخصيا عن نجيب محفوظ ، إنه عندما يتناقض النص الإبداعى مع المقال أو التصريح السياسى ، فالأصدق هو النص الإبداعى ذلك إنه فى هذا الأخير ' **عندما أكتب لا أفكر فى أية اعتبارات** ' [عبارة قد لا نجد أعظم منها تجسيدها لما يمكن تسميته شرف الفكر ، وأسعدنا من اليوم الأول لصفحات الرأى فى هذا الموقع أن نضعها شعارا لها] .

أنا شخصيا واجهت معركة موسعة فى المنتديات السينمائية ، عندما كتبت فى كتاب ' دليل أفلام الفيديو ' ١٩٨٧ أمتدح نسخة حسن الإمام

من ثلاثية القاهرة . نظر لى الجميع كغر طيب ، كان أول من تسامح فى التاريخ مع جريمة سينمائية كبرى ارتكبت فى حق المناضل اليسارى العظيم نجيب محفوظ . هذا إلى أن مال على الكاتب السينمائى أحمد عبد الله وكان صديقا لحسن الإمام ليهمس فى أذنى : هل تعلم ماذا يضع حسن الإمام تحت زجاج مكتبه ، إنه يضع ورقة بخط يد نجيب محفوظ تقول إنه لم يكن ليحلم بظهور الثلاثية بمثل هذا المستوى الرائع أبدا ! (لاحظ السنة ! ١٩٨٧ ، فهى حديثة جدا من ناحية ، وفعلا حتى ذلك الوقت كانت مثل تلك الآراء تثير الجدل الشديد . إلا أنها فى ذات الوقت السنة السابقة مباشرة على فوزه بنوبل التى هاج وماج ضدها مثقفو اليسار بقيادة الحنجورى الكبير يوسف إدريس ، والتى لم تطل لحسن الحظ لأنه مات من فوره كمدا بسبب تلك الجائزة) . السؤال هل نجيب محفوظ يمينى كبير أم مجرد شخص مهذب ، كما بدأت تجرى الآن النظرية البديلة لنظرية نجيب محفوظ اليسارى .

أحيانا يقال عنه إنه كان وطنيا متحمسا ، لكن ما يجب أن نعرفه عنه أنه استقى كل ما فى عقله من قراءة الأجانب . أحيانا يقال عنه إنه كان وفديا ، والحقيقة أنه آخر من يعتقد أنه ينحاز لسعد زغلول ضد عدلى يكن مثلا ، أو لا يقرأون أعماله التى تجعل من ' زعيم الأمة ' و ' ثورة ١٩١٩ ' مرادفات ثابتة لكلمتى وجدان وانفعال ، ويربطها دوما بفورة الشباب عنده . أو لعله بالأحرى يقصد الطفولة ، فهذه لم تكن أكثر من انفعالات

طفل كان في الثامنة من عمره عندما ملأ دهماً ١٩١٩ الشوارع باستعراضهم المشير الصاحب . أيضا لا تفوتك ملاحظة قدر الارتباك والتشويش الذهني الذي يمكن أن يسببه حدث كهذا لأغلب مثقفي تلك الفترة . فالليبرالية والتحديث ، كما نظرت لها كتابات أحمد لطفى السيد مثلا (' الجريدة ' ٠٦ - ١٩١٤) ، أو كتاب طلعت حرب من العام ١٩١٠ ' علاج مصر الاقتصادى ' ، وتبناها سياسيون من أمثال حسين رشدى وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت ، وبالطبع اقتصاديون من أمثال طلعت حرب نفسه ، كانت شىء من صميم مهام واختصاص الطبقات الراقية والثرية من أعيان أراضى وأرباب صناعة وتجارة ، الكبار منهم تحديدا ، وإن لم يكونوا موجودين فقد دعت لإيجادهم . لكن الشىء الذى لم يخطر ببال أحد قط أن يلجأ شخص ما لإقحام الشعب الجاهل في الأمر ، على الأقل في مرحلة مبكرة جدا كتلك لم يكن لديه فيها أدنى قدر من التعليم أو النضج . هذا ما فعله المحامى الانتهازى الأزهرى سعد زغلول حين خان عهد الوفد الذى اختير عضوا فيه أو ناطقا باسمه أو أيا ما كان ، فإذا به يطالب فجأة بالاستقلال في كل لحظة يتحين له فيها ابتزاز زملاءه بشتى الطرق ، بدءا من اقتحام اجتماعات الجمعيات العلمية القانونية بالقاهرة حتى تصريحات مطار لندن . وبالأخص يوم أشعل تحريضه الممنهج وشبه السرى في ٩ مارس ١٩١٩ ' الكارعة ' (هكذا كان ينطقها) التى طالما خطط لها . هذه كانت بالضبط اللحظة التى أجهضت فيها تجربة الليبرالية والتحديث المصرية وهى تقريبا بعد فى مهدها . ربما تسمع اليوم كلاما كثيرا عن أن فترة ما بين ١٩١٩ و ١٩٥٢ كانت فترة ذهبية للحرية والحراك السياسيين ، الصحافة كانت حرة ، الأحزاب كانت حرة ، الانتخابات كانت حرة ، الجماهير والحياة السياسية كانت تتمتع بالحياة والنشاط وتملأ الشوارع والمدارس بالمظاهرات كل الأيام . هذا صحيح لكنه هراء ، والسبب أن أحدا لم يسأل سؤال المحتوى . ليس المهم أن تكتب أو تنتخب أو تتظاهر ، إنما بماذا تحديدا كانت تطالب تلك الصحف والأحزاب والجماهير ' شديدة الحيوية ' التى أخرجتها ١٩١٩ من القمقم . الإجابة أنها كانت تطالب بطرد الإنجليز وبسلب الأغنياء ثرواتهم إلى آخر أجندة الكراهية المعهودة ، أو بكلمة كانت تطالب بـ ١٩٥٢ . هذا ببساطة هو ما جناه السيد زعيم الأمة على أجنة الليبرالية الحقبة هذه التى ولدت على يد محمد على ووصلت ذروة ازدهارها فى العقد الثانى من القرن ، لكن قطعاً ليس بعد ذلك بيوم واحد !

فى نهاية رواية محفوظ ' ميرامار ' سنة ١٩٦٧ ، قال الإقطاعى السابق إن الحل الوحيد هو أن تحكم مصر حكما يمينيا بواسطة أميركا مباشرة . صحيح من يطرح هذا هو الشخص الأكثر يأسا وتعرضا لبطش الثورة فى الرواية ، لكن إنهاء الرواية يمثل تلك الجملة يشبه إلقاء قنبلة نووية لم تنفجر بين يدي القارئ ، أو بالأحرى داخل مخه ، الذى لم يتخيل قط أن يأتى خاطر كهذا أصلا فى ذهن أى أحد كما مر فى ذهن نجيب محفوظ . قنبلة تتركه يردد نفس كلمة قائلها : ما المانع ؟ على الأقل هذا هو الخيار الوحيد الذى ترك بلا نقد ، بينما جزم محفوظ بأن جميع الخيارات الثلاث الأخرى ، الناصرية والشيوعية والإسلام ، هى الجحيم عينه ، لم تنتشل الشعب من فقره وتخلفه بل فاقمته . فقط لاحظ أننا فى أوائل سنة ١٩٦٧ ، وهذه الدعاية ذات الوزن الثقيل جدا من نجيب محفوظ ، لا تتنبأ فقط بما سيحدث فى يونيو منه ، إنما ربما تتنبأ بنصف قرن أو قرن كامل تال ، سيعود العالم فيه حتما للنظام الإمبراطورى من جديد ، لا سيما بعد تفشى هول كارثة حكم العالم الثالث لنفسه للعيان يوما بعد يوم ! [على نحو أكثر تحديدا اقترحنا يوم ٢٨ مايو ٢٠٠٤ فى صفحة الإبادة أن إباد علاوى الذى تولى فى ذاك اليوم حكم العراق تحت إمرة القوات الأميركية هو أول تجسد لحلم مفكرنا العظيم على أرض الواقع !] .

نعم ، ليس لدينا شك أن نجيب محفوظ قصد ذلك التأثير تحديدا . على أنه رغم كل شيء ، لا يمكن لأحد أن يعتبره ببساطة منظرا سياسيا لليمين ، والسبب في هذا بسيط ، وهو أنه لا توجد حركة يمينية أصلا . افتراض أن الوفد هو اليمين ليس إلا هراء ما بعده هراء . فالوفد هو مؤجج الثورة البلشيقية المصرية سنة ١٩١٩ (إن لم نقل من المعطيات السابقة أنها كانت ثورة إسلامية سلفية بشعارات بلشيقية ، بالذات بملاحظة خلفية مديرتها ودور الأزهرى والمشايخ المباشر في تأجيحها عبر كل مصر) ، والتي كانت صراعا نمطيا حاسما في التاريخ المصرى قضى على النواة الأخيرة المحتملة لليبرالية والتقدم ، وجعلت الدهماء الورقة العليا في سياسة البلاد ، يتهاافت الساسة الفاسدون على الاستحواذ عليها قبل أى شىء آخر . هذا التحليل ليس من عندنا ، إنما هو فى صميم الرواية المذكورة نفسها ، على لسان الراوى الخارجى المحايد الصحفى عامر وجدى ، بل لعله أكثر شخص تشترك نسبة كبيرة من ملامح مسيرته السياسية والفكرية مع المؤلف نفسه فى جميع رواياته ، أو ربما كل شىء باستثناء جرعة التصوف الزائدة (حتى هذه رغم عدم التطابق بالطبع مع نجيب محفوظ نفسه ، تبدو منسجمة مع ميل نجيب محفوظ الدائم -بالذات بعد أولاد حارتنا- للإيماء بعدم الحسم الدينى عنده) . وعامة محفوظ لم يتردد أبدا فى تناول التهكمى لهوجة سعد -أو هوجة عربى الجزء الثانى ، سواء فى ثلاثيته الشهيرة أو فى غيرها كثير . ذلك التهكم الذى يمكن فهمه على أنه نوع من الندم عن حماسة طفولته وشبابه نحو الوفد وسعد زغلول ، والتي أزعج أنها ظلت تؤنبه طيلة عمره وأراد التكفير عنها بينه وبين نفسه بكل الوسائل ، تماما كما عامر وجدى بعد تنويره الفجائى -وربما المتأخر نسبيا- لمدى انتهازية الوفد فى ٤ فبراير ١٩٤٢ .

ما ترتكن إليه قناعتنا الشخصية ، أن نجيب محفوظ فى الحقيقة أرقى حتى من أن يكون يمينيا بالمعنى التقليدى علميا للكلمة . مبدئيا هو ذلك المزيج المفقود للإيمان بكلا من الليبرالية الاجتماعية والليبرالية الاقتصادية . دافعت رواياته عن العاهرات ، قدر فرحته بزوال الحكم الناصرى وتأييده لجوهر التحول الاقتصادى الليبرالى التالى ، وإن انتقد بالطبع كأى مفكر ناضج كيفية تطبيقه على الطريقة المصرية (الفاسدة واليسارية بطبعها وفى جوهرها) . أيد السلام مع إسرائيل ، لكنه لم يلجأ أبدا للخطاب اليسارى الساذج عن الحب والتآخى ، إنما رأى فيه معركة دارونية من الطراز الأول ، سيقف فيها إلى جانب المنتصر أيا من كان ، وأشهرها كلمته للمثقفين الوجلين من السلام ' موتوا ! ' . على أن الأهم من هذا وذاك فى تمثنا له ، هو اعتقادنا أنه يريد لنفسه أن يكون مفكرا بعد-إنسانى أرقى من كل الولاءات السياسية ، ومن كل البشر وصراعاتهم ، فهذا ما تشتغل عليه فى الواقع كل رواياته التى لا تفعل أكثر من أن تسخر منهم جميعا . أنا شخصا أتمثل دماثته الزائدة (التى يختطفه بسببها الجميع لمعسكره) ، أتمثلها نوعا من ذلك الترفع القاسى على الجميع . فتواضع المفكر الحقيقى هو تواضع العالم بين وبين نفسه لمعرفته بحدود العلم البعيدة ، ذلك بغض النظر إذا ما اختار المظهر المتواضع فى تعامله مع الناس ، أو تغطرس عليهم . وكلا الحالتين وارد ولا يمس التواضع الداخلى الذى هو سمة تلقائية يفرضها العلم والبحث عن الحقيقة . المهم ، أنه سواء صح تصنيف نجيب محفوظ كأيدولوجى سياسى يمينى ملتزم من خلال تصريحاته ومواقفه وهى ليست قليلة ، أو كمجرد فيلسوف مراقب يمينى أرقى من الالتزام المباشر من خلال كتاباته الأدبية الرفيعة المحايدة ظاهريا ، فسيظل فى كل الأحوال استثناء فريدا بالكامل من نوعه فى بحر الثقافة العربية العطن ، لا ينفى القاعدة التى نحاول إثباتها هنا ، من أنها ثقافة يسارية للغاية قاعديا .

[لاحقاً هدد اتحاد الكتاب المصري بفصله ، بسبب موقفه من إسرائيل . ولا ندرى من كان سيشطب من الوجود ويذهب لمزلة التاريخ ساعتها نجيب محفوظ أم اتحاد الكتاب عديم الجدوى أصلاً . بالعودة لدعابة ميرانار المذكورة عن حكم أميركا لمصر ، التي تقزم في الواقع أية دعابة أخرى ، نقول إن هذه الدعابة الأخرى التي جاءت بعد دعابة ميرانار بخمس سنوات ، لم تمر مثلها بسهولة بل أقامت الدنيا وأقعدتها . بعد سنوات طويلة منها (وتحديداً من خلال كتاب غالى شكري ' نجيب محفوظ — من الجمالية إلى نوبل ' ١٩٨٨) ، فجر نجيب محفوظ مفاجأة كبيرة حين قال إنه كان أول من طرح فكرة السلام مع إسرائيل . كان ذلك في سنة ١٩٧٢ وخلال لقاء لكتاب الأهرام مع معمر القذافي . قال ' إذا لم تكن لدينا القدرة على الحرب فلنتفاوض ونصطليح ، ونهني هذه المسألة التي لا تتحمل حالة اللا سلم واللا حرب لفترة أطول . وقد أيدني حسين فوزى وتوفيق الحكيم . وكان كلامي مفاجئاً ، فلم يكن يخطر ببال أحد التفكير ، مجرد التفكير ، في هذا الحل ، ذلك أننا كنا نعيش في عصر لاءات الخراطوم الشهيرة ' (يقصد لا صلح لا اعتراف لا تفاوض في القمة العربية يوليو ١٩٦٧) . فكرة التفاوض أو الحسم المفقود (أو ما أسماه الرئيس السادات ' عام الحسم ' ، ثم عاد معتذراً ليسميه ' عام الضباب ') ، جاءت نتيجة مظاهرات طلابية وعمالية هائلة ، وفاقمتها هي نفسها بدورها بعد قليل ، لكنها لم تنسب أبداً لنجيب محفوظ ، إنما أحياناً لكتاب الأهرام ككل ، وأحياناً لتوفيق الحكيم خاصة (ربما مجرد أنه الأكبر سناً !) .

للمزيد عن محفوظ ككل اقرأ التحقيق الجميل للنيلو يورك تايمز معه في سبتمبر ٢٠٠٢ . في هذا التحقيق تمتع الأسلوب والمحتوى معا ، نأمل أن لا يفسد استمتاعك بحكمة الفيلسوف العظيم رأى إنساني عابر عن الفلسطينيين الانتحاريين ، من الواضح أنه بنى على معلومات منقوصة ، سببها كما هو معروف وعلى الطريقة المصرية الفهلوية جدا ، محاولات الاحتواء والسيطرة التي يقوم بها عليه التيار الذي يجاهر بعادته للساموية بأشد معاني الكلمة بداءة وتخلفا ، بينما هو وحده الذي لا تزال تجرى في دمائه لعنة الساموية واليهود الذين يهاجمهم قد برأوا منها من قرون . من هذا مثلا إحاطة أمثال الكاتب **محمد سلماوى** وغيره بنجيب محفوظ الذى لم يعد يقرأ أو يشاهد بنفسه للأسباب الصحية المعروفة ، وطبعاً لرحيل معظم شلته الأصلية . ربما تدهش وأنت تقرأ ما يكتب سلماوى هذا ، كيف يمكن أن تربطه بنجيب محفوظ علاقة أخرى غير طعنه بسكين في رقبته ، لكن كما تعلم جيل الهزيمة (واسم الدلع النكسة !) ، هذا لا ينتحر ولا ينسحب ولا يبأس أبداً . وإذا كان الطعن في الرقبة قد فشل ، فلا بأس من تجربة الطعن في الظهر ! يكفي أن تعلم أن سلماوى هذا ، وكان بعد موظف الأهرام الشاب الذى توسم فيه نجيب محفوظ أن يقرأ كلمته أمام احتفالية نوبل بالإنجليزية مقبولة لا أكثر ، كاد أن يحدث كارثة بيارانويته مفرطة المرضية تجاه اليهود وينسحب من الحفل . بل وقام بالترتيب مع كل الوفد الإعلامى المصرى كى يتضامن معه في هذا الانسحاب ، ويكاد يتباهى في برنامج للبي بي سى أعدته **نجلاء العمري** في نوفمبر-ديسمبر ٢٠٠٢ بعنوان ' **سيرة صاحب الأحلام** ' ، بأنه كان سيفعل كل هذا دون مجرد التفكير في الاتصال بصاحب الشأن في مصر لأخذ رأيه (طبعاً حتى لا يفوت هذا الأخير عليه مناسبة نضالية-جهادية عظيمة كهذه) ! ولم يفوت عليه أى من كل ذلك سوى أن اتضح في اللحظة الأخيرة أن أحداً لا يعنيه أن يشير أو لا يشير نجيب محفوظ لمعاناة الفلسطينيين في كلمته . إنه يتحدث كما لو كان قد حصل بإقرار بخط اليد من نجيب محفوظ بما

يسميه ' موقفا قوميا عظيما ' ، دون أن يلحظ أن كل حياة نجيب محفوظ الممتدة كانت فضلا ضد فكرة القومية العربية وضد الناصرية ، ولا يوجد بها ما يمكن تسميته موقفا قوميا واحدا على وجه الإطلاق !

باختصار : ما قاله نجيب محفوظ عن التحديث وعن الحضارة الغربية بما فيها إسرائيل ، كثير ولا يحتمل التأويل ، وهذا يرضينا ويكفيينا حتى آخر الزمان .

باختصار أيضا : كلنا يعلم أن المصريين ليسوا عربا ، وأنهم أفارقة بالعرق ، لكننا يعلم أن المصريين لكن مورست عليهم عملية إلحاق وتعريب قسرية طيلة ليسوا عربا ، وأنهم ١٤٠٠ سنة ، وربما نجعل محور دراستنا التالية استكشاف أفارقة بالعرق ، لكن حقيقة موقع مصر الفعلى حاليا بين المصرية والعروبة ، وما مورست عليهم عملية هي المحددات السلوكية لهذين العرقين إذا كان التمييز إلحاق وتعريب قسرية بينهما ممكنا .

طيلة ١٤٠٠ سنة ، ... مبدئيا ، قد استجلب خبرتي الشخصية حيث كنت وربما نجعل محور اتفاقية كامپ ديفيد ، وذهلت بالفرحة الهائلة لدى الكل ، استكشاف حقيقة من حارب ومن يحلم بإلغاء التجنيد الإجبارى . من هذه الخبرة قد أقول إن هوية مصر وميلها الحضارى لا تزال حية موقع مصر الفعلى متميزة ، وأعتقد أن أحد محدداتها السهلة والواضحة (ربما حاليا بين المصرية والعروبة ، وما هى الانتظار ليوم يأتي فيه خبراء الچينيات بالقول الفصل) هو الموقف من إسرائيل . هذا الأمر أثار فضولى -وربما حيرتى المحددات السلوكية وتسأولاتى- منذ يوم رأينا الملايين تخرج لاستقبال نيكسون لهذين العرقين إذا كان التمييز بينهما ممكنا .

... مبدئيا ، قد استجلب خبرتى الشخصية حيث كنت أشغل فى أحد مصانع القطاع العمومى الكبيرة يوم أعلنت اتفاقية كامپ ديفيد ، وذهلت بالفرحة الهائلة لدى الكل ، حارب ومن يحلم بإلغاء التجنيد المصنع !

... مبدئيا أيضا ، أنا أطبق هذا منذ سنوات طويلة على معارفى من المثقفين : موقفهم من إسرائيل هو خط أحمر بالنسبة لى يميز ما بين الحداثى الحقيقى ، وما بين ' العربى ' أو أيا ما كانت الصفة السلبية التى سأستمر عليها !

الإجبارى . من هذه الخبرة قد أقول إن هوية مصر وميلها الحضارى لا تزال حية متميزة ، وأعتقد أن أحد

محدداتها السهلة والواضحة (ربما انتظار ليوم يأتينا فيه خبراء الجينينات بالقول الفصل) هو الموقف من إسرائيل . هذا الأمر أثار فضولى -وربما حيرتى وتساؤلاتى- منذ يوم رأينا الملايين تخرج لاستقبال نيكسون أضعاف من خرجوا لوداع عبد الناصر (وكأنه نوع آخر من قلاب ' أهلا بالمنتصرين ' الياباني يوم هزمتهم أميركا) . العرب خارج مصر زائد ذوو الأصول العربية داخل مصر (شديدا والسلفية والولع بثقافة العرب وبكتب الإسلام وتراهم مرتاحين كثيرا لزيارة دول الخليج والتفاعل مع أهلها) ، هؤلاء وأولئك لديهم عداء لليهود أصيل يجرى فى الدم ، ولا يمكن أن يختفى فى غمضة عين كما رأيت فى شغيلة ذلك المصنع !

... مبدئيا أيضا ، أنا أطبق هذا منذ سنوات طويلة على معارفى من المثقفين : موقفهم من إسرائيل هو خط أحمر بالنسبة لى يميز ما بين الحدائى الحقيقى ، وما بين ' العربى ' أو أيا ما كانت الصفة السلبية التى ساستقر عليها !

... اقرأ أيضا : ما سمى بثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومنه بالضرورة المزيد عن موقف نجيب محفوظ منها ، كان مادة لمدخل موسع بمناسبة مرور ٥٠ عاما على هذه الكارثة العظمى .

... كذلك تابع بتوسع كبير المزيد عن السيكيولوجية المصرية ، لا سيما علاقتها بالفيضان والاتكال والجيينات والفهلوة ، فى صفحة الحضارة . والطريف -وهى مصادفة غير مقصودة ، لكن غير خالية من الدلالة- أن المدخل الذى ورد به هذا كان عن فائز آخر بنوبل للآداب مثله مثل محفوظ ، وأيضا علمانى ويمينى للغاية مثله ، لكن مع فارق أنه غير متواضع وغير مهذب بالمرّة ، ألا وهو بالطبع فى . إس . نايپول !

... أيضا ثم معالجة لاحقة أخرى فى صفحة الثقافة هذه ، لمستقبل مصر ذات هذه الشخصية المستعصية على الإصلاح ، بمناسبة تلويح أميركا باحتلال العراق وتنصيب حاكم عسكري له على غرار الجنرال ماكآرثر ، وهو أسلوب الحكم الذى قد يمتد ليفرض نفسه منطقيا على كل شعوب المنطقة الفاشلة اقتصاديا .

... بعد فترة لاحقة أخرى وبإعادة احتلال العراق ، لم تعد بعد سطور ميرامار الأخيرة مجرد دعاية ! [.

...

إن لكل شعب أسطوره كما يقولون . وبينما أساطير اليونان تتمحور حول بشر يتحدون الآلهة ويقهرونها ، وأساطير ألمانيا تتحدث عن بطولات سيجفريد الملحمية ، وأسطورة أميركا كل ملاكم يطرح خصمه أرضا وكل لاعب بيسبول يقذف الكرة لمسافة أبعد (طبقا لمقدمة برنامج عن رموز ومشاهير أميركا أو ربما عن القصص القصيرة الأميركية ، من أسف لا أذكر اسمه وأذكر فقط هذه المقدمة وأنى كنت أسمع أسبوعيا فى طفولتى فى إذاعة صوت أميركا العربية) ، فإن أيزيس وأوزوريس أسطورة انسحاقية بالكامل . وهى حية بعد ليس فقط فى طقوس الحزن المرعبة فى صعيد مصر ، بل فى كل أركان الحياة اليومية لكل المصريين ، ناهيك بالطبع عن حياتهم الثقافية والسياسية .



Throwing the Ball a Yard Farther!

خذ مثالا من الأحداث الكبرى ما يخص استجابة شعبنا المصرى لهزيمة يونيو . بعد أيام من صراخه الهادر بعودة جمال عبد الناصر ، راح يطلق النكت الساخرة من نفسه كشعب (-أحا أحا لا تتنحى ! -أحى أحى واتنحى ليه ؟ عفوا للبداءة لكنها كانت أشهر من أن يخجل منها أحد ، وأكثر دلالة من أن نتغاضى عنها !) ، ثم بعد قليل نسى الموضوع برمته . أهم ما فى الأمر أن يظل السؤال معلقا للأبد : أيهما كان على حق خطب عبد الناصر فى صوت العرب أم حكاوى عم حمدان فى صوت إسرائيل .

إذن ، الانفعال المفرط -
السخرية من الموضوع - نسيان
كل شىء ، هى الاستجابة
الانسحاقية مثلثة الأضلاع
الدائمة من الشعب المصرى

لكل الكوارث ، بدءا من الهزائم العسكرية مروراً بالزلازل حتى سقوط طفل اسمه سيد فى البوعة مفتوحة واختفاؤه للأبد . والهدف الوحيد لها هو فقط أن يتفادى التعلم من أخطائه . هذا أحد نتائج الفهلوة الكامنة فيه حتى النخاع ، يريد المضى فى الحياة دون تشغيل عقله على وجه الإطلاق ، (من الطريف أو ذو الدلالة أنك لو بحثت فى الأمثال العامية المصرية فيما يخص النشاط والكسل ، لخرجت بانطباع بأنه أكثر شعوب الأرض هممة على وجه الإطلاق ! أيضا سؤال أهديه لأخوتنا فى اليسار لماذا لا يبحثون لنا عن تفسير لماذا فى العامية المصرية كلمة تشريك تعنى إتلاف الشىء أو اعتباره غير صالح للاستخدام ، وفى نفس الوقت تعنى جعله اشتراكيا !) .

وكما أن ثم كسل للأبدان فرضته دورة الفيضان ، ثم كسل للعقول فرضته دورة الفيضان وكسل الأبدان معا . كسل لا يختلف بالمرّة عن كسل انتظار الفيضان وانتظار رحيله ، إذ كما أن الشغل البدنى يؤلم العضلات غير المجبولة جينينا عليه

فتشغيل العقل يؤلم بالمثل الدماغ غير المجبولة جينينا عليه . وليس غريبا قط بعد ذلك أن يظهر ما سمي بالتوحيد في مثل هذه التربة ، حيث إله كلى القدرة يملك جميع المصائر ، يعطى الأمان العقلى والنفسى من كل نواكب الزمن ، ومن ثم يمنح إحساسا عظيما بالاتكالية والاستلقاء الآمن ، أو بالاستسلام لغدر الطبيعة القادم . إنها قاعدة عامة أن ينمو الإيمان بالخرافة فى البيئة العرصة vulnerable ، فما بالك إذا كانت هذه عبارة عن فيضان درامى إما شحيح مشظف وإما هائل مدمر ، وإن لم يكن هذا أو ذاك فهو هاجس يأكل الروح طوال السنة وطوال العمر وطوال الأجيال . إذن لا غرابة بالمرّة أن كل حضارتنا المعاصرة مبنية على اليونان لا على مصر . اليونان أعطت العالم العلم والتقنية أو على الأقل الأساس الفلسفى المادى لإنطلاقتها التالية فى روما وبريطانيا وأميركا ، فماذا أعطتنا مصر ؟ الإجابة أعطتنا الدين ، أعطتنا دوامة من الخرافة والتعصب والظلمات الأبدية لا تنتهى أبدا . بعبارة أخرى الحضارة هى السيطرة على الطبيعة ، على الدنيا ، وللأسف السيطرة على الدنيا شىء والسيطرة على الآخرة شىء آخر . هذه الأخيرة لا تصنع حضارة ، بل بالتحديد تهدم ما هو قائم من حضارات .

طوال الوقت نسعى نحو شىء اسمه 'كله تمام' ، أو ما يسمى عقلية الإجماع هى الاتفاق المطلق فقط كى لا نحصد منه سوى هاجس كل المصريين . من تلك مثلا أن متعة الاختلاف المطلق . النتيجة أن من المرجح الانتخابات عنده هى 'تجديد البيعة' لا حيرة أن سنرى قريبا كل بلاد العرب صومالا كبيرا . الاختيار . الأميركيون لا يفهمون الحكمة السيكلولوجية الفارق بين الفهولة المصرية والعنف البدوى وراء ال ٩٩.٩ ٪ التى ابتدعها جمال عبد الناصر ، العربى ، ليس فارقا نوعيا ، بل فارق فى الدرجة أو الأسلوب لا أكثر . كلاهما مص لدماء للغير ، فقط واحد ناعم والآخر عنيف ! ونصوص الإسلام التى تستحل كل ما يملك... إلى آخر مصطلحات عصر كليتون الآخرين أو تقتلهم ، هى الصيغة الأكثر مثالية [كليتون-أولبرايت بدءا من يناير التالى ١٩٩٧] إطلاقا فى كل التاريخ الإنسانى لتبرير كسل الأثيرة . يهددوننا بالويل والثبور وعظائم الأمور ، بينما لا الأبدان ، وهى التكيف الجينى الأمثل مع يعلمون أنها خصيصة جينية أصيلة فىنا ، ولا حيلة لنا خصائصنا البيولوجية .

باختصار : لا يبدو إن تركيبتنا الجينية المستقلة والتحزب واضح المعالم ، هم لديهم حزبان ولو ساروا على هدينا وكان هاجسهم هو وحدة كل الأمة لانتهى بهم الأمر ب ٢٨٠ مليون حزب . على الأقل هم توحدوا فى نصفين ، بينما نحن مولعون طوال الوقت

بشىء اسمه الاتفاق المطلق فقط كى لا نحصد منه سوى الاختلاف المطلق . والنتيجة النهائية معروفة : أننا أدمنا السيحان وربع النغمة وعشر النغمة ، ويسعدنا أن ليس من فراغ القول كون كله عند العرب صابون . الرد عليهم ليس حتى أن الشعب جاهل لم يتأهل للديموقراطية بعد ، ناهيك بالطبع عن محاولة إقناعهم أن الديموقراطية نظام غير كفاء حتى فى الغرب نفسه .

وأخشى ما نخشاه أن يتحول قريبا ذلك المثل القائل كله عند العرب صابون ، إلى **كل العرب صومال** . مع ملاحظة الصوملة غير اللبنة ، ففي الأخيرة هناك على الأقل أسباب طائفية ودينية للتناحر ، أما هنا فلا توجد حتى أسباب اقتصادية ، فقط كل واحد له ' دماغ صعيدى ' قائم بذاته يأبى إلا أن يتزحزح قيد أملة عن رأيه . ففي الصومال ليس الأمر مجرد بلطجة ونهب قطاع طرق لأثرياء ، فلا أحد ثرى ، وسيستمر الصراع للأبد فيما هو بادى حتى اللحظة ، لهدف واحد فقط ، الصراع نفسه ، أقصد الوصول للإجماع ! مع كل الظلم الذى يتعرض له أهل الصعيد بوصمهم بعبارة ' دماغ صعيدى ' ، وكأن بقية المصريين أو العرب بدماع آدم سميث ، فإن المعنى واضح : تيمايوس هائل تهون من أجله الحياة نفسها ، وهذا لن يفضى إلا إلى صومال كبير من المحيط إلى الخليج . كلما تعرض العرب للجلوبة وللانفتاح على العالم الذى تقريبا لا يعرفون عنه أى شىء ، كلما زادت صيحات الوحدة ، وزاد معها التفتت والتقاتل . ولا تتخيل أننا نستثنى من أى من كل هذا التجربة الرائعة الحالية لمجلس التعاون الخليجى ، فالقدر الجيبنى أكبر من كل تجربة ، وتجربة تحديث الخليج على أسس اقتصادية بالأساس شىء رائع وثورى ، لكنها ليست أول التجارب ولن تكون آخر التجارب ، وقطعا ليست أروع التجارب . نعرف أن هناك تنظيم القاعدة يستقطب الشعب السعودى معه يوما بعد يوم ، ونعلم أن هناك صراع سنى-شيعى ، لكن ما نعرفه أكثر ، أن ما خفى كان أعظم ، وسيفاجئك فى لحظة ما بخلافات لم تكن تتخيلها قط !

سنعود تفصيلا لخصيصة العرب التاريخية كقطاع طرق ، لكن نود أن ننهى الحديث هنا عن مصر بالقول ، إن ثمة تمايزا نسبيا لها وسط المحيط العربى . هؤلاء رعاة وظيفتهم القاعدية هى قطع الطريق ، بمعنى الرعى فى أرض الغير (أرض الله فى قول آخر) ، والإغارة على كل من يسمعون عن كونه صاحب ثروة (فالمال مال الله وذهب لك عن طريق الخطأ) ، وقرصنة البحار متى استطاعوا إليها سبيلا ... إلخ ، ثم لو حدث وامتهنوا شيئا آخر من الأشياء ' المحترمة ' التى يمتهنها الغير ، لنقل التجارة مثلا ، فأغلب بضاعتهم فى هذه الحالة هى البضائع المسروقة ، العبيد على وجه خاص . لكن فى المقابل مصر بلد زراعى عريق ، كذا لم يحدث أبدا أن غزا جيرانه . الفهلوة وليس قطع الطريق هو تكيف المصريين البيولوجى القاعدى تجاه كسلهم الجيبنى . لهذا يقال عنهم عادة أنهم أذكىاء ، لكن لسوء الحظ لأن الاختبارات القياسية لحصيلة الذكاء لا تضم الفهلوة و' النصاحة ' والنصب ، إنما مهارات معرفية محددة أخرى ، فهم لا يحققون أرقاما كبيرة فيها . لكن لا بد هنا من السؤال ، لماذا عانق المصريون الإسلام بتلك السهولة النسبية حين غزتهم جيوشه ، فى الوقت الذى رفضته فرنسا وإيطاليا وروسيا مثلا ، وردته إسبانيا على أعقابها بعد احتلال دام قرونا ؟ لماذا عانقت مصر العروبة بسهولة نسبيا أيضا على يد عبد الناصر . ثم لماذا تعانق الإسلام من جديد بعد عقود خالها البعض فيها وقد تحولت للعلمانية . الإجابة أن الفارق بين الفهلوة المصرية والعنف البدوى العربى ، ليس فارقا نوعيا ، بل فارق فى الدرجة أو الأسلوب لا أكثر . كلاهما مص لدماء للغير ، فقط واحد ناعم والآخر عنيف ! ونصوص الإسلام التى تستحل كل ما يملك الآخريين أو تقتلهم ، هى الصيغة الأكثر مثالية إطلاقا فى كل التاريخ الإنسانى لتبرير كسل الأبدان ، وهى التكيف الجيبنى الأمثل مع خصائصنا البيولوجية . ولعل لنا عودة أكثر تفصيلا حول الدين قد نحتم بها هذه الدراسة .

فقط ننهي هذه المرحلة بالقول باختصار : لا يبدو إن تركيبة العرب الصينية كسامويين تسمح لهم أبدا بسقف غير مجتمع الرعي العشائري ، ويكاد يكون من المستحيل أن تنتقل -كعرب أو كشعوب غير عربية لكن يسيطر عليها العرب وقيم العرب- أبدا لعصر الإقطاع ناهيك عن عصر الصناعة !

[طبعا ما حدث تدريجيا بعد غزو أميركا للعراق ، هو صومال بكل المعايير ، أكبر وأفدح ، الكل فيه يصمم على وحدة العراق وعلى الإجماع الوطني ... إلخ ، والنتيجة ميليشيات من كل صنف ولون تجوب الشوارع تقتل بعضها البعض ، فالمقصود عند كل واحد هو وحدة العراق والإجماع الوطني تحت رايته هو تحديدا ، يعنى تخلفنا من صدام فظهر لنا ٢٥ مليون صدام ، ألم نقل لك إنها مسألة صينية . ما يسمى الانتخابات الحرة سنة ٢٠٠٥ أتى بالأحزاب الدينية للسلطة ووصل التناحر لمدها . نفس الشيء في المناطق الفلسطينية ' الانتخابات الحرة والنزيهة ' في ٢٠٠٦ أتت بحماس للسلطة وتحولت كل المناطق لميليشيات صومالية متقاتلة . مصر نفسها انتخاباتها ربع الحرة ربع النزيهة في أواخر ٢٠٠٥ أتت بالأخوان المسلمين لربع مقاعد البرلمان ، وباتت الشوارع ملكا لميليشيات الأخوان لا سلطة حقيقية للشرطة عليها ، ومسرحا لقتل المسيحيين علنا أو لخطفهم وإجبارهم على الإسلام ، أو لترجيع الكتاب العلمانيين أو لإلقاء ماء النار في وجه الفتيات السافرات ، أو لألف قصة وقصة من هذا القبيل . وككل شبح الصومال لم يعد بعيدا كما قد يبدو للوهلة الأولى . رغم ذلك لا تزال الدنيا كلها تلوم أميركا لأنها قضت على صدام ومن ثم خلقت كل تلك الفوضى . والمذهل أن أميركا الغرة المخدوعة لا تزال تجارى بملائكية مضحكة مطالب المعارضة الخبيثة الجرمية في البلاد التي تحكمها نظم تسعى بدرجة ما للحدثة كمصر وفلسطين محمود عباس وتونس وكدول الخليج عامة ، ذلك بما يسمى بالديموقراطية وحقوق الإنسان . كل ذلك بينما لم يفكر أحد أن المطلوب هو الحدثة ، وأن الديمقراطية لم تكن يوما ولا في أى مكان إلا وسيلة وليست هدفا في حد ذاتها ، وطبعا لم تفكر أميركا جديا بعد في أن الموقف الصحيح في حال لم يجد القضاء على صدام في خلق دولة حدثية هو القضاء على كل الصدمات حتى لو كان عددهم بالملايين !

للمزيد من هذا اقرأ صفحة الليبرالية <http://everyscreen.com/views/liberalism.htm> ، التي تناقش أفضل سبل الوصول للحدثة . وتطرح سؤال ما فائدة الديمقراطية إذا كان كل المطروح في البازار هو ديكتاتوريات . وترصد حقيقة أن كل تجارب النهضات في القرن العشرين بدءا من دول ساحل جنوب أوروبا مرورا بنمور آسيا وانتهاء بأحدثها وأعظمها جميعا تشيلي بينوتشيت ، تدلنا على أن السبيل الوحيد -وعلى سبيل الحصر المطلق- لتحديث دولة متخلفة هو ديكتاتورية عسكرية يمينية ، تعتبر أن الدور الوحيد للحكومة هو السهر على حماية الحريات الثلاث الكبرى التي هي وحدها الحريات الحقيقية أو ' الطبيعية ' : حرية الاقتصاد ، وحرية الحراك الاجتماعي ، والحرية الفردية كالحرية الجنسية وحرية تناول العقاقير وما إليها من طيف الحريات الشخصية الواسع . وتشدد -أى تلك الصفحة- على أن هذه الحرية المطلقة المنشودة تستلزم بالضرورة قتل واجتثاث كل صاحب برنامج يسعى لمصادرتها ، سواء باسم الاشتراكية أو القومية أو الدين ، أو حتى باسم الديمقراطية [.

...

المفجع أن المشكلة ليست في أن الشعب جاهل ، بل في أنه سعيد بجهله . يزعجه جدا الجدل والخلاف ، يقوض حياة الغفوة المتواصلة انتظارا للفيضان وانتظارا لرحيله . لماذا لا يحترم الأميركيون رغبة شعب ما في ألا يخوض فيما لا يفهم فيه . إنه شعب خاوى الدماغ ، وفكرة الإجماع هي وسيلته التكميلية الوحيدة تجاه جهله ، وسيلته التكميلية الوحيدة

للهرب من الاضطراب الوجداني العنيف الذى يسببه وجود خلاف فى رأى . نظامه التربوى الرفيى والحضرى ، بل قل كل أساطيره الفلكلورية تبدأ بخروج على الإجماع وتنتهى بفاجعة مخيفة (تأمل كل قصص الحب الفلكلورية الشهيرة أيا كان اسم البطل ، عواد - متولى أو أيا من كان ، أو أيا ما كان اسم البطله ضحية النداهة الطرف الثانى للقصه . لاحظ دوما الاضطراب الهائل الذى يسببه الخروج على الإجماع . ولاحظ دوما أيضا أن كلمة التقاليد تلعب فقط وظيفة الخارج الظاهرى لفكرة الإجماع . فالمدهش أن الحب نفسه غير مدان فى أغلب هذه القصص ، وهو نفاق وزواجية غريبة !) .

عامه الحكام إفرزات لشعوبهم حتى لو قمعوها . جمال عبد الناصر وحافظ الأسد وصادم حسين ومعمار القذافى وحسن الترابى لم يستوردوا من المريخ ، بل هم انعكاس مباشر لعقلية السمع والطاعة القهرية العربية المسلمة . سؤال بسيط نوجهه لكل عربى يطالب بالديموقراطية : هل أنت ديموقراطى فى بيتك قبل أن تطالب أميركا أو إسرائيل أو حتى حكومتك بأن تكون ديموقراطية معك ؟ الشعوب المتعلمة والمتمكنة اقتصاديا لا يمكن أن تفرز حكاما كهؤلاء ، لأنها أصلا لا يمكن أن تفرز تلك العقلية ، أو بالأحرى لم تكن حينئذها لتفرز لها تلك العقلية . أما بعض الحكام الجيدين عندنا ممن هم أفضل بالفعل من شعوبهم ، ويقودونها للحدثة ، فهم إما مستوردون چينيا من الخارج كأسرة محمد على فى مصر ، وإما أبناء للشعوب لكن يبدون نشازا أو كتطفرات چينية وتصبح تجاربهم الحداثية فى مهب الريح بعد رحيلهم ، وكم نتمنى أن نكون مخطئين فى تشاؤمنا على المجرى البعيد لتجارب أناس مثل أتاتورك أو بورقيبة أو الحسين بن طلال أو أنور السادات أو كذا حكام دول الخليج عموما .

خذ مثلا لعقلية الإجماع وهى قاسم مشترك لدى كل العرب (وعامة لدى كل الشعوب عالية المكون الثقافى -كنقيض للمادية أو الدينوية- كما سنرى فى حالة فرنسا) . خذ مثلا لها استجابة الشعب المصرى أو غيره من الشعوب العربية لظهور **الإسلاميين** . كان ظهورا عنيفا يريد تقويض كل شىء . بقية الشعب لم يفكروا ولم يناقشوا . انحنوا له . تحجبت النساء ووظب الرجال على الصلاة . فقط كى يصبح كل شىء على ما يرام من جديد ، وقد كان . بعد قليل اتضح أن الإسلاميين وحوشا ذوى أجنده خفية يقتلون الأطفال والمسيحيين والسياح . هذا مزعج بدوره . لا بد من تصنيف هؤلاء كقلة مارقة خرجت على ' الإجماع ' . على أن هناك شرط واحد خالدا دائما أبدا هو عدم المواجهة . فلنزلق لمزيد من التدين ، كحل وسط جديد . يمكنك تسمية هذا النوع من اليسار ، بغناء الوسطية الذى لا ينتهى .

أية انتخابات حرة ستأتى بالأخوان المسلمين . لماذا ؟ اتفاقية الدفاع العربى المشترك هى الوحيدة ليس لمشروعهم التنموى الفذ ، ولا حتى لشبكتهم فى التاريخ التى يتقاتل أعضاؤها دون أن العنكبوتية التنظيمية المسكة بخناق الشعب . فقط لأن يفكروا أبدا فى الانسحاب منها !

الشعب لا يريد من أحد أن يوجع له دماغه بهذه الديموقراطية ، وسوف يهدى هذه الديموقراطية للأخوان عند أول ناصية لأنهم الوحيدون الذين يعدونه بإراحته منها . هذه أيضا كسل عقلى وفهلوة ، سواء من الأخوان أو سواء من كل الشعب . الأوائل يقولون لك نحن مع الاستقرار وضد الإرهاب ، لكنكم لن تتخلصوا من إرهاب من هم أشد منا تطرفا ، ولن تنعموا بذلك الاستقرار قط (وبطريقتنا الخاصة لن نسمح بحدوث هذا قط) ، قبل تعطونا الحكم ، والثانى يقول لك فلتعطهم الحكم ، انت واجع دماغك ليه ؟ مرة أخرى ، إنه شعب يزعجه أيما إزعاج ويقوض نعيمه النفسى أيما تقويض ، أن لا يوجد إجماع حول موضوع البحث .

العرب لا يريدون الحرية ، العرب يحملون بعمر بن الخطاب ، بالحاكم العادل ، بطاغية يسارى يعنى ، ببساطة ، المشكلة فى وجود رأى والرأى الآخر ، أنه محنة سيكولوجية ! أما لماذا يصبح العدل هاجسا مرضيا للعقل العربى والمسلم فالسبب بسيط ولا يثير أى استغراب : الثروة والعشب والنسل لا تأتى بالكد والابتكار والعرق ، إنما كلها موجودة سلفا ، كلها ' رزق ' من صنع الخالق ، والمشكلة فقط هى التقسيم !

فى هذا نفسه يكمن تفسير المقولة الدارجة أن العرب اتفقوا على ألا يتفقوا ، وتفسير لماذا يلجأون دوما للحروب القطرية أو الأهلية لحل أتفه النزاعات ، ولماذا اتفاقية الدفاع العربى المشترك هى الوحيدة فى التاريخ التى يتقاتل أعضاؤها دون أن يفكروا أبدا فى الانسحاب منها ، ولماذا دوما الجامعة العربية كيان مشلول ومجرد ساحة لممارسة الحروب الكلامية ، فقط لأن ميثاقه الخيالى -أو قل بالأحرى المستقى من أعماق سيكولوجيتنا غير السوية تلك- ينص على أن تتخذ القرارات بالإجماع . فالبشر الذين لا يعرفون كيف يختلفون لا يعرفون كيف يتفقون ، ومن ثم تترجم عقلية الإجماع الوهمية إلى صراعات غير قابلة للحل ولا تأتى إلا بالخراب .

ففى بلادنا الارتزاق سهل لو كنت فى الحكومة ، وأسهل لو كنت فى المعارضة . إنك لو عرضت الحكم فعلا على الأخوان أو على أى حزب معارض لرفضه ، وفعلا رأينا أن لم هذا بكثير . فى بلادنا الارتزاق يتقدم له أحد عشية اغتيال السادات . إنها ميزة مزدوجة ، سهل لو كنت فى الحكومة ، فساد دون مساءلة بل زائد ثالثا الحق فى مساءلة الفاسدين وأسهل لو كنت فى المعارضة . إنك الآخرين على فسادهم . ' ديموقراطيتنا ' انطبعت على هذا ، لو عرضت الحكم فعلا على المعارضة الفاسدة المبتزة جزء أصيل من النظام الذى لا الأخوان أو على أى حزب معارض يستغنى أجزاءه عن بعضها البعض ، وتظهر المشكلات فقط حين تنكمش كعكة الفساد . جذور هذا أن عقليتنا هى لرفضه ، وفعلا رأينا أن لم يتقدم له بالأصل عقلية المعارضة لا القيادة ، عقلية الابتزاز لا أحد عشية اغتيال السادات . إنها المسئولية ، عقلية الهدم لا البناء . وإذا كان ثمة بناء فيما ميزة مزدوجة ، فساد دون مساءلة نرى فالفضل فيه لفرمانات وإملاءات صندوق النقد الدولى بل زائد ثالثا الحق فى مساءلة والبنك العالمى ، وليس نابعا من أية درجة من الدرجات . إننا الفاسدين الآخرين على فسادهم . أمة قررت ' الموت موتة ربنا ' مفضلة إياها على الحياة أو ديموقراطيتنا ، انطبعت على على موت الرحمة ، المسمى كلاهما الاقتصاد الحر !

هذا ، المعارضة الفاسدة المبتزة جزء

أصيل من النظام الذى لا يستغنى أجزاءه عن بعضها البعض ، وتظهر المشكلات فقط حين تنكمش كعكة الفساد . جذور هذا أن عقليتنا هى بالأصل عقلية المعارضة لا القيادة ، عقلية الابتزاز لا المسئولية ، عقلية الهدم لا البناء . وإذا كان ثمة بناء فيما نرى فالفضل فيه لفرمانات وإملاءات صندوق النقد الدولى والبنك العالمى ، وليس نابعا من أية درجة من الدرجات . حين كنت أشغل فى أحد المصانع الحربية كانت الكلمة التى أتندر بها على قرار خصخصة كل شىء إلا المصانع الحربية ، أنهم اختاروا لنا أن ' نموت موتة ربنا ' . اليوم يلوح لى أن الأمر لا يخص بعض المصانع ، بل ثقافة أمة كاملة تفضل الموت المتواصل البطئ على الحياة أو على موت الرحمة ، المسمى كلاهما الاقتصاد الحر !

نعود لسياقنا الأصلي ، لنقول إن هنا يكمن الجزء الأهم في إشكالية التحديث عندنا ومسيرتها بلغة العسر والتعثر .
لو نحينا جانبا الكلام السابق عن أخلاقيات القوة ، وأنها قد تكون في حالات استثنائية معينة ومؤقتة قوة رجعية ،
فسوف نكتشف أن العرب يرفضون أصلا مفهوم القوة ، أو بالأحرى لا يفهمونه . إنها تهمة إسرائيلية ظالمة تلك التي
تقول العرب لا يفهمون سوى لغة القوة . في الواقع هم أغبي من أن يفهمونها . هم يفهمون نصفها فقط . حين
يسفكون دماء العالم هم يؤمنون بالقوة ويفهمونها أفضل فهم ، لكن حين يهزمون لا يستسلمون ويصبحون أغبي
الكائنات جميعا .

إنهم لو يفهمونها كأى شعب آخر في **إنها تهمة إسرائيلية ظالمة تلك التي تقول العرب لا**
الدنيا يتعامل بلغة القوة ، وكلها كذلك ، يفهمون سوى لغة القوة . في الواقع هم أغبي من أن
لاستسلموا عند كل هزيمة ، وبدأوا حياة يفهمونها . هم يفهمون نصفها فقط . حين يسفكون
مختلفة (كما سنى بنيامين نيتانياهو أول من **دماء العالم هم يؤمنون بالقوة ويفهمونها أفضل فهم ،**
فهم هذا ، وخرج بنظرية أن تترك العرب تماما **لكن حين يهزمون لا يستسلمون ويصبحون أغبي**
الكائنات جميعا . إنهم لو يفهمونها كأى شعب آخر **في الدنيا يتعامل بلغة القوة ، وكلها كذلك ،**
الشىء غير المفهوم لدى العقل العربي ، العقل **لاستسلموا عند كل هزيمة ، وبدأوا حياة مختلفة !**

الپارانوي ، العقل اليسارى سمه ماشئت ، هو

للأسف أهم الأشياء إطلاقا : حكمة الطبيعة من وراء تبنيتها لقوانين القوة .

إن القوة هي الحق وهي أعلى معيار ممكن **قوانين الطبيعة لا تستشير أحدا !**
للعدل لأنها أفضل شىء يعبر عن الاجتهاد **القوة هي الحق وهي أعلى معيار ممكن للعدل**
والكدح واستشراف المستقبل ، وتسيدها **لأنها أفضل شىء يعبر عن الاجتهاد والكدح**
وانتصار الأقوى كان وسيظل الضمانة **وانتصار الأقوى كان وسيظل الضمانة**
الأساسية التي جعلت الكوكب والبشرية **الأساسية التي جعلت الكوكب والبشرية**
يسيران باضطراد نحو التقدم . ومحاولة البحث **يسيران باضطراد نحو التقدم . ومحاولة البحث**
عن معايير أخرى للعدل والعدل لن يكون **البحث عن معايير أخرى للعدل والعدل لن يكون**
بأقل من فتح صندوق پاندورا حيث تنطلق **من فتح صندوق پاندورا حيث تنطلق كل الشرور .**

كل الشرور ويغرق العالم في مباحكات سفسطائية لا تنتهى عن معايير العدل والحق . إن أفضل شىء كان وسيكون
وسواء أبینا أم شئنا هو اللجوء للمعيار الذى استنته الطبيعة وضمنت به تطورها المتواصل منذ الانفجار الكبير مرورا
بمراثون النشوء والارتقاء وانتهاء بمنظمة التداول العالمية (طبعا بفرض أن لن تستولى عليها يوما الدول الدهماء وباسم
الديموقراطية تفرغها من محتواها وتجعلنا نبحت من جديد عن مؤسسة جديدة ليس للجميع فيها حق التصويت أو يكون
التصويت بنسبة المشاركة في الناتج العالمى) .

باختصار كل شيء إنساني -بالذات ما يناقض منه قوانين الطبيعة- هو قابل للمراجعة والإصلاح ، أما **قوانين الطبيعة**

فلا تستشير أحدا !

الذكاء هو التهام الضعفاء وليس مناحطه العرب كانوا يوما في موقف الأقوى هذا حتى لو
الأقوياء ، هذا هو أيضا تعريف النجاح كما اختلفنا عن أن ذلك جاء في حقبة عصور الظلام في
يقول تاريخ الاستراتيجية ... ظلام يساوى ظلام ، وكانوا قادة الظلام وكان من

والتاريخ الطبيعي أيضا ! السهل فيه تسيد العالم بأقل قدر من التقنية والعلوم ، أو
حتى بدونها على الإطلاق . فإمبراطورية روما التي أكلت المسيحية روحها وطفأت نورها ونحرت بنيانها الحضارى وحولت
جبابرتها لعبيد خانعين لإله واحد قهار خفى ، وخلقت لحظة فراغ حضارى عالمية كبرى يمكن بالتالى أن يخرتها الإسلام
أو غيره حتى لو كان أدنى منها تقنيا بمراحل .

أى بعبارة أخرى في عصور الظلام عادة ما يقهر الظلام المتأصل في الظلمة الظلام الأقل ظلمة ، أو ظلما كان نورا
وانطفأ . المهم في كل الأحوال أن هؤلاء العرب لم يتحدثوا عن الشرعية أو يأخذوا إذنا إنما ببساطة غزوا . أيضا
-وبالأحرى- الحضارات بمعناها الحق التي هى فتح جبهة frontier جديدة للتقنية ، ما هى إلا غزو دائما أبدا . بل
التاريخ الطبيعي برمته ما هو إلا هو تاريخ غزو ، لا أكثر ولا أقل .

الدفع العكسى صحيح أيضا ، فالعرب لم يخرجوا من إسبانيا بقرارات دولية إنما بقوة السلاح ، ولم يخرجوا من أرض
إسرائيل بقرارات دولية إنما مرغوا بها كلها الأرض ، ولن يخرجوا مما يسمى المغرب العربى إلا بالكفاح المسلح للأمازيغ ،
ولن يخرجوا مما يسمى بالمشرق العربى إلا بالكفاح المسلح للأكراد ، ولن يخرجوا مما يسمى الجنوب العربى إلا بالكفاح
المسلح لشعب جنوب السودان ، وهكذا . ومهما استصدر هؤلاء من قرارات من الشرعية الدولية لن يقبل العرب العودة
ليثرب طوعا أبدا ، ولن يقبلوا أبدا الاعتراف بأنهم سادة المعايير المزدوجة في هذه الدنيا . هكذا تسير الأمور ، يوم لك
ويوم عليك ، والذى هو الذى يفهم لماذا هو متخلف ، ويبدأ فى تبني أفكار المنتصرين ويسير فى ركابهم بحب وطواعية
واحترام .

مع ذلك لا بد من وقفة توضيحية وإن كانت مؤلمة . فليس كل غزو أو احتلال مثل كل غزو أو احتلال . هل هذا
الغزو خير أم شر ؟ أعتقد المعايير واضحة والإجابة ليست صعبة . مواصفات التقدم والتخلف أمور لا يختلف عليها
أثنان ، المستوى التقنى وناتج الفرد وما إلى ذلك . حين تغزو روما أو بريطانيا أو إسرائيل مصر ، وناتج الفرد فيها ٣٠ أو
٤٠ ضعف مثيله المصرى ، وفارق المستوى التقنى لا نهائى من المرات ، هذا تحديث وتنمية وإعمار وتقدم وتنوير . حين
يغزوها بدو الجزيرة العربية البدائيين الذين لا يعرفون حتى الزراعة وطبعا بذريعة واحدة هى الدين هذا نهب ونهب ومص
دماء وتخليف وإظلام . **الأول استعمار والثانى استخراب .** الأول يفتح عينك على ثرواتك الطبيعية يعلمك التقنية
ووفق يقاسمك العوائد ، الثانى يأخذ الماعز والشعير والنساء فقط يعطيك ورقا اسمه القرآن . الأول عصرى صاحب علم
وثورة تقنية يأتى كى يزرع ويصنع ، والثانى راعى بدوى أمى كل وظيفته فى الحياة أن يأتى كل يأكل ما يزرع غيره .

حين يغزو السوريون هل هذا الغزو خير أم شر؟ المعايير واضحة والإجابة ليست أو الفلسطينيون لبنان صعبة. مواصفات التقدم والتخلف أمور لا يختلف عليها اثنان، الثرى الحضارى المتحرر المستوى التقنى وناتج الفرد وما إليهما. لا بد من وقفة توضيحية وشبه المنتمى للغرب وإن كانت مؤلمة. حين تغزو روما أو بريطانيا أو إسرائيل مصر، المسيحي هذا نهب المستوى التقنى لا نهائى من المرات، هذا تحديث وتنمية وإعمار ونهش ومص دماء وتقدم وتنوير. حين يغزوها بدو الجزيرة العربية البدائيين الذين لا وتخليف وإظلام، لكن يعرفون حتى الزراعة وطبعا بذريعة واحدة هي الدين هذا نهب ونهش حين تغزوه إسرائيل أو ومص دماء وتخليف وإظلام. **الأول استعمار والثانى استخراب.** أميركا، أو حين يغزو الأول يفتح عينك على ثروتك الطبيعية يعلمك التقنية وفقط هو أولئك الأجلاف، يقاسمك العوائد، الثانى يأخذ الماعز والشعير والنساء وفقط يعطيك يكون الأمر العكس ورقا اسمه القرآن. الأول عصرى صاحب علم وثورة تقنية يأتي كى مائة وثمانون درجة. يزرع ويصنع، والثانى راعى بدوى أمى كل وظيفته فى الحياة أن يأتي كل يأكل ما زرع غيره. حين يغزو السوريون أو الفلسطينيون لبنان الثرى الحضارى المتحرر وشبه المنتمى للغرب المسيحي هذا نهب السوري كان ضروريا ونهش ومص دماء وتخليف وإظلام، لكن حين تغزوه إسرائيل أو لإنهاء الحرب الأهلية فى أميركا، أو حين يغزو هو أولئك الأجلاف، يكون الأمر العكس مائة لبنان، خطأ! أين وثمانون درجة. نعم الأمور بسيطة وواضحة للغاية، فقط لو سأل سؤال المحتوى؟ أنت لا الجميع سؤال المحتوى. مبدأ عدم جواز احتلال الأراضى بالقوة مبدأ جميل بشرط أن تضاف إليه كلمتان: عدم جواز احتلال الأراضى بالقوة بواسطة المتخلفين!

نوقش هذا من جديد باستفاضة بطبيعة الحال مع أحداث سبتمبر ٢٠٠١، حيث نجح الهجوم الإسلامى الثانى على مركز التداول العالمى بنيو يورك ليس فقط فى إسقاط برجه حيث كان هجوم ١٩٩٣ قد فشل، إنما فى أنه أيضا جعل بين لحظة وضحاها العالم غير العالم، وأصبح كل المجتمع الإنسانى يرى العروبة والإسلام على حقيقتهما لأول مرة وبمنظور يكاد يشبه المكتوب هنا لحد كبير. انظر صفحة سبتمبر ! <http://everyscreen.com/views/september.htm#WTC>

الكرار كما يقول المثل الشائع. لو كان المستدعى هو الجيش الأمريكى أو الإسرائيلى

أو حتى التركى أو المصرى لما اعترض أحد لأن سلاما حدثا هو الذى كان سيتحقق وليس سلام الظلام وحافظ الأسد وحزب الله. أما طبعا لو كان لبنان هو الذى احتل سوريا لما وجدتنا إلا مهللين أن ذهبنا الاشتراكية والعروبة وجاء اقتصاد السوق والحريات الفردية. حين غزت روما أو لندن بقية العالم لم تكن ثمة بقعة واحدة فيه أكثر رقا من المركز بتقنياته واقتصاده وثروته ومنتجاته وتشريعاته. العكس هو الصحيح حين غزا العرب المسلمون الممالك المجاورة الأكثر حضارة وثروة وعراقة وتقدما، أو حين شنت فرنسا حروبها فى كل مكان على أم الثورة الصناعية إنجلترا، أو حين راح السوقية ينشرون رعوس حراهم الشيوعية فى الغرب. هناك فارق بين أن تغزو لأنك صاحب تقنيات مستحدثة ومن ثم بصيرة ورؤية، مشروع متكامل، لنشر الرخاء فى كل الجلوب، وبين أن تغزو لأنك اكتشفت وجود هذه الأشياء فى مكان آخر وتريد أن تنهب إبداع وعرق وتقدم الغير على الجاهز. السؤال فقط هو سؤال المحتوى، فى أية ضفة من

الضفتين أنت ؟ دائما هناك نموذج القرية وقطاع الطرق ، نموذج المدينة والإرهاب ، نموذج الإمبراطورية والتمرد ، نموذج السيد واللص ، نموذج الريان والقرصان ، أو باختصار نموذج البناء والناهب ، نموذج الإنسان والجراثيم ، نموذج صاحب الرؤية الكبيرة الشاملة والمستقبلية والصغير المتمحور حول ذاته ورعبه الشخصي من جوع بطنه اللحظي . تاريخيا العرب لم يكونوا النموذج الأول أبدا ، بل حتى حين احتلوا كثيرا من العالم كانوا مجرد قطاع الطرق الذين جاءوا من مجاهل الصحراء كى يغيروا على الأمم الآمنة . والأكثر سوءا أن قادتنا من نوعية ناصر وشركاه ومثقفينا من نوعية هيكل وشركاه لا يزالون حتى اليوم ينظرون تحديدا للبلطجة والقرصنة والإجرام والطفيلية وقطع الطريق ، بل ويصمون كبار العالم وصناع تقدمه وحضارته وتقنيته بأفحش المثالب ويحاولون تصوير جهودهم لتحديثنا على أنها هى اللصوصية والإغارة على بلاد الغير . وكما ترى شىء واحد يحرصون تماما ودوما على تغييره ألا وهو سؤال المحتوى . مرة أخرى : ثمة غزو هو استعمار وثمة غزو هو استخراب . ونعم الأمور بسيطة وواضحة للغاية ، فقط لو سأل الجميع سؤال المحتوى . مبدأ عدم جواز احتلال الأراضى بالقوة مبدأ جميل بشرط أن تضاف إليه كلمتان : عدم جواز احتلال الأراضى بالقوة بواسطة المتخلفين ! إذن نخلص لأن القدرة يجب أن تعززها الأخلاق ، وإلا باتت قوة غاشمة . فقط المطلوب أولا تحديد ماهية هذه الأخلاق حتى لا تصبح كلمة مطاطة هى الأخرى . ربما على غرار قول كارل سيغان عن الرب God إن الافتراضات الجسيمة تحتاج لبراهين جسيمة ، نقول إن الأسئلة القاعدية تحتاج لإجابات قاعدية . الإجابة تكمن أيضا فى القوانين القاعدية للكون ، ما تسير عليه وما تفضله المادة ، هو الشىء الذى يجب أن يكون الأخلاق بالنسبة لنا ، أما الدخيل أو الوقتى فهو غير الأخلاقى . فيما يمكن رصده بسهولة فإن أحد أكثر قوانين الكون والحياة قاعدية ورسوخا هو قانون الاستعقاد sophistication ، أى ميل الأجسام والكائنات الدائم إلى مزيد من التعقيد complication مع مرور الزمن . هذا شىء يبدو جدا أنه خصيصى من طبيعة المادة نفسها . لهذا السبب تتطور مثلا التقنية دونما توقف . صحيح أحيانا يحدث العكس وتستطيع قوى اليسار وما شابهها تأميم قواعد اللعبة الدارونية لصالح الطرف الضعيف المهزوم ، لكن هذا لا يدوم حتما سوى لفترة مؤقتة لأنه يلعب ضد الحكمة الجوهرية الأصلية من وراء الصراع الدارونى ، وهو أن له هدفا يفضى له بالضرورة . هذا الهدف اسمه التطور evolution ، وهو بدوره يبدو قانونا قاعديا آخر للمادة .

إذن القوى الواعية نوعان . القوة التى تعزز الاستعقاد وتؤدى للنمو التقنى هى قوة أخلاقية ، وهى تماثل من حيث الهدف والنبيل قوى الطبيعة غير الواعية التى أفضت فى التاريخ الطبيعى إلى ما سعى بالتطور . والقوة التى تكبح الحضارة (تعريفها كما قلنا هو فتح جبهة جديدة للتقنية) هى قوة غير أخلاقية . المسيحية والإسلام كانتا قوة ، لكنها قوة همجية هادمة للحضارات كالجحة للتقنية ، أى غير حضارية ومن ثم غير أخلاقية . إبادة الإنسان الأبيض للهنود الحمر دفع الحضارة والتقنية للأمام وأعطانا معظم ما تحت أيدينا الآن من مخترعات ، ومن ثم فهو قوة أخلاقية .

الكلام كثر مؤخرا عن امتلاك
دول كالعراق وإيران وليبيا لأسلحة
دمار كتلى تهدد بها الحضارة
العالمية ، هنا أقصى استخدام للقوة
لا يعد فقط مسألة أخلاقية ، بل
أن الاسراف فيها حتى آخر مدى
ممكن هو أكثر الأشياء كفاءة
واقصادية . إنها مسألة نفسية
وتنبع من إشكالية القدرة المحدودة
للشعر على الفهم ، والميل للعناد
والتعلق بالأمال ، وما إلى ذلك .
المدهش أكثر من هذا أن القوة
الأخلاقية حقا هي القوة التي لا
تنطلق من أية نظرية للأخلاق .

في الحرب كما في السلم ...
في حرب الإبادة ضد الشعوب الفاشلة داعمة الإرهاب ،
كما في الحرب الوقائية ضد غزو المهاجرين المتدينين ...
في جميع مناحي الحياة اليومية :
التقنية هي الحل !
... وإذا فشلت التقنية فإن : الحل هو المزيد من التقنية .
.....

في الحالة الخاصة لحقل السياسة والاستراتيجية تترجم
هكذا :
القوة هي الحل ، وإذا فشلت القوة ، فالحل المزيد من
القوة . بالذات فيما يخص المتخلفين من الأفضل دوما
لأسباب نفسية أو تتعلق بالغباء ، أن تستخدم ضدهم بوفرة
كافية من المرة الأولى ، حيث يكون الاسراف فيها هو
الاقتصاد عينه !
صحيح أحيانا يحدث العكس وتستطيع قوى اليسار وما
شابهها تأميم قواعد اللعبة الدارونية لصالح الطرف الضعيف
حين تكون مدفوعة بأيدولوجية أو المهزوم ، لكن هذا لا يدوم حتما سوى لفترة مؤقتة لأنه
دين ، كما في حالي الشيوعية يلعب ضد الحكمة الجوهرية الأصلية من وراء الصراع
والإسلام التاريخيتين ، لا تكون
تقدمية . إنما لو مدفوعة بالقانون
اسمه التطور !

الطبيعي أى بالتطور وبمجرد الإخلاص للتقنية (كما المجتمعات الرأسمالية حرة السوق) ، أى القوة المادية بلا روح ، أو
سمها القوة من أجل القوة ، فإنها تكون تقدمية ، وببساطة تحفز التطور !

باختصار : ١- التقنية هي الحل ، وإذا فشلت التقنية فإن الحل هو المزيد من التقنية . ولا يجب قط على روما
المعاصرة عبيدا بقيم متخلفة يهدمونها في نهاية المطاف ، ذلك مجرد أنهم أرخص ، وبمجرد أن تعفى نفسها من واجب
اختراع تقنيات جديدة تغنى عن الحاجة للبشر كلما أمكن .

٢- في حقول السياسة والاستراتيجية تقرأ القاعدة رقم ١ على النحو التالى : القوة هي الحل ، وإذا ما فشلت القوة ،
فالحل المزيد من القوة . وحين تستخدم ضد البشر وبالأخص المتخلفين منهم ، فإن أكثر الأشياء كفاءة واقصادية هو
الإسراف فيها حتى آخر مدى ممكن . إنها مسألة نفسية وتنبع من إشكالية القدرة المحدودة للبشر على الفهم ، والميل
للعناد والتعلق بالأمال ، وما إلى ذلك .

ملحوظة : هذه المقابلة في الساطرتين rules السابقتين بين التقنية تارة وبين القوة تارة أخرى ، تعنى في حد ذاتها أن
المقصود بالقوة القوة الحضارية ، أو أن القوة حضارية بطبعها ، هذا بالطبع باعتبار أن التعريف القاعدى للحضارة هو

فتح جبهة جديدة للتقنية . صحيح قد تكون هناك حالات نادرة جدا ، غالبا ما تكون في غفلة من الزمن أو بسبب افتقاد من قادة الحضارة للبوصلية الحضارية ، فيها يمتلك المتخلفون أو الدهماء أو الرجعيون قدرة ما ، ولعل أشهر أمثلتها بالطبع لحظات الثورات الدينية . لكن هذا لا ينفي حقيقة أن القوة حق على نحو قاعدي ، لأنها لا تتأتى إلا من تمثل المستقبل والعكوف الجاد على الكشف العلمى وتنمية التقنيات القادمة . فقط لو حدث ووقع استثناء ، سيكون القول الصحيح ساعتها إن القوة لا يجب أن تنفصل بأية حال عن غرضها النبيل الساموى وبالغ التقدمية .

[للمزيد من مناقشة فكرة أخلاقيات القدرة وضرورة وكيفية استخدامها بلا هوادة في مكافحة التخلف والمتخلفين ، بالذات عندما تفجرت هذه القضية وباتت مسألة حياة أو موت بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على نحو أفدح بكثير من إشارتنا خفيفة النبرة هذه ، انظر صفحتى الإبادة وسبتمبر بمجملهما] .

[أيضا لاحقا كثر الحديث عن أخلاقيات القدرة من خلال ربطه بالمبحث الفلسفى الجديد المسمى الأخلاقيات العصبية neuroethics . الشئ الجيد أنه بسبب تطورات وآفاق الهندسة الجينية المحدقة ، أصبح الأمر يحظى باهتمام إعلامى واسع . الشئ الأجود هو التفتح العقلى الملموس فى تناول القضية . وإليك المثال هذا العمود من كاتب محافظ شهير هو ويليام سافاير ، ثبت فيه أن كلمة تحرر اجتماعى لا يجب ، ولم يكن ليحب ، أن تختطف بواسطة اليسار ولو للحظة واحدة . الشئ المحورى الملفت هو العودة لاستلهاام القوانين الطبيعية والدارونية ، حتى فيما يخص تاريخ الأخلاق . الأبحاث الجديدة كشفت أن الغربان والخفافيش المصاصة تعاقب أفرادها الذين يحاولون اختلاس الطعام حين يعهد لهم بحراسته ، والقردة ترفض شد السلسلة إذا كانت ستسقط لهم طعاما ، لكن تعطى فى نفس الوقت صدمة كهربية مؤلمة لقرود آخر ، وهلم جرا .

كل هذه الأفكار وتلك تأتى فى إطار ما تبنته مختلف صفحات هذا الموقع بدءا من صفحة الثقافة هذه ، مروراً بصفحة الليبرالية ، وانتهاء بمشروع الناوسيا . بصراحة لا قيمة لأخلاق الإنسان إن لم تكن منسجمة مع أخلاق التاريخ الطبيعى . وبدون استلهاام خبرة التاريخين الكونى والبيولوجى ساحقى الطول مديدى التجربة ، استلهاامها فى معرفة كيف تفكر المادة ، لن يتأتى لنا أبدا توجيه بوصلية المستقبل بعد-الإنسانى فى الاتجاه الصحيح . وسنظل ندور فى دوامة محورة وإسقاط كل شئ من الإنسان على نفسه ، تلك التى أغرقت الفلسفة فى غناء إنسانى غير المسبوق طيلة القرن الأخير فى أقل تقدير . أيضا للمزيد فى الشأن الفلسفى ككل راجع مدخلا شخصيا أقدم نسبيا فى صفحة الجلوبة] .

...

المهم أن اليوم إذن اختلفت العقلية وبات العرب عديمى الحول موفورى الزعيق مجرد ' **ظاهرة صوتية** ' طبقا لتهمكات مثقفهم أنفسهم ، بل ومادة للسخرية والهزل من كل نوع . باتوا فى فى قاع القاع لدرجة أن حتى نظرة العطف الصامتة المهذبة من الغرب نحونا باتت هى نفسها شيئا مضرا وربما من الأفضل أن يصدمننا ويفيقنا أن يشرح لنا صراحة كيف يفكر وطبيعة ذلك المكيال ' الظالم ' الذى يكيل به والذى استقر عليه حتى بات كما البديهييات فى دمه وچينياته . علينا أن نعلم أن توازنات القوى بيننا وبين أى أحد تختلف من يوم للتالى بل من ساعة لأخرى . **نحن الذين نتشدد والأدق نتمسح بالشرعية الدولية كنا نحن أنفسنا الذين رفضناها منذ وعد بلفور** — وهو الشرعية الدولية لوقتها ، أليس كذلك ؟ !— مرورا بالمذابح التى قمنا بها طوال الوقت ليهود فلسطين وانتهاء برفضنا لقرار التقسيم وتجييش الجيوش

لاكتساح الدولة الوليدة ثم مرة كل عشر سنوات بعد ذلك ، ولم ينته كل هذا إلا بالجلوس إلى طاولة مدريد بعد أكثر من سبعة عقود ، ساعتها فقط استخدمنا كلمة الشرعية الدولية لأول مرة .

لماذا هذا ؟ السبب ببساطة أننا كنا نعتقد أن ميزان القوة في صالحنا وصالح جيوشنا ، أو كما يقول الإسرائيليون أن أحدا لم يطرد الفلسطينيين من أرضهم إلا دعوة الجيوش العربية لهم للخروج تمهيدا لإعادتهم لها . ولا مانع طبعا من بيع الأرض من أجل نيل ربح مزدوج !

الحقيقة أن لا نهاية للأساطير المؤسسة للسياسة العربية . اليهود ومن خلفهم كل العالم أو على الأقل كل أصحاب الرؤى الموضوعية يرون الأمور على نحو مختلف : ٦٠٠ ألف فلسطيني معدم نزحوا بإرادتهم جشعا ، في مقابل ٦٠٠ ألف يهودي ثرى صودرت ونُهبت أموالهم في البلاد العربية وطردهوا قسرا لإسرائيل . تنظيم ستيرن أو الهاجاناه أو أحداث قرية دير ياسين ليست إلا قلامة ظفر مما قام به العرب من مذابح لليهود في فلسطين في العقود السابقة عليها حيث الإجراء المألوف فيما وثق بالصوت والصورة هو ربط أطراف اليهودى لأربعة خيول تنطلق لتمزق جسده إربا ، زائد فارق أن بن جوريون كان هو الذى بطش بالعنف اليهودى (قصف مثلا في يونيو ١٩٤٨ سفينة الأسلحة ألتاليتا ومناحم بيجين على متنها) ، بينما تعطش العرب للدماء سياسة منهجية ومنظمة ، والأهم منها سياسة رسمية بل ومقدسة دينيا . هذه هى ما يسمى بالقضية الفلسطينية وهذا هو ما حدث سنة ١٩٤٨ ، فقط كلاهما بدون أساطير . أو لعل روجيه جارودى الذى خط طريق التأسلم لكل شيوعى العالم والذى يملأ الدنيا صخباً هذا الشهر (مايو ١٩٩٦) حيث يحاكم باعتبار ما كتب جريمة ضد قوانين الجمهورية الفرنسية المحددة جدا وليس كجريمة عامة أو معنوية ضد الإنسانية مثلا ، لعله يؤلف لنا كتابا جديدا عن الأساطير !

المدهش أن العرب هم آخر من يمكن أن يتهم إسرائيل بالدموية أو الوحشية . تاريخ بها العقل العربى بينما لا يكف عن توجيه هذه التهمة أولئك مدعى البؤس اليوم هو التاريخ الأكثر للغير ، أننا نتهم إسرائيل العلمانية متعددة الأعراق دموية ووحشية بين تواريخ كل شعوب والأديان بأنها دولة دينية ، ونسى أن الدولة الوحيدة فى كل التاريخ التى تحرم المواطنة أو حتى التعبد ، على غير معتقنى دينها الرسمى ، هى المملكة العربية السعودية !

قصص ما يسمى بالفتح الإسلامى تملأ مئات المجلدات بدءا من غزوة بدر . وهى دموية لا تحدها حدود ، ومتواصلة حاليا رغم كل الأوضاع الاقتصادية والحضارية المدرية ، ببشائع الفلسطينيين الإرهابية فى خطف الطائرات والسفن وقتل نزلء القرى الأولمبية ، وبالمذابح الجماعية لصدام حسين ، وبجرائم معمر القذافى فى تفجير المنشآت المدنية وإسقاط طائرات الركاب ، ودع جانبا طبعا جرائم الإرهابيين الإسلاميين بالقتل الجماعى الممتدة من أسيوط إلى نيو يورك . إجمالا وحشية العرب ، والمسلمين عامة كالأترك مثلا ، هى وحشية نوعية لا ينافسهم فيها أحد فى كل التاريخ الإنسانى .

أما لماذا ال ٦٠٠ ألفا الأوائل أصبحوا الآن عدة ملايين من أفقر أناس الأرض وأشدهم بؤسا ، ولماذا عاد الآخرون من جديد وجهاء أثرياء ، ومن أكثر أناس الأرض احتراما ونجاحا ، فهذا سؤال آخر ، لعل كل هذه الدراسة إجابة عليه !

فقط في هذه المرحلة نقول لهؤلاء الذين روجوا لأيديولوجية الكراهية : مع كل التقدير لقدراتكم المدهشة في اختطاف شعوبكم بتحريضاتكم البليغة ، أو على الأقل إخراسها ، فأنتم لا تسمعون أنينها الخافت الذي يقول لكم صباح مساء والإملاق يأكل بطونها ، ولم تغنّها شعاراتكم أو تسمنها من جوع ، بل زادتها ألما على ألم : لنبح القضية أفضل من أن نبيع أنفسنا ! فما بالك إذا كانت هذه القضية المزعومة نفسها أكذوبة وهمية كبرى صنعتها حماقاتكم وغباواتكم وأطماعكم في البداية ، ثم راح يدفعها بالقصور الذاتي فشلكم وهزائمكم المتوالية ، ثم رحتم من ثم تورثون الأحقاد للجيل تلو الجيل تلقون به لآتون مزيد من الهزائم والموت والجوع ، مجرد وهم جديد لديكم هو إثبات أن الوهم الأصلي لم يكن وهما . وانظر ما أصبح لدينا الآن . أصبحنا بصدد حاجز نفسى رهيب أرهبتكم به كل العقول والألسنة ، وسيظل الخراب لا يجلب إلا المزيد من الخراب !

للدقة الرقم المذكور يؤشر فقط لمن
فروا لإسرائيل ، ولا يشمل ٣٠٠ ألف
آخرين فروا للغرب] للمزيد اقرأ هنا ما
كتبه البروفيسور ساميول جى .
فرييدمان من جامعة كولومبيا عن شتات
اليهود العرب بعد ١٩٤٨ ، والذي يقزم
تماما بجانبه كل ما فعله الفلسطينيون
بأنفسهم أو فعله اليهود بهم إن كانوا قد
فعلوا شيئا يستحق الذكر] . أما قصة
الستمائة ألف الذين فروا في الاتجاه



Isn't This an Invasion too?

المعاكس فأنت تعلم قصة تأمر الأمم المتحدة مع العرب على تجميد مشكلة هؤلاء في أماكنهم كلاجئين بدلا من إرسالهم مثلا لجمال عبد الناصر عوضا عما طرده من يهود ، ذلك باعتبارها فكرتهم العبقرية للضغط لإبقاء القضية حية من وجهة نظرهم . هذا بينما كان واجب منظمة الأمم المعدمة اليالتية الاشتراكية المتحدة (كما سنسميها لاحقا) كما تفعل في كل الحالات المشابهة إنهاء لجوئهم بالتهجير أو التوطين ، هذا فيما لا يزيد عن خمس سنوات مثلا . والآن كما تعلم أيضا أصبحوا ، يتكلمون عن ملايين وملايين من اللاجئين الفلسطينيين ، لم يكن لهم وجود أصلا وجاءوا فقط بالتكاثر الفاحش .

من الأساطير أيضا ، وربما إضافة أيضا لحديثنا السابق أعلاه عن المعايير المزدوجة التي يعج بها العقل العربي بينما لا يكف عن توجيه هذه التهمة للغير ، ناهيك كما سنأتى لاحقا عن أن يتحاشى دوما سؤال المحتوى ويتحدث عن نفسه وعن الغير كأنداد رغم الهوة الحضارية وفجوة الأهداف ما بين البناء والتخلف الهدام ، أننا ننهم إسرائيل العلمانية متعددة الأعراق والأديان بأنها دولة دينية ، وننسى أن الدولة الوحيدة في كل التاريخ التي تحرم المواطنة أو حتى التعبد ، على غير معتنى دينها الرسمي ، هي المملكة العربية السعودية ! (المسيحية رغم كل جبروتها الإمبراطورى لم تحرم المواطنة أو إقامة

دور العبادة على غير المسيحيين ، وحين أرادت إنشاء عاصمة دينية لنفسها اختارت بلدة صغيرة رمزية اسمها القاتيكان ، وليس قارة كشبه جزيرة العرب !) .

المهم فيما أردنا قوله ، إننا ساعة تملكنا القدرة -أو بالأحرى وهم القدرة- مرغنا بالشرعية الدولية وغير الدولية التراب دونما أى تردد . فى كل هذا لم نخطئ فى المبدأ إنما فقط أخطأنا فى الحسابات ، تماما كما كان غزو صدام حسين للكويت صحيحا من حيث المبدأ خطأ من حيث الحسابات ، لكن على العكس كان تجريد أميركا وبريطانيا له من سيادته على ثلثى أراضيه صحيحا من حيث المبدأ صحيحا أيضا من حيث الحسابات ، إلى آخر مئات القصص التى ظهر فيها العنف العربى بدمويته التى لا مثيل لها فى كل التاريخ جليا أقدمه بدأ قبل ١٤ قرنا وأشهره ما فعله الأتراك فى أوروبا ، وأوسع ما فعله العرب فى كل القارات ، وليس أقله شأننا العنف الفلسطينى-الفلسطينى أو العربى-الفلسطينى . وأسماء مثل جسر الباشا وتل الزعتر وأيلول الأسود ... إلخ تجزم بأننا لم نكن فى أى وقت أقل دموية من أى أحد على وجه الأرض وإن لا تجزم بالضرورة إذا ما كان ضحايا العنف يستحقونه فى كل الحالات أم لا) . بل العكس بالضبط هو الصحيح . باختصار لو أن الشعوب الأخرى فعلت بالعرب والمسلمين حين دحرتهم ، نفس ما فعلوه هم بها من قبل ، لما بات لدى عالمنا المعاصر مشكلة وجود عربى أو إسلامى أصلا اليوم . هذه ليست دعوة للإبادة ، إنما شىء بالشىء ذكر بمناسبة الكلام عن المعايير المزدوجة !

من هنا ليس بمدمر لنا أكثر من التمسك بذات المقولات بينما **لم نكن فى أى وقت أقل دموية من موازين القوة لا تكف عن الإنسحاب من تحت أقدامنا (المضحك أى أحد على وجه الأرض ، بل المبكى أننا لا نتمسك بمقولات غابرة جدا إنما فقط بمقولات العكس بالضبط هو الصحيح . ولو أن الأمم القريب التى رفضناها قبل قليل فى ظل توازن قوى آخر الشعوب الأخرى فعلت بالعرب مختلف قليلا ، أى أننا فقط متأخرون بخطوة واحدة لكنها كافية لضياح جميع الفرض ، وبالمناسبة فتعريف التخلف هو التأخر بخطوة أو أكثر عن طليعة العالم ، وليس له تعريف أو مواصفات محددة إسلامى أصلا اليوم !**

أكثر من هذا . أما عن الموقف التاريخى الصحيح بالنسبة للفلسطينيين ، فهو فى رأينا المتواضع قبول الاحتلال الذى سيجعل منهم مواطنين ولو حتى من الدرجة الثانية فى واحدة من أغنى دول العالم وأكثرها تقدما ، بدلا من استقلال لن يجلب إلا الفقر والمهانة والتخلف) . أن العاطفية وحدها هى التى جعلت حياتنا سلسلة من الأسئلة التراچيدية المحزنة ، على غرار ماذا لو ناصرنا عقلانية عدلى ضد غوغائية سعد ، ماذا لو قبلنا قرار التقسيم ، ماذا لو قبلنا شروط الصلح بعد حرب ١٩٦٧ ، ماذا لو قبل العرب كامب ديفيد ، ماذا لو ساندنا رابين أيام كان فى السلطة ، ماذا لو كنا طرفا فى **الحلف الإسرائيلى التركى** فيما هو أعمق من مجرد الاتفاقات السياحية ، ماذا لو كانت هذه فرصة العمر التى لا تأتى سوى مرة واحدة ، وأهدتها السياسة الخارجية المصرية للأردن ، الذى استحقها بلا شك .

[فى الحقيقة هذا الموقع لا يؤمن كثيرا بفكرة توازن القوى ، إنما لأسباب كثيرة يؤمن فقط بسيادة قوة واحدة ،

انظر هذه اللوحة الأولى بالأسفل ثم أتيج لنا فى وقت لاحق مناقشة هذا تفصيلا فى صفحة الحلوبة] .

ويبدو أننا سنظل في هذه الدوامة أبداً ، وليس مستبعداً أن نقول يوماً : ماذا لو ساندنا نيتانياهو أيام كان في السلطة ، أو ماذا لو قبلنا مدريد ٢... إلخ... إلخ . إننا نجيد الرفض وزعيق الاحتجاج ولا نجيد فعل أى شيء ملموس دع جانباً أن يكون هذا الشيء عقلاً ، وأمثلة الأفعال الهوجاء من التاريخ الحديث وحده لا تنتهي بدءاً من هوجة الدهماء المتعصبين دينياً ضد ناپليون (هذه أوصاف الجبرتي وليس أى أحد آخر لها) مروراً بهوجة عراقى (هذه تسمية الشعب المصرى وليس أى أحد آخر لها) وحتى هوجة الصبية المبشرين بالجنة (هذه ليست تسمية أحد إذ أسموها الانتفاضة الفلسطينية ، وهذا مؤشر طيب لمسار الانحطاط المتفاقم !) . هذه وتلك كلها هى العاطفية عينها ، إذ يبدو أننا فى عقليتنا العربية نعتبر الكلام هو الفعل (بمجرد أن يسمى صدام هزيمته المنكرة ' أم المعارك ' يصبح منتصراً . العامية العربية لا تعدم أيضاً السخرية من هذا بكلمات مثل فشخرة وشمخرة... إلخ ، لكن الجميع يفعلون هذا ولا يشعرون به إلا عندما يفعله الغير !) . باختصار ، لم يفوت الفلسطينيون والعرب عامة ، فرصة لإهدار الفرص إلا واغتموها ! وهذه الورقة تكتب لأنها لا تزال ترفض قبول الانفعالية أو عقلية الصراخ كقدر جيبى لا فكاك منه (ولا نعلم إن كنا على حق فى هذه الفرضية أم لا ، لكننا ببساطة لا نملك فى هذه اللحظة بدائل أخرى) .

' التلمذ النجيب ' على يد تملأ الصحف والأدبيات العربية اليوم مصطلحات جامحة الرنين مثل **خروج من كانوا أعداءنا هو الخطوة العرب من التاريخ ، وأن الخطوة المنطقية التالية ، وهى أن يأتى من يطردهم الأولى للانتقال من هو من الجغرافيا ، وهذه مسألة وقت وليس إلا... إلخ . بل أن بعض كبار الجانب الخطأ من معركة المفكرين العرب من المشهود لهم تقليدياً بالرصانة بل وقومية التوجه ، بدأ يفتح الحضارة إلى الجانب الصواب** بالفعل أحاديث الزوال وانقراض الأمم وآليات الانقراض... إلخ . كل هؤلاء منها .

محققون فى أمر جوهرى حتى وإن لم يشيروا إليه صراحة ، وهو أن خيار السلام سالف الذكر - لا نقصد الشامل الپيريسى فهو مستحيل أصلاً ، إنما الجزئى أى مع الجناح العربى المعتدل وضد الجناح المتطرف - سوف يفلت سريعاً من أيدي العرب ككل ولن يكون مسموحاً لهم به بعد قليل (نيتانياهو لا يريد أى علاقة من أى نوع مع العرب) . وحتى لا نستخدم كلمة الاستسلام المقيتة على النفوس ، نقول إننا كجناح عربى معتدل يجب أن نتجاوز مستوى التمتع الحالى بالذات المصرى-الخليجى وأن نعيد جذرياً وعلى الصعيد السيكلوجى النظر فى علاقتنا بالمتنصرين . (الذين وصلت درجة انتصارهم مثلاً أنهم لا يعبأون حتى باقتراح بمنحهم مقعداً دائماً فيما يسمى بمجلس الأمن ، مؤكدين ربما أنهم الدولة الوحيدة على ظهر الجلوب -بما فيه الولايات المتحدة- ذات الموقف المبدئى الذى لا يعترف بمثل هذه المنظمات باعتبار أن لا هدف لها إلا كبح عملية الانتخاب الطبيعى على الكوكب باسم تقنينها أو منع الحروب... إلخ) . كجناح عربى ينشد المستقبل علينا ببساطة مؤلمة أن نحول علاقتنا بهم إلى علاقة من **التلمذ النجيب** أو prolific apprenticeship ذلك بقدر ما يسمح به هؤلاء وتسمح به معادلاتهم ومصالحهم الاقتصادية (لغة أخرى يفهمونها كما لغة السلاح) ، فتلك هى الخطوة الأولى التى لا مفر منها لاكتساب التقنية وتنمية البشر ، ومن ثم بناء القوة الذاتية . أو بمعنى أصح الخطوة الأولى للانتقال من الجانب الخطأ لمعركة الحضارة إلى الجانب الصحيح منها .

إن ما نراه الآن أن المشهد الثقافى والسياسى العربى واقع بالكامل تحت إمرة **جيل المهزومين** (حتى وإن انحسر هؤلاء نسبياً عن المسرح الاقتصادى فى عدد غير قليل من الدول) . والجزء المخيف فى المشكلة أن هذا الجيل عُجنت عقوله

بالمهزيمة (التي صنعتها أساسا طريقته في التفكير) بدرجة وسواسية لا يمكن إصلاحها ، وثبت أنه من المستحيل لهؤلاء المهزومين تجاوز هزيمتهم أو حتى التخفيف من الموقف البارائوني لهم تجاه الآخر ، وتحديدًا تجاه كل ناجح أو منتصر في هذا الآخر ، فما بالك إن كان هذا الآخر هو الأنجلو-يهودي .

بفضل جيل المهزيمة هؤلاء ، سيكولوجيتنا باتت مركبة مما يلي :

١- من سيكولوجية العبد الذي أكل روحه الحقد على من هم

أفضل منه ، أعماه عن رؤية أى شيء آخر طيب أو ردىء في الحياة

حوله ، وجعل بصره لا يجيد للحظة إلا عن النعم التي يتمتع بها

سيده ويرى أنه الأجدر بها منه (مؤخرًا كتاب لباحث مجهول الهوية

اسمه ع . ع . بعنوان 'تراث العبيد' ١٩٩٥ عن المكتب العربي

للمعارف حلل هذا مطولا) .

**ذلك المزيج الفريد : مربع
الحقد-البارائونيا-الاستجداء-الفهلوة !**

٢- ومن سيكولوجية القنفذ الذي يرى الكل متآمرا عليه ،

وتعميه بارائونيته ونسخته العدوانية من الجيتوية ، عن رؤية أى مستقبل لنفسه قبل لأى أحد آخر (القنفذ أعمى : أولا

يرجع نجاح الغير كالصهيونية أو الغرب مثلا لكونهم أشرارا ، لديهم لوبى وإعلام ومؤامرات سرية ... إلخ . ثانيا يخسر حتى

أصدقاءه فلا يرى مثلا أن كل هذا الإعلام الغربى إعلام يسارى يقف في الواقع في صفه هو وصف تخلفه . ثالثا ينتهى

لعداء الجميع ، حيث بما أن المنتصرين انتصروا لأنهم أشرار -وليس لأنهم متقدمون أو متحضرون أو جادون أو أى شيء

من هذا القبيل ، فالحل هو أن يصبح هو أكثر شرا وقتلا وإيذاء ووحشية من الجميع . ورابعا حين يهزم -ولا بد أنه

سيهزم بالضرورة كما الحال دائما مع الفريق المصرى لكرة القدم ، يقول سأجرب مرة أخرى وسأكون فيها أكثر شرا

ووحشية ، وطبعًا كالعادة يكون واثقا من النصر في هذه المرة التالية ذلك كما كان يفعل في كل مرة . والأسوأ من هذا

وذاك أن يكون كله في أغلب الأحيان بالصراخ فقط لا أكثر ، ولا يأتى ذاك العقل العربي المغوار بشيء يذكر من ذلك

الانتقام الجبار الذى يتوعد به مجانا أعداءه الموهومين طوال الوقت ، والنتيجة أن أصبح ذلك القنفذ يأخذنا في فيلم

سيرىالى رخيص لا ينتهى أبدا عنوانه حنجرة بن شكاك يقابل الشبح !) . ولا غرابة بعد ذلك أن مصطلحاتنا كلها

انغلاقية قنفذية ، نظل نكررها بلا حجل ، بل وتنبأهى بها . نقول الشعب العربى الأبقى (أى الرفض) ، نقول الصمود

والتصدى (حين لا تعجبنا كلمة الرفض حين يصفنا بها أنور السادات) ، نقول المقاومة ، نقول رد الظلم (بل نستمرئ

ونستجدى وضعية المظلوم حين لا يكون هناك ظلم ، ناهيك أن حقيقة أن لم يكن أبدا ثمة لحظة ظلم لنا أصلا) .

نقول ونقول ، بينما كلها ألفاظ للمفعول به لا للفاعل ، ألفاظ لرد الفعل لا للفعل ، ألفاظ للتوجس من العالم لا

لقيادته ، ألفاظ للبارائونيا ولنظرية المؤامرة وعقدة الدونية ، لا للثقة والانبساط والانفتاح .

٣- ومن سيكولوجية الشحاذ الذى تنحصر علاقته مع الكبار في المطالبة بال ' حقوق ' ، ويعميه مبدأ خذ وطالب

هذا الذى لا ينتهى أبدا عن حقيقة أنه هو نفسه لا يشتغل شيئا (خذ وطالب هي الجوهر من سيكولوجية الشحاذ

المميزة للعقل العربى الطفيلى المتوحش ، وعكسها سيكولوجية البيزنس ، خذ وهات) .

للأسف نحن مصممون ٤- ثم أخيرا ، ولعله الأكثر جوهرية وأصالة ، من سيكولوجية قاطع
چينيا كقطاع طرق وليس الطريق ، حيث سرقة موسى (المرخص له من السماء بأن يملك كل أرض
كنائين .
تطأها قدمه) لذهب المصريين أو قطع محمد (المرخص له من السماء بكل

شئ) لطريق قوافل أثرياء مكة في غزوة بدر هي مجرد لحظات رمزية في تاريخ المنطقة وتاريخ عقلية أهلها البدوية تبين أن
الكدح والبناء ليسا مطلقا من الأجندة إن لم يكنا محرمين أو يجلبا العار لصاحبها ، وأن قطع الطريق وحده هو الفعل
الذي يرقى لمستوى القداسة . هذا شئ متأصل في الجينيات البدوية للمنطقة ، من قدامى اليهود حتى العرب
المعاصرين . البدوى لا يفعل أكثر من أن يأخذ غنمه ليرعى في منطقة ما ، وحين تأكل أغنامه العشب وتصبح جرداء ،
يأخذها لمنطقة أخرى وهكذا . أما هو فلا يفعل في كل حياته شيئا سوى الاستلقاء على ظهره أو معاشرته النساء ،
وحين يحدث ويتصدى له صاحب الأرض يقتله بدعوى أن الأرض أرض الله والمال مال الله ، وقد ذهبت إلى هذا عن
طريق الخطأ (وربما نعود تفصيلا لفكرة كيف ولماذا مجدت التوراة الراعى على حساب الزارع ، وجعلت الأول رمزا للنقاء
والورع والثاني رمزا للشر وأسحار الشيطان ، ذلك منذ قصة هابيل ضد قابيل ويعقوب ضد عيسو وهلم جرا) .
باختصار : للأسف نحن مصممون چينيا كقطاع طرق وليس كنائين . وظيفة البنائين أن ينبوا المدن ووظيفتنا نحن أن
ننهبها (ع الجاهز !) . وهذه على الأقل هي عينها سيكولوجية اللص الصغير ، التنويع أو التفرقة المتواصلة مثلا حتى
عبد الناصر في سرقة قناة السويس من ملاكها وكذا تأمين بقية أموال المصريين والمتمصرين وغير المصريين ثم محاولة خنق
إسرائيل بإغلاق المضائق سنة ١٩٦٧ ، كلها في غفلة من الزمن وفقط اعتقادا أنها سرقة ستمر بسلام ولن يعاقبه أحد
عليها . هذه -ولعلها مسلك مصرى خالص أكثر منه عربى أو لعلها تنبع مما ما يسمى في الشخصية المصرية بالفهلوة-
ليست حتى سيكولوجية اللص الكبير المحترف ، بل هي أسوأ الأشياء إطلاقا ، لأنه يدرّب شخصياتنا على أن تكون في
منتهى الوضاعة غير مستعدة لمواجهة نتائج أفعالها ، أو مواجهة أى أحد أقوى كان أو حتى أضعف ، ناهيك عن تربية
السلوك المستقيم مع النفس قبل مع الآخرين ، أو باختصار إنه مرة أخرى حديث الاستعمار والاستخراب ! [حللنا
لاحقا فكرة اللصوصية الصغيرة هذه تفصيلا في مدخل مطول بمناسبة الذكرى الخمسين لما يسمى بثورة يوليو . أما فكرة
تحريم دين كالإسلام للبناء والكدح صراحة وشرعا فأصبحت اقتباسا عن ابن العباس تصدر صفحة الحضارة التي صارت
كلها معنية بالشأن الإسلامى (انظر تفاصيل ذلك 'الاكتشاف' في صفحة سبتمبر
<http://everyscreen.com/views/september.htm#WTC>) ، ثم تمددت لصفحة أخرى كاملة هي العلمانية
تختص بمزيد من الأضواء على الدين عامة] .

الأسوأ من كل هذا ، أننا لا نكاد نرى بوادر لانسحاب هذا كأي صراع بين الحضارة الجليل -الجيل الذى يجدر تسميته بجيل الهزيمة ، هذا إن كان لأحد والتخلف ، الخيار الوحيد فى الصراع عندنا أن يجب تسمية الأشياء بأسمائها ، انسحابه فى هدوء كريم ، العربى الإسرائيلى منذ ١٩٤٧ وحتى وتخليه عن مكانه لجيل آخر لم يهزم وليس لديه نفس المرات **الآن هو الاستسلام . المشكلة أن شروط الاستسلام تسوء يوما بعد يوم .** والمعادلاته الطبقية والثقافية والسلوكية ، بل العكس بالضبط هو **المشكلة الأسوأ أن العرب لم يعرفوا فى تاريخهم قط هذا الاختراع الصحيح** إذ لم يعد لذلك الجيل من رسالة مقدسة اليوم سوى **المسمى الاستسلام .** توريث تلك الأحقاد ومشاعر الهزيمة بمنتهى القوة والقسوة لكل

الأبناء والبنات (الشق المضحك فى الأمر أن بعض هؤلاء المهزومين يدعى التقدمية ، بينما المستحيل على المرء أن يفهم كيف يقول إنسان عن نفسه أنه تقدمى ويكرة دولة أو دولتين هما الأكثر تقدما على مستوى العالم) . ببساطة إن خيارنا الإستراتيجى لا هو السلام ولا هو الحرب إنما لدينا خيار استراتيجى دائم وثابت ووحيد هو اللا سلم واللا حرب . ففى السلم تصبح هزيمتنا صريحة اقتصاديا وتقنيا وحضاريا وفى الحرب تصبح هزيمتنا صريحة عسكريا ، أما فى اللا سلم واللا حرب فتكون الهزيمة ذات شماعات وحجج جاهزة مسبقة (هذا هو مثلا تفسير سياسة حافة الهاوية التى يتبعها الفلسطينيون مع إسرائيل سواء من خلال المفاوضات أو من خلال غوغاء الشوارع ، فالواجب أن تعرف أولا من هو عدوك بدلا من أن تظل تهر ذيله مراهنا أنه لن يبطش بك فى لحظة ما ، لكنك فى الواقع لا تريد حربا أو سلاما إنما مناوشات إلى الأبد فقط تشبع الكرامة المزعومة ، ناسيا كالعادة أن **لا مهانة أشد من الفقر والتخلف .** ثم قل لى بحق عروبتك إذا ما حل السلام ماذا ستكون وظائف الآلاف الذين لا رزق لهم حاليا إلا النضال بدءا من رئيس جمهورية سوريا حتى رئيس جريدة القدس العربى ؟ !) .

إن علينا أن نعيد صياغة علاقتنا بالدول الأكثر تقدما (بما فيها تلك التى دخلنا فى حروب مباشرة معها يوم رفضنا قبل خمسين عاما ذات ' الشرعية الدولية ' التى وضعتها وسطنا ثم عدنا لتمسح فى هذه الشرعية عينها بعد قليل) . والعلاقة بين المهزوم والمنتصر لم يحصرها التاريخ يوما إلا فى ثلاث خيارات لا رابع لها ، هى بترتيبها المرحلى السلام أو الاستسلام أو الزوال (أو بالأحرى الإزالة) . ولا يختلف عريبان اليوم على أن المرحلة الأولى قد طويت صفحتها بلا رجعة فى مطلع عام ١٩٩٦ يوم اختار هؤلاء الأعداء حكومة جديدة قوية ووصموا حكومتهم السابقة اليسارية بالتفريط والتخاذل ، وربما كان رأيهم هنا أن **بنيامين نتانيا هو أعظم رئيس وزراء فى تاريخ إسرائيل** -ربما أعظم من بن جوريون نفسه- إذا كان رأس جدول أعماله فتح أبواب الصين واليابان والهند أمام إسرائيل أسواقا وتقنية ... إلخ وهو طموح لا يقارن مثلا بطموحات سابقه رابين-بيريس فى التواجد العسكرى فى القوقاز ذو الخلفية الإسلامية ملء الفراغ الناشئ عن انهيار الاتحاد السوفييتى . هذا التوسع الذى كان الأول من نوعه بالنسبة لإسرائيل التى تعتبر توسعها فى المحيط العرب مجرد دفاع عن النفس ، ليس بالطموح ذى الشأن مقارنا بالرؤية النتانياهوية لمستقبل الدولة اليهودية .

ببساطة وصراحة وبكل الأسف : فى عهد رابين-بيريس أرادت إسرائيل مقايضة التخلي عن بعض أرض ١٩٦٧ سياديا ، مقابل احتلال كل أرض العرب اقتصاديا . لكن حتى هذا لم يعد معروضا ، ببساطة لأن من

الواضح أن الاتفاقية المسماة أوسلو -التي هي من بنات أفكار اليسار الإسرائيلي عقدها مع اليسار الفلسطيني تحت رعاية اليسار الأميركي- لن تنجح أبدا . يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ كان كل الفلسطينيين كمن دخلوا الجنة فجأة . كمن حصلوا من حيث لم يحتسبوا على بطاقة خضراء جماعية للهجرة لبلد تعادل أميركا في تقدمها وازدهارها . تحركوا بكل الحرية ونالوا كل الخيرات الممكنة من العيش في بلد أجنبي مرفه مزدهر . بعد عشرين سنة من هذا ظهر من بينهم المتطرفون الإسلاميون يقولون ليس المهم الرفاهية المهم إلقاء إسرائيل في البحر ، ليس المهم جنة الأرض المهم جنة ما بعد الموت . قامت الانتفاضة وورثها اليسار الأوسلوى . عاد المحرض عرفات بأجندة اسمها الاستقلال . وككل من حصل على الاستقلال سيحصلون معه حتما على الجوع والفساد أيضا . أوسلو كارثية ليس من منظور فلسطينى فقط ، بل إسرائيلي أيضا . إنها تعطى الفلسطينيين أكثر مما يجب ، ورفع سقف الآمال الفلسطينية من منظور ذوى الحناجر الفلسطينيين يخلق وضعاً مثاليا لتشجيع الإرهاب ، يسمح لمجرد عملية تفجيرية واحدة بتغيير نتيجة الانتخابات فى إسرائيل . النتيجة أن ها هو بنيامين نتنياهو على قمة السلطة ، ولا يريد شيئا من العرب طيبا كان أم سيئا ، ويبنى سياسته العربية على حكمة بسيطة يقول إنه تعلمها من خلال اشتغاله كرئيس لوفد إسرائيل فى الأمم المتحدة ، وهى أن لا تذهب للعرب قط ، بل دعهم هم يأتون إليك ، وبما أن العرب هم المستفيدون من السلام فدعهم هم الذين يسعون إليه ، أما إسرائيل التى فتحت اليابان والهند والصين فلن يفيدها السلام العربى فى شىء !

إن المرء ليشفق حقا على العرب حين يحاربون ما يسمونه مؤامرة إسرائيل الكبرى من النيل للفرات ، بينما نتنياهو يتحرك فى دولة إسرائيلية تمتد من طوكيو للوس أنجليس ، وموقع العرب فى طاولة أشغال هذا الزعيم الجديد فهو جديد مثله بل ومبتكر حقا : أن يتجاهل وجودهم كلية ! يتركهم يحاربون مثلا طاحون الهواء المسمى التطبيع الذى لم يعد هو يريد أو يهمله فى شىء .

[تكرر أن غيرت عملية تفجيرية أخرى نتيجة الانتخابات ، وأتت باليسار من جديد ، فما كان من تهادن باراك المقيت إلا أن زاد الطين بلة . بعدها أصبح المجتمع الإسرائيلى فى اندفاع هائل نحو اليمين بحيث لم يعد للعمليات الإرهابية إلا أن تزيده عزما . بحلول القرن الجديد أصبح الليكود تحت زعامة آرييل شارون هو الوسط السلامى المتخاذل ، متحالفا فى الحكم مع بعض يمين الوسط ويسار الوسط ، بينما اليمين الحقيقى الذى لم يدخل الحكم قط موفنا أكثر من أى وقت مضى أن السلطة تزحف إليه تستجديه استجداء كى يفرض رؤيته الحضارية ماضية العزم على المنطقة فرضا !] .

من هنا يشفق المرء كثيرا على من يسمون فى المقابل دعاة السلام العرب . هم يراهنون على اليسار الإسرائيلى الفاشل المعدم والمفلس تاريخيا .

صحيح أنا ممن يدعون **لا شيء يثير التقزز مثل كلمة ما ضاع حق وراءه مطالب** . للواقعية ، لكن هؤلاء يخطئون المحترمون لا يعرفون خذ وطالب إنما خذ وهات وانتهى الحسابات لا أكثر ، هذا إن لم الأمر . وللدقة هم لا يطالبون قط بل في الواقع لا يكن بعضهم بينها على نظرية يستخدمون كلمة حق أبدا . إما ينفذون ما يريدون ، وإما عربية تولع بالحلول طويلة المدى يتجاوزونه للنقطة التالية . الأدهى أن كلمة حقوق هذه لن تفتح بوابات جهنم إلا على أصحابها ، ماذا لو طالب اليهود بأموالهم المنهوبة حين طردوا من البلاد العربية ، وماذا حتى تقول خذ وطالب (يقال إن لو طالبت مصر أو غيرها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا السعودية مخترعها هو ربما فيصل أول ملك بتعويض عن الغزو الإسلامي ونهب الموارد الهائل الذي للعراق ، لكن المؤكد أن آخر من استتبعه ؟

طبقها عرفات العائد من المنفى

للضفة والقطاع ليخترع كل يوم شروطا وشروط ، أو عامة كل من وقعوا معاهدات سلام مع إسرائيل ثم جمدها أو دخلوا في مفاوضات سلام معها ثم كشفوا شيئا فشيئا أنهم يسامون على ذات أجنحة ما قبل ١٩٤٨ القديمة البالية ، والمؤكد حتى اللحظة أن أحدا لم يخلص للسلام كسلام سوى إسرائيل) . لا شيء يثير التقزز مثل كلمة ما ضاع حق وراءه مطالب . المحترمون لا يعرفون خذ وطالب إنما خذ وهات وانتهى الأمر . وللدقة هم لا يطالبون قط بل في الواقع لا يستخدمون كلمة حق أبدا . إما ينفذون ما يريدون ، وإما يتجاوزونه وينقلون للنقطة التالية . الأدهى أن كلمة حقوق هذه لن تفتح بوابات جهنم إلا على أصحابها ، ماذا لو طالب اليهود بأموالهم المنهوبة حين طردوا من البلاد العربية ، وماذا حتى لو طالبت مصر أو غيرها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا السعودية بتعويض عن الغزو الإسلامي ونهب الموارد الهائل الذي استتبعه ؟

صحيح أيضا أنا ممن قالوا يوما إننا لا يجب أن نهرول نحو السلام بل يجب سلام لا يخلصنا من أن نعدو عدوا ، لكن هذا كان بشرط سأذكره حالا ، لكن الجديد أن السلام ريجيمات الحكم في دمشق نفسه أنه لم يعد معروضا أصلا اليوم . ببساطة ومنذ تغير السلطة في إسرائيل وبغداد وطهران ، هو كارثة لليمين لم يعد العرض قائما وبات ما يسمى التطبيع مجرد حلم تاريخي من أيام أسوأ من كل حرب .

رابين-بيريس وليس إلا ، تجاوزته حركة التاريخ إذ كان يعبر عن لحظة ما من لحظات النمو الاقتصادي الإسرائيلي ولم يعد لها حاليا ما يبررها . بعد ذلك ربما لا خلاف يذكر على أنهم لن يعيدوا اليسار للحكم أبدا إلا في لحظة يحدث وتصبح فيها أكثر يمينية من اليمين (على غرار تجربة حزب العمال البريطاني ، علما بأن مصطلحات يمين ويسار هي في التحليل النهائي تعبير عن موقف من قانون الانتخاب الطبيعي إما بإطلاقه وتحريه بين كل أفراد المجتمع -بالمناسبة لم يعد الصراع بين طبقة وطبقة- وإما بمحاولة مصادرتة وتكبيله ، وهذا هو سبب أن كل التيارات اليسارية التي شهدتها العالم بدءا من كرومويل والثورة الفرنسية وحتى الاتحاد السوفييتي هو مآلها التلاشي بعد برهة قصيرة ، ذلك أنها ببساطة تناطح أكثر القوانين قاعدية على وجه الكون) .

لكن أنا أيضا ممن اعتقدوا في نفس الوقت أن ما يسمى السلام الشامل ليس الخيار الصحيح للمنطقة ، إنما قبل كل شيء ضرورة تكاتف الجهود إقليميا ودوليا لإسقاط بؤر التخلف التي تشد المنطقة للوراء ، ونقصد بها تحديدا فلول التطرف القومي الناصري-البعثي ممثلة في ريجيمي حافظ الأسد و صدام حسين ، زائد طبعاً ريجيم خوميني وتلاميذه الإسلامي المتطرف في إيران ، أي القمم الثلاث لما يسمى جبهة الرفض (المعروفة دلالاتها أو تدليلاً باسم جبهة الصمود والتصدي) ، تلك التي طالما غررت بمصر وكل العرب لدخول الحرب تلو الحرب والهزيمة تلو الهزيمة بمزايدات الغوغائية ، وهي التي ناهضت وقتلت أنور السادات وصنعت النصب لتكريم قتلته ، وهي التي غزت الكويت إلى ما قبل خمس سنوات فقط مضت . ولا يزال هؤلاء الثلاثة بالذات لم يتزحزحوا قيد أنملة عن أجندتهم الخرابية الشاملة . هذا هو الشرط الذي قصده لسلام على أسس قومية ومفيدة مع إسرائيل .

إن السلام مع استمرار هذه الراجيميات الثلاثة هو كارثة أسوأ من كل حرب ، وسوف تعوق مثلها تماماً آمال المنطقة في التحضر والتنمية الحديثة والاندماج في المنظومة الجلوبية العصرية . الواضح أن هذه الفكرة بدت بكراً في نظر الكثيرين ولم تبد هناك أي إرادة لتنفيذها سواء في أميركا أو حتى في إسرائيل ، ناهيك عن العرب . الآن باتت الأمور أكثر نضجاً : عاد اليمين القوي للسلطة في إسرائيل ومن الممكن أن يتبنى دوماً التميع السياسي التقليدي مثل هذه التغييرات الطموح للأفضل في خريطة المنطقة ، عربياً و قع الأردن اتفاقية سلام نشطة وناجحة مع إسرائيل ، ومسيرة السلام الفلسطيني تسير باضطراد وتفهم متبادل وفي نهاية المطاف غالباً ما يتم تذليل أي عقبات تعترضها ، تركيا جاهزة من خلال إرادتها السياسية الماضية دائماً أبداً ومن خلال مصالحها الواضحة ضد الراجيميات الثلاث البالية وأخيراً من خلال حلفها العسكري رهيب الجانب مع إسرائيل . أخيراً نعتقد أن دول الخليج بعد تجربة حرب الخليج باتت أكثر انفتاحاً على فكرة تجييش الجيوش ضد ريجيميات الرفض العربية ، أما مصر فسجلها رائع لا يبرز ولا يمكن المزايدة عليه إذ قد دخلت مثل هذه الحرب ثلاث مرات كاملة وفي ثلاث جهات مختلفة حتى الآن (إن أضفنا لحرب تحرير الكويت صدامها مع ريجيمي ليبيا والسودان المتطرفين في وقت لم تفكر فيه حتى أميركا نفسها في اتخاذ أي إجراء ضدهما - لا يزال هذان ريجيمان متطرفان وإن كانا أضعف من أن يؤثرًا في مصير المنطقة ، ناهيك بالطبع أصلاً عن أن **علاقتنا بإسرائيل أقدم من علاقتنا بمعظم البلاد العربية** ، والتي لم تبدأ إلا سنة ١٩٨٩ مع عودة الجامعة العربية للقاهرة) ، ليق فقط بعد ذلك أن تتبنى أميركا الفكرة ويبدأ بعدها حشد الجهود من أجل مستقبل عربي جديد بمعنى الكلمة ، ومن أجل شرق أوسط حقيقي وليس مرقعاً على طريقة شيمون بيريس المعيبة وشبه الوهمية .

اليهود يتحولون الآن على أنه من المضحك في هذا السياق أن مثقفينا يمارسون ذلك المسمى **لليمين . أميركا سوف تتبعهم** 'التطبيع' بنفس طريقتنا الركيكة المعتادة كأن بدأنا نسمع مثلاً عن منظمات **...والعالم كله .** مصرية للسلام مؤسسة عادة من مهزومين مخضرمين ، هدفها إقامة التحالفات

مع جناح المعارضة الخاسر وشبه الهامشي حالياً في إسرائيل ، بينما لا نرى قط من يحاول إقامة جسور الصداقة مع رجلها القوي الذي تبوأ السلطة في ١٩٩٦ ، إن لم نقل مع رجلها الأقوى الذي يجب أن يخلفه وهكذا . ونيثانيا هو يتنبأ ببساطة أن الناتج الداخن الإجمالي GDP لإسرائيل سيفوق الناتج الداخن لكل العرب بما فيه الدول البترولية بحلول عام ٢٠٠٧ أو ٢٠٠٨ . والمعادلة هنا بسيطة وسهلة لكنها شبه غائبة عن الجميع ، فطالما أرقام الناتج الداخن تشهق

وتشبه فلن يجد الضعفاء سبيلا إلى عجلة السلطة في إسرائيل أبدا . إننا لا نرى الجانب المستقبلي الأشمل للصورة : اليهود تاريخيا وتقليديا هم يساريون ، من ثم فهم يقفون وراء الحزب الديمقراطي في أميركا ، وكذا يمدون بتأييدهم ونفوذهم بقية قوى اليسار في العالم . الآن هم أكثر ثراء وجبروتا ويتحولون لليمين . هذا سيؤدي على مجرى غير بعيد إلى تغيير في موازين القوى الحزبية داخل أميركا ، وببساطة لن يكون لليسار أى مستقبل كما في الاتحاد السوفيتي سابقا ، كما في إسرائيل حاليا ، كما في أميركا قريبا ، كما في بقية العالم ليس بعد وقت طويل .

...

كل هذا يقود لمصطلح آخر هو التبعية . التبعية شىء طبيعي ، فنحن في عالم واحد مجلوب ، أو قل كائن حيوى أو متعضية living organism واحد ، نشأت الأسس الموضوعية له من خلال ثورة الاتصالات والمعلومات وقنوات الساتلايت وشبكة الإنترنت والهواتف الخليوية التى ستصبح رخيصة وفى كل يد وتحملها معك لأى مكان فى العالم حرفيا ، هذه ستصبح شبكة الأعصاب لجهاز عصبى مركزى واحد لتلك المتعضية . وأيضا من خلال التداخل والتكامل الشديدين للعملية الإنتاجية فى الاقتصاد العالمى ، الدورة الدموية التى تضخ وتوزع مصادر الغذاء والأوكسجين والثروة من الأماكن المتخصصة فى إنتاجها بكفاءة وتخصص إلى الأماكن المحتاجة لاستهلاكها .



Conspiracy Theory!

كما اجتاحت التخصص النظام الاقتصادى ، يجب أن يصبح النظام السياسى متخصصا أيضا . نعم سيكون هناك تخصص ، وسيكون هناك مخ وسيكون هناك عضلات (وأىضا سيكون هناك فضلات !) . نموذج الأمم المتحدة ، أو بالأحرى نموذج الجمعية التعاونية ، أو النموذج الطحلبى البدائى ، الذى يروج

له بشراسة ، لا يصلح نهائيا هنا ، بل هو تحديدا الذى لم يؤد تاريخيا لأى مكان إلا لاضمحلال وانهايار الحضارات . هو يرى ويريد العالم كيانا متساوى الخلايا وظيفيا وقيمة ، بينما الثورة التقنية والاقتصادية ثورة تتضرع طالبة قيادة عليا ، مركز وظيفته الرؤية الشاملة والتوجيه ، ثورة تستصرخ أن لن يكتب لها البقاء -ناهيك عن الازدهار والنماء- دون نموذج إمبراطورية كوكبية ، نموذج البيزنس الذى تدار به أية مؤسسة أو شركة أو جيش أو أى شىء بأدنى قدر من الاستعداد على ظهر الأرض ، متعضية متخصصة بمخ وعضلات شديدي التمايز عن بعضهما البعض .

إذا كان من ثمة تعريف لما يسمونه بالأمن القومي ، سنعود تفصيلا للكلام عن نموذج الأمم وإن كنت أشك أن لا زال للكلمة معنى أصلا في المتحدة ونموذج الإمبراطورية ، لكن ما يهمنا عصر الجلوبة ، فهو ينحصر في كلمة واحدة : قوله في هذه المرحلة إن قطعا سيكون هناك التبعية !

تابعا هو فقط مستواك التقنى . نعم وبصراحة تامة ، طالما هناك فجوة تقنية فالتبعية ليست إجبارية فقط ، بل هى شىء جيد . بعبارة أخرى : إذا كان من ثمة تعريف لما يسمونه بالأمن القومي ، وإن كنت أشك أن لا زال للكلمة معنى أصلا فى عصر الجلوبة ، فهو ينحصر فى كلمة واحدة : التبعية ! علينا أن نعلن بوضوح تعريفنا لهذا 'الأمن القومي' . إنه البناء الاقتصادى . إنه ربط عجلتنا بالعالم المتقدم . هنا يكمن أمننا القومى الحقيقى . أن نكون جزءا من العالم المنتج الفاعل . جزءا صغيرا أو كبيرا ، بقدر إنتاجنا وقدرتنا على الفعل ، بقدر اقتصادنا ، وليس أى شىء آخر . لا عيب فى الارتباط بالمتقدم . العيب فى زعامة التخلف والمروق أو ما يسمونه 'الصمود والتصدى' . صمود وتصدى من أجل ماذا ؟ ولأين سيصل بنا الصمود والتصدى فى آخر المطاف ؟ لن تذهب بنا لأى مكان . للخراب والدمار . كل يوم الهوة التقنية تزداد وتتسارع ، والشعارات تفاقم الفجوة ، ولا حل إلا 'التلمذ النجيب' . نعم ، كل ما نفضله ونتمناه أن تكون تلك تبعية خلاقية ومنتجة ، ومن هنا نكرر أن كلمتى التلمذ النجيب هما بالضبط التعبير الدقيق عن الصيغة التى يجب أن ندافع عنها فى علاقتنا بمن هو أكثر منا تقدما أيا من كان وأيا كان ماضينا السئ معه . وهذا ما سنحاول الآن الدخول فى تفصيلاته بعض الشىء ، تحت عنوان نود له اسما هو الحلف الحضارى .

إن حلفنا الحقيقى يجب أن يكون مع اليمين الإسرائيلى . إن حلفنا الحقيقى يجب أن هو عمقنا الاستراتيجى ونحن عمقه الاستراتيجى ، فى معركة يكون مع اليمين الإسرائيلى . هو المنطقة ضد التخلف وذوى الشعارات . والسلاح النووى عمقنا الاستراتيجى ونحن عمقه الإسرائيلى هو صمام الأمان الأكبر للمنطقة لتخليصها مرة الاستراتيجى ، فى معركة المنطقة واحدة وللأبد من التحريض القومى واليسارى والإسلامى ، ضد التخلف وذوى الشعارات . والتركيز على التنمية بلا منغصات .

مصر هى المؤهلة تاريخيا لقيادة مثل هذه المبادرة ، بحكم أنها لم ولن تكون عربية عرقيا ، وكانت بحكم ثقلها صمام الأمان الأكبر للمنطقة الديموجرافى وعمقها التاريخى هى أقل شعوب المنطقة تأثرا لتخليصها مرة واحدة وللأبد من بالغزو العربى ، هذا الذى لم يفلح كثيرا فى إحداث تغيير التحريض القومى واليسارى كبير فى طبائع أهلها وميولهم أو حتى معتقداتهم الدينية ، والإسلامى ، والتركيز على وأهم ما فيها جميعا -وفيما يخص موضوع هذه الدراسة- التنمية بلا منغصات .

استعدادهم لمعانقة الغير المتقدم والترحيب به والتآخى معه طالما هو بالقوة الكافية ليحمى هذا الشعب من تهديدات مصر هى المؤهلة تاريخيا الجيران المتخلفين اللصوص أو من استوطن من هؤلاء لقيادة مثل هذه المبادرة ، بحكم الأعراب أرضه أو صحاريه .

وكانت بحكم ثقلها الديموجرافى وعمقها التاريخى هى أقل شعوب المنطقة تأثرا بالغزو العربى ، هذا الذى لم

يفلح كثيرا فى إحداث تغيير كبير فى طبائع أهلها وميولهم أو حتى معتقداتهم الدينية ، وأهم ما فيها جميعا -وفيما يخص موضوع هذه الدراسة- استعدادهم لمعانقة الغير المتقدم والترحيب به والتأخى معه طالما هو بالقوة الكافية ليحمى هذا الشعب من تهديدات الجيران المتخلفين للصوص أو من استوطن من هؤلاء الأعراب أرضه أو صحاريه .

اليسار الإسرائيلى يتمنع تجاه طرح كهذا ويتمسك كما رأينا بمفهوم عقيم اسمه السلام الشامل ، ناهيك أصلا عن أنه ككل يسار العالم شىء عفا عليه الزمن . بينما اليمين الإسرائيلى فهو الوحيد القادر والمستعد معا ، لاستخدام كل شىء بما فيه القوة العسكرية (إن لم يكن النووية ربما) من أجل الهدف الحضارى الأسمى لمنطقة تنمية مزدهرة خالية من الشعارات وحكم التحريضيين قوميين أو شيوعيين أو إسلاميين أو أيا ما كانوا . ربما لم يكن اليمين الإسرائيلى كذلك حتى وقت كبير . كان أقصى مات يصل إليه من جرأة ، هو أطروحة توازن القدرة Balance of Power ، ورغم النظرة اليسارية لها كسياسة تسليحية عدوانية ، هى فى الحقيقة أطروحة سلامية فى جوهرها ، كل ما تعنيه أن لا تتفاوض إسرائيل من موقف الضعف ، لأن هذا لن يأتى بالسلام أبدا . بهذا المنطق أعاد اليمين الإسرائيلى كامل سيناء لمصر ، وكان أقصى ما طمح له من توسع هو بعض المستوطنات هنا وهناك . اليوم ومع عودته تحت راية بنيامين نتنياهو هو يختلف الأمر . نحن أمام يمين قوى إيجابى توسعى (وقطعا علمانى) ، لن يوفقه شىء فى رسالته لنشر الحضارة ولو بالقوة ، فى هذه المنطقة المنكوبة حضاريا منذ ظهور إخناتون ، وحتى تأسيس إسرائيل المعاصرة ، وبسبب هذا التخلف والبداءة تشكل ، بلغة الجيو-بوليتيكا ، فجوة استراتيجية دائمة فى الخريطة (الواقع أنها فجوة لم -وربما لن- تزد أبدأ ! هل يمكنك على سبيل المثال إحصاء عدد من احتلوا مصر ؟) .

نعم ، نحن الآن بصدد الانتقال من توازن القدرة Balance of Power إلى مبدأ القدرة Principle of Power ، وهذا مما لا تريد قراءته أبدا العقلية العربية !

على نحو أعم وأهم ، اليمين الإسرائيلى صعد الآن للسلطة بإجماع داخلى مذهل ، وتحديدًا من خلال شخصية متخصصة فى التقنية العالية كالمهندس بنيامين نتنياهو [أول ما فعله رحلة لليابان والصين ، 'ضمهما' فيها لإسرائيل إن جاز القول ، وكان كل طموح اليسار قبله ضم الهند شبه الشيوعية !] . هذا اليمين بصورته المشرقة الجديدة هو حليفنا الطبيعى بل والحقيقى ، فى معركتنا مع التخلف ككل ، وليس فقط بكسر شوكة الريعيمات والتنظيمات المتطرفة . إنه أعظم حليف ممكن يساعدنا فى تطبيق الإصلاحات الاقتصادية الجديدة المؤلمة ، ضامنين معه أن يفلح فى إقناع أميركا بما يعنيه حقا الخطر الإسلامى إذا ما حدث وواصلت مطالباتها الساذجة بالديموقراطية وحقوق الإنسان ، وضامنين معه أن لن ترفع فى وجهنا فزاعاتها الهباء هذه إذا ما حدث وأدى تحرير الاقتصاد لتوترات داخلية ، أو إذا ما تم البطش الواجب بأحزاب وقوى المعارضة القومية والدينية . لاحظ أن هذا وضع خاص جدا لا شك سوف تحسدنا عليه أى دولة فقيرة تسعى للنهضة بعد أن أجهضت أميركا التسعينيات اليسارية باسم تلك الفزاعات ، مرحلة طموحات النهضات الكبرى فى العالم الثالث على غرار التجربة التشيلية العظيمة للجنرال بينوشيت وشبيهاتها ، التى مررتا أميركا أيام كان ذعرها من الخطر الشيوعى على أشده .

على أميركا (صاحبة فزاعة الديمقراطية وحقوق الإنسان الشهيرة) أن تفهم أن بالأحرى لنا أن تكرر تجربة النهضة-بالقبضة-الحديدية هذه عندنا اليوم . فالخطر الإسلامى داهم سواء بقلب نظم الحكم المحلية أو بالهجرة للبلدان المتقدمة ، ومن ثم فهو أخطر بما لا يقاس من الخطر الشيوعى . إنه لا يسعى للمنافسة أو شىء من هذا القبيل ، بل لدفن الحضارة الإنسانية برمتها فى عصر ظلام جديد .

بذلك سوف تتحقق لنا منافذ لا حدود لها إلا اجتهادنا واستحقاقنا ، منافذ لأوفر الاستثمارات وأحدث التقنيات وأرقى الجامعات ، وسوف تأتينا أعظم الشركات وأفضل السياح وأوسع الأسواق ، والضمانة الحاسمة لكل هذا أننا جزء من حلف حضارى بالمعنى الحرفى للكلمة ، علمى علمانى عالمى ، يؤمن حقا بالاقتصاد والتقنية والجلوبة وبالقيم التقدمية والتطورية كما تمليها قوانين تفوقية القدرة supremacy of power الدارونية القاعدية .

إن ما نريد قوله إن الأمل الوحيد للعرب فى اللحاق بالعالم تقنيا وجلوبيا وثقافيا هو حلف حضارى إقليمى تقوده إسرائيل تحت نظام حكم يمينى سافر وجرىء فيها . اقتصاديا لن نطلق (ولم ينطلق من قبلنا أو بعدنا أحد) دون أن نكون جزءا تابعا لإمبراطورية ما ، والوحيد المرشح عسكريا واقتصاديا لإنشاء إمبراطورية فى المنطقة هو اليمين الجديد فى إسرائيل . أما اليسار الإسرائيلى فهو آخر شىء يمكن أن يعول عليه ، بل إن أطروحته عن شرق أوسط جديد دون إزالة حافظ الأسد وصدام حسين وآية الله أيا كان اسمه ، هى ضرب من الخيال سيكون شيمون بيريس هو أول المصدومين فى فشل هذا السلام بل وكونه مضرًا للمنطقة حيث ستفرغ هذه الريحيمات الكلمة من أى محتوى تقدمى حقيقى .

المشكلة ليست فى وجود السلام من عدمه . المشكلة ليست فى وجود السلام من **المشكلة فى ما هو الهدف من هذا السلام .** عدمه . المشكلة فى ما هو الهدف من هذا **الأطروحة المطالبة بجعل منطقة الشرق الأوسط خالية السلام .** الأطروحة المطالبة بجعل منطقة **من أسلحة الدمار الكتلى تجعل المرء يشعر بخجل ما** الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار **بعده خجل .** ماذا لو أصبحت المنطقة خالية فعلا **من الكتلى** تجعل المرء يشعر بخجل ما بعده **أسلحة الدمار الكتلى ، هل سنطالب بجعلها خالية** **خجل .** ماذا لو أصبحت المنطقة خالية فعلا **من الأسلحة التقليدية لأنها أيضا متفوقة جدا إسرائيليا** وهزمونا بها ألف مرة ؟ وهل لو جعلناها خالية من **من أسلحة الدمار الكتلى ، هل سنطالب** **بجعلها خالية من** الأسلحة التقليدية سنعود لنطالب بجعلها خالية من **من** العقول التى تفكر ، ذلك حتى يكون لنا شىء **من أيضا متفوقة جدا إسرائيليا وهزمونا بها ألف** **مجاناة اليهود ؟** مرة ؟ وهل لو جعلناها خالية من الأسلحة

التقليدية سنعود لنطالب بجعلها خالية من العقول التى تفكر ، ذلك حتى يكون لنا شىء من مجازاة اليهود ؟ إن علينا استغلال وجود إسرائيل -وهو أمر واقع على أية حال- نستغلها من خلال توظيفها هى وقوتها العسكرية -نووية وغير نووية- كصمام أمام كبير لتخليص المنطقة من قوى الرفض والتخلف ، إن لم يكن لتحقيق جميع الأحلام القديمة-المتجددة ، منذ الخديوى إسماعيل وكمال أتاتورك وحتى الحبيب بورقيبة وأنور السادات (حتى مع التحفظ على تدين هذا الأخير) ، فى إضفاء الصبغة الحضارية على منطقتنا وعلى شعوبنا الوحيدة فى العالم (ربما باستثناء بعض دول أفريقيا) التى لا تزال تعيش فى مرحلة ما قبل التصنيع ، وبالطبع تخليصها من قوى التخلف التى تشدها إلى الماضى . إن

وجود أسلحة الدمار الكتلى وما تمثله من طفرة علمية يعطى منطقتنا هيبة واحتراما فى أعين العالم أفضل ألف مرة من أسلحة الظلام الكتلى التى لا نملك سواها كعرب ومسلمين !

باختصار : إنه حلف لكل المتقدمين والراغبين فى التقدم ضد كل الراضين للتقدم (ولا نقول المتخلفين ، إذ ليسوا جميعا راضين للتقدم) .

أو بصراحة أكثر : المشكلة ليست فى وجود مؤامرة أميركية-صهيونية ضدنا نحن العرب ، بل فى عدم وجود مثل هذه المؤامرة أصلا ! لسنا فى أقل من الحاجة لتدخل خارجى لفرض قيم الحداثة فرضا ، سواء على حكام الرفض الشعارائيين ، أو على الحكام الفاسدين المناورين اللاعبين على كل الحبال . والبديهى أن التغيير من الداخل مستحيل ، وما يسمى الشرعية الدولية (سنناقشه لاحقا) أتاح لمثل هؤلاء الحكام إحكام شباكهم وقبضتهم على شعوبهم إما قهرا وإما تضليلا ، بما لا يمكن لها الفكك منه .

بصراحة أكبر وأكبر ، هى ليست حتى مشكلة حكام ، إنما مشكلة شعوب ، ومشكلة سيكولوجية نظرية المؤامرة التى تتملك روح العرب وكيانهم ، والمتأصلة فى جيناتهم منذ أزل الدهر .

نعم ، المشكلة ليست فى وجود **المشكلة ليست فى وجود مؤامرة أميركية-صهيونية ضدنا** بل المشكلة عدم وجود مثل هذه المؤامرة العرب ، بل المشكلة عدم وجود أصلا ! العرب والمسلمون ليسوا بالأهمية التى تجعل أى مثل هذه المؤامرة أصلا ! العرب والمسلمون ليسوا بالأهمية التى تجعل اليوم ، ثم يقضى بقية يومه وكل الأيام مغتاظا يغلى يأكله الحقد وهو يحيك الدسائس ضد ما وصلوا إليه من تقدم أى أحد فى هذا العالم يستيقظ فى الصباح ليقول بم نتآمر عليهم اليوم ، ثم يقضى بقية يومه وكل شخص واحد فقط ، هو تشارلز داروين . عدا ذلك فكل يد الأيام مغتاظا يغلى يأكله الحقد فى العالم ممتدة لهم لانتشالهم من تخلفهم وفاقتهم ، وهم وهو يحيك الدسائس ضد ما وصلوا **يعضون تلك الأيادى طوال الوقت .**

إليه من تقدم وقدرة تقنية واقتصادية وحضارية وعلمية هائلة . لو كان ثمة أحد يتآمر على العرب والمسلمين فهو فى أقصى تقدير شخص واحد فقط ، هو تشارلز داروين . عدا ذلك فكل يد فى العالم ممتدة لهم لانتشالهم من تخلفهم وفاقتهم ، وهم يعضون تلك الأيادى طوال الوقت . تخيل ماذا سيحدث لو قرر نيتانياهو صباح الغد أن يجزم كل اليهود متاعهم ويعودون لروسيا وپولندا . سيخرج علينا من يقول إنها مؤامرة أكبر ، يريد أن يجرمنا من القشة الوحيدة التى توحدنا كعرب ، وأنها خطة مدبرة لإغراقنا فى مستنقع من الحروب الأهلية يرثون بعدها كل الأرض وحدهم !

باختصار : أنت حين تتعامل مع العقل العربى أو المسلم فأنت تتعامل مع عقل مريض ، تملؤه الوسواس والپارانويا ونزعة تدمير الغير وتدمير الذات ، محدود الأفق وتسيطر عليه بالكامل الخرافة الدينية ، هذا ناهيك عن الجهل بكل ما يجرى حوله فى الدنيا ، وأهم كل الأشياء التى تسد الطريق على أى أمل فى العلاج : الغباء المطلق !

...



The Content Question!

لماذا العودة لحدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ؟

هذه نقطة اعتبارية جدا من نقاط التاريخ ؟ لماذا ليست العودة لحدود مملكة داود أو مملكة سليمان ؟ لماذا ليست العودة لحدود الإمبراطورية الرومانية ؟ لماذا ليست على الأقل العودة لحدود ما قبل غزوة بدر ؟ مشكلة رؤيتنا للصراع الإسرائيلي-العربي ، أننا نتخيل أن الجانبين فيه متساويان كأنهما طرفا مباراة چنتلمان إنجليزية ، يمكن أن تفصل بينهما قرارات وقوانين صدرت على إحدى الموائد في نيو يورك أو چينيف .

كل المناقشات تدور حول صيغة الصراع ، ولا تجد أحدا أبدا يسأل سؤال المحتوى . بينما لو نظرت له على أنه صراع بين قوى حضارة وتحديث من جهة وقوى ظلام وتخلف من جهة أخرى ، فلعلك تسارع الآن للصرخ مدعورا هلعا : سارعوا فوراً إلى إبادة هؤلاء العرب والمسلمين قبل أن يهددوا حاضر ومستقبل كوكبنا ويعودوا بكل منجزاتنا العلمية والتقنية والفكرية قرونا القهقري ! إلى من يتخيلون العرب والمسلمون في مواجهة أميركا وإسرائيل هما طرفان يتحاربان على قدم المساواة ككل الحروب في التاريخ ، للمرة الألف السؤال هو سؤال المحتوى .

المعادون لإسرائيل في منطقتنا يتحدثون كثيرا عن الاحتلال ، ويقولون إنهم يقاومون الاحتلال كما ديجول ، ويعتقدون أنهم بهذا يكسبون تعاطف الغرب . المدهش أن الغرب لا يعطى أذنا صاغية بالمرّة لكلام كهذا . السبب ببساطة أن هذه ليست الحالة التي يقاس عليها ، ومن ثم لا يؤيد تلقائيا من ' اغتصبت ' أرضه . الإجابة كالعادة تكمن في التقنية ، وليس فيما يسمى حقوقا . الفارق التقني بين ألمانيا وفرنسا ليس نفس الفارق بين إسرائيل وسوريا مثلا (لا أحد يتعاطف ناهيك أن يحترم دولة دخلت حربا جوية سنة ١٩٨٢ كانت نتيجتها ٧٩ / صفر !) .



The Content Question, Again!

الحالة الصالحة للقياس هي حالة البيض والهنود الحمر . حالة الفارق الشاسع في التقنية . وهي قضية لها أحد حلين لا ثالث لهما : إما أن يتخلى المتخلف عن تخلفه ، ويقبل الاحتلال الحضارى لأرضه ويتفاعل معه تفاعلا إيجابيا ، وإما المواجهة التي تنتهى بالإبادة ، وليس أى بديل آخر . لا حلول وسط هنا . الأسوأ من هذا أن كل الحالات المشابهة فى التاريخ تقول إن المتخلف فى هذه الوضعية يكون على درجة من التخلف والفجوة الحضارية بحيث يصعب عليه تمثل الحل الثانى ، ومن ثم يرفع راية الجهاد باسم الثقافة والتراث والهوية ضد كل تحديث .

لا بد بمنتهى الحزم إذن التمييز بين

احتلال متخلف تقنيا وحضاريا كاحتلال العرب والتتار للعالم القديم (ومؤخرا احتلال سوريا للبنان) الذى يرجع عجلة التاريخ والتقنية للوراء ، وبين احتلال متقدم تقنيا كاحتلال الإنسان الأبيض لأميركا بقارتيتها وأستراليا وجنوب القارة الإفريقية (ومؤخرا الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية) الذى يدفع التاريخ والتقنية للأمام . التقدم لن يتجمد بقرار ، وقانون يالتا والمعروف تدليلا باسم القانون الدولى الذى لا يميز بين هذين النوعين من الإحتلال لن يستمر طويلا فى توقعنا المتواضع . كل هذا دع جانبا جدلية من يقولون لك إن الاحتلال هو سر كل البلاء ، لو انقشع الاحتلال الإسرائيلى عن أراضى ١٩٦٧ لانتهدت كل المشاكل بيننا وبيننا إسرائيل ، بل بيننا وبين أنفسنا . لن نسأل من أتى بالاحتلال أصلا ، أليس عبد الناصر وإغلاق المضائق ومن قبله ما سمي بالفدائيين أو حتى رفض قرار التقسيم . سنقول لك ما هو أفدح : نحن لن نستغنى عن هذا الاحتلال أصلا . لو انزاح لشاكسناهم من جديد حتى نعيده ، ذلك أننا لا نجيد شيئا آخر غير الشكوى وإلقاء بكاهل فشلنا الاقتصادى والتنموى على شماعة غير ، عدو ، ما !

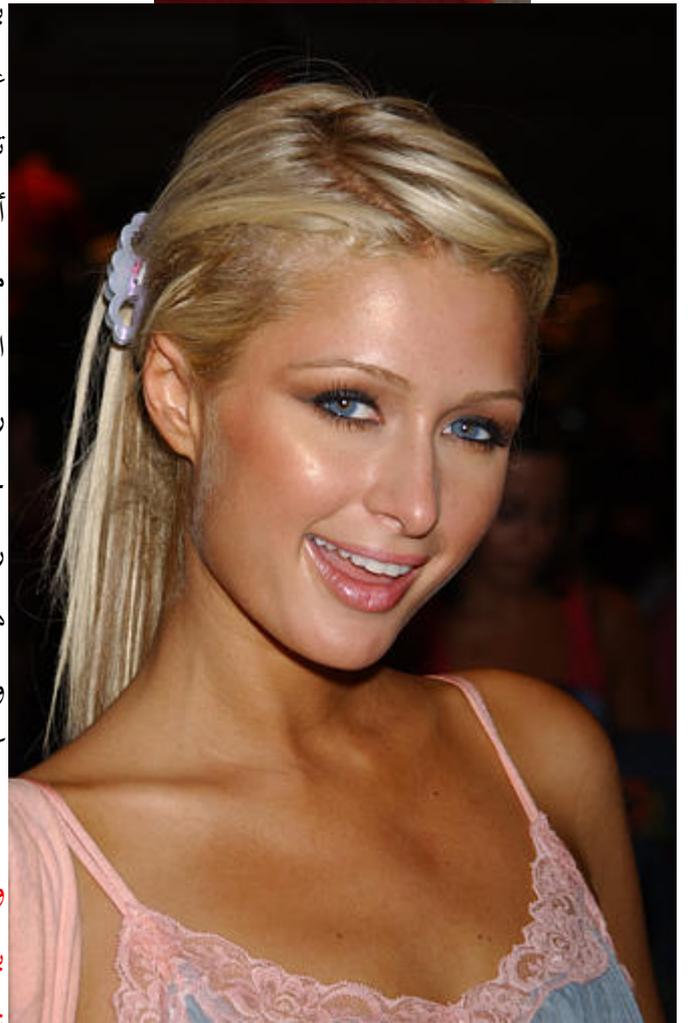
مع ذلك هذه ليست دعوة لليأس وإغلاق الباب ، بل دعوة للفهم والانفتاح ، والأمل سيظل موجودا حتى آخر لحظة سابقة على الإبادة الخيار الوحيد أمام الحضارة للتعامل مع الشعوب المتخلفة التي تهزم لكن ترفض أن تستسلم معترفة بالهزيمة والتخلف وخطأ توجهاتها السابقة ، والعاقلة هو من لا يكرر تجارب التاريخ .

إذن لماذا ليست العودة لحدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ؟

دعك من أننا أساتذة المعايير المزدوجة نرفض ١٩٤٨ و١٩٦٧ ونتمسك بغزوة بدر ، ودعك من أن كل هذا الذى نخوضه فى الأمم المتحدة أو فى الإعلام هو حروب كلامية محضه وليس إلا ، فالإجابة هى : لأن التاريخ يتقدم ، ولأنه يجب أن يتقدم !

إن بناء إسرائيل لا يزيد من حيث الشبهه عن بناء أعلى بنايات القاهرة (فندق الرمسيس هيلتون ، نحو ٤٥ طابقا) على أنقاض عشش حى ماسبيرو . تثور حوله المعارك ثم تنتصر الحضارة فى خاتمة المطاف (ما يدعونى دوما لهذا الربط أن السادات أدار هذه المعركة فى نفس الوقت التى أدار فيه معركة مصر من أجل السلام فى أواخر السبعينيات !) . وفى النهاية لو فهم البدائيون أن التقدم فى مصطلحتهم يصبحون راضين وسعداء فى خاتمة المطاف . هذا ما حدث بالفعل مع حرفى ماسبيرو الذين انتزعت أراضيهم ، ولم يعد أحد ممن رفعوا حناجرهم كسياسيين معارضين أو كمشقفين يريد اليوم هدم الرمسيس هيلتون ، أو إعادة هؤلاء من مساكنهم وورشهم الجديدة فى مدن السلام والعبور والنهضة أو أيا ما كانت .

بالمثل بالضبط علينا نحن العرب أن نستشعر أن فى قوة وازدهار إسرائيل منفعة لنا ولننطقنا . علينا رعاية مسيرة بدأت فى ١٨٧٠ بأول مدرسة للزراعة فى المنطقة بل وفى نصف الكرة الشرقى كله فى يافا (كان اسمها مكثيه إسرائيل Mikveh Israel School - أى معمودية أو بركة مياه أو



Rich and Infamous —or: The Many Things That Conrad Hilton Invented:

'Transition from Filthy Rich to Just Plain Filthy!'

أمل إسرائيل ، وأصبحت فيما بعد نواة لكل الحياة العلمية والاقتصادية الإسرائيلية — هنا ستجد بعض تفصيلات عن تأسيسها ، كذلك عثرت هنا على ذكريات يهودى مصرى أسهمت أسرته فى هذه المدرسة وغيرها من المؤسسات العلمية المبكرة فى البلاد العربية) .

مسيرة تصاعدت لدرجة أنهم يقولون فيها تباها إنّه حين أعلنت دولتهم سنة ١٩٤٨ كانت البنية العلمية كلها جاهزة سلفا (!) . وطبعا يقصدون أيضا تلك المؤسسة القائمة بالفعل فى رحوبوت (البلدة الزاهرة التى أنشأها يهود وارسو سنة ١٨٩٠ باسمها القديم الوارد فى سفر التكوين ٢٦ : ٢٢) ، المؤسسة القائمة منذ ١٩٣٤ ، تحمل الاسم ذا السمعة العالمية ، معهد وايزمان . ليس فقط كمعهد هائل الريادة العلمية عالميا ، وإن لم يكن من قبلها ، فعلى الأقل هى شهرة مرموقة منذ توسعه بتبرعات هائلة من يهود أميركا منذ ١٩٤٤ عرفانا شخصا لصاحبه ، بل أيضا شهرة أنه اسم أول رئيس لدولتهم ، والأهم منه والأسبق أنه اسم عالم الكيمياء الذى قيل إن اختراعاته فى بريطانيا هى التى حسمت نهاية الحرب العالمية الأولى بكاملها ، وكانت المكافأة التى قدمت له عن استحقاق وجدارة هى وعد بلفور ، أعظم وعد لتعمير أسوأ منطقة فى العالم . المسيرة التى تواصلت إلى اليوم حتى وصلت لأعلى نسبة للأبحاث العلمية بالنسبة لعدد السكان فى العالم (١.٨ ضعف الولايات المتحدة) .

إن حضارة من هذا النوع لماذا ليست العودة لحدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ؟ الإجابة :
شئ لا يمكن احتواؤه ، ويخطئ لأن التاريخ يتقدم ، ولأنه يجب أن يتقدم ! اليهود بنوا فى العرب خطأ انتحاريا إن اعتقدوا فلسطين أول مدرسة للزراعة فى نصف الكرة الشرقى سنة ١٨٧٠ ، وأسسوا معهد وايزمان للتقنيات الفائقة سنة ١٩٣٤ ، أو كما يقولون كانت البنية العلمية لدولتهم جاهزة بالفعل قبل إعلانها كدولة . نعم ، إسرائيل هى أجمل حدث شهدته منطقة الشرق الأوسط فى تاريخها كله . إنها أشبه بوردة أنبتت فى مقلب للقمامة . إسرائيل هى قوة الحضارة أن نفوت هذه الفرصة النادرة ، والعرب هم الهنود الحمر . ويخطئ من يتصور أن بالإمكان ولعل أقل ما يمكن أن نفعله من احتواء الحضارة !

أجل هذا أن نقبل استضافة عرب ١٩٤٨ بالعى التحلف عندنا ، أو بإبدالهم بسكان بعض المستوطنات فى الضفة وغزة ، بدلا من تركهم يخنقون من الداخل تلك البؤرة الوليدة بتكاثرهم الفاحش .

ببساطة : إسرائيل هى أجمل حدث شهدته منطقة الشرق الأوسط فى تاريخها المنكوب إختاتونيا كله . ودورنا هو الدفاع عن هذه الجدوة الحضارية ورعايتها بأى ثمن ، كما وردة أنبتت فى مقلب للقمامة فكان لا بد من تنظيف المكان كله حتى يتاح لها النماء !

[ذكرى شخصية : هذه العبارة الأخيرة تحديدا الخاصة بالورد ، أغضبت منى إحدى الصديقات الناقدات السينمائيات بجريدة يومية مسائية ، لأكثر من عشر سنوات بعد أن قتلها لها فى حوالى سنة ١٩٨٨ . الطريف أنها كانت فى إحدى قاعات الاحتفالات فى فندق سميراميس أثناء مهرجان القاهرة السينمائى ، وهو مبنى شاق آخر قريب من الفندق المذكور وكان بناؤه معركة أيضا لكن ضد المثقفين فقط ، حيث كان هدفهم الحفاظ على الفندق

القديم ، بينما كان بيزنس السياحة يتوسع بسرعة ولا يحتمل مثل هذا الترف . أضيف هذا بعد أن عادت علاقتي
ودية مؤخرا في منتصف العام ١٩٩٩ مع الصديقة الناقدة . الفارق أن المكان هذه المرة هو عروض سينمائية
خاصة لأفلام أميركية جديدة في -خمن المكان : الرمسيس هيلتون ! [.

...



World Elite, Unite!

لا يجب أن ننسى للحظة أن هذا هو ما يجب أن تبنى عليه انجازاتنا وتحالفاتنا : التقدم والمصلحة والتنمية والازدهار
والسوق وليس الثأر من أعداء الماضي أو بناء الانحياز على أساس الدين أو القومية إلى آخره من أمور الكرامة والقبلية
والرجعية ، وتلك هي فائدة إسرائيل واليمين الإسرائيلي في تصورنا المتواضع .

يا نخبة العالم اتحدوا !
ومن يدري فرما يكون هذا الحلف الإقليمي نواة مستقبلا لحلم أكبر هو
حلف حضارى عالمى يقسم العالم لأول مرة بالطريقة الصحيحة : التقدم ضد
التخلف ، الاستعقاد ضد البداءة ، العلم ضد الدين ، العقل ضد الانفعال ، التقنية ضد الغرور الإنسانى ، أو بكلمة
قبول المستقبل ضد التشبث بالماضى ، ويجعل مهمته بوضوح تخليص الكوكب من بؤر التخلف ومقاومة النهوض
والتطور ، ويرفع لأول مرة الشعار الذى حلم به كل الفلاسفة لكن لم يجاهروا به قط ، شعار لا ينبع من تحريك الغرائز
وجلوبة الحقد الطبقي والكراهية والتحريض على نطاق العالم ، بل من أعمال العقل وروح المادة معا والأهم منها استناده
الدائم والمتواصل على حقائق العلم وموضوعية المعارف الجينية ، شعار النخبوية حين تستند على العلم ، شعار : يا
نخبة العالم اتحدوا !

[تابع تحديثا لأطروحة الحلف الحضارى الجديد تاليا لهذا الكلام بخمس سنوات في صفحة الإبادة . مثلها
بعض التوسع لاحقا في فكرة النخبوية العلمية (وإن كنا لا نذكر أن كنا قد قصدنا أو لم نقصد في حينه أن يكون

مقابلا لشعار الاشتراكية العلمية) ذلك من خلال مدخل مطول عن العرقية (العنصرية) في ذات صفحة الثقافة هذه] .

إشكالياتنا فيما يتعلق بالصراع مع إسرائيل لا حصر لها ، لكن فكرة الجدوة الحضارية تطرح علينا مناقشة واحدة من أبرز أسوأها . إنها طبيعة فهمنا للعلاقة بين إسرائيل وأميركا ، لا سيما وأنا نبني الكثير جدا من الخطط والآمال على كسب أميركا إلى جانبنا ، تارة بالضغط وتارة بالتلويح بالمصالح ، ودائما بنتيجة تساوى الصفر المطلق .

إن علاقة الأميركيين بإسرائيل أعمق من **ليس للخبرة ولا النقود ولا النفوذ ولا الإعلام ولا** كل المصالح الآنية استراتيجية أو بيزنسية أو حتى التعاطف الإنساني مع اليهود علاقة بالأمر . أيا ما كانت . الأميركيون صنعوا تاريخهم **المهم المحتوى ، محتوى العرب ومحتوى إسرائيل .** وبلدهم من خلال المفهوم المسمى الجبهة **من أنت ؟ هل ذهبت للقمر أم لا زلت بعد تسير على** frontier . منذ زمن استقرت حدود الدولة **الأرض ؟ كون إسرائيل جبهة حضارية هو حلم كل** الأميركية ، لكن لم تنضو فكرة الجبهة أبدا ، **أميركي بالتواصل مع كفاح أجداده لإنشاء أميركا . إنه** بساطة اللوبي الصهيوني الحقيقي الذي يحاربنا **هناك .** ولا يزالون يجترونها مثلا من خلال أفلام

الويسترن التي تكاد ترقى لنوع من الأيقونة

القومية المقدسة . ومؤخرا -وعلى نحو مفاجئ- بالكامل تقريبا - حقق فيلم ' الرقص مع الذئاب ' نجاحا جماهيريا ساحقا كما اكتسح جوائز الأوسكار ، ذلك في وقت بات معتقدا فيه أن أفلام الويسترن قد ولى عصرها كفن جماهيري . إذا علمت أن ' الجبهة ' في هذا الفيلم يفتحها بكاملها رجل واحد بمفرده ، ستدرك ساعتها كم هو عميق ومتغلغل مفهوم الجبهة في التراث الفكرى للغرب .



The Content Question, Always!

الجبهة هي الصورة الغائبة للفتح الحضارى ، والولاء للتحديث شيء جذرى فى العقلية الأميركية ، وإسرائيل التى تتوسع فى أرض الهنود الخطرة ، هى ذلك الحلم بالجبهة القابعة هناك فى العقل الباطن الأمريكى ، وهى كفاح الأجداد لإنشاء أميركا وتوسيعها لتصبح أعظم وأقوى أمة فى تاريخ البشرية . ببساطة وبلا موارد ، لن يسمع الأميركيون لنا أبدا إلا لو وجدونا أعلى تقنية وأكثر حداثة من إسرائيل . بعبارة أخرى : ليس للخبرة ولا النقود ولا النفوذ ولا الإعلام ولا التعاطف

الإنسانى مع اليهود علاقة بالأمر ، المهم المحتوى ، محتوانا ومحتواهم ، من أنت ؟ هل ذهبت للقمر أم لا زلت بعد تسير على الأرض ؟

باختصار : مفهوم الجبهة الحضارية هو اللوبي الصهيوني الحقيقي الذى يحاربنا داخل أميركا !

...

انطلاقا من هذه الحقيقة نفسها ، أى كون المهم المحتوى ، علينا فى الواقع ما هو أبعد ، علينا أن ننسى شيئا اسمه **الشرعية الدولية** . فالأمور لا تحسب بعد أصوات الجمعية العامة للأمم المتحدة أو بعد سكان الدول التى تمثلها ، إنما تحسب بالنتائج الداجن لتلك الأمم . تمثل الولايات المتحدة ثلث الاقتصاد العالمى مع ذلك فهى مجرد صوت واحد من بين قرابة ٢٠٠ دولة عضو فى الأمم المتحدة وواحدة من خمس دول لها جميعا حق الفيتو سواء بسواء . **أميركا ثلث** اقتصاد العالم ولها صوت واحد ، وبقية الـ G7 الثلث الآخر ولها ستة أصوات ، وبقية العالم الأول نصف الثلث الأخير المتبقى وله نحو ثلاثين صوتا . أى أن سدس اقتصاد العالم ممثلا فى العالمين الثانى والثالث يملك خمسة أسداس أصوات الأمم المتحدة ، أى أكثر من ١٥٠ صوتا من بينها اثنان حق فيتو للصين وروسيا بإمكانهما إجهاض أى شىء ! بل خذ فقط على سبيل المثال ولاية كاليفورنيا التى ليست إلا مجرد جزء من خمسين جزء من ذلك الصوت الواحد المشار إليه . هذه الولاية تسهم وحدها فى الاقتصاد الإنسانى بأكثر من ١٠٠ دولة تحظى كل منها بصوت متبجح العلو فى هذه المنظمة . أية عدالة بل قل أى ظلم هذا الذى تصل نسبته إلى ٥٠٠٠ : ١ أو نصف مليون بالمائة ، وأية شرعية يمكن الحديث عنها هنا (ثم يحدثونك عن المعايير المزدوجة) ؟ ! (على صعيد الأفراد يمكن أيضا أن تسقط كل تحفظات المرء على مفهوم مثل الديمقراطية نفسه إذا ما أعيد تعريفه من أصوات متساوية لأشخاص متساوين بحق المولد لا أكثر إلى أصوات متساوية للأشخاص بحق الناتج الاقتصادى ، مع كل ما ينطوى عليه هذا من ترجمة للذكاء والقدرات والاجتهاد ... إلخ) .

بهذه المعايير ذات
المائتى عضو كاريكاتورى
لما يجب أن يسمى
' منظمة الأمم المعدمة'
اليالئية الاشتراكية المتحدة
(المعروفة اختصارا باسم
الأمم المتحدة) ، بينما
كاليفورنيا لا صوت لها ،
لم تكن الشرعية الدولية
فى صفنا قط . تغالبنى
الرغبة فى هذه اللحظة فى
تسميتها شرعية ترانزستورية



A State Is Born!

(ربما إيجاء باطنيا لأننا كنا للتو بصدد الحديث عن اليابان !) ، لولا أن ثمة خطأين فى التسمية ، الترانزستور يقوم بأداء نفس الوظائف التى تقوم بها الأشياء الأكبر وربما بكفاءة أفضل ، ثانيا نحن لسنا بصغار إنما كيانات ضخمة شديدة

الترهل بها بلايين من البشر عديمي الجدوى . هذه ليست شرعية دولية ، هذه شرعية الأصفار ، حتى لا يميزون بين الأصفار الكبيرة والأصفار الصغيرة . هذه التي قد تسمى بالعامية القوالب نامت والأصفار قامت ، ليست حتى ديمقراطية أصفار ، بل تحديدا : ديكتاتورية الأصفار الأصغر ، هذا لو لاحظت مثلا أن أحدا لم يتلاعب بكامل هيئات منظمة الأمم المتحدة قدر تلاعب مندوب فلسطين التي هي ليست حتى دولة من الأصل !

وبعد ، لا يملك المرء سوى **نتمسك ونفرح بسبيل قرارات منظمة الأمم المعدمة اليالنية الإعجاب** بقدرة شخص مثل **الاشتراكية المتحدة** (المعروفة اختصارا باسم الأمم **السيد ياسر عرفات** على تذكر كل المتحدة) ، وننسى أنها نفسها منظمة للحرب الباردة لا تلك الأرقام التي تحملها تلك أكثر ، وسوف تحل قريبا . أميركا ثلث اقتصاد العالم ولها صوت واحد ، بينما سدس اقتصاد العالم ممثلا في العالمين القرارات ، ناهيك بالطبع عن **الثاني والثالث يملك خمسة أسداس الأصوات** ، أى أكثر من الإعجاب بإصراره على الحصول **١٥٠ صوتا** من بينها اثنان حق فيتو للصين وروسيا بإمكانهما على المزيد والمزيد منها رغم أنها لن **إجهاض أى شيء** . بل خذ فقط على سبيل المثال ولاية تنفذ قط (دع جانبا أن أيا منا لا **كاليفورنيا التي ليست إلا مجرد جزء من خمسين جزء من يكاد يدفع شيئا في ميزانية الأمم ذلك الصوت الواحد المشار إليه** ، بينما تسهم وحدها في المتحدة أى أن أميركا تدفع الفاتورة **الاقتصاد الإنسانى بأكثر من ١٠٠ دولة تحظى كل منها ونحصل نحن على القرارات** ، **بصوت متبجح العلو في هذه المنظمة** . هذه ليست شرعية دولية ، **هذه شرعية الأصفار** . هذه ليست حتى ديمقراطية أصفار ، بل ديكتاتورية الأصفار الأصغر !

المتحدة المالية بدأت لأول مرة بسبب قوات حفظ السلام التي أوجدتها القرارات التالية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ والتي سمحت لمصر بفك حصار الجيش الثالث وفي نهاية المطاف إعادة فتح قناة السويس وكذلك بعودة إسرائيل لحدود ما قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ في الجولان !) . أيضا لا يجب أن يغيب عن البال هنا أن هذه الشرعية الدولية (أو : **شرعية يالتا في التسمية الأدق** ، وإن كان من المشكوك فيه أن الكثيرين يعلمون حتى أن يالتا هذه تقع في أوكرانيا !) ، ليست شيئا متسقا مع نفسه ناهيك عن أن تكون قانونا مقدسا مؤبدا ، فقرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ يختلف عن قرار تقسيمها سنة ١٩٤٨ ، والقراران معا اللذان أقرتا بوجود دولة يهودية وأخرى عربية يختلفان عن القرار ١٩٤ الذي يعيد اللاجئين ، وهو يعنى ببساطة أن تكون الدولتان عربيتين ، فقط مع تسمية واحدة إسرائيل والأخرى فلسطين . كل هذا وذاك كان نتيجة الظروف السياسية الآنية والتي منعت هذا القيتو أو ذاك . أما إسرائيل نفسها ، والحق يقال ، ولها الحق فيما تقول ، فلم تشعر للحظة واحدة بأى امتتنان لتلك المنظمة اليالنية . فالواقع أن قرارى التقسيم جاء ، ونحن من الإجماع العالمى باستثناء بريطانيا التي تعلم بحكم المعاشية مدى إيجابية المشروع الصهيونى وحدائه فكر أصحابه ، والاتحاد السوفيتى الذى بحكم الأحلام يراهن على تحول إسرائيل لدولة شيوعية ، جاء أساسا لمحاصرة الدولة اليهودية ولاسترضاء الأسر المالكة العربية ، وكانت أميركا على رأس هؤلاء توجسا من خطر الشيوعية ، ويقال إن ترومان لم يعترف بإسرائيل إلا عندما شحت موارد حملته الانتخابية .

إذن الشرعية الدولية غالبا ما تكون شيئا لا يمكن أخذه دائما على محمل الجد دائما ، وفي نهاية المطاف هي قانون كأي قانون ، ما يخصه هو فقط البحث عن التكييف القانوني للأشياء ، ولا يعنى بالمحتوى أو الحقيقة أو حتى العدالة . وفي حالة فلسطين مثلا هي مفتوحة لكافة الاحتمالات القانونية ، ويمكن المحاجة بأى شىء قديم أو جديد ، بدءا من التواريخ التوراتية ورسومات الآثار ، حتى أن هذه هي أرض اللا أحد ، حين تركت ما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ دون أن تتقدم أية دولة لإدعاء السيادة عليها ، ومن ثم يكون احتلال إسرائيل لها لا غبار عليه بالمرّة من الناحية القانونية ، تماما كما احتلال أرض القطب الجنوبي أو أرض القمر أو المريخ . وواقعيا لا قيمة جدية للدفع التي ذكرناها لصالح الاحتلال الإسرائيلي ، تماما كما أن طبعا لا قيمة للدفع العكسية السافلة حول الأرض التي يقدمها زعماء العرب والفلسطينيين كل يوم دون أن تقنع أحدا في العالم الغربي ، أو حتى العربي . فالمهم ليست هذه ولا تلك ، ولا قيمة حتى لمفهوم السيادة نفسه ، إنما المهم أرض الواقع : على الأرض من المتقدم ومن المتخلف . هذا ما يحدد الحقوق . للأول الحقوق كل الحقوق ، ولالثاني الهزيمة والوبال والانقراض . بعبارة أخرى : لا قيمة من حيث الأصل لأية دفع قانونية عندما يكون طرفا الصراع متقدم ومتخلف .

لو سألتني هل القدس عربية أم إسرائيلية ، سأجيبك فقط بالشق الذي يهمنى شخصا من الأمر ، أن أجدها نظيفة منظمة يوم أفكر في زيارتها . أنت لن تذهب للشهر العقارى لمعرفة أى من الإسرائيليين أو الفلسطينيين هو الذى على حق . أنت تحكم عليهما بمعايير التقدم والتخلف والمنفعة العامة للكوكب . هذا إذن من حيث المحتوى ، من أنت ؟ ، الذى هو بالأساس يترجم لعلاقات قوة ، ومن ثم للعدالة المطلقة والأسمى تماما ، عدالة القانون الطبيعي . وعامة لا يمكن فيها تخيل أن قرارا أو وضعاً يستمر شرعيا لأكثر من سنوات قليلة ، إن لم يكن شهورا أو أحيانا أسابيعا ويسقط تلقائيا بالتقادم في ظل عالمنا سريع التغير .

الأمم المتحدة نفسها - كنتاج لموازن القوى لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية- شىء تجاوزه التاريخ . هي منظمة للحرب الباردة لا أكثر ، هذه هي بنيتها وذلك هو نظامها ، واحتمالات تفكيكها قريبا أكبر بمراحل من احتمالات استمرارها . المشكلة فقط أن هذا مما لا يسهل فهمه لدى العقلية الستاتية التي سبق وأشرنا إليها ، وربما لا يزيد عن كونه جزءا من سيكولوجية تقديس النصوص القديمة وإعلائها فوق كل حقائق الواقع والاعتبارات العملية . باختصار ، الدول نوعان : دول تنادى بتطبيق القانون الدولي ، ودول تعيد كتابته عندما لا يعجبها . هذا هو مصدر سوء الفهم المزمّن بين العرب وإسرائيل !

لذا لعل من حق المرء أن يدهش كيف غابت فكرة وقتية شرعية تلك ، عن أستاذ مخضرم في العلوم السياسية مثل الدكتور بطرس بطرس غالى أول من تولى منصب السكرتير العام للأمم المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة وسقوط المعسكر الاشتراكي . فبدلا من أن يجعل مهمته الأولى محاولة إعادة كتابة قانون يالتا بأخر جديد كلية ، ينهى عصر الفيتو الخماسى والعضوية المتساوية كل من هب ودب ، ويترجم حقائق القطب الواحد الجديدة (علما بالطبع أن القواعد الجديدة لن تكون مؤبدة أو مقدسة بدورها) ، فإنه راح بدلا من هذا يناضل من أجل تجميد الأوضاع القديمة وتكريسها باعتبارها شيئا مقدسا . ولا غرابة بالمرّة بعد ذلك أن فقد منصبه في أقرب فرصة ! ببساطة إن الشرعية الدولية هي شرعية

بقدر تعبيرها عن موازين القدرة العالمية عشية الحرب الثانية ، وغير شرعية بقدر كوننا الآن في سنة ١٩٩٦ وليس ١٩٤٥ .

علينا إذن قبل أى شىء آخر ، أن نكف عن ترديد المبدأ المضحك القائل **لو أخذنا مقولة عدم جواز** بـ **'عدم جواز اكتساب الأراضي بالقوة'** الذى لا يثير سوى سخرية العالم **احتلال أراضى الغير بالقوة** منا لا تعاطفه معنا كما نتوهم ، والذى لو طبق بحذافيره لكان معناه شيئاً على **محمل الجذ ، لكان** واحداً هو أن يعود كل كوكب الأرض لسكانه الأصليين : **البكتيريا ! علينا جميعاً إخلاء الأرض** (ناهيك عن أنه يثير علامة استفهام كبرى حول الوجود الإسلامى فى العالم **وإعادتها للبكتيريا !**)

كله ، وليس فى فلسطين فقط . أو بمناسبة المعايير المزدوجة والشهر العقارى معا لو أنت طبقت أطروحة الشهر العقارى على لبنان لوجدته ملكاً للمسيحيين وعلى الباقين ممن احتلوه بالجزو أو بالهجرة أو بالتكاثر الفاحش أن يرحلوا عنه أو على الأقل تسلب منهم فيه حقوق المواطنة) . ثم من قال إن من احتل أرضاً يجب أن ينسحب منها لأنها ملك غيره ؟ هذا يكون صحيحاً فى حالة واحدة فقط هو استسلامه لها بلا حرب أو مجهود ، لكنه طالما دخل حرباً من أجلها فيعتبر قد سدد ثمنها بالفعل مالا ودماء ، وعلى من يريد استرجاعها أن يرد الثمن للمالك الجديد أو أن يدفع مثله من دمه وماله .

للأسف فيما يسمى 'قوانين' دولية أشياء عجيبة أخرى كثيرة كهذه اخترعها الإنسان (بدعاوى مثل العدالة أو المساواة أو حتى أحياناً باسم التحضر) ، ليناقض بها قوانين الطبيعة (الشىء الوحيد الجدير بكلمة قوانين بمعنى أنها تسرى على كل زمان وكل مكان) ، ولا يمكن للمرء تخيل أن ستنتج أبداً على المدى الطويل ، لأنها ببساطة لوى قسرى لحقائق ثبت رسوخها لبلايين السنين ، والواجب ألا ننسى أبداً فى نظمنا السياسية أو الاقتصادية أو حتى الاجتماعية والثقافية ، استلهاهم روح الطبيعة القائمة على إطلاق التنافس الحر حتى آخر الحدود الممكنة فهو وحده قاطرة التقدم .

ما نقصده أنه طبقاً لكل التاريخ فإنه ما **لو عرف الضعفاء بضعفهم لما نشبت الحروب** أن يفقد أحدهم أرضه بسبب رعونته أو أبداً ! **فى قول آخر : لو عرف الأغبياء بغبائهم لما** ضعفه فإنه لم يحدث قط أن استعادها مجانا . **نشبت الحروب أبداً ! على أن هذا كله لا يمكنه أن** العرب هم الحالة الوحيدة التى تريد استعادة **ينفى الحقيقة الأكثر قاعدية تماماً : الحروب تقتل** أرضها بإلقاء الخطب فى صحف بلادها **البشر وتنمى التقنية ولا يوجد إطلاقاً شىء أفضل من** هذا لأى كوكب . **فى الواقع آخر شىء أرضنا فى** وإراقة الحبر على أوراق الأمم المتحدة . **حاجة إليه هو جائزة نوبل للسلام ، نحن فى حاجة** الحقيقة باختصار أنه **لو عرف الضعفاء لجائزة لأفضل حرب !**

بضعفهم لما نشبت الحروب أبداً . وهذا

يقودنا لمقولة مضحكة أخرى فى قانون يالتا ، هى **'ضرورة حل جميع الخلافات بالطرق السلمية'** . هذه المرة ندعو كل العالم للتخلص منها ، ليس حباً منا للحروب ، إنما رغبة فى قليل من احترام الطبيعة وأحد أبسط قوانينها القاعدية ! على أن المدهش هنا أن هذا كله لا يمكنه أن ينفى الحقيقة الأكثر قاعدية تماماً : الحروب تقتل البشر وتنمى التقنية ولا يوجد

إطلاقاً شيء أفضل من هذا لأى كوكب . فى الواقع آخر شيء أرضنا فى حاجة إليه هو جائزة نوبل للسلام ، نحن فى حاجة لجائزة لأفضل حرب !

[فى أواخر سنة ٢٠٠٠ استجد فى منطقتنا برهان جديد على هذا يتمثل فى حكم إيهود باراك فى إسرائيل الذى بدأ يندر بوصول المنطقة لكارثة شاملة . فقد شجعت تنازلاته المتواصلة للفلسطينيين على مزيد من التشدد منهم ، وعودتهم للتفكير فى دولة ، بل وفى حق العودة ، بل وحتى إلى لجوئهم للعنف . لم يعد الأمر مجرد مسألة تقدم وتخلف أو رفاه اقتصادى للفلسطينيين ، بل بات يندر بحرب واسعة النطاق ستذهب ضحيتها قبل أى أحد آخر الدول التى اختارت طريق السلام وبدأت مسيرة التنمية فعلا . إن الطريق الأكثر أمنا وخيرا للجميع هو دوما تعزيز التقدم كخيار ستراتيغى للشعوب ، ناهيك بالطبع عن ضرورة إقناع الضعفاء بضعفهم بدلا من تشجيعهم على شن الحرب] .

[مقاطعة طريفة بتاريخ ١١ أبريل ٢٠٠١ قد يجبها منا عشاق كرة القدم والسجلات القياسية عامة : حطمت أستراليا السجل القياسى للأهداف فى تاريخ كرة القدم بفوزها اليوم على ساموا الأمريكية ٣١ / صفر ، والسجل السابق مسجل باسمها نفسها قبل ٤٨ ساعة فقط بفوزها ٢٢ / صفر على تونجا ، أما السجلات السابقة فكانت لصالح الكويت ضد بوتان ٢٠ / صفر فى مباريات الكبار الدولية ككل ، ولصالح إيران ضد جوام ١٩ / صفر فى مسابقة كأس العالم وتصفياتها . من بين ال ٣١ هدفا سجل اللاعب آرشى تومپسون ١٣ هدفا حطم بها سجلا كاد يظل خالدا قرنا كاملا وهو للاعب الدمرى سيوهاس نييلسون ضد فرنسا سنة ١٩٠٨ . ما أردنا قوله أن ساموا وتونجا وبوتان وجوام كلها أعضاء فى الأمم المتحدة ومنظماتها ولجانها أو ما نسميه نحن العرب الشرعية الدولية ، وهى عضوية مطلقة الأهلية تساوى بالضبط عضوية الصين أو أميركا . الفارق الوحيد أنه لا يوجد فى مهزلة الأمم المتحدة حكم يطلق صافرة النهاية] .



Archie Thompson

على نحو قاعدى لا يجب أن يغيب عنا إن القانون الدولى فى التحليل الأخير ما هو إلا شيء يكتبه البشر لترجمة حقائق توازن القوى فى لحظة تاريخية ما ، وأنه فى أى لحظة القوة هى المرجعية الوحيدة لتحديد ما هو شرعى وما هو غير شرعى . إننا نعيش الآن بقانون دولى مهترئ اسمه قانون يالتا ، تمت كتابته بعيد الحرب العالمية الثانية فى ظل موازين قوى بالغة الاختلاف ، والقرارات التى تتمحك فيها نحن العرب هى قرارات قديمة للغاية تجاوزتها موازين القوى الإقليمية والدولية بمراحل ، وأقل ما يمكن أن يناقش حاليا عن الأمم المتحدة ليس طرق ودرجات تنفيذها للشرعية الدولية وهى القضية التى يشغل العرب مثلا أنفسهم بها دائما ، إنما ما يجب أن يناقش هو شيء واحد : هل هى نفسها فى ظل موازين القوى الحالية فى العالم ما زالت منظمة شرعية أم أنها منظمة خارجة على القوانين .

من ينظر لصورة يالتا الشهيرة ربما يعتقد أن القانون الدولى الحالى هو من بنات أفكار عظماء مثل تشرشل . نظرة سريعة للواقع تقول إن ذلك القانون وتلك المنظمة الدولية وصلا بالضبط لما كان يدور فى ذهن ستالين أثناء التقاط الصورة : تحويل كل العالم لأهمية شيوعية !

لقد كانت الشرعية الدولية ' شرعية ' سنة ١٩٤٥ ، والآن لم تعد كذلك ، بل هى خروج على الشرعية ، على الأقل جدا منذ سقوط ركن أساس من كتبوها وهو الاتحاد السوفيتى ، ومن نظام القدرتين العظميين والقدرات الخمس النووية

...إلخ . والطبيعي البحث عن شرعية جديدة تنهى حقبة شرعية يالتا ، شرعية تنبى على ترتيب عالمى جديد يتناسب مع واقع وجود قدرة واحدة ، أى نظام للجلوب لا يوزع ما يسمى بالسيادة على كل من هب ودب هنا وهناك ، إنما أقرب لنظام دولة واحدة ذات حكومة واحدة مركزية ، تضبط الأمور وتتكفل بوضع وقيادة رؤية مستقبلية شاملة لكل العالم . والأهم أن هذا كله تطور طبيعى يجب الترحيب به ، لأنه يعنى مرحلة جديدة من نضج واستعداد كياننا الكوكبى وآلياته التقنية والاقتصادية والإنتاجية ، بل وكل شىء فيه . أو كما قلنا قبل قليل لقد نضج الكوكب وأصبح كائنا واحدا تربطه شبكة أعصاب واحدة مشتركة ممثلة فى شبكة خيوط الكيول تحت الأرض والبحر وقفص الساتيليت المحيط بالأرض ، واللذان تتسابقان فى نقل البيانات الحاسوبية وصور التليفزيون والمكالمات الخليوية ...إلخ ، هذا فضلا عن تعقد وتشابك العملية الإنتاجية ، بحيث يكاد يستحيل القول أن ثم منتج قومى أو محلى بمعنى الكلمة مهما صغر شأنه .



Look Who's Standing up There!

ما هى الأمم المتحدة إلا نسخة أكبر حجما من جامعة الدول العربية ؟ مجرد عدد هائل من الدول الأصغار ومن البيروقراطيين عديمى الكفاءة ، إلا فى قبض المرتبات والتفنن فى محاربة ذوى الكفاءات الحققة المحترفين من

الأميركيين وشركاتهم ومؤسساتهم وما شابه . بصراحة أكبر يالتا وقوانينها ومنظمتها البائسة المذكورة ، ليست مجرد منظمة عاجزة أو مفتقدة للكفاءة فقط ، إنما هى منظومة سياسية شيوعية متكاملة بكل معنى الكلمة ، أن لها أن تنتهى ويحل محلها ترتيب عالمى جديد قائم على المنافسة ولا شىء إلا المنافسة .

إن الوقت قد حان لإعادة كتابة قانون يالتا الذى يفضل البعض تسميته بالقانون الدولى ، وهى ضرورة منطقية بل وملحة ، بعد نهاية الحرب الباردة وانحيار الترتيب الدولى International Order ثنائى القطبية خماسى القيتو ، القديم الذى أفرزته الحرب العالمية الثانية .

إن الأمم المتحدة لن ترتقى أبدا عن مستوى العبث ولعب العيال ، إلا إذا سحب حق التصويت من ٩٠ ٪ على الأقل من أعضاء جمعيتها العامة (ممن دخلوا أصلا فى غفلة من الزمن) ، وجعلتهم لا يتجاوزون مستوى المراقب . وسحب القيتو من أصحابه الحاليين فى مجلس الأمن ليصبح حقا لسلطة مركزية واحدة هى الولايات المتحدة ، بحكم

كونها الأقوى اقتصاديا والأجدر عسكريا بضبط السلم العالمى . وبالطبع طرد فرنسا عميل التخلف العالمى ، وأصل كل كوارث العالم منذ الثورة الفرنسية ، بالكامل من العضوية الدائمة لمجلس الأمن ، أو حتى من عضوية المنظمة ككل . وإن ظل الاشتغال بفكرة الأعضاء الدائمين واردا ، فليكن ذلك للقوى الاقتصادية الخمس الأكبر فى العالم ، أيا ما كانت أسماءهم فى اللحظة المعطاة ، ومع سحب حق التصويت بالطبع من العضوية الدورية غير الدائمة للمجلس ، والاكتفاء بوضعية المراقب لهم .

المطلوب حكومة مركزية واحدة لكل العالم ، هذا هو أقصى ما يمكن عمله لترقيع الأمم و' بينة ' بقية الدول الحالية فيه . أليس من المتحدة ، مؤقتا . إذ يظل فى جميع الأحوال المدهش كلية أن أميركا نادرا ما تفكر فى التصديق من الأفضل تماما على المجرى الأبعد تفجير على اليابان فى أى مكان فى العالم رغم أنها ثانيا الأمم المتحدة برمتها وبناء ترتيب عالمى جديد أكبر اقتصاد فيه ، ومنافسها الأول بلا منازع ، بينما من الصفر ، ينقض كل ما جاءت به موازين تنمر لكل علاقة لأوروبا أو روسيا أو الصين مع إيران ١٩٤٥ ، ويترجم موازين القوى الحالية بعد أو ليبيا أو العراق ، وتعتبرها ضربا تحت الحزام ؟ أليس ذلك الحكم المركزى طبيعيا لا لمجرد أن قانون الأرض لمن يستعمرها يعطى المجتمعات الصناعية الباردة ، والتي للأسف نسى كليتون إرسال المتقدمة الحق فى امتلاك منابع البترول عبر العالم ، وثيقة الاستسلام فيها للطرف الآخر إنما لأن النقود فى يد العرب والمسلمين تتحول لتوقيعها . وبالتالي ها هى تضيع السنة تلو لدعوة دينية وجهاد وقطع طريق وهجرة وغزو الأخرى من عمر العالم المفتقد كلية للقيادة وقرصنة ؟

الحازمة ، أو بمصطلحات البرنامج الانتخابى للديمقراطى كليتون يسير بقيادة جماعية ، والمفارقة غير المدهشة أنه مصطلح مأخوذ من أدبيات الحكم السوقيى الفاشل .

ما فائدة أن يحارب الغرب الشيوعية ثم يتشيع هو ؟ نعم ، حان الوقت لتقنين مفاهيم جديدة بالكامل لا يعترف بها ولا يتصورها القانون الحالى . أو بعبارة أخرى : ما فائدة أن يحارب الغرب الشيوعية ثم يتشيع هو ؟

لقد حان -وبكل ما تعنيه الكلمة من حرقة- حان الوقت لترتيب عالمى World Order ، بمعنى جلوبى وجديد ولا يعرف مفهوم الدولة ولا السيادة ولا منع التدخل ، يحل محل الترتيب الحالى ' الدولى ' International Order . بصياغة أوضح : الأمم المتحدة قامت من أجل تصفية الاستعمار ، بينما المطلوب الآن هو تصفية الاستقلال (أى ما يسمى بالجلوبة) .

الأمم المتحدة قامت من أجل تصفية الاستعمار ، بينما استسلام المتمردين الشيوعيين وتحرير نصف الدنيا من قبضتهم ، وأساسا لأن المطلوب الآن هو تصفية التقنية جعلت عالمنا أصغر من أن يحتمل حكومات متعددة . حان الوقت لأن تضطلع قبيلة ما بدور العاصمة والجيش والشرطة ووزارة الاستقلال !

التخطيط لهذه الدولة الجديدة جلوية الاتساع . وعدم تحقيق هذا يشبه بالضبط أن يقهر الملك مينا النصف الآخر للدنيا شمالى النيل ويجفل عن الإعلان عن تأسيس حكومة مركزية موحدة .

حان الوقت لنزع السلطات السياسية والعسكرية عن حكام الأقاليم والمحليات (المعروفة سابقا باسم الدول) ، وتركيز سلطاتهم (كما المحليات الحالية) فى التنمية الاقتصادية لشعوبهم ، طبعاً بما يتماشى مع السياسة الاقتصادية الجلوية ، وطبعاً طبعاً دون محاولة إبداء رأى فيما يخص السلطة السياسية المركزية للدولة فى الترتيب الحالى . أو بعبارة أخرى المطلوب هو ' اليبنة ' Japanization ، أى تسييد النموذج اليابانى على كل العالم ، تحديدا كنموذج تمسك بصرامة بهذه الأهداف والسلوكيات ولم يلعب ألعاباً رخيصة قط ، كالتى تلجأ لها مثلاً أوروبا والصين وروسيا أحياناً لكسب بعض الأرباح الاقتصادية من بوابة السياسة ، ذلك بمغازلة الريبجيمات الناشز هنا وهناك . أليس من المدهش كلية أن أميركا نادراً ما تفكر فى التضييق على اليابان فى أى مكان فى العالم رغم أنها ثانياً أكبر اقتصاد فيه ، ومنافسها الأول بلا منازع ، بينما تتمر بشراسة لكل علاقة لأوروبا أو روسيا أو الصين مع إيران أو ليبيا أو العراق مثلاً ، وتعتبرها ضرباً تحت الحزام ؟ أليس ذلك الحكم المركزى طبيعياً لا لمجرد أن قانون الأرض لمن يستعمرها يعطى المجتمعات الصناعية المتقدمة الحق فى امتلاك منابع البترول عبر العالم ، إنما لأن النقود فى يد العرب والمسلمين تتحول لدعوة دينية وجهاد مسلح وغير مسلح وقطع طريق وهجرة وغزو وقرصنة لبلاد المتقدمين القاصية أو حتى أحياناً للبحران أبناء ذات الجلدة ؟

للأسف هذا هو الشئ الوحيد الذى يستوى فيه ' العلمانيون ' (فرضاً) أمثال معمر ' لوكيربى ' القذافى وصدام ' أم المعمارك ' حسين ، مع الأخوان المسلمين وبعض شيوخ البترول !

حان الوقت لإفعال نظام مركزى للتدقيق المحاسبى ، يمنع فساد حكام الأقاليم والمحليات (المعروفة سابقاً باسم الدول) . وأميركا التى لا تكاد تعرف حكومتها الصغيرة الكفاء شيئاً اسمه الفساد أو الرشوة ، هى المرشحة الأولى لمثل هذه المهمة أيضاً .

حان الوقت لتقنين احتلال الشعوب لبعضها البعض ، لوقف الشلل الحالى للتوسع الحضارى بسبب مفهوم السيادة الذى فرضته قوانين ١٩٤٥ ، ميراثاً بالياً عن فكرة الدولة القومية من القرن الثامن عشر ، بل بالأحرى من مينا الأول أيضاً .

حان الوقت لشطب كلمات مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان من القاموس الدولى ، وإحلالها بمصطلحات لا إنسانية اقتصادية وتقنية محضة ، ذات معايير علمية واضحة خاصة بالأداء والكفاءة فى استثمار الموارد .

حان الوقت لأن لا تعلق كلمة فيه فوق كلمة المنافسة ، تلك التى أجهضتها وكتبته وأساءت لسمعتها يالتا شيوعية التوجهات مفرزة كل تلك الدول مدقعة الفقر عالية الصوت . ولحسن الحظ أن لدينا بالفعل الآن منظمة جديدة اسمها منظمة التداول العالمى WTO كأول منظمة عالمية (وليس الدولية -لاحظ الاسم ، حيث لا شئ اسمه دول فى عالم الغد القريب !) ولدت مستقلة بعيداً عن عباءة يالتا المسماة الأمم المتحدة ، وتحمل قيماً تخالف الجوهر الاشتراكى لهذه الأخيرة مخالفة مطلقة وجذرية (و فقط ما نأمل فيه أن لا تفرغها يوماً كل تلك الغالبية الكاسحة من الدول الصفرية التى تدافعت لعضويتها دون قناعة حقيقية بمفهوم المنافسة من قيمها الدستورية الأساس) .

يجب إنهاء عصر الشرعية الدولية وإحلال الشرعية الدولية ، بما يتناسب مع معايير الأداء لهذا الشعب أو ذاك . ترسيم ذو فحوى العالمية محلها ، شرعية لا اقتصادية وكفائية محضة ، وخالى من أية مدلولات سياسية ، فسياسيا العالم تعرف الدول إنما العالم ككائن سيصبح كتلة سياسية واحدة بقيادة مركزية واحدة .

بيولوجى واحد لا يقبل التجزئة . بل لا نبالغ إن قلنا إن الوقت قد حان -الآن مع إقبال عشية الألفية الجديدة وليس بعد عشرين أو خمسين سنة- لتقنين إبادة بعض أو كل

قطاعات العرق البشرى ، إذا ثبت أنها تشكل عقبة فى سبيل النمو الحضارى التقنى للكوكب ، ومن ثم إسناد سلطة إدارة الكوكب للكائنات الأكثر ذكاء سيليكونية كانت أو كربونية (قضية سبق أن عالجناها تفصيلا فى كتابنا من عام ١٩٨٩ حضارة ما بعد-الإنسان) . هذه على نحو عام الصورة المحتملة للقانون الدولى فى القرن القادم .

[تابع تحديثنا لهذه المعالجة لمسألة الترتيب العالمى الجديد فى صفحة الإبادة . وعمامة تابع الموضوع ككل فى صفحة الجلوبة ، بدءا من دراستها الرئيسة التى عمقت من خلال نظرة أكثر قاعدية تستلهم قوانين الفيزياء والرياضيات والديناميات الحرارية والبيولوجيا وما إليها ، لا فقط فكرة الحاجة لتحويل الكوكب لكيونة واحدة (الجلوبة أو الإمبريالية) ، إنما مجمل الإمبريالية - الديكتاتورية - الاحتكار ، كتالوث واحد هو النظام الأعلى كفاءة فى الأداء على وجه الإطلاق . ومما جاء فيها مثلا ذلك التشبيه بأن العالم القبائلى القديم كان مجموعة من الكائنات وحيدة الخلية لا تفاعل يذكر بينها . بينما عالم الدول الصغيرة والأحزاب الصغيرة والشركات الصغيرة فى القرون الأخيرة كائن طحلي متعدد الخلايا لكن لا تخصص فيه . وأن حان الآن -كما أشرنا- وقت تحول الكوكب لمتعضية واحدة كبيرة مستعقدة متخصصة الأعضاء ذات عقل قائد وحيد مركزى . وأن الديمقراطية والاقتصاد التنافسى المفتت ، اللذين قيل إنهما يمثلان نهاية التاريخ ، هما تحديدا أبرز مخلفات مجتمعات البداءة التى حان وقت الخلاص منها !] .

ما رأيناه على الصعيد الثقافى يتكرر بصورة طبق الأصل تقريبا سياسيا . فمثلما يعجب المرء من صراخنا الدائم حول الغزو الثقافى وبالتالى ما يسمى فقدان الهوية وانعدام الولاء بينما يرى أن من يحق له مثل هذا هو من نتهمهم بمثل هذا الغزو وهو الأمريكيون بالذات . فهؤلاء بلدهم مفتوح بل مستباح بالكامل لكل من هب ودب . ثقافيا هو بلد لا يضع قيودا من أى نوع على أى منتج ثقافى . وبالمثل فالولاء يكاد يكون مزدوجا لأغلب السكان سياسيا وليس ثقافيا فقط ، فهو بلد مستباح بالكامل سياسيا والقانون نفسه يقنن هذا الولاء المزدوج من خلال ما يسمى نظام التلويب lobbying فى الهيئات التشريعية وإمكانية الضغط علنا لصالح البلاد الأجنبية ، بينما بالطبع يعاقب مثل هذا بالإعدام فى أغلب بلاد العالم بتهمة اسمها الخيانة العظمى . على الأقل : هل سمعت أبدا أميركا تشكو ذات مرة من أن أحدا تدخل فى ' شعونها الداخلية ' (مجرد سؤال آخر نوجهه لم يقولون لك صباحا ومساء الكيل بمكيالين) .

[لا شك أنك أيضا تذكر تليفزيونيا صورة المواطنين الأمريكيين الذين يهتفون بالفداء بالروح والدم لرئيس مصر

أمام البيت الأبيض ذلك أنهم من أصول مصرية . أيضا لا تنس أن هذا هو البلد الوحيد الذى يمكن مواطنيه من

حرق علمه دوغما أدنى مسألة ، بل وتحدى ما يقوله القانون المستحدث خصيصا لتجريم حرق العلم !]

...

إن أميركا هي أعظم مثال حي على **لم يعد هناك مفهوم مطلق اسمه السيادة . مستواك** تلاشى مفهوم ' **السيادة القومية** ' الذى قام التقنى هو فقط الذى يحدد سيادتك واستقلالك عليه التشريع الدولى لما بعد الحرب العالمية وكرامتك الوطنية وكل شىء فى السلم الطبقي الثانية ، هل سمعت أبدا أميركا تتهم أحدا **للسعوب . وهذا هو قمة العدل فى أى ترتيب عالمى ، يأتي بديلا للترتيب ' الدولى ' الحالى .**

عجب أنها البلد الوحيد الذى ترفع دائما هذه التهمة فى وجهه حتى فى عالم الجلووية الصريحة الراهن . رغم أن التدخل الأمريكى ليس دائما فى الاتجاه الصحيح لا سيما عندما ينطلق من مجرد شعارات جوفاء كالديموقراطية وحقوق الإنسان وليس من مصالح اقتصادية لا نفاق فيها لأى من الشعبين الأمريكى أو الآخر المعنى بالتدخل ، إلا أن ذلك السلوك القنفدى لا يزيد فى أغلب الحالات عن كونه إحدى البارانويات التقليدية لدى الشعوب المتخلفة المدعورة أو لدى بعض الحكام الفاسدين . فى الأعم أيضا أن لا يكون التدخل الأمريكى يمثل السوء الذى تنم عنه شعاراته ، فالموقف الأمريكى عادة ما يكون أنضج من الناحية العملية من مجرد ما يقوله من كلام معلن ، ومثال هذا دعمه الحيوى لتجربة تشيلى الكبرى فى التحديث فى السبعينيات والثمانينيات بقيادة الجنرال بينوتشيت ، والتى وقفت الاستخبارات المركزية وكل الحكومة الأمريكية تقريبا وراءها بقوة رغم أن الوثائق الرسمية تقول أنها طالما عارضت حالات ' انتهاك حقوق الإنسان ' !

من هنا يتضح أن الحقيقة الأرجح هي أن **الانتماء** - ونقصد انتماء الفرد **انتماء الفرد حاليا لنفسه** العادى غير المسيس - ربما انحصر من الناحية العملية منذ زمن طويل قبل **وللجلوب فقط . وفيما عدا** دعوات الجلوب المعاصرة فى انتمائه لذاته وللإنسانية (وفى موقفى الشخصى **عند المتخلفين سقطت كل** لذاته وللوكوب ، كما بينت فى كتابي حضارة ما بعد-الإنسان) . لكننا نرى **الانتماءات الوسيطة : الأسرة ،** هنا الحاجة لوقفه مفصلة قليلا مع فكرة الانتماء ككل وتحديد الانتماءات **المدينة ، الطبقة ، الوطن ،** الوسيطة أى تلك غير انتماء الفرد لذاته وللإنسانية . والحقيقة الأبعد أن **القومية ، الأمة الدينية .**

مفهوم الوطنية كان دائما أبدا محل مطارق الجميع : القوميون جعلونا نكرهها ونؤمن بالقومية العربية ، الشيوعيون طالبونا بتركها لحساب الأمية الاشتراكية ، الإسلاميون جعلوها من المحرمات الشرعية إذا ما جاء ذكر اسم أمة الإسلام . بخلاف الوطن والقومية والدين والطبقة ، ما بقى فى دنيا **الانتماءات الوسيطة الخمس** الانتماء الوسيط الخامس وهو الانتماء الأسرى وهو أكثر بيولوجية وپراجماتية من أن يرفع أى شعارات لكنه يظل بدوره انتماء تداعى بشدة منذ الستينيات وتحرر الشباب وانهييار مؤسسة الزواج . بمعنى آخر فإن للجميع أجندة غير وطنية ، **والوطنية فتاة لقيطة** أو ' المملطشة ' التى لا تجد من يلتفت إليها سوى النصابين والنشالين الطامحين للارتزاق بها وليس إلا . ومن رفعوا شعار الوطنية هم فقط مرتزقة انتهازيون وجدوا فيها طريقا للنفوذ والثراء من شاكلة سعد زغلول والطابور الطويل اللاحق له عندنا . وسنعود لاحقا للمزيد حول ما تودى إليه الوطنية من كوارث يكاد يرقى بها لمستوى الجريمة فى حق الذات قبل أن تكون فى حق الغير ، ذلك من خلال مثال تطبيقى هو مصر . فقط عند هذه النقطة نقول إنه إذا كان للوطنية من ميزة وحيدة فى عصر نتحدث فيه عن توحيد العالم فى دولة واحدة أو ما شابهه ، فهى أنها -أى الوطنية- تمنع من وقوع ما هو أسوأ ،

تمنع الانتكاس للوراء في التاريخ ، أى تفكك الدول الحالية لأرض للعصابات والميليشيات والطوائف ، على غرار لبنان والصومال .

[فى ١٨ أغسطس ١٩٩٩ بعيد انتخاب الرئيس الجزائرى **عبد العزيز بوتفليقة** لمنصب الرئاسة بقليل استضافه التلفزيون المصرى فى لقاء طويل من خلال المضيف المخضرم حمدى قنديل . قرب نهاية الحديث سأل ضيفه سؤالاً بدا تقليدياً للغاية وينتظر له إجابة بديهية للغاية أيضاً ، وكل المطلوب من الرئيس الجديد أن يؤكد أنها لا سيما وأنه الوقت المناسب جداً لشخص مقبل على امتحان المسؤولية الصعب . السؤال البرئ كان عن مكان الشباب فى وزارته المحتملة ، والواضح أن ما دفع حمدى قنديل لطرح السؤال أن بوتفليقة نفسه يتمتع بالكثير من صفات الشباب ليس فقط من حيث تمرده وصراحته الأقرب للمثقف منه لسياسى ناهيك عن وزير خارجية ممتد الخدمة ، بل وأيضاً من تجواله ونفيه الاختيارى بعد ذلك والأقرب للصلعكة والهيبية ربما . وكان واضحاً أن قنديل يريد إعطائه الفرصة لتأكيد هذا من جديد فى نفسه ، على الأقل لتأكيد تعاطف ذلك القطاع الهائل من جيل الشباب معه . رغم كل هذه التوقعات المفروغ منها ربما لدرجة أن ربما بدا السؤال للبعض روتينياً ومملاً ، جاءت إجابة عبد العزيز بوتفليقة بأقل ما يمكن به الوصف : صاعقة . قال ببساطة ومباشرة وبلا أى مقدمات إنه **لا يثق فى وطنية الشباب** ، وإنه سيختار كل وزارته من الكهول ممن خاضوا حرب التحرير لأن جميع الشباب الجزائرى لا ولاء عنده إلا لفرنسا وللغرب -نعم هكذا وبالحرّف الواحد ! المهم أن الصدمة أخذت بحمدى قنديل وهو شخصية زاعقة القومية والوطنية بطبعها بحيث فاته أن يسأل عما قد يحدث بعد ١٠ سنوات مثلاً عندما يرحل كل كهول حرب التحرير ولا يبقى فى الأوطان سوى شبابها الخونة ؟ !] .

الوطنية-العروبة-الشيوعية-الإسلام
هذا لا ينفى أن حملة كل الشعارات الأخرى هم بالمثل من الأيديولوجيات الأربع التى تسابقت على تحقيق النكبة تلو الأخرى للشعوب العربية ، ليست إلا البنى الفوقية للتخلف العميق المتأصل فى الشعوب نفسها ، والأهم أن لم يحدث أن أخذت أبداً موقفاً جذرياً من التخلف ، بل استغلته **دوماً فى صفها !**

الانتماءات ، ألا وهو الانتماء للمدينة . وبكفيك الذهاب

لمباراة لكرة القدم لتكتشف هذا بنفسك ، ناهيك عن أثر المدينة الظاهر فى الحالة الاقتصادية للفرد ، والذى لا يقل أحياناً كثيرة عن أثر الهجرة لدولة أخرى . أيضاً هناك **انتماء سابع شبه مندر** هو الانتماء للحى ، وطبعاً قصة الحى الغربى ، أو حكايات فتوات نجيب محفوظ ، هى مجرد آثار خالدة لكم من الدماء كانت تراق باسمه !) .

الوحيد الصادق ربما بين كل من احتقروا الولاء الوطنى هو زوربا اليونانى . ولا ريب أن كثيراً من الإنسانين الذين تساموا فوق كل الانتماءات الضيقة والحافلة بالتناقضات كانوا هم وحدهم فى تلك المعمة الذين يحملون أجنحة نبيلة ، لكن هذه الورقة ليست ممن أصحاب الأجنحة الإنسانية وترى أن الوقت قد حان لأن يتسامى الفكر الكوكبى فوق كلمة الإنسانية الضيقة هى الأخرى ، ولذا مما أسعده دون شك أن رأى راية الجلوبة وقد انتقلت أخيراً ولأول مرة لغير

الرومانسيين الإنسانيين وانتهازي الطبقات الدنيا معا ، وأصبح الرأسماليون من أنصار الاقتصاد الحر هم المطالبين بالجلوبة وإلغاء الانتماءات الوسيطة برمتها (حتى في عالمنا العربي ها هي بوارد توحدهم تظهر وتتنامي ضد الجوهر المتخلف لكافة الانتماءات الوسيطة ، والتي كانت وراء كل النكبات ، ونصيرة للعمق المتخلف رغم كل ما لديها من ديماجوجية خطابية) . الفارق أن لا انتهازية ولا نفاق هنا ، إنما مبادئ علمية وعملية تقوّلها كتب الاقتصاد والبيولوجيا والهندسة . فنحن شخصا لا نؤمن حتى بذلك الانتماء للإنسانية ونستبدله بالانتماء للكوكب ذلك الكيان الأوسع والأبقى والذي لن يقف تطوره -ومن ثم تطور مفاهيم كالعلم وكالتطور نفسه والتي بالتبعية تستحق في حد ذاتها الولاء لها وإعلاءها فوق أى انتماء آخر- لن يقف عند عتبة عشيرة بيولوجية species واحدة رديئة الصنع اسمها الإنسانية ، لكن هذه قصة أخرى .

بنفس المنطلق نجد الديماجوجية الوطنية ليست أكثر سوءا من وهم آخر **لا يوجد شيء اسمه** رائج في صفوف النخبة العربية التي تعتبر نفسها تقدمية و'متحضرة' وهو أن **شعوب** . **يوجد فقط** يطالبوا أبناءنا بمسايرة عصر الساتيليت والإنترنت... إلخ ، ثم يعيرون عليهم **معرضون** ، **إما يدفونها** في ذات أن حلت الهوية الجلوية محل **الانتماء** الوطني أو القومي لديهم **للتقدم وإما للتخلف** .

(كلمة متحضرة بين قوسين فقط لأن تعريف الحضارة عندنا كما هو في كل التاريخ هو توليد التقنية) . وعلينا أن نضع نصب أعيننا أن قبول قسوة الواقع ومعطياته قد يكون أحيانا هو الانتصار الوحيد الممكن ، وأن مواصلة الصراخ هي استمرار في مزيد ومزيد من الخسارة . ولا يجب أن يغيب عنا كيف قبلت اليابان وألمانيا الاستسلام ببساطة ، فقط لتعيد بناء نفسها على نحو أفضل ، هو تحديدا أن غيرت عقولها بين عشية وضحاها لتطابق الفكر الذي جعل المنتصرين منتصرين (وكلمة 'أهلا بالمنتصرين' لا نخترعها ، بل نقتبسها عن إمبراطور اليابان في خطابه المشهود يومها) . إن التاريخ يحفل بقصص انتحار القادة لهزائم أقل كثيرا من تلك التي مر بها عبد الناصر في ١٩٦٧ أو الأسد في ١٩٧٣ أو ١٩٨٢ أو صدام حسين في ١٩٩١ ، أو كان على القذافي أو الترابي أن ينتحر لإنقاذ شعبه من الحصار والإذلال ، لكن لأن **قادتنا الأشاوس ليسوا قادة بل مجرد لوردات حرب لا يهمهم لو أيّدت شعوبهم عن كاملها ، فإنهم لا يستسلمون أبدا ، وقطعا لا يرد الانتحار عليهم ولو كمجرد خاطر** . أو بمعنى أدق لعلهم يفضلون الموت أحياء ، أو الأكثر دقة وصراحة أن هذا هو ما تريده شعوبهم بالضبط ، ومظاهرات 'المبايعة' التالية للهزائم أعظم دليل على المزاج السائد في أمة استمراء الهزيمة والشكوى المستمرة . ببساطة مؤسفة نحن لسنا بالساموراي أو حتى بالبشر العاديين ، بل فقط وبكل المتعة : **أمة من الزومبي . إننا أمة لا تجيد الانهزام وربما السبب أنها لم تعرف أبدا مذاق الانتصار !**

[حتى يوم ١٠ سبتمبر ٢٠٠٢ ، وبعد رفضه لعروض كليتون-باراك المذهلة ، وتدشينه لانتفاضة مسلحة مولها بالأموال الأوروبية والصدام حسينية ، ومن ثم هزيمة الحرب السادسة المنكرة ، وإعادة احتلال كل المدن الفلسطينية ، كان عرفات يقف أمام المجلس التشريعي الفلسطيني ، يقول إنه مسئول عن كل الأخطاء . كان المفروض أن يصيح فيه الأعضاء بصوت واحد : ولماذا إذن لم تنتحر حتى الآن ؟ هذا لم يحدث ، ولم يناقش أحد حقيقة أن الكوارث (يسمونها بالعربية 'أخطاء' كما ترى) تأتي وتجيئ ، لكن يظل الكرسي هو الثابت الوحيد ، الذي لا يتطرق له التفكير قط . أقصى ما حدث أن نُحِض أحد وزرائه السابقين واسمه نبيل عمرو ، وقال بتهذيب شديد ، نحن نريد منك أن تعين لنا أحدا نحاسبه إذا أخطأ ، اجعله رئيسا للوزراء . حتى هذه

بصراحة مرة أخيرة ، وقبل أن ندخل **منذ متى أمكن للعرب أن يتفقوا ؟ بل منذ متى** لصميم الحديث في الأوقاع الاقتصادية ، يجب **أمكن لأي متخلفين أن يتفقوا ؟ عند المتحضرين** أن نواجه الواقع إن شئنا التطلع للمستقبل ، **يمكنك أن تصل مع خصمك لتنازلات متبادلة ، من** ومن ثم نعتزف بأن **القومية العربية** لم تكن **خلال البيزنس أو الانتخابات أو أى شئ ، وأنت تعلم أنك ستكسب من خلال صداقته أو ثقتكما** يوما أكثر من شعار ديماجوجى انتهazy **المتبادلة ، وتعرف كيف تحقق هذا . هذه أشياء تفوق** تنازعت اختراعه دولتان وركبته ثالثة حتى قلب **الأفق المحدود للعقل القبلى أحادى البعد . الوحدة** الكارثة هى مصر البكباشى ناصر ، القرصان **العربية ممكنة لكن بعد أن يتحول الجميع للتفكير** الأكبر لكل العالم الثالث ، مع احترامنا **العقلانى التناموى البيزنسى ويهجرون الشعارات** بالطبع لما قلناه عن عقلية اللص الصغير . **تماما . بعبارة أصرح : الوحدة العربية ممكنة فقط بعد** وليس من عجب إذن أن تكون تلك الدولتين **أن تتحد كل دولة عربية على حدة مع إسرائيل !**

اللتين اخترعتا فكرة الوحدة العربية هما أعدى أعداء بعضهما البعض بين كل العرب . وطبعا لا أحد يتصور أن سوريا دخلت حرب تحرير الكويت لأنها دولة معتدلة ، حاشا للسماء ، كل ما هنالك أنها كانت فرصة عظيمة للنيل ممن ينازعونها حقوق الملكية الذهنية لفكرة القومية العربية وما يترتب عليها بالضرورة من مبدأ حق أصحابها المبعجلين في احتلال ونهب الدول العربية الأخرى الأكثر تقدما كالكويت ولبنان . **منذ متى أمكن للعرب أن يتفقوا ؟ بل منذ متى** **أمكن لأي متخلفين أن يتفقوا ؟ عند المتحضرين يمكنك أن تصل مع خصمك لتنازلات متبادلة ، من خلال البيزنس أو** الانتخابات أو أى شئ ، وأنت تعلم أنك ستكسب من خلال صداقته أو ثقتكما المتبادلة ، وتعرف كيف تحقق هذا . **هذه أشياء تفوق الأفق المحدود للعقل القبلى أحادى البعد . إن الوحدة العربية ممكنة لكن بعد أن يتحول الجميع للتفكير** العقلانى التناموى البيزنسى ويهجرون الشعارات تماما . وربما نصدمك عزيزى القارئ بهذا الرأى إلا أننا نتمثله حق اليقين ، وهو أن **الوحدة العربية ممكنة فقط بعد أن تتحد كل دولة عربية على حدة مع إسرائيل !**

لا اعتراض على أن تكون أية قطعة في العالم باستثناء روما ، أقصد مركز الحضارة ، مكونة من فسيفساء عرقى أو طائفى أو أى شئ . ما يسمى بالتنوع ليس مشكلة في حد ذاته طالما لا يتسلل للمركز ويعيق قدرته على القيادة وصفاء رؤيته . الصومال فسيفساء ، العراق فسيفساء ، لبنان فسيفساء ، الأسكندرية قبل ١٩٥٢ فسيفساء ، مصر برمتها ربما فسيفساء ، أى مكان . لا مشكلة ، هؤلاء يمكن أن توحدهم في كيان جميل ويمكن أن تحولهم لآتون حرب أهلية . هناك سبيل واحد لتوحيدهم ، وألف سبيل لتطاحنهم . سبيل التوحد الوحيد هو الاقتصاد ، لقمة العيش ، إرادة النماء . كل ما عدا ذلك -بما في ذلك ربما مجرد الكلام في الثقافة- سيتصاعد غائيا إلى حرب أهلية . المشكلة الحقيقية أن الشعوب ذات المكون الثقافى العالى ، شعوب ساموية (من السمو ومن السماء ومن العرق الساموى ، أيا ما كان) ، لا تقيم وزنا كبيرا للقمة العيش ، بعبارة أوجز : لا تقيم وزنا لما يسمى في الفلسفة بالمادية !

... وهكذا حان وقت الكلام المباشر في الاقتصاد !

٣- الأوقاع الاقتصادية :

يقولون إن ناصر وحد الأمة العربية -بفرض الصدع الكبير الأشهر في التاريخ المعاصر للعالم العربي وجود شيء بهذا الاسم فعلا- تحت قيادة هو بلا جدال الشق الذي صنعه عسكر يوليو (دعاة مصر ، والحقيقة أنه هو الذي فتتها مرة الوحدة العربية !) ، نقصد الشق ما بين النظم الملكية واحدة وللأبد ، وهو الذي أضاع القيادة من والريجيمات الجمهورية . حاولوا للوهلة الأولى الإيحاء يد مصر أيضا مرة واحدة وللأبد . فقد اختزلت هذه القيادة في مجرد البعد السياسي (الديماجوجي الرجعي المعادي لقوى الحضارة إقليميا وعالميا ، والذي لم يقبله الكثيرون فكان سبب ذلك الصدع العربي المخيف) ، ذلك بعد أن كانت مصر النابع من نسبها العائلي الديني . يقولون إن ناصر وحد الليبرالية تقود العرب قيادة ثقافية فكرية الأمة العربية -بفرض وجود شيء بهذا الاسم فعلا- تحت حضارية شاملة ومثيرة للفخر بمعنى الكلمة . قيادة مصر ، والحقيقة أنه هو الذي فتتها مرة واحدة

وللأبد ، بفرض أن هناك ما يسمى أصلا أمة عربية أو وطن عربي (شخصا فيما أكتب لا استخدم سوى مصطلحات مثل العالم العربي أو البلاد العربية أو الناطقة بالعربية باعتبارها تقريرية ومحايده لحد معقول ولا تنقل أو توحى بأى شيء خاص ، بالذات مما يتشدد به 'الوحدويون') . الأبعد في كذب تلك المقولة أنه هو -أى الكولونيل ناصر- الذي أضاع القيادة من يد مصر أيضا مرة واحدة وللأبد . فقد اختزلت هذه القيادة في مجرد البعد السياسي (ناهيك عن كونه بعدا ديماجوجيا رجعيا معاديا لقوى الحضارة إقليميا وعالميا ، ومن ثم لم يقبله الكثيرون فكان سبب ذلك الصدع المخيف) . بعد أن كانت مصر الليبرالية تقود العرب في النصف الأول للقرن العشرين قيادة ثقافية فكرية حضارية شاملة ومثيرة للفخر بمعنى الكلمة . وكانت مرشحة لآفاق هائلة مع المزيد من تطور تقنيات الاتصال كالسينما والراديو والتليفزيون والطباعة... إلخ ، فإذا بمصر -وبفضله- باتت بلدا مترهلا فقيرا مهزوما محطم المعنويات معادى للغرب يقاوم الخروج من مستنقع الاشتراكية ويتسابق في ذات الوقت إلى الأفكار السلفية . بل وأصبحت الفجوة الثقافية بينه وبين كثير من العرب فجوة عكسية ، لا سيما في التسعينيات الحالية .

مرت عقود هيمن عليها الصوت العالى للريجيمات القومية و / أو الاشتراكية ، ولم يكن للنظم الملكية سوى صوت خفيض للغاية . والأعجب أن لم يتغير هذا الوضع رغم أن ثبت بسرعة زيف تلك الحداثة والعلمانية التي تشدقت بها الريجيمات الجمهورية العربية (ربما باستثناء واحد هو الحبيب بورقيبة في تونس) . لكن كما تذكر مثلا ناصر عندما تملكه الملح في ١٩٥٦ ، أخرى في سرواله ، ألقى بالعلمانية عند أول ناصية ، وذهب للأزهر لعل صراخ المصلين يلهيه عن دوامة التفكير في حماقة ما أوقع فيه نفسه وأمتة التي وضعها بخبطة واحدة كقاطع طريق وكعدو لكل العالم بسرقة لا تحتمل التأويل اسمها تأميم قناة السويس . (الواقع أنه ما كان لينجو أبدا لولا سوء تقدير أنتوني إيدن للمكانة المتصاعدة لأميركا ، وعدم حرصه على تنسيق مواقفه معها) .

كان من الممكن للمعسكر الآخر حشد كلمات **ثبت بسرعة زيف تلك الحداثة والعلمانية** كثيرة على وزن كلمة **شرعية قريش** ، مثل **شرعية الطيش التي تشدقت بها الريحيمات الجمهورية** أو **شرعية الجيش** أو حتى **شرعية البطش أو النقش أو العربية** (ربما باستثناء واحد هو الحبيب النباش أو النعش أو الغش ، ويمكنك لو شئت إكمال **بورقية في تونس**) . لكن كما تذكر مثلاً نحو مائة كلمة سيئة المدلولات جميعاً ، كلها لبيان مدى **ديماجوجية ودموية** وتخلف الحكام الجدد من أبناء الطبقات الدنيا . تمر الأيام وتزداد الهوة الاقتصادية والحضارية ، وتتحول بلاد كبلدان الخليج بالغة الفقر وأمتها التي وضعها بخبطة واحدة كقاطع طريق والبداءة في إمكاناتها أو في وضعيتها الاجتماعية إلى **وكعدو لكل العالم بسرقة لا تحتمل التأويل** مجتمعات سريعة النمو تلهث وراء التحديث محطمة **اسمها تأميم قناة السويس** .

تقريباً كل القيود المورثة . ورغم أنه لا يمكن تبرئة هذه البلاد من كثير من الأخطاء ، أو تخيل أن شيئاً حضارياً يمكن أن يبرز في لحظة أو مرة واحدة وسط كل ركام وموروثات الماضي ، إلا أن المؤكد لأي منصف أن تلك النهضة تحققت بسرعة لم يكن ليحلم بها أحد ممن يعرف طبيعة مجتمعاتها ومعتقداتها قبل نصف قرن فقط مثلاً (**من الزاوية العلمانية وحدها في مقابل استسلام المثقفين والإعلام المصري** مثلاً أمام تصاعد المد الديني ، تزداد الأصوات العلمانية صلابة وعدداً وتبلورا في تصديها لهذا النوع من الابتزاز في كثير من الدول العربية المتدينة تقليدياً) . في المقابل كان لهاث ذوى الشعارات وراء شيء واحد : المزيد من الحروب ، المزيد من الهزائم ، ودائماً ما كانوا يجدون من الكلمات الجوفاء أغلبها عن البترول والثروة ، ما يمكنهم من مواصلة معركتهم ضد طواحين الهواء ، والتي الخاسر الوحيد أو على الأقل الأكبر فيها ، هو هم .

إذن لم يكن ذلك الشق التاريخي مجرد شق سياسى عابر أمكن تجاوزه ، بل شق حقيقى وعميق في العقلية العربية (**العربية في اشتقاق آخر** . هذا الاشتقاق الجيمى موجود أصلاً في العامية المصرية لوصف المهن كمكوجى وحزجى ... إلخ ، وبدورنا نقصد به الأيديولوجية حين تتحول لمهنة ، لكن لعل الوقع الداخلى الخاص له عندنا هو الجمع بين كلمة ما وكلمة تهييج ربما ، وطبعاً ستجدنا نستخدمه في كلمات مثل القومية والوحدانية والإسلامية والشيوعية ... إلخ . على أية حال ما يهمنا تقرير هنا أن استخدامنا له لو أوحى بنوع ما من التحقير ، فإن هذا ليس موجوداً دائماً في استخدامه المصرى العامى الأصلى [آخرون أخذوه لاحقاً عنا بتغيير حرف واحد من كلمة عربية أو ربما اخترعوه بأنفسهم ، ذلك إذ سمو أعداء السلام بالحرجية . الكلمة حققت بعض الشهرة ، وكنا بالطبع نود تبنيها لولا أننا للأسف من أنصار الحرب فعلاً ولا نرى سواها بديلاً للقضاء على ، جبهة الرفض العربية-الإيرانية] . نعم ، لقد تم شق العقلية نفسها لشقين ، واحد يعبر عن منظور تقدمى اقتصادى حضارى تنموى متكامل أيديولوجياً ، في مواجهة منظور رجعى ديماجوجى متخلف شرعيته الوحيد هى الميكروفون .

مع كل التحفظات الواجبة أن فكرة القومية العربية كما اخترعها الملازم لورانس في مطلع القرن كانت شيئاً تقدمياً نبيلاً الهدف منه إسقاط الخلافة الإسلامية الرذيلة في تركيا ، أما وقد استنفذت غرضها الأصلى الذى اخترعها من أجله ضابط

الاستخبارات البريطاني فلم يكن يتخيل أحد بمن فيهم هو نفسه ، أن هناك من يمكن أن يأخذها على محمل الجد من أمثال ميشيل عفلق وجمال عبد الناصر ، ناهيك أن تنقلب بفضلهم شيئا رجعيا هداما مارقا على كل الحضارة الإنسانية ، ومن ثم تتماهى على نحو عبقرى وشديد الفعالية في الأصول الجينية ' للأمة ' التي هي القرصنة وقطع الطريق (نترك لك التأمل في مفارقة أن في نفس الوقت تقريبا الذى اخترع فيه لورانس مفهوم القومية العربية أسس كمال أتاتورك مفهوم القومية التركية ، لكن شتان بين الطريق الموحد الذى سارت فيه الأولى إلى الفاقة والظلام ومعاداة كل الدنيا ، وبين منهج التحديث والتصالح والانخراط الكامل مع بقية الحضارة الإنسانية في حالة الثانية) . إن فكرة الأمة القومية اختراع أوروبى ناسب شعوب نضجت ببطء حثيث في عصور اقطاع تليدة ، ولا تناسب بالمرّة قبائل ما قبل الإقطاع كشعوبنا العربية ، حيث الدولة نفسها فكرة غير مفهومة . ولا مانع بالمرّة أن يقسم العالم كله من الآن فصاعدا لا إلى كيانات مصطنعة تسمى دولا إنما إلى مجموعات إثنية [حددها لاحقا وارين كريستوفر سكرتير دولة كلينتون بعدد مقترح مذهل : خمسة آلاف ! أيضا لاحقا صارت من الواضح أكثر ما هو مفهوم الدولة لدى العقل العربى والمسلم ، في الصومال وأفغانستان والعراق وغزة والجنوب اللبنانى ناهيك برامج الأخوان المسلمين في مصر ، دولة لا مظهر ولا وظيفة لها أكثر من أن الصدقات للاقتصاد والفتوات للأمن] ، هذه كيانات ذات عمق أكثر واقعية ومادية ، لأن البيئة الثقافية لمجموعة بشرية ما لا يمكن أن تكون شيئا مصطنعا ، بل هي خير معبر عن العمق الجيني الحقيقى لهذه المجموعة أو تلك من البشر . ثم بعد ذلك لينخرط كل هؤلاء في ظل عالم واحد موحد بقيادة الأمة الأعلى تقنية فيه . المهم ، ولندع التاريخ جانبا (هل يمكننا حقا وهو الذى أورثنا لعنتنا الجينية ؟ !) ، المهم أنه اليوم في عقد التسعينيات باتت لحظة الحقيقة أوضح تماما من أية لحظة سابقة ، وأن لم تعد ثمة شرعية للحكم لا بقريش ولا بالطيش ، فقط هناك شرعية واحدة ، شرعية الناتج الداخن الإجمالى ، شرعية الحداثة ، أو بذلك الميزان اللغوى المأثور : شرعية العيش !

لا مهانة أشد من الفقر . مع ذلك إذن السؤال الكبير هو كيف نقهر كل تلك الديماجوجية هو الشئ الوحيد الذى لا يجرح والشعاراتية ، التي لا تزال تطل برأسها ، رغم ما أشرنا إليه من الكرامة العربية مفردة الحساسية . اقتناع عالمى كاسح في عالم ما بعد الحرب الباردة بأن الاقتصاد التنمية لم -وربما لن- تكون في ذهنه والتحديث هما الحرب الوحيدة الآن . انطلاقا من الحديث السابق أبدا لأن هذا الذهن مشغول بمعارك في الأوقاع السياسية ، وإن لم يكن الكلام موجها بالضرورة هذه أخرى تماما !

المرّة للأشقاء الفلسطينيين وحدهم ، نقول إننا نتباهى بالشرف والكرامة وما إليها وننسى أن لا مهانة أشد من الفقر ، واخترعنا كدفاع نفسى مضاد عبارة الفقر موش عيب . لا نريد القول بأن العقل العربى عقل بائس بطبعه أو لأسباب جينية ، التنمية لم -وربما لن- تكون في ذهنه أبدا لأن هذا الذهن مشغول بمعارك أخرى تماما . فقط نقول كبداية أساس للغاية ومبدئية للغاية ، أن نحاول -طبعا باستخدام السلطة القهرية للدولة ، إن لم يكن للاحتلال أو ما شابه ، ولا تعول على المثقفين كثيرا أو قليلا فالتعليم يزيدنا جهلا كما تعلم- أن نقهر في شعوبنا كل تلك العواطف القديمة التي تجاوزها العالم كالشرف والكرامة كمعان في المطلق المجرد ، وكالتقديس الزائد لثالوث الأرض والعرض والأهل أيا كان الثمن (نحن لا نعرف بالضبط كم تساوى القدس أو حتى كل فلسطين في سوق العقارات ، لكننا نعرف باليقين أنها لا تساوى جميعا معشار ما خسرننا في سياق التقدم التقنى والبناء الاقتصادى

بسببها ، وبالمناسبة العالم لن يفهم أبدا ماذا نفعل بينما أميركا مثلا تكونت كلها من خلال سلسلة من عمليات شراء الأرض من الدول المجاورة ! ثم أنهم في الواقع يتذكرون كل ما يدفعونه لنا من معونات إذا ما عدنا بعدها وطالبنا بالأرض أيضا . دع جانبنا أننا نحن الذين أضعنا الأرض بالعناد وعمى العقل بحيث يحار المرء في الحكم هل إسرائيل دولة توسعية بالفعل أم أننا نحن أمة انكماشية ویمتعتنا هذا) . هذا وناهيك بالطبع عن بقية طابور الشهوات المدمرة كالغيظ والحقد والغضب والعناد والانتقام ، إلى آخر انفعالات الكبرياء الرائعة التي لا نملك سواها .

بعد ذلك نأتى للإصلاح لا إصلاح اقتصادى مع المحافظة على ما يسمى البعد نفسه . بدورنا نقول إن الإصلاح الاجتماعى ، فالإصلاح إعمال لقوانين الانتخاب الطبيعى كى أمر مؤلم بالضرورة ، وأول متطلباته تخلص الاقتصاد من ترهله والشعوب من كسوليتها . الضرائب الرؤية والإرادة ، سواء إرادة المنطق والجمارك ودور الدولة وكل شىء من هذا القبيل يجب أن تصبح صفرية فى أسرع وقت ممكن . يسمونها ليبرالية متوحشة . أو سمها ديكتاتورية المنافسة أو ديكتاتورية الحرية . ليكن ! لكننا لا نقول هذا باسم أية منطلقات أمثال أتاتورك وفرانكو وبينوتشيت أيدولوجية ، رغم أنها صحيحة تماما (قل لى بحق كل من من قفزوا بأهمهم من التخلف تؤمن ، باسم أية عدالة فى الدنيا يرغم من يكسب على دفع للتقدم فى خطوات سريعة كما الضرائب كى يستفيد بها من لا يكسب ؟) . إنما نقوله لأنه أحلام السينما . لا إصلاح بات حتمية تنافسية ، ولأنه الآن واقع فعلى اعتمده معظم اقتصادى مع المحافظة على ما البلاد التى تنمرت بحثا عن وجود اقتصادى لها فى أسواق يسمى البعد الاجتماعى ، جذب رأس المال وأسواق بيع السلع .

فالإصلاح إعمال لقوانين الانتخاب الطبيعى كى تخلص الاقتصاد من ترهله والشعوب من كسوليتها . هذه بديهيات لا علاقة لها بقضية الجلوبة ، ذلك أن الجلوبة تطرح تحديات إضافية لا تقل قسوة أو إثارة . الضرائب والجمارك ودور الدولة وكل شىء من هذا القبيل يجب أن تصبح صفرية فى أسرع وقت ممكن . يسمونها ليبرالية متوحشة . أو سمها ديكتاتورية المنافسة أو ديكتاتورية الحرية . ليكن ! لكننا لا نقول هذا باسم أية منطلقات أيدولوجية ، رغم أنها صحيحة تماما (قل لى بحق كل من تؤمن ، باسم أية عدالة فى الدنيا يرغم من يكسب على دفع الضرائب كى يستفيد بها من لا يكسب ؟) . إنما نقوله لأنه بات حتمية تنافسية ، ولأنه الآن واقع فعلى اعتمده معظم البلاد التى تنمرت بحثا عن وجود اقتصادى لها فى أسواق جذب رأس المال وأسواق بيع السلع .

من هنا علينا أن نعيد تعريف صنم آخر اسمه الوطنية ليصبح التعريف كما يلى : الوطنية هى العمل على تعظيم رقم الناتج الداخلى الإجمالى ، وليس أى شىء عاطفى أو معنوى مبهم آخر . الوطنية ربما شىء مثير ومنعش حين يختص الأمر بكثرة القدم ، لكنها دمار شامل فيما عدا هذا ، إن لم يكن فى هذا نفسه . الوطنية خيانة . بل منذ يوم أن أدخل الاسكندر الأكبر مفهوم الجلوبة لهذا العالم ، هى أعظم خيانة للأهل والوطن والقوم والعرق قاطبة . بصراحة أكبر الأغاني الحماسية وزرع العداء هنا وهناك ليست من الوطنية فى شىء ، بقدر ما هو مثلا تشجيع الآخرين على القдом لصنع أفلام تحمل عناوين مثل ' إيمانويل تقابل رمسيس الثانى ' ، ليس فقط لإضافة موارد مباشرة للبلد إنما لوضعه على

خريطة الثقافة والسياحة الدولية وحفز اهتمامات الفرد العادى فى الخارج بهذه البقعة شبه المجهولة من العالم بالنسبة لهم (ربما يوجد فعلا فيلم بهذا الاسم أو نحوه ، لكن دولة أخرى هى التى أضافت حفنة من الدولارات لتصويره فيها ، كما أن الوقت يمر عامة وربما لن يكونوا فى حاجة لصنع جزئه الثانى عندنا وتقنيات الصورة المولدة حاسوبيا أرخص وأجمل من الطبيعة بكثير ، تماما كما قد لا يكونون فى حاجة لصنع أى شىء عندنا حتى مجرد الفرحة علينا !) .

علينا أن نعيد تعريف صنم آخر اسمه الوطنية الواقع أن العكس تقريبا هو الصحيح ، ليصبح التعريف كما يلى : **الوطنية هى العمل على** والوطنية دائما أبدا كانت أقرب لنوع من تعظيم رقم الناتج الداخن الإجمالى ، وليس أى شىء الجرمية . جرمية فى حق الذات قبل أن تكون عاطفى أو معنوى مبهم آخر . **الوطنية ربما شىء مثير فى حق الغير . وخاصة عندما تصل عدواها ومنعش حين يختص الأمر بكرة القدم ، لكنها دمار** إلى الشعوب المتخلفة ، وتنتهى بطرد المستعمر شامل فيما عدا هذا ، إن لم يكن فى هذا نفسه . **الوطنية خيانة . بل منذ يوم أن أدخل الاسكندر** على التقنية صاحب الرؤية لمواردها وموارد **الأكبر مفهوم الجلوبية لهذا العالم ، هى أعظم خيانة** العالم ككل ، من أرضها . **للأهل والوطن والقوم والعرق قاطبة .**

المصريون يتحدثون ويغنون كثيرا عن

الوطنية ، لكن الحقيقة أنهم لم يصنعوا لبلدهم

شيئا واحدا ذا شأن . باستثناء حفنة نادرة تعد على أصابع اليد تبدأ بأسماء مثل حرب وعبود وفرغلى وتنتهى دوما باللقب الأجنبى باشا ، كل الأشياء الجيدة صنعها أجنبى ، أسرة محمد على - الإنجليز - أو حتى المغامرین الأفراد أوروبيين ويهودا . عندما أراد المصريون لأول مرة عمل شىء مفيد لبلدهم كالسد العالى (على الأقل كان يفترض فيه أن ينهى حقبة ال ٧٠٠٠ سنة من دورة الفيضان ، ويبدأ فى ضم المصريين لزمرة بقية العرق البشرى الأسوياء چينيا) ، كانوا كمن جاء ليكحلها فأعمهاها ، فأعادوا الوضع لأسوأ مما كان عليه . إذ ما حدث أنهم لم يبالوا بتكبيدها فى مقابله أبهظ ثمن فى تاريخها كله : الوقوف موقف العدا من كل العالم المتقدم ، ومن ثم هزيمة مخيفة أبدية ولا شفاء منها .

... بالمناسبة ، هذه أيضا فى التحليل الأخير فهلوة !

نحن فى هذا لا نقصد أن هذه كانت أخطاء شخص أحرق اسمه جمال عبد الناصر دخل حروبا مستحيلة الدخول ، أو كان لصا قاطع طريق أمم قناة السويس وأموال الأجنبى واليهود فيما هو جميعها كما قلنا سرقة لا تحتمل التأويل . بل لأنها جميعا أشياء أصيلة فى مفهوم الوطنية نفسه ، لأنه قاعديا مجرد شوفينية تعمى الأبصار عن رؤية أى شىء رؤية موضوعية .

...

خذ مثلا أحد أكبر رموز الاستقلال فى التاريخ المصرى ، المدعو سعد زغلول .

فقط دجال عظيم احترف تبديل مواقفه بين يوم وليلة . بدأ هذا وضع الصل أزهرى التعليم سلم الصعود الشره للسلطة بدراسة المحاماة فصار فى حقله انتهازيا شرسا لا يفلى له ساعد ، محاميا انتهازيا لا حدود لطموحاته . وعندما أصبح وزيرا للحقانية كان ذلك المغوار يحترف إلقاء الخطب العصماء أمام البرلمان سنة ١٩١٠ دافعا عن **مد امتياز قناة**

السويس ، ثم نسيها جميعا حين كانت المصلحة الشخصية تقتضى العكس ، مع ذلك لا يخفى ندمه بعد ذلك قائلا إنه كان المهم إثبات أن للجمعية العمومية سلطة وليس مجرد وضعية استشارية .

ذلك المغوار قال خطبا عصماء فى محطة القاهرة بعد تقبيل يد كل مندوب ساموى بريطانى جديد ، ثم يتفانى فى التحريض ضد الإنجليز عندما تلوح الفرصة فى سلطة شخصية أوسع .

ذلك المغوار اتفق مع القادة الوطنيين بالمعنى الحق للكلمة ، على ' وفد ' يفاوض من أجل الحماية ، من أجل صيغة تعاون حضارى وتنموى إنجليزية-مصرية ، وقد رأى هؤلاء مدى فائدة الإنجليز الذين حرروا البلد من الجزية العثمانية ، وأنشأوا المدارس الحديثة ، وأتوا بالمصانع ، وسيأتون بجيش على حسابهم الخصوصى من أجل تلك الحماية ، ولا يريدون أبدا سوى المنفعة المتبادلة من خلال التحديث . فإذا فى يلقى سرا وعلنا الخطب ويجيش الأتباع من أجل ' الاستقلال التام ' ، ويردد أن لا حل إلا وقوع ' كارعة ' (عيب خلقى فى النطق وليس تأثرا بأية لغة أجنبية لا سمحت السماء ، فهو فى حياته لم يعرف من اللغات سوى ما علموه إياه فى كتاتيب الأزهر) . وكانت ذروة ذلك المخطط يوم اقتحم دون دعوة مؤتمرا علميا فى دار جمعية الاقتصاد والإحصاء والتشريع السلطانية يحضره كبار علماء القانون الإنجليز وكذا عبد الخالق ثروت وزير الحقانية ، ناسيا فى نفسه كل الوقار المفترض من وزير السابق ، ويلقى من وسط صفوف المستمعين خطبة عصماء ضد الحماية البريطانية . والمقصود بالمستمعين هنا جمهور المحامين وطلبة الحقوق ، وليس الجالسين على المنصة . كان هذا يوم ٧ فبراير ١٩١٩ ، ولم يمر اليوم الثلاثون حتى كان الإنجليز يضطرون لنفيه خارج البلاد ، وطلبة الحقوق الذى أجاد تربيتهم وتحريضهم يثبتون فى الصباح التالى ٩ مارس حسن ما توسمه فيهم ، ويطلقون الشرارة التى أشعلت مصر بطولها وعرضها .

يهيج الدهماء فى كل ربوع مصر فى أول ثورة بلشوية يشهدها العالم بعد ثورة ١٩١٧ الأشهر . جعلوا ذلك المحامى الانتهازى الكذاب ' زعيما للأمة ' ومنحوه كل ما حلم به فى شبابه المعوز ، محققين له طموحات الصعود الطبقي والسلطوى الشخصية . المدهش أنه هذه المرة أيضا لم يتحرج من الندم كالعادة على أفعاله قائلا إنه كان يقصد مجرد ورقة للمساومة . لكن طبعا هذه لم تكن المرة الوحيدة التى يخون فيها عهد الوفد ، بقبول الحماية إن ثبت استحالة الاستقلال ، أو هكذا كانت صيغتهم ، التى حاول دوما قطع خط الرجعة عليها بتحريضة العلنى ضد الحماية بما يجهبض سلفا احتمال قبول الناس بها فى كل الأحوال . آخرها أن كررها فى مطار لندن ، فى أواخر سنة ١٩٢٠ ، رغم أنه كان ساعتها قد أصبح وحيدا تماما معزولا وسط أغلبية كاسحة من بقية أعضاء ومؤسسى الوفد ، ولم يخطر ببالهم حين أخذوه معهم للندن أن سيكرر ذات اللعبة القزرة مرة أخرى أبدا . هذه المرة تفكك الوفد إذ تفككت أهدافه . لكن فقط بعد أن صاحبنا قد حسم خياراته ، وقرر أن أكتاف الدهماء هى وسيلته الوحيدة للجاه والسلطة بل إن لم يكن للتفكير فى كرسى الملك نفسه ، ذلك حتى لو كان فيها خراب وجوع هؤلاء الدهماء أنفسهم . ومن الناحية التنظيمية كان طبعا قد وطم لنفسه سلاحا سرىا آخر هو التنظيمات الإرهابية بعبد الرحمن فهمى وأمثاله ممن جعلوا هدفهم اغتيال الزعماء المصريين حتى لا يجد الإنجليز سواه يحكم البلد ، وقد كان !

المأساوى حقا أن الهوجة التى اندلعت صباح ٩ مارس ١٩١٩ ، حتى وإن كانت قد قمعت فيما بعد ، وحتى لو كانت مظهرة واحدة لم تخرج يوم نفى سعد زغلول مرة أخرى سنة ١٩٢١ ، إلا أنها كانت -فى تقديرنا- هى اللحظة

الفارقة في كل التاريخ المصرى الحديث . دقت المسمار الأخير في نعش تجربة أسرة محمد على التحديثية ، ووضعت مصر في خصومة هي الانتحار البطئ مع المستعمر الغربى المتقدم . فالمشروع الحضارى المصرى الذى بدأه محمد على والحديوى إسماعيل ، والذى كان ينظر بازدراء لتركيا ما قبل أتاتورك ويعتقد أنه سيفوقها بمراحل ، مات فعليا - كما قلنا قبل قليل- وفي مقتل في اللحظة التى نقل فيها زمام القرار المصرى لدهماء الشوارع من پروليتاريا المدن والريف وإرهابيها من متدينين ووطنيين متعصبين ، ونزع مرة واحدة وللأبد من يد الأرستقراطية والطبقة الوسطى ، وطبعا كتب على تلك الطبقات-الأمل مصير الموت بأسرع وقت ممكن على يد هذه הפרوليتاريا الفاسدة المتخلفة .

ما حدث سنة ١٩٥٢ كان التصعيد الطبيعى لذلك الانقلاب الأسود وليس انقلابا عليه بحال . فقط ما حدث من صبيه المدعو عبد الناصر هو إصدار شهادة الموت الرسمية لليبرالية المصرية ، فالحقيقة أنها كانت في الواقع قد وئدت في مهدها بذاك الداء القاتل المسمى الوطنية . دليل تلك الإبادة الشاملة التى تعرضت لها الطبقات التقدمية أنه حين هزم مشروع الخراب الشامل المسمى بالناصرية سنة ١٩٦٧ كان الوقت قد بات متأخرا جدا . كان قد تم طرد الأجانب المتحضرين ، وتم حتى القضاء على فلول الطبقة الوسطى المصرية نفسها ، ولم يعد ثمة أركان لأى بناء جديد . الألفاظ نفسها صارت مغلوطة ، وأصبح التزييف هو الأصل من قبيل تسميات كالنكبة والنكسة والثغرة (حقوق النسخ للثنتين الأخيرتين على الأقل محفوظة لكذاب كبير آخر هو منظر الناصرية المراوغ الأعظم محمد حسنين هيكل) . كل الشعب والنخبة والمثقفين باتوا في حالة دوار -إن لم نقل جهل- لا يعرفون ما هو الصواب وما هو الخطأ ، وتأكيدا يصعب عليهم قبول أن كل ما هملوا له بالروح والدم للكبكباشى ناصر من عداء للغرب وإسرائيل هو ١٨٠ درجة في الاتجاه الخطأ . لا تصدق أن أكتوبر ١٩٧٣ قد أعاد لنا كرامتنا . واقعنا اليومى (وأقله ذلك الاندفاع المخيف نحو التدين) يقول عكس ذلك بالضبط . وطبعا غنى عن القول أن الشعب من الفطنة بحيث يحبس أنه كان نصرا مزعوما أو مجرد خضعة يوم عيد لن تتكرر أبدا (الرئيس مبارك نفسه لم ترد على لسانه قط كلمة نصر أكتوبر . فقط في كل سنة يسميه العبور العظيم . أما السوريون فيعترفون صراحة بأنها كانت هزيمة منكورة) .

هذه القصص العفنة عن رائد خرابنا المؤبد السيد زعيم الأمة ، يمكنك الاستمتاع بها في كتب مثل مذكراته هو شخصيا ذات الهالة الغامضة ، أو في كتاب العقاد عنه ، أو كتاب محمود سليمان غنام ، وكلها في سياق إشادة على طريقة التوراة في سرد فضائح الأنبياء والإصرار على قداستهم في ذات الوقت . أو في كتب أكثر رصانة مثل مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل أو غيره من مصادر نقلت بالأخص رواية أحمد لطفى السيد لقصة الوفد ، أو مثلا كتاب أحمد بهاء الدين عنه وعن عدلى ' أيام لها تاريخ ' ، وإن بانحياز واضح وصادم لصالح هذا الأخير ، أعتقد أن لم توات كاتبيا مصريا آخر من هذا الجيل الأحداث مغسول الدماغ ، مثل هذه الشجاعة لاتخاذ مثل هذا الموقف أبدا !

استطرد : في مقابل مسيرة إذا كان الاقتصاد أهم شيء في الدنيا فهو أهم شيء فيما الاضمحلال المصرى مصرية يخصص الحريات أيضا . الاقتصاد الحر بيئة ومناخ ينتجان التداعى منذ ١٩١٩ ، ربما أتى عقولا غير العقول ويجعلان العيون ترى الدنيا غير الدنيا . برأى قد يبدو غريبا على أسمع حين تعيش في مجتمع ذى سوق حرة ، تتغير كل رؤيتك ليس المصريين فقط بل بعض للحياة وللعالم . الأفكار نفسها تصبح سلعة تخضع لمعيار المنافسة وحده . ستتعود الزوالية والصبورة والانتخاب الطبيعي والصراع المفضى للتطور من جهة وتتعود الهزيمة والانقراض من جهة أخرى ، وسترى هذه وتلك كلها أفضل مفكرى العرب إطلاقا اليوم هم سعوديون ، ولا دليل أكثر من كيديهيات لا يصح مناقشتها . ستضمحل الهالة عن مقالات الرأى فى صحفهم داخل الأيديولوجية والثوابت والمقدسات . بل حتى ستحب الغير وخارج السعودية . تفسير هذا الأجنبى حين يقدم فى سوق الثقافة سلعة أفضل منك ، عندى شيء واحد ، هو الاقتصاد وستكالب على ترويجها والحصول على توكيلاتها .

الحر . ربما من حيث الجوهر قد تعتبر المجتمعات الخليجية بفضل النفط مجتمعات ريع اشتراكية ، تملك فيها الحكومة الكثير وتفعل وتقدم الكثير . لكن ظاهريا أو نظريا على الأقل ، هى اقتصادات حرة تشجع على المشروع الخصوصى ومنفتحة للمنافسة العالمية بدرجة لا تقارن مع بقية الجمهوريات العربية المحيطة . نعم الثقافة النتاج الفوقى للاقتصاد قبل أى شيء آخر . هذا يبدو كلاما ماركسيا مبتذلا ، لكنه حقيقة . فى نفس الوقت أنا غير منفتح بالمرّة لأية مناقشة هنا مع الماركسيين عن الحريات فى السعودية أو غير السعودية ، ففى هذه النقطة بالذات أنا ماركسى للغاية : إذا كان الاقتصاد أهم شيء فى الدنيا فهو أهم شيء فيما يخص الحريات أيضا . الاقتصاد الحر بيئة ومناخ ينتجان عقولا غير العقول ويجعلان العيون ترى الدنيا غير الدنيا . حين تعيش فى مجتمع ذى سوق حرة ، تتغير كل رؤيتك للحياة وللعالم . الأفكار نفسها تصبح سلعة تخضع لمعيار المنافسة وحده . ستتعود الزوالية والصبورة والانتخاب الطبيعي والصراع المفضى للتطور من جهة وتتعود الهزيمة والانقراض من جهة أخرى ، وسترى هذه وتلك كلها كيديهيات لا يصح مناقشتها . ستضمحل الهالة عن الأيديولوجية والثوابت والمقدسات . بل حتى ستحب الغير الأجنبى حين يقدم فى سوق الثقافة سلعة أفضل منك ، وستكالب على ترويجها والحصول على توكيلاتها .

هؤلاء الكتاب السعوديون -وأنا أكثر حماسا لهم حتى عن كتاب الكويت أو قطر الذين يبدو أن الكثير منهم وجدوا التقدم فى الخروج من الفكر العشائرى الإسلامى ، إلى فكر عروبي يسمونه بالعصرى أو الجديد لكنه ليس فى الواقع إلا تنويعا منقحة ما من الفكر الظلامى للبكبكاشى جمال عبد الناصر لا أكثر- برزوا رغم أنهم ينتمون فرضا لأشد المجتمعات العربية انغلاقا ومحافظه وتمسكا بالدين . لم توقفهم سلطة يقال عنها إنها ديكتاتورية متسلطة أو تقاليد اجتماعية أو مؤسسة دينية متخلفة (يقولون إنها تصدر لنا فى مصر أو غير مصر فكرها المتطرف ، بينما الحقيقة أننا نحن الذين نستورد هذا المنتج بينما هم يتركونه يوما بعد يوم ، ذلك لأننا نحن الذين ننحدر . ويكفيك كما قلنا المقارنة المخجلة بين ما يكتب رؤساء الصحف المصرية وما يكتب رؤساء الصحف السعودية ، ولا أقصد ' الشرق الأوسط ' بالضرورة ، رغم تفردنا الحقيقى والذى لا يقف عند مدلولات اسمها الجرى) . بل نكاد نقول العكس إن هؤلاء الكتاب لا يبدوون بالمرّة

كُنت شيطاني يريك مجتمعه ، بل بالعكس -وأكتب عن علم- هم مصدر اعتزاز وفخر كل سعودى . وأغلب السعوديين يعرف أنهم يعيشون فى تخلف ويريدون الخروج منه ويحترمون لأبعد مدى تجارب الغير فى هذا ، والكلام هنا عن عموم وبسطاء الناس ، وليس فقط عن أسرة مالكة تضم بين جنباتها أفضل العناصر العربية تعلما فى الغرب .

من يعادى المتقدمين لا يمكن أن يكون متقدما . هنا تكمن حكمة الاستسلام ! لا يمكن أن يكون متقدما . هنا تكمن حكمة ما تحدثنا مشكلة العرب ليست فى الأميين ، المشكلة عنه واسمه الاستسلام ! مشكلة العرب ليست فى المتعلمين . التعليم يزيدهم جهلا ، الأميين ، المشكلة فى المتعلمين . التعليم يزيدهم جهلا ، ويشحنهم بالعداء ضد التقدم والمتقدمين ، ويكفى وحده ذلك الكم الذى تحفل به كتب التاريخ وما يسمى التربية الوطنية والتربية القومية من مغالطات وتزوير فاضح بكلمة أخرى نسبة الأمية فى بلادنا أكثر من ١٠٠٪ !

إن أردت الإصلاح (إن كان ثمة أمل فيه) ، فانس

مؤقتا كل ما يخص الثقافة ، فهذه لن تصلح فى أى مدى منظور . إنه الاقتصاد يا سادة ، لا شىء أقوى منه ولا أكثر قاعدية (وبالأحرى لا نريد اقتباس كلمة چيمس كارثيل مدير حملة بيلل كليتون ١٩٩٢ الأشهر ' إنه الاقتصاد ، يا غبي ! ') .

من هذا ، زائد مما سبق واتضح من الأوقاع السياسية للجلوبة يتضح فى ذات الوقت أن من المحتوم علينا بالتبعية لما ذكر ، أن نعيد النظر فى صنم كبير اسمه **الاستقلال** . فمن التبعات البديهة لكلمة جلوبة ضرورة مراجعة فكرة كتلك نفسها . بصياغة صريحة نحن لا نسعى وبمتهى التهافت حاليا سوى لشىء واحد هو التخلص من ذلك الاستقلال الذى أفينا من أجله عقودا فضلنا فيها أن نظل أسرى للفقر والتخلف . والمذرى حقا أن يا ليت العالم المتقدم يستجيب لنا ويقبل العودة بتقنياته واستثماراته وحمايته ... إلخ . السبب المضحك ببساطة أن كل هذه الاستثمارات كانت موجودة عندنا يوما وتمارس أعظم دور فى تاريخنا لتنميتنا وتطويرنا لكننا بمنتهى الدم البارد طردناها ! وليس أكثر مدعاة للاستهزاء أو لإثارة الشفقة أو لهما معا أن ندعوها اليوم للرجوع .

طردنا الاستعمار بدم بارد والآن نستجديه العودة من خلال قوانين الاستثمار واتفاقيات الدفاع ! حتى يكتشف الجميع أن فكرة إعطاء العالم الثالث الحكم الذاتى

كان جرما فى حق كل الشعوب غنية وفقيرة لحساب حفنة محرصة فاسدة . فى سنة ١٩٦٠ كان الخمس الأكثر ثراء فى العالم أغنى ست مرات من الخمس الأكثر فقرا . فى أقل من ٤٠ سنة الفارق يزحف لما وراء المائة ضعف . هذا يدلك على حجم الجريمة التى ارتكبتها ما يسمى بالاستقلال فى حق شعوب

الإنسانية . عندما كان الاستعمار ' يذهب ' ما لدى العالم الثالث من ' ثروات ' كانت شعوبه أكثر بجموحه وكرامة بما لا يقاس مما هي عليه الآن !

ما يسمى بالاستقلال كان فكرة فاشلة ولم يعد خيارا مقبولا . دعك من الجلوبة والتنمية وتوحيد العالم ، أقل ما في الأمر تلك النتيجة المخيفة المترتبة عليه من تفاقم الفقر ومن ثم زحف عكسي لجحافل الفقراء تغزو الغرب ، تنهش ثرواته كما الجراد وتضخ فيه قيم التخلف والدين ضخما ، وهو فيما يبدو تقليد رائج لحد التقديس في منطقتنا ككل ، تحديدا منذ نهج عليه ما يمكن تسميته بجراد يثرب حين ترك ذاك الوكر لأول مرة ، فيما سمي بغزوة بدر ، ليغزو كل العالم تقريبا ناهبا ثرواته تاركا إياه جدبا خربا وأرضا محروقة . [يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وجدنا أنفسنا منساقين لحديث مسهب حول فكرة جراد يثرب هذه ، والتي سرعان ما كونت صفحة مستقلة بعنوان سبتمبر] .

بمناسبة الجراد ، فالكل جراد ، والجراد **الاستقلال فكرة محكوم عليها سلفا بالفشل لأن المهاجر لم يهاجر إلا بعد أن أجذب جراد رؤية الصغير للعالم ولمستقبله الاقتصادي والتقني الداخلى الأرض . الحل ليس فى هجرة جحافل والثقافى لا بد وأن تختلف بالضرورة عن رؤية الكبير الجراد تنهش ثروة الغرب . الحل أن يعود العالم له ، إن لم تكن معدومة أصلا . إن استقلال الهند والأول لحكم العالم الثالث . حكم العالم ومصر وغيرها أكبر جريمة ارتكبت فى حق شعوب العالم الثالث . بل من غير المؤكد حتى أن عدم الثالث لنفسه -وبالأخص منه العرب والمستلمون- هو جريمة فى حق العالم وجريمة فى**

حق نفسه أولا . الحكام الوطنيون ، بالذات لو تسموا بالعروبة أو الإسلام ، هم جراد يترك الأرض جرداء ، بينما الاستعمار ، وبالذات الأنجلو-يهودى منه ، هو الفلاح الذى ينميها ليأكل منها الجميع وهو ، حتى نهاية الزمان ! ومثالنا الحزين هو ما سمي بتجربة الليبرالية المصرية . مر على مصر من الاحتلال أشكال وألوان . إنها محتلة طيلة كل تاريخها تقريبا . بعضهم جاء بمشروع حضارى أخذ وقته وذهب (الرومان مثلا جاءوا للأراضى التى احتلوها بالكثير من تقنيات الزراعة والرى والصناعات وبناء السفن وقطعا كانت عاصمتهم الأعلى وحداثة وتمدينا وتقنيات بين كل مدن الأرض ... إلخ) ، وبعضهم جاء لينهشها لا أكثر مثل بدو الجزيرة العربية (ليس لديهم أية مشروع حضارى ولا غير حضارى ، بل لا يعرفون الزراعة ولا الرى أصلا !) . ثم بدأت تزدهر تجربة نهضوية على يد حاكم ألبانى اسمه محمد على . عانت من كبوات ، وخيل للجميع أن قضى عليها بهزيمة وعزل الخديوى إسماعيل . هنا يدخل الإنجليز . استعمار غير كل استعمار . وكما من يقوم من بين الأموات ، ازدهرت بشدة من جديد الليبرالية المصرية . لقد أحيها احتلال الإنجليز مصر ، بل وصلت بمصر لأعلى -بل أجمل- نقطة فى كل التاريخ البائس لهذا البلد ، وبدأت بالفعل تشع بنورها على المنطقة كلها . على أن الأجل لم يطل بما إذ سرعان ما عاجلها وخانها فى الظهر هى والإنجليز معا ، ذلك الخائن السافل المدعو سعد زغلول ، رافعا أبشع شعار فى التاريخ الإنسانى ، الوطنية والاستقلال .

الأمور ليست فى حاجة إلى إثبات . قبل أربعة حكم العالم الثالث لنفسه -وبالأخص منه عقود حاولت أميركا احتلال شبه الجزيرة الكورية . العرب والمسلمون كما أشرنا- هو جريمة فى فشلت . لم تفرض هيمنتها سوى على نصفها فقط . حق العالم وجريمة فى حق نفسه أولا . بل الآن ما هو وجه المقارنة بين الجزء الذى قبل العمالة والتبعية والمهانة والقواعد العسكرية ، والجزء الذى حقق الاستقلال السيادة والهوية القومية والهجمات المرفوعة ؟ نصيب الفرد من الناتج الداكن الاجمالي فى الجزء الأول عشرون ضعف نظيره فى الجزء الثانى ! تخيل أنت أن استيقظت غدا لتجد دخلك الشهرى عشرين ضعف ما هو عليه الآن !

معدومة أصلا . الكبير يرى ما هى الخطوة

التالية التى يجب اختراعها من التقنية ، ويرى كيفية تنمية وتكامل الموارد على مقياس واسع ، وعادة ما يكون صاحب مفهوم أنضح وأشمل للثقافة بل ولكل شىء .

الأمور ليست فى حاجة إلى إثبات . قبل أربعة عقود حاولت أميركا احتلال شبه الجزيرة الكورية . فشلت . لم تفرض هيمنتها سوى على نصفها فقط . الآن ما هو وجه المقارنة بين الجزء الذى قبل العمالة والتبعية والمهانة والقواعد العسكرية ، والجزء الذى حقق الاستقلال السيادة والهوية القومية والهجمات المرفوعة ؟ نصيب الفرد من الناتج الداكن الاجمالي فى الجزء الأول عشرون ضعف نظيره فى الجزء الثانى ! تخيل أنت أن استيقظت غدا لتجد دخلك الشهرى عشرين ضعف ما هو عليه الآن !

يمكن للباحث أن يرصد بسهولة أن أنه باستثناء استقلال أميركا فإن جميع عمليات الاستقلال قد أضرت بشعوبها أضرارا جسيمة ووصلت بها لدرجة من التخلف بات معها التراجع عنها وطلب الصفح تمحكا فى عصر الجلوية الحديد أمرا غير مقبول ومتأخرا للغاية . إن استقلال الهند ومصر وغيرها أكبر جريمة ارتكبت فى حق شعوب العالم الثالث . بل من غير المؤكد حتى أن عدم استقلال أميركا كان سيفضى لعالم أبطأ تقدما .

الشيوعية أخذت فرصتها كاملة باختصار : الوطنية والقومية والاستقلال كلها شعارات هدفها وثبت فشلها المطلق . أيضا طرد المستعمرين الأكفاء واستيلاء حفنة المحرضين المحليين الانتهازيين الاستقلال أخذ فرصته كاملة وثبت الفاشلين على السلطة وفتات الثروة . الآن تتوق الشعوب لأيام فشله المطلق !

تقدم كل العالم ، وهم جزء منه كلما ارتقى مستواه وإنتاجه واستهلاكه ، كلما تفرغ المستعمر لابتكار ما هو أحدث من التقنية ، وبالتالي المزيد من الرفاه للجميع ، وهلم جرا . باختصار : تماما كما أن الشيوعية أخذت فرصتها كاملة وثبت فشلها المطلق ، أيضا الاستقلال أخذ فرصته كاملة وثبت فشله المطلق ، وليس فى هذا غرابة فكلامهما ينطلق من معادة أو مصادرة بعض أو كل القوانين القاعدية للطبيعة كالقوة والمنافسة والاستعداد والعملقة ... إلخ . والحل الوحيد أن يعود العالم الأول لحكم العالم الثالث ، فكل البدائل الأخرى تبدو مرعبة !

بعبارة أكثر بساطة : أنت في كل مرة تقول فيها صباح الخير لإنجليزي أو يهودى تستفيد شيئا أو تتعلم شيئا . هذا لا يمكن أن يحدث لو كان رئيسك في الشغل عربيا مثلك !

بمناسبة البساطة ، نحن لا نحلل هنا ولا نحاول سوق المبررات لك كى نقنعك مثلا بالإمبريالية أو الاقتصاد الحر . فقط نحن نقرر حقائق تاريخية باردة ، لكنها صارخة في المقارنة بين أحوال أمم اختارت طريق الاستقلال والاشتراكية (الهند ، مصر ، بقية أفريقيا ، وما سمي بعدم الانحياز... إلخ) ، وأخرى اختارت طريق التبعية والرأسمالية التنافسية (النمرور الآسيوية ، تشيلي ، ومن قبلها دول جنوب أوروبا المتوسطة ، وفي القرن الماضى اليابان ، وهلم جرا) .



لقد كان الأمر أشبه بمؤامرة دولية ابتهاجية طقوسية لا عقل فيها ، ومن شواهد ذات الدلالة ، أن وقف قادة الهند وباكستان بجوار اللواء محمد نجيب فى شرفة قصر عابدين يوم تنصيبه أول رئيس للجمهورية فى مصر . ومنه أنه رغم تجاوز الهند لعقود طويلة من التخبط والاشتراكية والتعثر بسبب الاستقلال ، ورغم أنها تسير حاليا فى طريق النهضة وفتح أبوابها للعالم المتقدم ، فإن الفجوة بينها وبين العالم المتقدم أضعاف ما كانت عليه قبل الاستقلال ، وقطعا أضعاف أضعاف ما كانت ستكون عليه لو لم تستقل أصلا . ومع احترامنا الهائل لمن يسمون بآباء أميركا

America Isn't a Democracy. It's Something Much More Advanced. It's a Jungle:
—or in de Tocqueville words: 'The [American] manufacturing aristocracy which is growing up under our eyes is one of the harshest that ever existed in the world; but at the same time it is one of the most confined and least dangerous. Nevertheless, the friends of democracy should keep their eyes anxiously fixed in this direction; for if ever a permanent inequality of conditions and aristocracy again penetrates into the world, it may be predicted that this is the gate by which they will enter.'

من رؤسائها الأوائل ، بما لديهم من تعليم وثقافة رفيعين ورؤى جسورة تكاد تلامس الرومانسية أحيانا ، فإنه ربما يجوز الدفع

أيضا بأن استقلال أميركا قد أخرج عملية جلوبة العالم التى كانت تعد بالكثير من خلال الإمبراطورية البريطانية . لكن النجاح الساحق لهذا الاستقلال بعد ذلك ، هو الذى قد يخفى هذه الحقيقة اليوم . حيث ربما كان سيصبح أكثر سحقا لو ظلت أميركا جزءا من إمبراطورية أكبر وجاهزة بالفعل . على أية حال التجربة الأميركية كل متكامل يطول تحليله . والآباء المؤسسون لها كانوا يحملون نظرية كاملة متكاملة لكل الأشياء ، ويكفيهم أن أنشأوا أول دولة علمانية فى التاريخ الحديث .

فقط بإيجاز : استقلال أميركا هو أول كل الاستقلالات وأهمها وزنا والذى تميز وحده بأن كان لآبائه رؤية تتجاوز بقية العالم بما فيه المستعمر نفسه ، ناهيك عن أن أثبتت صحتها الأيام ، لكن قل لى بحق كل ما تؤمن به ما هى الرؤية

التي كانت عند جاندى أو ناصر أو من لقوا لفهما ؟ الإجابة المؤسفة التي لا فكاك منها : كان لديهم برنامج للكرهية لا أكثر ! اليوم لعنا نغامر بنبوؤة أبعد قليلا ، ونقول إن الفلسطينيين ولا أية شعوب أخرى تدعى حق الاستقلال سوف يحصلون عليه أبدا . ليس السبب مجئ نيتانياهو للسلطة في إسرائيل وعزمه على القضاء المبرم على كل فصائلهم المسلحة الإرهابية ، وليس السبب أن ذلك ما وقعوا عليه أصلا بنبذ الخيار المسلح وقبول حكم ذاتي لغزة وأريحا ، وأنه إذا حدث وحصلوا على سنتيمتر واحد فهو فقط بالتفاوض وبالأريحية التامة من جانب إسرائيل التي إن لم تعطهم أى شىء فهى حرة تماما في ذلك وستظل في نظر العالم ملتزم التزاما تاما بالاتفاقات ، حتى وإن كان الفلسطينيين قد وقعوا على أشياء لم يقرأونها ، أو قرأوها وفهموها بعاطفتهم وبأحلامهم لا بنصوصها القانونية الباردة . هذه كلها ليست الأسباب التي يعتد بها في المقام الأول ، السبب العميق هو أن الغرب حين أعطى الاستقلال لدول العالم الثالث تلك كلها ، لم يكن يتخيل حجم الجرم الذي يرتكبه في حق نفسه وفي حقها . ولم يكن يتخيل أنهم سيديرون أمورهم على كل ذلك القدر من السوء والفساد وانعدام الكفاءة والاستسلام لقطاع الطرق المحليين لهذه الدرجة .

العالم لم يعد معنيا بشىء مثلا البعض من الساسة المصريين حذر الحكومة البريطانية في صبيحة ٢٣ **اسمه التحرر القومى . المهم** يوليو ١٩٥٢ من العواقب الجسيمة لوقوف قواتهم ساكنة ، وكان فحوى **فقط المحتوى : هل أنت مع** كلامهم أن الأمور على يد هؤلاء الضباط المجرمين ستصبح أسوأ كثيرا مما **التقدم أم مع التخلف ؟** جرى باستقلال الهند . لكن للأسف لم يسمع لهم أحد آنذاك . وكان تقدير

الساسة البريطانيين أن شيئا جذريا لن يتغير حتى بسقوط ملك مصر ، وأن لا بأس من أن يحكم تلك الشعوب من تفضله هى . ولم يخطر ببالهم أبدا أن ترك حكم مصر لبعض الصبية المحرضين سيعنى في غضون أعوام قليلة أن أموال كل الغربيين والأجانب واليهود وممتلكاتهم سوف تؤم تصادر وتتهب ، وأن رعاياهم وحتى المصريين من أصول غير عربية أو مسلمة سوف يطردون شر طردة ، وأن أولئك القراصنة سوف يقطعون طريق مجارى العالم المائية والبتروولية ، ثم سيتسلحون ويعلنوها حروبا شعواء على كل ما هو ومن هو متقدم ، ليس فقط للاستيلاء على قارتى أفريقيا وآسيا ، بل ستطال الهجمات الإرهابية لصبية الصبية من سيحملون أسماء كالقذافي وعرفات ، ستطال العمق الغربى نفسه . اليوم هذه العقلية الغربية مفرطة الملائكية بدأت تتغير ، ومن ثم باى باى دولة فلسطين أو غير فلسطين !

ما نريد قوله لأخوتنا الفلسطينيين ، لا من قبيل النصح والتلقين ، إنما من قبيل إبداء الإعجاب والتأييد لخطواتهم الحكيمة نحو حياة أفضل اقتصادا ورفاهة لشعبهم بعد اتفاقات أوسلو ، إن **عصر ما يسمى التحرر القومى قد ولى** **واندثر** ، وقد فهم الجميع اللعبة أو ندموا عليها ، وأن العالم يتكتل حاليا لا أن يبحث عن مزيد من التفتت . الفكرة باتت مرفوضة من حيث المبدأ ، ولم يعد أمام أحد إلا الانخراط في ركاب الحضارة ، وإلا فالبديل مخيف حقا وهو الإبادة ، ولا حلول وسط ! نعم : الآن لم يعد هناك سوى شىء واحد مهم : **المحتوى ! هل أنت مع التقدم أم مع** **التخلف** ، هذا هو السؤال — **پرنس هاملت !**

فقط من الجدير أميركا ليست ديموقراطية . أميركا شيء أكثر تقدما من هذا بكثير .
بالذكر في هذا السياق أميركا دغل ! تفرد الاستقلال الأميركي ينبع من كونه الاستقلال
حول لماذا استقلال الوحيد الذى طرح مشروعا أفضل مما كانت تطرحه الإمبراطورية
أميركا استثناء كبير لم الأم ، طرح مجتمعا أعلى تنافسية بينما كانت بريطانيا يتصاعد فيها
نفوذ طبقات الشغيلة ، طرح الليبرالية الوحشية فى وقت كان فيه
يتكرر بين كل مركز الإمبراطورية يلوح أرضا خصبة للأفكار الاشتراكية وحتى
الاستقلالات (وأيضا الجمهورية ، وهو على العكس طبعا من كل الاستقلالات الأخرى
بمناسبة الحديث المتكرر فيما بعد التى قامت كلها كل نسخ أكثر تطرفا من تلك الأفكار
عن فرنسا أم فكرة جعلتها جميعا على يسار بريطانيا . بكلمة : الاستقلال الأميركي
الجمهورية فى العصر يستمد مشروعيتها من أمنا الطبيعة شخصا وليس من أى أحد آخر ،
الحديث) ، أن الدستور وتنافسية هذه الشرسة هى التى كان يجب أن تنبئ سلفا بأن أميركا
الأميركى ، وكل الوثائق التى لم تكن بحال أقوى ولا أعظم من الإمبراطورية البريطانية ،
التأسيسية التاريخية لها ، ستكون أعظم الإمبراطوريات قاطبة وأحلى حدث عرفه الكوكب فى
كل القرون الأخيرة .

المفارقة المذهلة أن توكتيل ذهب لأميركا بالابتهاج الفرنسى
الأهوج التقليدى أنها الشعب الذى ثار على الملكية البريطانية
خصمهم اللدود ، ثورة رعاعهم هم على ملكيتهم الشريرة (وإن طبعا
تفرد الاستقلال لا شيء يعادل شر الإنجليز أو ملوك الإنجليز !) ؛ ذهب ليؤرخ
الأميركى ينبع من كونه لثورة الشعب الذى أهدوه كفرنسيين تمثال إلهة العبيد والضعفاء
الاستقلال الوحيد الذى الرومانية ليضعه شعارا لأمتة على ثغر أكبر مدنه ، فإذا به يفاجا أنهم
طرح مشروعا أفضل مما **ثاروا لأنهم يرون أنفسهم أكثر أرسقراطية من جميع الملوك !**

كانت تطرحه الإمبراطورية الأم ، وطرح مجتمعا أعلى تنافسية بينما كانت بريطانيا يتصاعد فيها نفوذ طبقات الشغيلة ،
طرح الليبرالية الوحشية فى وقت كان فيه مركز الإمبراطورية يلوح أرضا خصبة للأفكار الاشتراكية وحتى الجمهورية ، وهو
على العكس طبعا من كل الاستقلالات الأخرى فيما بعد التى قامت كلها كل نسخ أكثر تطرفا من تلك الأفكار
جعلتها جميعا على يسار بريطانيا . بكلمة : الاستقلال الأميركي يستمد مشروعيتها من أمنا الطبيعة شخصا وليس من
أى أحد آخر ، وتنافسية هذه الشرسة هى التى كان يجب أن تنبئ سلفا بأن أميركا التى لم تكن بحال أقوى ولا أعظم من
الإمبراطورية البريطانية ، ستكون أعظم الإمبراطوريات قاطبة وأحلى حدث عرفه الكوكب فى كل القرون الأخيرة . لا
شك أن أولئك الآباء المؤسسين -الماسونيون بالأساس- كانوا من أكثر الناس قاطبة تأهلا لفهم وتقدير جبروت قوانين
أمنا الطبيعة هذه حق قدرها ، وكل هذا من حيث الجوهر هو ما لاحظته تحديدا أليكسيس دو توكتيل فى كتابه الشهير
' الديمقراطية فى أميركا ' (١٨٣٥-١٨٤٠) عن النخبة الصناعية الشرسة التى ستتحول لأرسقراطية تفوق كل
الأرسقراطيات التقليدية حتما ، مع مفارقة أن أميركا هى البلد الوحيد لذى لم يكن محملا أبدا بأى إرث أو تراث
إقطاعى (المجلد الثانى ، القسم الثانى ، الفصل العشرون) .

المفارقة المذهلة أن توكفيل ذهب لأميركا بالابتهاج الفرنسي الأهوج التقليدى أنها الشعب الذى ثار على الملكية البريطانية خصمهم اللدود ، ثورة رعايهم هم على ملكيتهم الشريرة (وإن طبعا لا شىء يعادل شر الإنجليز أو ملوك الإنجليز !) ؛ ذهب ليؤرخ لثورة الشعب الذى أهده كفرنسيين تمثال إلهة العبيد والضعفاء الرومانية ليضعه شعارا لأمتة على ثغر أكبر مدنه ، فإذا به يفاجأ أنهم ثاروا لأنهم يرون أنفسهم أكثر أرستقراطية من جميع الملوك ! (عندنا نحن نتباهى بأن لدينا تاريخا مكونا من آلاف السنين ونعاير أميركا بأن عمرها كله لا يتجاوز ٣٠٠ سنة ، لكن أحدا منا لم يسأل : ما حاجة أى أحد أصلا لتاريخ أكثر من ٣٠٠ سنة ؟ إن ٣٠٠ سنة عبء كاف جدا فى الواقع ، بالذات إذا كانت الغاية من الحياة أصلا هى بناء مجتمع حدائى على التقنية !) . نعم ، الجمهورية -إن وجدت- فكر دخيل على أميركا ، وحتى الحزب الذى يسمى جمهورى ، سواء القدم الذى نشأ كحزب معارضة يريد التأكيد على ألا تكون أميركا نسخة جديدة لذات النظام الأرستقراطى ، أو الحالى الذى تأسس فى خضم معركة تحرير العبيد ، الأول سرعان ما تلاشى ، والثانى سرعان ما تحول من اليسار ليصبح هو اليمين ، بحيث لم يعد لاسمه أى معنى ، وربما بات عليه إعادة النظر فيه . هذه وتلك كلها ما هى إلا مجرد لحظة من ملامح التفرد فى التجربة الأميركية غير التقليدية بالمرّة ، والذى أهلها لأن تكون عالما جديدا بمعنى الكلمة ، ووصل بها فى فترة وجيزة من عمر التاريخ لتصبح القدرة العظمى الوحيدة لهذا العالم . والسر بكلمة أن ' ديموقراطيتها ' تكمن فى ليبراليتها ، أى فى دارونيتها ، أى فى اقتصادها الحر الذى لا يرحم . ولم يحدث طيلة كل تلك القرون أن اختلط عليها الأمر وطابقت الديمقراطية بمعناها السياسى الأثينى الفرنسى ، بالليبرالية بمعناها الاقتصادى الذى يأكل الضعفاء طوال الوقت .

الإسلام كان يغزو العالم وينهب ثرواته بمجرد كلام اسمه الدين ، أميركا ليست
وفرنسا -إمبراطورية الشر- لم تكن دينية لكنها غزته بالثقافة ديموقراطية . أميركا شىء
والأيديولوجية . الأمر لا يختلف كثيرا . ما يجمعهما أنهما يبيعان أكثر تقدما من هذا
كلاما ويقبضان مقابله من الماديات الكثير نهبا صريحا ، وما يفرقهما بكثير . أميركا دخل
عن روما ولندن -إمبراطوريات الخير- أن هذه تذهب بمشروع jungle . ولهذا فقط
للتحديث والتنمية ' مادي ' اقتصادى تقنى تلمسه على الأرض
(ناهيك عن كونه متبادل المنفعة) ، لا تحاول ولا تفكر ولا يعينها
-وربما حتى لا ترضى- أن تنقل قيمها أو سلوكياتها للمتخلفين . **بعبارة أعم ، ليس**
العكس بالعكس ونتيجة التخالط المؤدلج جلية فيما يخص فرنسا . كل الاستعمار سواء ،
كان هدفها أن تنقل ثقافتها للمتخلفين ، والنتيجة أن نقلوا هم وليس كله نقلا لتقنية
ثقافتهم لها . كان هدفها أن تحتل أراضيهم ، والنتيجة أن احتلوا متقدمة بالضرورة .
أرضها هم . وها نحن نراها تنحل وتهبط وتتخلف يوما بعد يوم إلى الأسوأ هو الاستعمار
هاوية لا قرار لها . باتت أفقر دول الاتحاد الأوروبى ، ولا يمتعها
شىء قدر استمرار دورها كالدولة رقم ١ فى العالم الثالث .
على التخلف والخرافة

كالغزو العربى-الإسلامى لبقعة ضخمة من العالم إبان عصور الظلام ، ومثل الاستعمار الفرنسى الذى يهتم بالثقافة لا بالتقنية ، ومثل أحدث نماذج ذلك الاستعمار الظلامى الاحتلال السورى للبنان . أما الأفضل فهو مرة أخرى -ومن

غيرهم : الأنجلو-يهود . نعم ، هؤلاء هم الاستعمار الأمثل لعالم اليوم والغد . تمسكوا ويتمسكون بأفضل تقاليد الإمبراطورية الرومانية العظيمة .

من المغرى أن نجري هنا بعض المقارنة لنكتشف بعض الشبه بين الاستعمار الإسلامى والاستعمار الفرنسى (بفرض أن أيهما يستحق الكلمة ، إنما هو فقط غزو ونهب وسلب) . الإسلام كان يغزو العالم وينهب ثرواته بمجرد كلام اسمه الدين ، وفرنسا -إمبراطورية الشر- لم تكن دينية لكنها غزته بالثقافة والأيدولوجية . الأمر لا يختلف كثيرا . ما يجمعهما أنهما يبيعان كلاما ويقبضان مقابله من الماديات الكثير نهباً صريحا ، وما يفرقهما عن روما ولندن -إمبراطوريات الخير- أن هذه تذهب بمشروع للتحديث والتنمية 'مادى' اقتصادى تقنى تلمسه على الأرض (ناهيك عن كونه متبادل المنفعة) ، لا تحاول ولا تفكر ولا يعينها -وربما حتى لا ترضى- أن تنقل قيمها أو سلوكياتها للمتخلفين ، لسبب چينى ومنطقى للغاية أنهم غير مؤهلين لها ولن يستوعبوها ، على الأقل قبل قرون من التفاعل البطئ جدا . نعم ، هم لا يختلطون بالشعوب المتخلفة ، ولا يحاولون تغيير ثقافتها ، فقط ينهضون بها اقتصاديا ، والباقى لا يأتى إلا تلقائيا وعلى المجرى الطويل وحده . هم يعلمون أن ثمة فارق چينى جسيم يخص العقلانية والسلوك شبه الآلى ، من الضخامة بحيث لا يمكن جسره بفعل عمدى سريع ، ناهيك عن أن تجسره النوايا الحسنة . فقط الفرد الذكى والمجتهد جدا هو من يفهم هذا ، وربما يحاول ومن الجائز أن ينجح فى اكتساب صفاتهم ، ومن ثم قد يحق له يوما التقرب منهم . العكس بالعكس ونتيجة التخالط المؤدلج جلية فيما يخص فرنسا . كان هدفها أن تنقل ثقافتها للمتخلفين ، والنتيجة أن نقلوا هم ثقافتهم لها . كان هدفها أن تحتل أراضيهم ، والنتيجة أن احتلوا أرضها هم . وما نحن نراها تنحل وتخبط وتتخلف يوما بعد يوم إلى هاوية لا قرار لها . باتت أفقر دول الاتحاد الأوروبى ، ولا يتمتعها شىء الآن قدر استمرار دورها كالدولة رقم ١ فى العالم الثالث . [فكرة الفارق بين الاستعمار البريطانى والاستعمار الفرنسى ، وهل الإنجليز متعالون والفرنسيون محبوبون للجميع ، وحقيقة العلمانية الفرنسية ، عدنا لمناقشتها ببعض الاستفاضة فى صفحة سبتمبر بمناسبة قرار انفاق ٨ بليون دولار على تحديث أحياء المسلمين فى فرنسا ، فقط مكافأة لهم على قتل اليهود !] .

إن هزيمتنا فى موضوع الاستقلال متشعبة ومتغلغلة ، لدرجة أن تجد حتى انعكاسا طريفا لها فى اللغة نفسها . فالعرب عندما اشتقت كلمات مثل الاستعمار والاستغلال قصدت معان جميلة ونبيلة للغاية هى بذل الجهد من أجل الأعمار والإغلال... إلخ ، لكن الغوغاء من الدهماء ومحرضيهم الذين لم يكن أولهم جمال عبد الناصر وللأسف لم يكن آخرهم ، جعلوا من الاستعمار والاستغلال كلمات بغيضة . للأسف الديماجوجية والعاطفية كانت وما زالت بكل أسف هى صاحبة الكلمة العليا فى شعوبنا العربية ومثال هذا أن ما يسعى له الأخوة الفلسطينيون حاليا هو تحديدا ذلك الشىء المسمى استقلالا عينه ، ودون أخذ أى عبرة من تاريخ عشرات الدول الأخرى ، ورغم أن الأمور فى حالتهم أوضح وأكثر مباشرة كثيرا ، إذ ستتدهور بدرجة هائلة أحوالهم الاقتصادية بعده سواء كأفراد أو كشعب . المؤكد فى كل هذا وذاك أن عبد الرحمن الجبرتى كان يتحدث بعربية أخرى غير تلك التى نفهمها اليوم .

دون أن نجزم نهائيا إن كان الوقت قد تأخر حقا أم لا ، فإنه تطبيقا لتلك الآمال الكبار ، علينا بادئ ذى بدء أن نفهم ما تعنيه كلمة الشغل الجدى . إنها شىء يختلف نوعيا وليس كميا فقط عما اعتدنا عليه . كان صدمة مريعة لى أنا شخصيا أن تنكص مصر عن الحلف الإسرائيلى-التركى ، حيث معايير الجودة والإنتاج بالغة التقدم ، ونبحت عن

تحالفات أفريقية وعالم ثالثة متخلفة . إننا مولعون بالتحالفات التي تتبع المثل المصري القائل ' اتلم المتعوس على خايب الرجاء ' . بادئ ذي بدء علينا أن نكف عن التعويل على التحالفات الثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها خارج دائرة المنتصرين الحقيقيين ، فهذه كلها ثبت أنها مجرد اجتماعات وعناوين للصحف مضیعة للوقت وتنهار بعد قليل ، ولا تساعد في إكتساب تقنيات حقيقية للمستقبل ، فما بالك بتنمية تقنيات خاصة تكسبنا خطوة أو خطوتين أسرع من غيرنا في هذا السباق المدمر .

حاصل جمع عشرين صفرا يساوى صفرا . هذه هي المعادلة صفرا . هذه هي المعادلة العربية . العربة ، وضع ما شئت من معادلات أفريقية وعالم-ثالثة مشابهة .
لماذا نتحالف مع العرب أو غيرهم إذا ما نتحالف مع العرب أو غيرهم إذا كان متاحا لنا التحالف كان متاحا لنا التحالف مباشرة مع أميركا وإسرائيل . هذا ما لم أفهمه قط في السياسة الخارجية المصرية على سبيل المثال . إن مصر دخلت في عشرات الاتفاقيات الاقتصادية الإقليمية العربية والأفريقية والعالمية طالما اعتبرت دستورها المثل المصري القائل ' اتلم المتعوس على خايب الرجاء ' !

طلب الرحمة من الأغنياء حيناً أو صب جام مشاكلنا عليهم باعتبارهم سببها حيناً آخر ، (الحقيقة أني أتحمس آلى الحاسبة في كل مرة أسمع فيها عن تجمع اقتصادى من هذا النوع ، وذلك كى أحسب كم يساوى اتحاد الديون هذا ! الحقيقة أيضا أنى كلما نظرت لتلك الآلة أسأل نفسى هل هى مجرد مصادفة أن العرب هم من اخترعوا الصفر ؟) . أما الحلف الوحيد الحقيقى فى المنطقة ذو العمل الجاد فقد رفضنا الدخول فيه وتركنا الدولتين الأخرين تنطلقان فيه كقوى إقليمية مخيفة !

من ناحية أخرى يكاد يكون تناقضا لغويا من المبدأ ، تخيل أن العالم الجلوبى سوف يحوى شيئا اسمه **التكتلات الكبرى** فلا تكتلات فى الجلوبية إنما فقط كتلة واحدة ، فذلك فى حد ذاته نفى للجلوبية ومحاولة ساذجة لتوهم عالم لا جلوبى آخر متعدد الأقطاب أقرب لمجرد تنويعه على عالم الحرب الباردة البائد . بل بالأحرى هى أنموذج طالما عرفناه عبر التاريخ . لطالما ظهر فى مقابل كل حضارة إمبراطورية ضد ، أو إمبراطورية شر إن استخدمنا التعبير الشهير الذى اقتبسه الرئيس ريجان عن فيلم ' حروب النجوم ' ، إمبراطورية تتطفل على ثورتها التقنية وتحاول استخدامها ضدها (الإسلام ضد روما ، فرنسا ضد إنجلترا ، الاتحاد السوفيتى ضد أميركا) ، ولطالما ظهر ضدها أيضا حفنة من القراصنة وقطاع طريق الحضارة الصغار أو ' المستقلين ' ممن يحاولون سرقة وابتزاز الثورة التقنية الجديدة وسلب منجزاتها بل وتهديدها كلها بالفناء ، ليس من خلال جيوش الظلام المذكورة ، إنما بأسلوب العصابات والإرهاب الصغير (قراصنة المتوسط من العرب أخطر قطاع طريق التجارة العالمية عبر التاريخ ، قراصنة الكاريبى الأقل خطرا لكن ربما الأكثر شهرة بفضل هوليبود ، قراصنة الاستقلال فى العالم الثالث ، قطع طريق الطاقة على الحضارة سنة ١٩٧٣ ، وهكذا) . ' التكتلات الكبرى ' الجديدة تلك ، كالاتحاد الأوروبى تأتى بالذات من جانب اليسار (الشيوعية أو طبقا لاسم الدلع المختار ذاتيا الاشتراكية الديمقراطية ، ولا تصدق أن هناك فرق) ، الذى لا يزال يهيمن عليه حلم وجود كتلة ما توازن الانفراد

الأميركي بشئون العالم . إن كل الكتل الأكثر نجاحا هي تأكيداً الأكثر جلوبية وطموحا جلوبيا من غيرها ، وليس تلك التي تقاوم الجلوبية تحت مسمى جديد هو الإقليمية . وربما كان مؤسسى الاتحاد الأوروبي نبيلى الأهداف وطموحين حقا ، لكن سرعان ما ظهر الوجه الحقيقى لا سيما من خلال الديماجوجية والانغلاق الفرنسيين (طبعاً جزء أساسى من فرحتنا كعرب بفكرة التكتلات الكبرى ، إحساسنا الزائف بأننا وجدنا صدرا حنوناً لما يسمى لقضايانا العربية بعد زوال الاتحاد السوفييتى ، بينما الحقيقة أن اليسار الأوروبى أيضاً بات من الحفريات التي ستحال لمزيلة التاريخ قريباً) .

قد يرد قائل على هذا بأنه لا **ليس هناك شىء اسمه الصدر الأوروبى الحنون للقضايا** يبرر رفض مبدأ التكتلات . أوروبا العربية . فقط حفنة من اليساريين فى طريقهم للزوال . أوروبا هذه قد تتجه يمينا إن لاحقاً أو عاهرة تبيع نفسها للمتخلفين بعد فشلها فى الحصول على آجلا ، ساعتها سنكسب كتلة **سوق أفضل فى أميركا أو شرق آسيا** . ما يسمى التكتلات الكبرى فكرة رجعية وغير جلوبية ، حضارية وتقدمية ضخمة . كلا ! **ومجرد بحث من اليسار الأوروبى عن ذات حلمه القديم بالأممية الشيوعية . من يؤمن حقا بأن مستقبل العالم فى الاتحاد والجلوبية عليه أن يتجه مباشرة للاتحاد مع أميركا** الذى سيمارسه هذا الكيان الرجعى **ليس مع جيرانه . ارتق بمعايير حرية الاقتصاد عندك - وليس فى سبيل عرقلة ذلك التحول . حتى بالضرورة الانتظار حتى يرتقى الاقتصاد نفسه - وسوف من يؤمن حقا بأن مستقبل ترحب بك فى منطقة تداول حر . قدم لها القواعد العالم فى الاتحاد والجلوبية عليه أن والتسهيلات وسترفع عن كاهلك كلفة الدفاع . وهكذا يتجه مباشرة للاتحاد مع أميركا **دواليك** .**

وليس مع جيرانه . ارتق بمعايير حرية الاقتصاد عندك - وليس حتى بالضرورة الانتظار حتى يرتقى الاقتصاد نفسه - وسوف ترحب بك فى منطقة تداول حر . قدم لها القواعد والتسهيلات وسترفع عن كاهلك كلفة الدفاع . وهكذا دواليك .

[تقليدياً يقال أن تصبح يسارياً وأنت شاب هو دليل استقلاليك وقوة شخصيتك ، وأن تستمر يسارياً بعد ذلك هو دليل غباءك . لا نعتقد أن هذا القول بات صحيحاً كثيراً وقد عم الغناء اليسارى كل الثقافة وكل المؤسسات الاجتماعية والسياسية بل وكل الحياة . ودليل الاستقلال وقوة الشخصية الحقيقيين أن تصبح قائداً رائداً من البداية لا تساير عقلية القطيع ولا تجارى الغناء والوسطية والسوقية السائدة . من هنا كان أحد أبرز الاستطردات المبكرة نسبياً لهذه الصفحة هو ما جاء فى فى ١٨ مارس ٢٠٠٢ ، بمناسبة ظهور الكتاب الجديد لواحدة من أكبر رموز التحدى من المعاصرين البارونة ثاتشر ' حرفة الدولة ' ، الذى شن هجوماً كاسحاً على فكرة الاتحاد الأوروبى وعلى أشياء كثيرة أخرى] .

[تداعت الأحداث بسرعة ، والتوقعات الخاصة بعاصفة اليمين القادمة على أوروبا لتنتهى حقبة الغناء اليسارى فيها (يناير ٢٠٠٢ صفحة الليبرالية) ، ترجمت إلى وصول جان-مارى لو بان للدورة الثانية للانتخابات الرئاسية الفرنسية فى ٢١ أبريل (اقرأ التعليق فى صفحة الليبرالية أيضاً) ، ثم فى خلال يومين فقط وصلت توابع الزلزال للمنطقة العربية التى طالما راهنت على أوروبا كوريثة للاتحاد السوفييتى ولحقبة اللعب على الحبال ، والتى تتداعى حالياً كما حدث بالضبط له (اقرأ المتابعة فى صفحة الإبادة) . فى ذات الوقت كانت أوريانا فالانتشى تصف

العلاقة المريبة بين أوروبا -نعم كل أوروبا- والعرب ، بوصف أقرب كثيرا لما سبق أعلاه ووصفنا به فقط العاهرة القبيحة فرنسا ، التي تستجدي سوقا بعد فشلها في تسويق منتجها في منطقة أفضل كأميركا أو آسيا !]

إن الجلوبية وبمتهى الصراحة هي
الإمبريالية بعد إقرار بقية العالم
بانتصارها ! لكن رغم هذا ورغم أننا
قلنا في البداية أن الجلوبية تكاد تعنى
الأمركة إلا أننا يجب أن نقرر بالمثل
إنه إذا كانت أميركا هي الرباح
الأكبر من الجلوبية فإنها أيضا الخاسر
الأكبر . إن كثرة من الأميركيين
يصرخون في الواقع ضد الجلوبية وخذ
مثلا متخصصي الحوسبة الذين يرون
أن باتت أجورهم تقرر في حوارى
بومباى وليس في وادى السيليكون .
بمعنى أعم إذن فأن الفائز سواء كان
مختبرات أميركا أو شباب الهند أو
صناعات الصين أو غيرها فلن يفوز
لشيء إلا الاجتهاد والطموح البعيد



This Land, All Land, Is Our Land, We Advanced Countries!

والمنظور واسع الجلوبية قليل الولولة .

إننى أشك بشدة أننا سوف نفهم ما تعنيه حقا الجلوبية أو الجات أو حرية الثقافة قبل عدة عقود من اللطمات المخيفة . وأشك في أننا قبلنا بها حقا أو حتى سنقبل بها يوما ، وكل ما فعلناه أننا قبلناها اسما فقط ودون التمعن فيما تعنيه حقا ، ونراهن على ورقة ' الاستعباط ' عندما يحين وقت الجد ، ولا أستثنى من هذا رجال البيزنس أنفسهم الذين يقاومون خطوات الحكومة لتحرير السوق وتخفيف الجمارك ومقاومة المشورات الدولية وكنا نفهم أن يكونوا هم من أول يدفعونها نحو الاقتصاد الحر .



Developer Is Who to Own the Land, Not the Inheritor!

بصراحة أكثر إن كل اتفاقيات الجات ومنظمة التداول العالمية ، ليست في واقعها سوى تمارين لتسخين العضلات وليس إلا . وأن هذا الواقع الحالى الذى هو أقرب في جوهره مجرد ' لعب العيال ' سوف ينتهى وتبدأ الأوجاع الحقيقية يوم انضمام الصين لها . ساعتها ستصبح المهمة ألما وصراخا علينا سواء عندنا أو حتى في أميركا .

نعم ، الأرض لمن يستعمرها ، هو الموجز المرعب لاتفاقية الجات . كل شركة وكل فرد يستطيع فعل الأشياء أفضل منا هو أحق منا بأرضنا . يا ليت الأمر يقف عن مجرد التواعد الكيسينجرى القديم بأن يدعنا نحن العرب نشرب پترولنا [اتضح لاحقا أنه كانوا على وشك احتلال منابع پترول الخليج بالقوة] . إن المطروح الآن هو أن إجبار كل سكان العالم الثالث في حالة فشلهم في التحول لطاقة اقتصادية عصرية منتجة ، أن يفسحوا الكوكب لمن هم أفضل منهم . الفكرة الاستعمارية القديمة هى فكرة صائبة بكل المقاييس . الموارد الطبيعية ليس لها قيمة ما لم يكتشفها

ويستغلها المتقدمون . بدونهم لن يكتشف ولن يستغل أحد شيئا . لا قيمة للشاى والكاكاو بدون توماس لبيتون وچورچ كادبورى ، ولا قيمة للفحم والپترول بدون جيمس وات وتوماس إديسون . ومن البلطجة المحضة بعد ذلك طرد هؤلاء باسم السيادة والاستقلال ، وترك الموارد ليس فقط تنهب من جانب أقلية فاسدة محرضة تسمى الحكام القوميين ، بل تركها تذوى وتنهار على المجرى الطويل . وهذا ما آل إليه حال الزراعة وحال كل شىء في بلادنا بعد الاستقلال ، كما يعلم الجميع .

أليس من الظلم البين ما نراه اليوم من كون الشعوب المتقدمة تكدح يوميا على نحو لا مثيل له تاريخيا من حيث الجدية والتفانى ، بينما تتدفق البلايين على المتخلفين الذين لا يشتغلون أبدا ، مجرد أن اتضح بالصدفة أن الأراضى التى يقطنونها تحوى ثروات طبيعية ؟ نقصد الشاى والكاكاو والفحم والپترول وكل شىء !

العدالة والمنطق تقولان إن كل پترول العالم ملك لجيمس وات وتوماس أديسون ولورثتهما من بعدهما . نعم سعر النفط في باطن الأرض لا يجب أن يزيد عن الصفر ، وقبل أن تعارضنى أذكرك أن هذا كلام ماركسى جدا ، فهو لم يكن يعترف بشىء اسمه الربح ويعترف فقط بالقيمة المضافة ، وهى في حالتنا هذه تقنية الاستخراج زائد الشغل التقانى فيه سواء كان من أجنب أو من السكان الأصليين ، أو طبعا وهو الأهم القيمة المضافة من الفكرة نفسها أى اختراع آلات تستغل تلك المادة السوداء اللزجة التى طالما اعتبرها أجدادنا نعمة تقتل الأرض الزراعية لو ظهرت بها ! ذات الشىء يسرى على كل شىء حتى المياه . يقولون مثلا إن مصر مستعدة لأن تضرب بالطائرات العربية أى مشروع

لسدود في حوض نهر النيل . لا أعرف هل الاتفاقيات الحالية لاقتسام المياه التي وقعت حين كانت مصر دولة شبه استعمارية تحت حكم الإنجليز في العشرينيات ظالمة لهؤلاء أم لا ، لكني لا يمكن أن أفهم أن يقترح أحد تقسيم المياه بناء على عدد السكان لكل دولة . لا يوجد أغبي ولا أكثر رجعية من هذه الفكرة الشيوعية القائمة على أن الأشياء تقاس بالكم ، والتي تعرض تحريضا مباشرا على الانفجار السكاني . هذه ليست عدالة إنما تخلف . والموقف الصحيح هو تقسيم الموارد الطبيعية طبقا للنتائج الداخلة الإجمالي GNP لهذا الشعب وذاك . هذا هو البديل التنافسي التقدمية الجاد الذي يجعل كل البشر طوال الوقت على المحك ، لا يتمتعون بأى شيء بحكم الوراثة أو وضع اليد أو البلطجة ، إنما فقط بالاجتهاد والتحديث والتفكير الخلاق .

ما معنى أن يكدرح سكان العالم المتقدم يوميا ، نعم ، ما يسمى بالاتفاقية العامة على بينما تتدفق البلايين على المتخلفين الذين لا التعريفات والتداول (جات) General Agreement on Tariffs and Trade التي يقطنونها تحوى ثروات طبيعية ؟ نعم : الأرض (GATT) ، ومن ثم المنظمة الجديدة المسماة لمن يستعمرها ، والآن هذا قد يعنى إبادة كل سكان منظمة التداول العالمية WTO ، هى شيء مرعب بكل معنى الكلمة . التحديات التي العالم الثالث !

وقعنا عليها تحديات هائلة . المطلوب ليس فقط أن نشتغل ، وهو شيء لم نعتده قط في كل تاريخنا المعتمد على انتظار فيضان النيل وانتظار انحساره . بل المطلوب هو أن ننافس العالم بأفضل ما وصل إليه من قوانين . سيأتينا أطباء ومبرمجى حواسيب وشركات تأمين ومقاولات أميركيون ، ثم سرعان ما سنجد الهنود والصينيين قد أزاحوهم لأنهم يقدمون نفس الشيء بأسعار أرخص . وهلم جرا بينما نحن نتفرج ويزداد جوعنا . ثم نثور على ما وقعنا عليه ، فلا يكون من بديل سوى إعلان بلادنا منطقة كوارث جمركية ، وتأتى الجيوش لإنفاذ ما وقعنا عليه بأيدينا من اتفاقيات ، إنفاذه قسرا . والحقيقة أنها لن تكون سوى قوى النور والتقدم جاءت لإنفاذ واحد من أبسط وأقوى وأخلد قوانين الطبيعة وأكثرها تقدمية على وجه الإطلاق : قانون العيش للأصلح !

الطبيعة ليست يسارية قد تقولون هذه ليبرالية وحشية . حسنا ! اذهب لأى مكان في الكوكب خارج عن هيمنة الأمم المتحدة ، دغل أفريقي مثلا . يكفيك يوم واحد **بالمرة !**

وسترى كيف تمزق الأسد الغزلان الجميلة إلى قطع ، قبل أن يتلذذ بأكلها ببطء واحدة واحدة . هذا لا يحدث عبثا ، وطبعا ستقول لنفسك إن ثمة حكمة ما وراء ذلك ، ولو أنت متدين ستقول بلا شك إنما لا بد حكمة إلهية ما . طبعا يمكنك أن تقتل الأسد بيندقتك وتأكل أنت الغزال الشهى ، ويمكنك أن تقتله وتدفن بقايا الغزال وتتلو عليها الصلوات ، وطبعا طبعا يمكنك أن تذهب لمجلس الأمن لتقدم بلاغا فيما يقوم به ذلك الأسد المجرم من انتهاكات لميثاق المنظمة فى أحراش أفريقيا البعيدة . فى كل الأحوال شيئا لن تستطيع فعلهما لا أنت ولا الأمم المتحدة : أن تلغى وجود تلك الحكمة وراء قوانين أمانا الطبيعة التي اكتشفتها واكتشفت تقدميتها وتمسكت بها لبلايين السنين ، الشيء الثانى أن توقفوا أيها الرضع بعد بالنسبة لتاريخ الكون مسيرة هذه القوانين . الأدغال بشعة ، هذا صحيح . لكنها عاشت ٤ بليون سنة . والأدق : لهذا عاشت ٤ بليون سنة . نعم ، ومن شاء أن يعلم فليعلم : الطبيعة ليست يسارية بالمرة !

[صفحة الجلوبة الجديدة (فهذه الصفحة التي تقرأها الآن تحت اسم الثقافة كانت تحمل ذلك الاسم أصلا !) ، وكل الموقع عامة ، تفرع وتوسع بمرور الشهور عن صفحتنا هذه ، فقط كى يناقش مثل هذه القضايا] .



Please Tell Me Dad, What's Wrong with the Law of the Jungle?

إن مرضنا القومي رقم ١ منذ فجر التاريخ شيء اسمه **الفهلوة** (بالطبع هذه كلمة يصعب أن تجد مرادفا دقيقا لها في غير اللغة المصرية) . وضرينا أمثلة باستجابة الشعب المصرى لهزيمة يونيو ، ولصناديق الانتخابات . والآن خذ مثالا ثالثا **'لعبرية مصر'** المتفردة هذه ، من حقل الاقتصاد . وليس أشهر طبعا من كيف كانت الاستجابة لدعوة الرئيس السادات لما أسماه الانفتاح الاقتصادى .

شئ لا يمت للرأسمالية الجادة بصلة بالمره ، فقط إثراء سريع أو ' اخطف واجرى ' أو ' تهليب ' بالمصطلحات المصرية أيضا . بل وبعد كل هذه السنوات لا تزال الحكومة هى الزبون الرئيس ، ومن يريد الثراء لا يلقي بسلعته فى السوق طمعا فى أن يشتريها جمهور المستهلكين . من يفعل هذا يفلس . من أثروا هم فقط من أدركوا حقيقة أن المال العمومى هو الأوفر والأضمن ، وكل المطلوب هو فقط دفع رشوة زهيدة مقابل بيع طابعات الحواسيب أو رصف الطرق بثلاثة أضعاف تكلفتها .

نعم ! من الجائز أن **مصر تحظى حاليا بأكبر حكومة فى العالم** ، بل ربما أكبر من حكومة الاتحاد السوفيتى نفسه أيام مجده . خمسة أو ستة ملايين موظف حسب [آخر معلوماتنا] ، تلتهم مرتباتهم وحدها أكثر من ثلث موارد الدولة ، والأسوأ أنهم لا يكفون عن الزيادة . ذلك فى مقابل أقل من ثلث ذلك العدد هم كل موظفى حكومة أكبر دولة وأكبر اقتصاد فى العالم الولايات المتحدة الأمريكية ، ويتناقصون عاما بعد عام [٢.٢ مليونا سنة ١٩٩٢ أصبحوا ١.٨ مليونا سنة ٢٠٠١ ، ومليونا واحدا تقريبا لو استبعدنا القوات المسلحة ، وهو رقم ثابت لم يتغير منذ ١٩٧٠ . هذا وذلك طبقا للميزانيات الرسمية المعلنة من البيت الأبيض] . بغض النظر عن أن سكان أميركا ٤ أضعاف سكان مصر ، فإن هؤلاء المليونين أو أقل ، مكلفون بإنفاق ميزانية تقارب ٢.٥ تريليون دولار سنويا ، بينما عندنا الميزانية هى نفسها تقريبا أجور الموظفين زائد الدعم العيى لهم ، أما النشاط الموضوعى نفسه الذى يفترض أن ينفذونه فميزانيته لا شئ (هذه يسمونها الباب الأول والباب الثانى ، والترتيب نفسه مضحك والأرقام أكثر إضحাকা ، بل يتسابق المديرون على توفير ميزانية الموضوع وإعادةها فى نهاية السنة المالية !) .

إذن مكنم الداء فى تأصل مبادئ الاشتراكية فى معظم العالم الثالث ، وفى العقلية المصرية بالأخص ، حتى النخاع ، وحتى العقل الباطن . وهذه هى النتيجة : فاتورة حكومية ضخمة ترفع الضرائب ، ومن ثم أسعار السلع وتفقدنا فرصتها

في المنافسة الخارجية . فاتورة تعليم مجاني باهظة الكلفة ولا عائد منها على وجه الإطلاق ، علاج مجاني مهدر ، دعم للخبز وغيره ، وهكذا إلى ما لا نهاية . لا مستمر يأتي في ظل ظروف كهذه . أو باختصار ، انعدام الجراءة على تبني الاقتصاد الحر الحقيقي ، الطريق الوحيد الذي عرفته البشرية لبناء اقتصاد مزدهر شرقها وغربها . ذلك لأنه سيؤدي حتما لجوع الكثيرين والقائم لقارعة الطريق وكفهم عن الزواج والإنجاب ومن ثم زيادة أعداد الفقراء . والنتيجة النهائية أن الكل (فيما يبدو باستثناء كمال الجنزوري رئيس وزرائنا الجديد !) ، راض على أن الحكومة أصبحت جمعية خيرية ضخمة لا أكثر ، تعطي ملايين الستة هؤلاء صدقة صغيرة أول كل شهر تسد رمقهم ، دون أن تطلب منهم أى شغل حقيقي بالمعنى المتعارف عليه في العالم المتقدم أو حتى غير المتقدم . والنتيجة أن بات **السبعون مليوناً فاسدين** ، بدءاً من أول كبار كبار المرتشين في مقاعد السلطة ، حتى ساعي الشركة الخصوصية البسيط الذي يهمل وظيفته كي يبيع حوارب لزملائه أتى بها من بورسعيد في رحلة نهاية الأسبوع . والأسوأ من هذا وذاك أن ظهر المتدينون لا لشيء إلا ليصموا غيرهم بالفساد ، ويدشنوا من ثم صناعة فساد ضخمة خاصة بهم ، يسترزقون من وسع من خلالها تحت مسمى محاربة الفاسدين والمفسدين ، وكأن هذا الفساد كعكة يريدون تأمينها بالكامل لحسابهم . وهلم جرا تتواصل الدائرة الجهنية دونما مخرج ، والفساد والتدين ما هما إلا نتائج وليس بالجمال السبب . لكن حتى هذه لا يدركها مثقفونا المسمون بالمستنيرين .

طالما بقي رغيف الخبز بخمسة قروش ، لن تحل أبدا مشكلة الانفجار السكاني . حتى يومنا هذا **حكام البعد الاجتماعي عندنا ينادونك في كل خطبة بالحد من الانفجار السكاني ، ولا يعلمون أن طالما بقي رغيف الخبز بخمسة قروش ، لن تحل أبدا مشكلة الفحش في**

الإنجاب . ربما لا نريد الإفاضة كثيرا في الحديث عن مصر ، لأنها تفرد خاص أو مفارقة أو تشذذ anomaly وسط المحيط العربي ، بل وسط كل البشرية يطول تحليله . فقط نقول إن بهذا المعنى **مصر هي أعظم ديمقراطية لكل العصور .** حكامها لا يفعلون شيئا بدون تفويض مطلق من الشعب ، طبقا لنفس عقلية الإجماع العربية التي سبق الإشارة إليها ، والأهم أن هؤلاء الحكام -على العكس بالضبط من الفراعنة العظماء- لا يفعلون ما يغضب هذا الشعب المصري أبدا أو يقوض كسله العظيم !

أسطورة أخرى أن المصري يعطي الكثير لو ذهب للخارج حيث الأجور مرتفعة . غير صحيح . لو أعطيته هنا عشرة أضعاف أجره لن يزيد مقدار شغله قلامه ظفر . الأمر لا علاقة له بالأجر . الأمر يعتمد فقط على البيئة التنافسية للاقتصادات الحرة ، مقابل تكية الجمعية الخيرية عندنا المعروفة باسم الاشتراكية والبعد الاجتماعي . في مصر لا يفصل أحد من شغله لأنه لا يشتغل ، ولا نبالغ إن قلنا إن هذا يسرى على القطاع الخصوصي أيضا !

بصياغة موجزة : عبقرية مصر عملة وجهها اليسارية والسهولة . هما من التكامل والقوة بحيث يحمي كل منهما الآخر من جميع المؤثرات الخارجية . ولهما من العمق الجيني ما يستعصى على أى تعديل سريع ، إلا وهو تجذر الكسل وقصة الفيضان الذي فرض البلادة والإيمان القدرى بالخرافة والخوارق على شعب بكامله طيلة سبعة آلاف سنة كاملة بصرامة مذهلة !

من هنا نقول إن ها هي -وبعد أسطورة أخرى أن المصري يعطى الكثير لو ذهب للخارج سبعة آلاف سنة من توطن مرضى حيث الأجور مرتفعة . غير صحيح . لو أعطيته هنا عشرة الفهولة واليسارية فى الجيبنات- قد أضعاف أجره لن يزيد مقدار شغله قلامه ظفر . الأمر لا حانت لحظة الحقيقة ، وسوف علاقة له بالأجر . الأمر يعتمد فقط على البيئة التنافسية للاقتصادات الحرة ، مقابل تكية الجمعية الخيرية عندنا يكون مستقبلنا أمرا باهظ التكلفة المعروفة باسم الاشتراكية والبعث الاجتماعى . فى مصر لا بما يفوق كل ما تكبدنا حتى الآن . يفصل أحد من شغله لأنه لا يشتغل ، ولا نبالغ إن قلنا إن ذلك طالما سواصل توهم أن فهولة هذا يسرى على القطاع الخصوصى أيضا !

كل التاريخ سوف تصلح إلى الأبد عبقرية مصر عملة وجهها اليسارية والفهولة . هما من ناهيك أن تصلح فى تعاملاتنا التكامل والقوة بحيث يحمى كل منهما الآخر من جميع وسياستنا الخارجية ، وتوهم أن المؤثرات الخارجية . ولهما من العمق الجيبنى ما يستعصى يسارية أن أحدا لن يموت من على أى تعديل سريع ، إلا وهو تجذر الكسل وقصة الفيضان الجوع ، ويسارية أن فى مصر لا الذى فرض البلادة والإيمان القدرى بالخرافة والخوارق على شعب بكامله طيلة سبعة آلاف سنة كاملة بصرامة مذهلة ! تفصل من وظيفتك مهما فعلت أو

لم تفعل ، ويسارية فكرة البعث الاجتماعى الذى جعل من الاقتصاد المصرى مجرد جمعية خيرية كبيرة هدفها إعالة الجميع ، وليست اقتصادا منتجا بأى معنى معروف للكلمة ، وأنه سوف يمكننا الحفاظ على كل ذلك فى عالم يتحول بشراسة نحو اليمين والتنافس الدارونى الحر .

نعم ، نحن نستعدى الحكومات على شعوبها . ليس لدينا غضاضة فى هذا طالما أن هذه هى نوعية الشعوب . الشرط فقط أن تكون هذه حكومات ليبرالية التوجهات اقتصاديا غير ليبرالية سياسيا إن اقتضت الضرورة . عليها أولا أن تفرض الاقتصاد الحر بالقوة ، وما عدا ذلك من حريات وحقوق ونمو اجتماعى يأتى تلقائيا وعلى المدى الطويل .

...

رغم كل ذلك نقول (ربما إيمانا قديما منا بأغنية لفريق الأبا لا أكثر ، تقول فى عنوانها People Need Hope !) ، إن ما يجرى الآن من تحديث هو شىء رائع ربما لم نكن نحلم به قبل سنوات معدودات . ولا شك أن حكومة الدكتور الجنزورى هى أزهى فترة حكم شهدتها مصر منذ أيام الخديوى إسماعيل أو على الأقل منذ رؤساء الوزراء العظام قبل وصول متأمرى ١٩١٩ للسلطة على رماح الغوغاء ، والأهم منها قنابل تنظيمها الإرهابى الذين لم يكن له من هدف سوى قتل الزعماء الوطنيين الحقيقيين كرؤساء الوزارات المذكورين ، أو من يجرؤ على تحدى حيوط المؤامرة سعد الزغلولية ويبحث عن التحديث ومصلحة الوطن لا عن مصلحته الشخصية ، ولو كان عبد الرحمن الجبرتى حيا فى ذلك الوقت لقتله .

من هنا نقول إن حتى اللحظة لا يزال الفارق فادحا بين الرجلين إسماعيل والجنزورى ، إن وضعنا فى الاعتبار أن الخديوى بنى كل منشآته وقد أدارت ظهرها للقاهرة الفاطمية ، بما فى ذلك جواد أبيه إبراهيم باشا الذى أولاهها مؤخرته بدوره (لاحظ أيضا أن هذا يجعل الدبر موليا ناحية جهة الشرق والتطلع هناك نحو الغرب ! بالمناسبة وسط القاهرة

التجارى الرائع هذا مستوحى من الطرز المعمارية المقبية والشوارع الخضراء المستقيمة ممتدة الطول وطرز الحدائق الإنجليزية ... إلخ ، كلها التي أعاد بها البارون هاوسمان Baron Georges-Eugène Haussmann تخطيط وبناء قلب باريس في مطلع القرن التاسع عشر أو ما أصبح يسمى Haussmann's Paris . وبعد عقود قليلة من الخديوى وغير بعيد عن قاهرته ، ظهر بما لا يقل رقيا حى جاردن سیتی -وكان اسما على مسمى فى حينه- مستلهما أسلوب إيبينزر هاوارد Ebenezer Howard فى بناء ضواحي لندن لا سيما تلك الحديقة المتسعة المميزة لكل منزل . بالمثل لحقه بدءا من أواخر العقد الثانى من القرن المستثمر المغامر البارون البلجيكي إيمان Baron-General Edouard Louis Joseph Empain وراح يبنى حى هليوبوليس -مصر الجديدة- بطموح فريد فى مزج الأساليب المعمارية الأوروبية مع بعض الخطوط الإسلامية يوحى بأن تلك الشعوب قد نضجت بحديث تدلف للتحديث دون خصومة أو تخرج أو تخوف من الاستعانة بفلكلورها البدائي البائد . بالتزامن بالضبط مع هذه الأخيرة كان سعد زغلول يدشن حكم الدهماء لمصر ، الأمر الذى ترجمه كما يجب على استقامته جمال عبد الناصر فغزا كل تلك الأماكن الجميلة بالمساكن الشعبية تخدم القصور وبالبيروقراطية تحتل ما يروق لمزاجها ولا تشأ هدمه وطبعا غزاها جميعا بشعار دولته الأشهر : طفح المجرى !) . المهم ، لا يصح النظر للخديوى إسماعيل كمجرد حاكم انكسرت طموحاته بينما ندين له فى ذات الوقت بمعظم أسس التحديث التى يقوم عليها مجتمعنا حتى اليوم ، فهذا يكفيه كإنجاز غير مسبوق أو ملحق بالمقاييس المألوفة للإنجازات فى التاريخ المصرى . كل هذا مع غض النظر أنه انكسر لأسباب أقرب للحظ المحض كالحرب الأهلية الأمريكية وتدهور أسعار القطن ... إلخ .

إن الإيقاع البطئ الحالى للتحديث وغيبه التحالفات الصحيحة مع الخارج وضعف الإرادة السياسية للتغيير الحقيقى وأقله وقف تغلغل السلفية بمختلف أجنحة وأيديولوجيات الهزيمة بها فى النخبة القائدة ، أشياء تجعلنا أبعد ما يكون عن مجارة عالم يحسب فيه فارق التقدم بين الشركات أو الدول بالأيام لا بالقرون . بل الأسوأ إن التحديث نفسه بات رهينة للوضع الديموقراطى المتميع القائم ، الذى لم يكن له من نتائج فى ظل جهاز حكومى ضخم وغياب سلطة حقيقية لرأس المال ، سوى تعاضم سطوة أقلام الابتزاز الصفراء الجمهورية (إن استعنا مرة أخرى مصطلح الثورة الفرنسية) ، ذلك بأجنحة الفكر الجمهورى الثلاث المتاحة عندنا الدينية والقومية والاشتراكية ، بحيث يلوح من حين إلى آخر أنها أصبحت السلطة الأولى إن لم تكن الوحيدة فى البلاد ، وكلها لحسن الحظ أقلام لا تزايد فيما بينها إلا على من يكون أشد الجميع رجعية [فى أبريل ١٩٩٨ اتخذ الرئيس مبارك خطوة حاسمة مع هذا النوع من الصحافة الغوغائية مثل مجلة روز اليوسف ، أعطت بعضا من بريق الأمل فى المستقبل] . فالأكثر إيلا ما للأسف أن التاريخ أجبرنا على التعلم أنه خارج الدائرة الأجلو-يهودية لم تحدث نهضة ذات شأن قط بدون ديكتاتورية يمينية (وعسكرية فى الغالب) تفرض العقلانية المفقودة فرضا ، وذلك بدءا من ثون بسمارك والإمبراطور ميچيه ، مرورا بأتاتورك وفرانكو ، وانتهاء بتجارب بينوتشيت وچنرالات النمر المذهلة فى العقود المعاصرة . [نوقش هذا باسهاب بعد قليل فى صفحة الليبرالية] .

ثمة حل جيد آخر غير الإبادة ، لنهى هذا القسم الخاص بالاقتصاد وتبعاته بكلمة إلى هؤلاء **ويحقق تقريبا نفس الغرض : الاقتصاد** المخلصين الحقيقيين منا ، من المهمومين بمستقبلنا المحتوم ممن **الحر !** يذكرنا بأدب ودأب طوال الوقت بالاحتمال

شبه-الأكيد-شبه-الوشيك بالخروج من الجغرافيا ، دعونا نقول ولو مؤقتا إن ثمة حل جيد آخر غير الإبادة ، ويحقق تقريبا نفس الغرض : الاقتصاد الحر !

خلاصة



Chauvinism and Aggression as the Core of the Arab Mentality:
Just Read the Two Ugly Phrases!

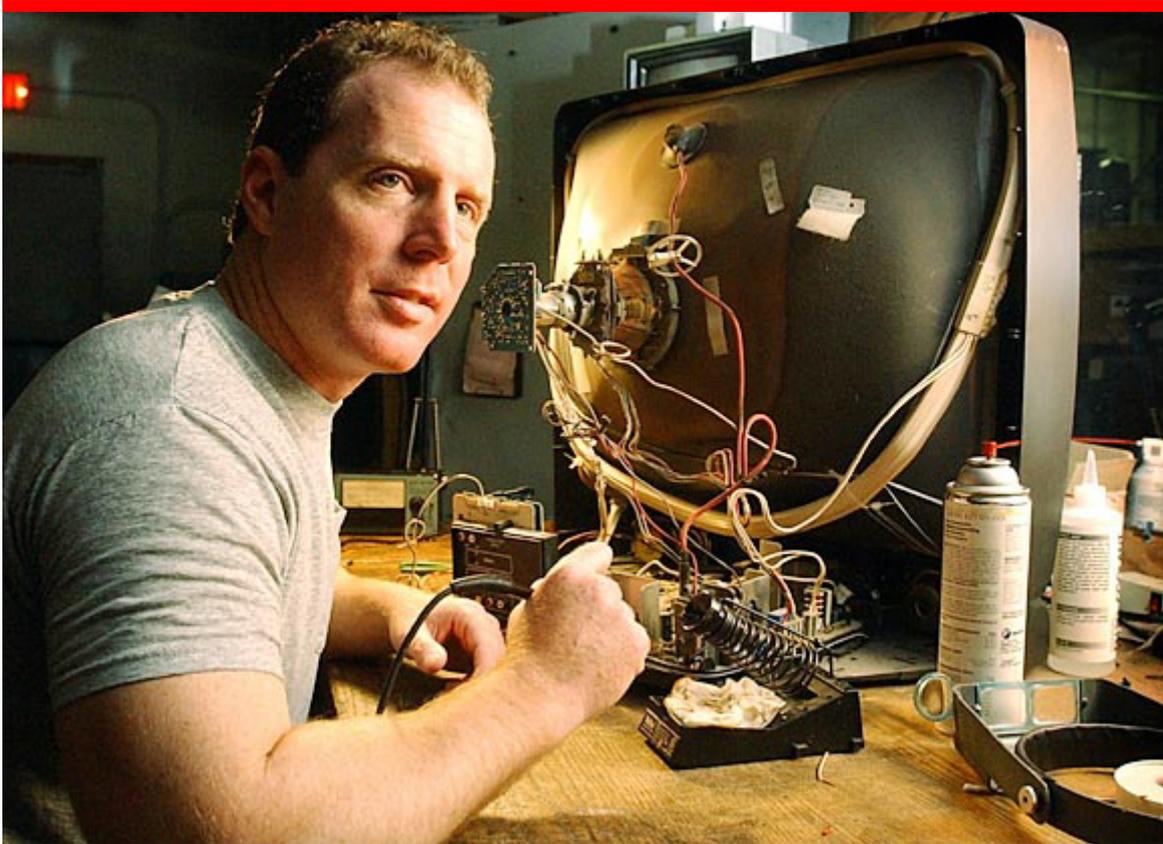
(Scroll Down for More)

...

وبعد... فإن تدوين يوميات كهذه لرصد ما يجري حولنا ، يبدو من قبيل الجمعية بلا طحن التي لا يلوح أن هناك من يعيرها التفاتا . فهناك من ناحية من يجادل أن تجاوز الجينيات هو أمر مستحيل وأنه لا أمل بالمرة في المستقبل . وهناك في أفضل الأحوال من يكتفى بالحلم اللذيذ أن يهبط كمال أتاتورك أو جنرال بينوتشيت آخران ، أو أن يبعث محمد علي أو خديوى إسماعيل جديدان ، أو أن تولد فجأة إرادة -أية إرادة- تجعل للكلمات -أى كلمات- معنى . أن يفرض هذان الرأيان نفسيهما فرضا هو شق المرارة الحقيقى في حديث التقنية أو الجلوبية ، الذى يفترض في الأصل أنهما من أكثر الأحاديث بهجة وتفاؤلا . وهو فعلا كذلك ولا يفترض أن **على الشعوب أن تنتظر حتى يتيح لها العلم التخلص من جيئاتها** ووضع أخرى بديلة لها ، بل عليها الاجتهاد والتعلم وتطوير تفكيرها قدر الطاقة ووضع نظام مفتوح للتنافس الاجتماعى يمكن أن يؤدى على الجرى البعيد للانتخاب الطبيعى (أو للدقة غير الطبيعى) للجينات الأفضل ، لكن المرارة في ذلك الحديث تأتي عندما تتدبر قليلا في التدايعيات الثقافية والسياسية الملحة لذلك الكلام الذى تقوله عنها . هنا تظلم الصورة فجأة أمام عينيك وتتسلل إلى جوفك تلك المرارة الفريدة التى لا وجود لها إلا في بلاد سكب المهزومون فيها مرارتهم الخاصة على كل شىء في حاضرها ومستقبلها . فهل من بصيص يعطى بعض الأمل في الخلق ؟ ربما الأمل

الوحيد الإيمان بداروين حتى النهاية ، وأن قانونه الأستاذى الذى يسميه الفاشلون قانون الأدغال هو حقيقة واقعة لم تفرز يوما إلا ما هو صحيح فى نهاية المطاف .

حقيقة لا أدرى ما هى مشكلتهم مع قانون الدغل إذا كان هو الذى أفرز لنا الإنسان الذى يتباهون به ليلا نهارا !
الأسوأ لو جاريناهم فى طريقة تفكيرهم ، التى تريد منا الاستمرار فى صراع ' وجود لا حدود ' أبدى ضد إسرائيل ، انهم لا يعلمون أو يعلمون ولا يتعلمون ، أن أول من حاول تطبيق نظرية داروين فى حقل السياسة (نقصد بعد ظهورها ، فهى مطبقة طوال الوقت دون أن نشعر !) ، كان **تيودور هيرتزل** فى كتابه ' الدولة اليهودية ' ١٨٩٦ ، والذى قال إن العالم وحوش مفترسة ، وإن اليهود يجب أن يطبقوا مبدأ القوة فوق الحق . وهو مصيب فى هذا القول على نحو مذهل ، فالقوة شىء تقدمى بطبعه ، وهى قانون الكون الجامع والأساسى ، وكل الكون مبنى على فكرة القوة ، وتحديد القوى الأربع الرئيسة التى أهونها غزارة وشأنا قوة التناقل التى تربط النجوم والمجرات معا ، وتندرج إلى القوة الكهرومغناطيسية والقوة النووية الضعيفة والقوة النووية الشديدة . أما فكرة الحقوق فهى شىء تافه تماما لم يظهر سوى فى كوكب واحد صغير اسمه الأرض وعلى يد عشيرة واحدة اشتهرت بغرابة أطوارها اسمها البشر . بالتالى فأية مواجهة فلسفية أو غير فلسفية بين مفهومى القوة والحق هى مقارنة لا تثير ببساطة سوى الضحك إن لم يكن التفرز . وإذا كان ثمة حالات كانت فيها القوة رجعية أو ليست حقا ، فهذه هى الاستثناءات الشديدة والتى تمت فى غفلات خاصة جدا من الزمن ، مثل الاحتلال العربى-الإسلامى لمعظم العالم القديم بسبب هيمنة عصور الظلام والخرافة الدينية على الغرب بعد وراثة المسيحية من الداخل لحكم الإمبراطورية الرومانية ، أو مثل الاحتلال السورى الحالى للبنان بسبب غياب قيادة علمية مركزية ، أو لكون هذه الأخيرة فى طور التبلور أو التكوين .



Technology 'Acquisition' vs. Technology Invention!

النتيجة
التطبيقية التى
نعرفها جميعا
لكلام هيرتزل
هى ميلاد نقطة
طلعية للحضارة
الغربية فى منطقة
ينظر لها تقليديا
كبقعة متخلفة .
دولة تعتبر اليوم
أقوى دولة خارج
(أو بالأحرى
فوق) نطاق
الدول الكبرى .

دولة ذات كلمة نافذة ومسموعة تماما من الجميع دولة بالغة التقدم التقنى (الفرد تنتج فيها ٣ اضعاف انتاج الفرد الأميركي من البحوث) ، والثروة (ناتجها القومي سيز قريبا الناتج القومي لكل الدول العربية الغنية والفقيرة معا) ، والقدرة العسكرية (قنابل نووية ومهارت قتال ... إلخ) .

ما يسمى التيمايوس timaeus أو ' النفخة ' كانت متضخمة من السر الوحيد أنهم قبلنا عند الهنود الحمر والأبوريچين حيث يشكل المكون الثقافى أو قرأوا داروين مبكرا الهوية ... إلخ ، شيئا أهم من كل أسس الحياة المادية . ترانا فى قمة وفهموه ، فى وقت كان التخلف والبداءة ، ومع ذلك نعتقد أننا خير أمة أخرجت للناس . كل العالم يحاربه ، وأنشأ بمجرد تحقيق قدر ضئيل من التقدم بفضل إحسان الغرب ، وليكن المنظمات الفاشلة مثلا ما حققته الليبرالية المصرية ، حتى ننسى كل شىء ونسارع كما كعصبة الأمم والأمم فعل عبد الناصر ومجمل ما سمي بالحركة الوطنية لرفع شعارات المتحدة خصيصا التطاول والشوفينية من نوعية ارفع رأسك يا أخى وخير أمة وتذكر أننا أصحاب لغة القرآن والأشرف من آل البيت ... إلخ ، ونطالب لاجهاض نظريته . أما بالاستقلال وما إليه ونعامل الغير بعدوانية وخطرة ، لا لشىء إلا أميركا كما قلنا بإطلاقها لنكرس حقيقة التاريخ الأعظم إطلاقا أننا **أحط أمة أخرجت للناس** . التام للصراع الاقتصادى نتعالى على العقل ومعطيات الواقع ، ونصر دون أية مقومات حقيقية والاجتماعى داخلها فقد على كوننا متميزين . والأسوأ أن العبارة الأخرى التى تتقاسم مع تأتى كالنموذج التالى فى أسطورة ' خير أمة ' صدارة القاعة الرئيسة للجامعة العربية هى العبارة الوحيدة فى العالم التى يمكن أن تكون أشد قبحا منها ، تحريض الدرجة من حيث أزلى أبدى على العدوان والمواجهة القنفذية الدائمة مع كل الأغيار الدارونية ، أى تحوز ' واعتصموا ... ' ! هذا السلوك الشوفينى-العدوانى معا ، بالإضافة الميدالية الفضية فى لما أضفى عليه من تنظير دينى ، شىء لا وجود لمثله الآن بين كل أولمبياد التقنية العالية شعوب العالم ، وهو الذى يجعل تقدمنا ضربا من مستحيلات -قل أولمبياد الطبيعة . العصر .

البديهى أن التقدم

يتطلب إفعال العلم والعلمنة والجري فى سباق اكتساب التقنية وإخراج كافة المقدسات والخرافات الدينية والأيدولوجية بأنواعها من أنشودة القرار العمومى (بل ومن حياة الفرد إن شئنا له أن يكون مبتكرا مبدعا حقا) . لكن المشكلة هى توصيف العقبة أو العقبات التى تحول دون تحقيق ذلك ، بل وحالت فعلا ، كما هو واضح من تفاقم الفجوة بينا وبين بقية العالم يوما بعد يوم ليس فقط مقارنة بالعالم المتقدم ، بل بقطاعات واسعة من العالم النامى نفسه . وذكر نماذج تمتد من كوريا إلى تركيا إلى تشيلى ، مرورا بالصين والهند ذاتيهما ، ليس سوى رصد لأمثلة اعتباطية . بعد أكثر من أربعين عاما مما يسمى بالاستقلال تبدو مهمة إعادة تأهيل شعوب العالم الثالث للحاق بركب الحضارة ، مهمة صعبة للغاية ، وفى عالمنا العربى ذى المكون الثقافى العالى ، نأسف للقول إنها تكاد تبدو شبه مستحيلة .

المهم ، أو لعله الجديد ، فى هذه الورقة أنها خلصت لتشخيص المشكلة فى عش الدبابير والعناكب والصراصير المسمى العقل العربى . فى هذا الكينونة البارانونية العطنة والعدوانية معا ، تكمن كل جذور تخلفنا . الأوضاع الاقتصادية والسياسية ربما نتيجة ، لكنها قطعا ليست السبب ، والدليل تلك الأمم التى عانت من ذات الأوضاع الاقتصادية المتردية وكان لديها ذات الخرافات والأيدولوجيات و 'الهويات' ، لكن نراها الآن منطلقة فى تحديث مبهر ينتزع إعجاب كل العالم . المشكلة أن لدينا خصوصية خاصة جدا من نوعها .



Striking Similarity!

التيمايوس timaeus (وهو مصطلح أحياء مؤخرا كتاب عنوانه 'نهاية التاريخ' حدث ولاقى جماهيرية كبيرة على سطحه أو ربما بسببها ، لكن -أى المصطلح- لا تستخدمه الترجمات المعروفة لكتاب الجمهورية) ، هو الثلث الخاص بالحرقة passion أو النفخة spirit من الروح soul حسب مجادلة سقراط فى جمهورية أفلاطون ، تميزا منه له عن الرشد reason والرغبة desire . أو لعله هو نفسه ما أسماه هيجل الكفاح من أجل الاعتراف ، وراه محركا لكل إجرائية التاريخ . ذلك الوجد أو التيمايوس أو النخوة كان محركا جيدا للتقدم فى منظور هيجل تماما كما سقراط . عند سقراط هو أعلى مراتب الروح وينظر فى هيراكليه الثلاثية دوما ، قسم القادة أو القناصله counsellors فى المجتمع ، مقابل قسمى العموم أو المؤازرين auxiliaries والتجار traders (ممثلى

الغريزة والعقل بالترتيب) . لكن تاريخيا يسهل أن نرى هذه 'النفخة' عينها قد تكون شيئا سلبيا ومضرا ، أو بعبارة أخرى تجور على الأقل على ثلث العقل على نحو مأساوى ، وفى عصرنا الحاضر قد تختزل تماما لمجرد رد الفعل الانفعالى الدائم لدى شعوبها على كل شيء وتفتقد أى بعد إيجابى محتمل لها على وجه الإطلاق (من يرى انفعالات العرب فى المظاهرات أو المآتم أو الزار أو ما إليها ، لا بد أن يقول إن الإسلام كان على حق ، فما حاجتهم أصلا للخمر إذا كانوا يستطيعون الوصول لحالة غياب الوعى هذه مجانا من تلقاء أنفسهم بمجرد تقمص حالة عقلية دون أية تكلفة مادية !) .

تلك 'النفخة' spirit متضخمة للغاية عندنا نحن العرب (لا ندرى يقينا ما علاقة مصطلح سقراط بما تسمى فى العامية المصرية 'النفخة الكدابة') ، ومن قبلنا كانت متضخمة عند الهنود الحمر أو الأبوريجين ممن يشكل المكون الثقافى أو الهوية... إلخ عندهم ، شيئا أهم من كل أسس الحياة المادية . ترانا -مثلا كانوا

هم- فى قمة التخلف والبداءة ، ومع ذلك نعتقد أننا خير أمة أخرجت للناس . بمجرد تحقيق قدر ضئيل من التقدم بفضل إحسان الغرب ، وليكن مثالا ما حققته الليبرالية المصرية ، حتى ننسى كل شيء ونسارع كما فعل عبد الناصر ومجمل ما سمي بالحركة الوطنية لرفع شعارات التطاول والشوفينية من نوعية ارفع رأسك يا أخى وخير أمة ونتذكر أننا أصحاب لغة القرآن والأشراف من آل البيت ... إلخ ، ونطالب بالاستقلال وما إليه ونعامل الغير بعدوانية وغطرسة ، لا لشيء إلا لنكسر حقيقة التاريخ الأعظم إطلاقا أننا أخطأ أمة أخرجت للناس . نتعالى على العقل ومعطيات الواقع ، ونصر دون أية مقومات حقيقية على كوننا متميزين . والأسوأ أن العبارة الأخرى التى تتقاسم مع أسطورة ' خير أمة ' صدارة القاعة الرئيسة للجامعة العربية هى العبارة الوحيدة فى العالم التى يمكن أن تكون أشد قبحا منها ، تحريض أزلى أبدي على العدوان والمواجهة القنفيذية الدائمة مع كل الأغيار ' واعتصموا ... ' ! ألم تسأل نفسك ما هى المنظمة أو التجمع الوحيد فى العالم التى يقوم على أساس عرقى شيفونى ، بينما سائر التجمعات الأخرى تقوم على أساس اقتصادى ؟ حتى فرنسا ، وهى أمة متخلفة ومهزومة مثلنا ، حين خلقت منظمة ثقافية دولية للدول الناطقة بالفرنسية ، لم تبناها على أساس عرقى (عنصرى) .

الشعوب الساموية (ليس نسبة لسام بن نوح ، إنما هذا السلوك للسمو ، وإن كانت الرابطة بين الأمرين غير معدومة) ، لا الشوفيني-العدواني ،
تعبا بالدنيويات ، ذلك أن لديها أجنحة ثقافية ودينية بالإضافة لما أضفى عليه من
و' تيمايوسية ' تعلقوا فوق كل الاهتمامات التافهة للشعوب **تنظير دينى ، شيء لا وجود**
الأخرى . إن الشعوب ذات المكون الثقافى العالى ، ناهيك **لمثله الآن بين كل شعوب**
عن بالأخص منها تلك التى تفتقت عن فكرة جهنمية بحجم
فحش فكرة إله التوحيد ، هى شعوب خطيرة بطبعها ، شعوب **العالم ، وهو الذى يجعل تقدمنا**
ترى كرامتها أو ' هويتها ' أهم من لقمة عيشها ، شعوب **ضربا من مستحيلات العصر**
مبتلاة بچينيات تغلب التشنج على العقل ، شعوب يستحيل (إنهم حتى يشوهون باسم الدين
الارتكان لفرصة التفاهم بالمنطق معها ناهيك عن ترويضها ، والهوية والتقاليد السلوك الغريزى
ويمكن أن تجنح للتدمير فى لحظة وبأرخص أسعار **الجنسى نفسه ، ويحولون**
التحريض ، واسألوا الهنود الحمر . أو لنكن أكثر صراحة
ونقولها بالعامية : أبناء عمومتنا اليهود سامويون لكن **الجسد لرياء مطلق يتصارع ما**
اتعالجوا ، الهم والباقي على من لا تزال اللعنة تجرى فى **بين التعالى عليه وعدم القدرة**
دمهم : ' الأشقاء ' العرب ! **على الاستغناء عنه ، وإن كانت**

هذه الازدواجية قضية مأساوية

أخرى) . (بمناسبة العرقية والأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والمعايير المزدوجة كلها معا : أساتذة المعايير المزدوجة ، العرب عباقرة الكلام وغسيل دماغ العالم ، ' طفحت ' معاييرهم المزدوجة حتى ملأت المنظمات الدولية التى يهيمنون عليها بالكامل . الأمم المتحدة ظلت تحارب جنوب أفريقيا ، وهى مجرد فصل عرقى ، أى لا كراهية ولا عداوة ولا إضطهاد ، مجرد أسوار تحجب الرائحة وسحن الوجوه ، ذلك إلى دمرت تلك الجذوة

الحضارية الوحيدة فى قارة الظلام . هذا بينما تعترف بل وتوقر وتسير لأبعد مدى فى ركاب جامعة الدول العربية وهى منظمة عرقية صريحة !) .

الشعوب الساموية (ليس نسبة لسام بن نوح ، إنما للسمو ، وإن كانت الرابطة بين الأمرين غير معدومة) ، لا تعباً بالدنيويات ، ذلك أن لديها أجندة ثقافية ودينية و' تيمابوسية ' تعلق فوق كل الاهتمامات التافهة للشعوب الأخرى . إن الشعوب ذات المكون الثقافى العالى ، ناهيك عن بالأخص منها تلك التى تفتقت عن فكرة جهنمية بحجم فحش فكرة إله التوحيد ، هى شعوب خطيرة بطبعها ، شعوب ترى كرامتها أو ' هويتها ' أهم من لقمة عيشها ، شعوب مبتلاة بچيانات تغلب التشنج على العقل ، شعوب يستحيل الارتكان لفرصة التفاهم بالمنطق معها ناهيك عن ترويضها ، ويمكن أن تجنح للتدمير فى لحظة وبأرخص أسعار التحريض ، واسألوا الهنود الحمر . أو لنكن أكثر صراحة ونقولها بالعامية : أبناء عمومنا اليهود سامويون لكن اتعالجوا ، اللهم والباقي على من لا تزال اللعنة تجرى فى دمهم : ' الأشقاء ' العرب !

المشكلة چينية بالأساس . قد نذهب بعيدا بعض الشيء ، ونقول إن حتى بعض الشعوب التى خاضت كثيرا فى التحديث ، وقطعت منه أشواطاً مذهلة ، تظل تحتفظ بشيء ما أسود قابع فى قاع عقلها الباطن ، ربما لا يمكن التنازل عنه أبداً . ربما أذاب اليابانيون تماماً تلك الأورام من أمخاخهم ، أو هكذا تبدو الأمور . لكن تظل دائما ثمة أسئلة أكثر قوة فى أماكن أخرى ، هل يظل الإسلام من جديد برأسه فى تركيا ؟ هل تضحى الصين بكل ما أنجزت فى حرب عسكرية أو على الأقل مقاطعة اقتصادية للغرب من أجل هونج كونج أو تايوان أو التبت مثلاً ؟ ربما ينتحرون هكذا فى تركيا أو الصين ، وربما لا . ربما ينتصر عندهم العقل وربما يقهره السرطان . لكن عندنا شبه المؤكد أن كل العقل العربى وليس القاع فقط كتلة حالكة السواد ، وأنا بلا منازع سادة ال *idée fixée* ، إما أن تعود القدس أو لنمت دونها جميعاً ! (تقديرى الشخصى فيما يخص السيناريو الصينى ١- أن هذه المواجهة قادمة لا محالة يوم تقارب قوة الصين الاقتصادية قوة أميركا وتبحث عن ترجمة عملية لل *idée fixée* ، ملف الشهر العقارى المزمع الخاص بما المدعو تايوان ، أو ربما تطمح حتى لما هو أبعد أى تحدى الانفراد الأمريكى بقيادة العالم ، ٢- ستذهب أميركا ببعض الصواريخ النووية لتايوان مثلاً كاستعراض للقوة ، ٣- الصين لن تغامر بكل هذا الذى أنجزته وستبتلع الإهانة كما فعلت سيدتها الإقليمية اليابان يوماً وستفضل الاستمرار فى لعبة الاقتصاد حتى النهاية ، ٤- لو حدث فى مرحلة لاحقة وتفوقت الصين -أو غيرها طبعاً- تفوقاً ساحقاً وأصبحت هى قوة إنتاج تقنيات الغد وليست أميركا ، فستتول لها قيادة العالم برؤيتها الجديدة ، ٥- غالباً دونما حروب ، وإن كنا طبعاً لا نعرف على وجه اليقين شكل الأشياء القادمة أو أية ظروف تلك التى يمكن أن يصبح فيها عرق آخر أكثر إبداعاً أو أفضلية چينية أو صنعا للمستقبل من العرقين الأنجلي واليهودى . ملحوظة أخيرة : المؤكد أننا حين نتحدث عن تايوان فنحن نتحدث عن شيء ذا شأن على الخريطة ، أما القدس بكل ما عليها فلا تساوى ثمن شركة تايوانية متوسطة الحجم !) .

بالتالى ، وأياً كان التحليل ، الحل -إن كان هناك شيء كهذا حقاً- يكمن بالأساس فى ثورة ثقافية ، من خلال التعليم والإعلام ، تفرض فكر الحداثة والعلمنة والجلوبة فرضاً ، تمحو ' الثوابت ' ، أو ما يسمى الهوية ، من

المؤكد أن كل ركن فيها فاسد لأقصى حدود الفساد ، وتركز على تعليم النخبة سواء جنبا إلى جنب مع التعليم المجاني التقليدى أو بإلغاء هذا الأخير ، وهو الأفضل . الاقتصاد هو البنية التحتية التى عليها أن تعزز هذه الثورة من خلال إفعال الاقتصاد الدارونى مطلق الحرية ، واستئصال كل جذور الفكر اليسارى الكامن فىنا ، فلا إنطلاق دون ليبرالية اقتصادية ، وبصراحة أكبر دون ضحايا بالملايين . بالمثل دور السياسة الفوقى هو حفز ومساندة بل وقيادة تلك الثورة ، هذا من خلال ريجيمات ديكتاتورية قمعية ، لكن تقدمية واعية ذات رؤية مستقبلية بعيدة . وتجارب النمور الآسيوية وتشيلي بينوتشيت لا تزال ماثلة فى الأذهان ، وتغنينا حتى عن الرجوع لتجارب النصف الأول للقرن فى ضفة المتوسط الشمالية بدءا من تركيا حتى البرتغال .

الفرنسيون ، الذين يحمل عرقهم ميراثا ثقافيا ثقيلًا بكلمة أخرى : للأسف الإجابة على بكل أسف ، يجعل منهم هذا الميراث نسخة طبق سؤال العنوان لهذه الورقة القائل لماذا الأصل من العرب ومن الهنود الحمر يهزمون ولا نحن دائما فى الجانب الخطأ من حرب يستسلمون . لغتهم الفرنسية باتت هامشية تماما مع الحضارة ، باتت واضحة الآن بعد كل هذه ذلك يريدون فرضها فرضا بقوة القانون بعد أن خسروا الصفحات . إنها عقولنا أو قل بالأحرى كل الطرق لفرضها سلميا عن طريق التنافس الحر ، والنتيجة أن باتوا -مثلنا بالضبط- قطاع طرق يسعون جبيناتنا ، أو ما قد يصح تسميته بالأقدار الجينية .

قد تسأل : ما الجديد حتى يقال الآن

هذا الكلام عن الجينات ؟ لماذا لم يقل عن ما قبل ١٠٠ سنة أو ٥٠٠ سنة ؟ أليست الجينات هى نفس الجينات ؟ نعم ، الجينات هى نفس الجينات ، لكن كلا ، العصر ليس نفس العصر . إن لدينا اليوم واقعا مستجدا فادحا ، ألا هو التسارع المرعب للتقدم التقنى . كان من الممكن لذوى الجمود الجينى أن يتعايشوا على نحو أو آخر قبل ذلك . الفجوة مع المتقدمين لم تكن ضخمة ، كما أن المطلوب منهم لم يكن عسيرا جدا . اليوم اختلف الحال . فجوة الثروة تتفاقم كل يوم بل كل ساعة . ولا بقاء من حيث الأصل تقريبا إلا للشعوب ذات الحساسية العالية جدا والاستجابات السريعة للغاية لما يستجد حولها من متغيرات . لا مكان لشيء اسمه ثوابت . كل الثوابت بالية بحكم التعريف . حتى ما قلناه عن ثوابت للغرب هو لا يعتبره كذلك . هى مجرد أشياء اكتسبها فى مسيرته ، ولو اكتشف فى لحظة أنها خطأ ، أو أن ثمة ما هو أكثر منها حداثة وعصرية ، لألقاها لدى أول صفيحة قمامة دونما خلجة رحمة أو وقوف للحظة ندم .

...

لكن مهلا ! ربما السؤال الحقيقى هو ما لم نطرحه بعد : هل بإمكان أحد أصلا إلقاء ثوابته عند أول صفيحة قمامة ، أو حتى آخر صفيحة قمامة ، أو حتى لو شاء ، ثم ما هو مصيره فى الحالين ؟ ثمة مثال كلاسى للغاية ، كثيرا ما يضربه علماء التطور ، لكننا سننقل ملخصه هنا نقلا عن كتاب ريتشارد دوكينز ' الجين الأنانى ' ١٩٧٦ لسبين الأول هو تلك المصطلحات الطريفة التى استخدمها فيه ، والتى ستسهل لنا استنتاج

ما سنذهب إليه ، والثاني عرفانا وتقديرا خاصين منا لدوره في تنوير أفكار الجميع لأول مرة على إمكانية معاملة الأفكار على أنها جينيات قائمة بذاتها ، أو ما أسماه الميميم meme ، على وزن جيين لكن من خلال استخدام الحرف الأول من كلمة ذاكرة بالإنجليزية [يكفيه أن قال بيلل جيتس ذات مرة إنها أكثر فكرة أعجبتة في حياته] . المثال الشهير يقول ما يلي : ثمرة عشيرة من الطيور أصيبت بنوع خطير من الحشرات الواخزة . لأن ليس للطيور يدان فإنها تنقى كل جسدها باستثناء منطقة الرقبة والرأس . هذا يتطلب قيام طير آخر بتخليصها لها من الطفيليات . لو أن الميل الجيني (الموروث) هو الرغبة في تنقية الآخرين من الطفيليات ، أو ما يسميه دكتور دوكينز suckers (كلمة مزدوجة المعنى بمعنى المصاصين والمغفلين) ، ستكون النتيجة أن تنجو كل العشيرة ولا مشكلة ، لأن كلهم سيسعون لتنقية رقاب ورءوس أقرانهم من الحشرات الفتاكة . لكن هذه حالة مثالية للغاية ، ولا بد وأن التطفرات الجينية ، هذه الذى تحدث عشوائيا عادة ، لا بد ستخلق ميولا تختلف قليلا أو كثيرا بمرور الوقت . ماذا لو أن الميل الطبيعي هو عدم الرغبة فى مساعدة أحد ، أو ما يسميه دكتور دوكينز cheats أى الغشاشون ؟ ستكون النتيجة الواضحة هى انقراض العشيرة . ماذا لو أن الموروث الجيني وضع هذا الميل فى بعض الطيور والميل الآخر فى البعض الباقي . سيسهر المغفلون على رعاية الغشاشين ، وسيحدث أن يجد هؤلاء وقتا أوفر للبحث عن الطعام والتزاوج واللهو ورعاية الأفراخ ، تدريجيا ستحدث إجرائية انتخاب طبيعي تؤدي بعد قليل لانقراض المغفلين . لكن المفارقة أن انقراض المغفلين سيؤدي بعد قليل لانقراض الغشاشين أنفسهم لأنهم لن يجدوا أحدا يخلصهم من الحشرات الطفيلية ، ونتيجة هذا السيناريو هى انقراض العشيرة ككل أيضا . استلهاما لدعوة دكتور دوكينز المذكورة بمعاملة الأيديولوجيات والثقافات والأفكار كما الجينيات قد نترجم نحن هذا النموذج البيولوجي من جانبنا لما يلي : العروبة والإسلام اللذين تحدثت كثيرا عنهما هذه الورقة قاما على مص دم ونهب وسلب عرق الغير وموارده ، والنتيجة أن أيديولوجية جوهرها الأساس الذى قامت عليه (وعمليا وتاريخيا لا تدور حول شيء سواه) هو ' عن يد وهم صاغرون ' ، لا بد وأن تفضى لانقراض كل العشيرة الإنسانية ، لأن العالم سيصبح كله مسلمين بعد قليل وسيموت كل الآخرين فقرا وجوعا وكمدا ، وساعتها لن يجد أولئك الذين يستنكفون على الشغل بسبب وضعيتهم كخير أمة لن يجدوا أحدا يمكن استرقاقه أو استحلاله جزية ولا خراجا فيموتون هم أنفسهم عند أول تحدى للبقاء . المسيحية هى أيضا خطة كارثية من المنظور التطوري ، ف ' من لطمك على خدك الأيمن حول له الآخر ' هى طبق الأصل استراتيجية الطيور المغفلة . ذات الكلام الأخير هذا يمكن أن يقال عن الاشتراكية والشيوعية والديموقراطية إلى آخر ما يسمى نفسه بفلسفات أو أيديولوجيات إنسانية . نعم هى ليست مسيحية لكنها تساوى بين القوى والضعيف ، بين الكسول والمجتهد ، بين من يعلم ومن لا يعلم .

إذن هل الخلاصة أن فى كل الأحوال لن تنجو مثل تلك العشيرة ، طيورا ولا بشرا ؟ ربما . لكن مهلا ! ماذا لو أن هناك بديلا ثالثا . ماذا لو أن ثمرة ميل جيني موروث يدفعك لأن تعطى فقط حين تأخذ ، أو أيضا بمصطلحات دكتور دوكينز الضاغنون grudgers ، أى من يذكرون لك جميلك من عدمه قبل أن يقدموا لك

جميلا فى المقابل . ساعتها سيعتمد الأمر على الوزن النسبى لكل من تلك الميول الجينية الثلاثة . لو الغشاشون أغلبية أكثر من نسبة ما حرجة ، سيزدهرون وينفردون بالعيش دون سواهم ، ثم بعد ذلك كما نعلم سينقرضون ومن ثم كل العشيرة . لو الضاغنون أغلبية أكثر من نسبة ما حرجة ، سيتعيش الغشاشون على ما هو قائم من مغفلين حتى يؤدون لانقراضهم ، لكنهم هم أنفسهم سينقرضون بعد ذلك لأن الضاغنين لن يقدموا لهم أية خدمات مجانية من طرف واحد ، وستنجو العشيرة من خلال بقاء الضاغنين . أيديولوجيا نموذج ' العين بالعين والسن بالسن ' هذا هو الرأسمالية العلمانية المعاصرة القائمة طوال الوقت على خذ وهات ، هو استراتيجية شايلووك الذى يعاملك بأمانة وكرامة وحق وعدل ، لكن فى نفس الوقت بلا رحمة . هو أيضا قانون الدغل الذى بالمناسبة به الكثير من الشرف والشهامة وحتى الحب والحنان وارجع لكيلينج صاحب المصطلح ، أو ارجع لفتوات نجيب محفوظ . وبالمناسبة فتطوريا من الأرجح فى مثل هذا النموذج ' المستقر ' (مصطلح تطورى) أن ينجو المغفلون أيضا لأن عامة سيكون ثمة من سيبادلهم المعروف بمثله ، هذا طبعا ما لم يتولد فجأة بسبب التطفر الجينى بعض الغشاشين من جديد .

هذه هى الرأسمالية العلمانية المعاصرة كما نراها اليوم ، ليست فقط قوى يأكل الضعيف جشعا ونهما ، إنما يأكله بالحق ويتركه بالحق بكل ما فى الدغل وقوانينه من نبل وعدل وشفافية (أخلاقيات القدرة مرة أخرى) . أيضا هى حاضنة وراعية العلم والتقنية ، ولا ينطبق عليها تخوفات أرسطو الكلاسيكية من الأوليغاركية ، بل هم أقرب للنخبة التى نادى بحكمها ' الأستاذ ' . إذن نعم ، نهاية التاريخ هى الرأسمالية ، لكن ليس لأنها إنسانية ولا ديموقراطية كما ذهب البعض مؤخرا ، إنما لأنها تنافسية شرسة ولا ترحم . والحقيقة أن كل الفكر المسمى بالإنسانى ما هو بأكثر من تطفر جينى مناهض لقوانين الطبيعة بل ومؤدى للانقراض ، وهو ليس من طبيعة البشرية الأصلية ، ولا من طبيعة أى عرق تقريبا ، فكر بزغ قبل قرنين أو ثلاثا وسيطر لحد ما على العقل الإنسانى ، ونظريا يمكن أن يستمر حتى يقع فناء كل العرق على يد أمثال العرب والمسلمين ، لكنه عمليا وفى تقديرنا سينتهى لا محالة ، وربما بأسرع مما يتخيل أحد . نقول لا يخدعك وجود بيلل كلينتون فى السلطة حاليا ، ولا حتى بوادر دعمه لمسلمى البلقان ضد كل بديهيات الحضارة والتحضر . فأنتم أيها اليسار تتمسكون بقشرة عابرة التصقت عرضا بمسلة التاريخ اسمها الفلسفات الإنسانية ستأخذكم وتسقط ، ويبقى جدار الكون العظيم شامخا نظيفا كما استنته لنا أمنا الطبيعة بقوانينها العبقريّة الراسخة منذ ما قبل ١٤ بليون سنة وحتى ما بعد أية بلايين أخرى . نعم ، مسار التاريخ منذ ريتشارد نيكسون فثاتشر وريجان هو بالضبط العكس من كل ما سار عليه منذ ثورة الدهماء الفرنسية مرورا بثورة البلاشفة وانتهاء -ونقصد فعلا انتهاء- بثورة طلبة ١٩٦٨ ، عام انتخاب نيكسون ، (ويا للمفارقة !) . ذات الشىء عن الفكر السلامى (والبيئى وهلم جرا) ، الذى أيضا وصل لذروته فى تلك السنة . إنه بدوره إلى نهاية ، فما بينى دائما أبدا هو الحروب ، وما يهدم هو ذاك الموات البطئ المسمى بالسلام ، واسألوا التاريخ ، الطبيعى منه أو الإنسانى ، أو اسألوا داروين أو آى بى إم !

...

هنا قد نحتاج أيضا لوقفة تتعلق بالدين وعلاقة بالثقافة العربية والمسلمة أو بالأحرى الثقافة الساموية : جلي تماما أن " الغشاشين " هم العرق الساموى والعرق الساموى وحده ، هذا أن أردنا من جانبنا أن نجد عرقا كبيرا كاملا يناظر أو يجسد فئة الطيور التى تكلم عنها البروفيسور دوكينز . ذلك أن الدين ، وتحديدًا رخصة الاستحلال باسمه ، كان دوما أداة تكيفية هائلة ورائعة تبرر القرصنة والنهب لهذا العرق . وهذا ما رأيناه منذ سرق موسى الذهب ومحمد القوافل والسلطان خير الدين السفن ، وهو شيء ممتد حتى سرق ناصر القناة والأسد لبنان وصدام الكويت ، ولا نعتقد أنه يمكن أن ينتهى أبدا إلا باختفاء الساموية وحيثياتها من الوجود . السؤال الذى نقصده هنا هو كيف يتأتى لذات العرق الساموى أن ينجب المسيحية ، التى هى خلفية الغرب الحضارى المعاصر ؟ ولعلنا نقصد بدقة أكبر النسخة البروتستانتية منها ، أى تلك التى تحض صراحة على الكدح ، أو ما يعرف عادة بالشغل البروتستانتى ، وبالذات تحديدا منه الشغل اليدوى المباشر ، والذى تعلى من شأنه مهما ارتقت الأدوات والتقنيات المساعدة للإنسان ، بل وتكاد ترفع ذلك الكدح لمرتبة القداسة والعبادة وتقول إنه هو الخلاص المؤدى للحياة الأبدية وليس حتى أن الخلاص عطية من الرب . وطبعًا دع جانبًا أنها أيضا تعلى الفردية وتكاد تؤله الإنسان ، ويكفيها أن كانت العكس المطلق من الإسلام الذى جعل الإنسان عبدا ذليلا مطلق الخنوع والهوان أمام ذاك الأله المنتقم الجبار الخفى ، بأن جعلت هذا الإله أقرب لصديق إن لم يكن لخدام للإنسان ، ولا غرابة بالمرّة أن كانت بعد هذا كله بوابة العالم الحديث الكبيرة للعلمانية ونفض جاهلية وظلام الخرافة والغيب برمتها ومن جذورها !

رأينا المتواضع أن العرق الساموى لم ينجب يوما المسيحية ولا حتى تبناها أو استوردها ! الإجابة هى أن المسيحية ليست من بنات العرق الساموى على أى نحو من المناحى . أولا المسيحية التى نعرفها والتى صاغها بولس وبطرس وخلفائهما ، لقد نشأ ولد وتبلور بعيدا هناك فى أوروبا وبالتحديد فى أحضان روما فى القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى للحقبة الشائعة ، ثم بالطبع صعودا إلى منظريها الكبار كأوجستين وغيره . أما إذا كان المقصود بالمسيحية ما قاله وبشر به اليهودى المدعو يسوع ، فهو شيء آخر كلية لا ينتمى لهؤلاء ولا لأولئك . ما آمن وبشر به ، بالذات حسب الأناجيل شبه المجهولة الأكثر أصالة وقدا ، قد تجعل منه أبا للهندوسية أو للبوذية ، لكن قطعًا ليس بحال للمسيحية . لا بد لأى باحث أن يلحظ شيئا مشيرًا للاهتمام للغاية ، هو موقع المسيحية فى الأراضى الساموية . لكن السؤال الذى ربما لم يجب عليه أحد هو لماذا ترعرعت هكذا بعيدا بينما اندثرت بسهولة من الشرق الأوسط ؟ الإجابة أن ما بشر به يسوع هو بالضبط ما يناظر عند دوكينز المغفلون ، وهذا بالقطع ليس فكرا سامويا بل هو ناشز ودخيل بالكامل على مفردات وطبائع العقل الساموى ، وكان من شبه المستحيل على هذا الفكر أن يزدهر فى المنطقة . ومن ثم كان عليه إما أن يذهب شرقا ليحقق نفسه كرؤية صوفية متكاملة وخالصة للكون ، وإما أن يتناسخ يتحور (أو يتطفر بلغة علوم التطور !) ، إلى شيء مختلف كثيرا يمكن أن يزدهر فى أرض الغرب الأوروبى . لهذا السبب انقرضت المسيحية من المنطقة ،

واكتسحها الإسلام بسرعة مذهلة كما يخترق السكين الزبد . ومن ثم ما من غرابة بالمرّة أنه الدين الوحيد الذى عاش فى المنطقة ١٥ قرنا متواصلة كاملة ، ولا تلوح حتى اللحظة بوادر لزوال استيطانيته لها منها .

[لاحقا تواصلت بحوث الكاتب وتعمقت قناعاته إلى أن المسيحية -وبالأخص نسختها الغنوصية الأصلية ، هى من حيث الجوهر ذات العقيدة الإيزيسية المصرية ، بل ربما كان مؤسسها -يسوع والمجدلية- مصريين بالعرق أيضا . هاجر كلاهما وحاول بمعتقداته المصرية إصلاح عقيدة الصحراء اليهودية الشريرة التى قلبت الموازين وجعلت الرعاية سفاكى الدماء أتباع الإله ست ، هم الخير ، والعكس بالعكس -انظر كتاب ' المسيحية ' هى الهرطقة ' http://everyscreen.com/views/pdf/EveryScreen.com_Secularism_ChristianityIsTheHeresy.pdf .

عامّة ، قد يستوجب تدقيق بعض محتويات هذه الدراسة التى بين يديك فى ضوء الكتاب الجديد ، لذا ننصح بشدة بمتابعة القراءة بها ، بالذات وأنها كتبت بعد أن كانت الصحوة المصرية للفظ الإسلام والأقليات العربية وقيمهما الإجرامية ، قد بدأت بالفعل ولاحت بعض ملامحها ، فى عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، ولم تعد مجرد أمنيات عمومية كتبت فى أوائل التسعينيات كالتى تقرأها الآن !] .

المشكلة ليست فى الدين ، السبب واضح كلية : إن الشعوب الساموية فى حاجة للمشكلة فى الجين !

وطالب ، وليس ١- لأيدولوجية للتسامح أو إعط ولا تأخذ ،

ولا ٢- لأيدولوجية للشغل والكدح أو خذ وهات . من هنا الخلاصة أن كانت اليهودية هى أول دين يزين للغش الدوكينزى ، وهى دين ساموى أصيل بالقطع ، لكنه لم يكن متقدما ولا متماسكا ولا حتى صريحا بما فيه الكفاية للتعبير عن حقائق الجين الساموى . وهنا دخل الإسلام كالمنقذ المنتظر ، كالتعبير المثالى تماما عما يعتمل فى العقل الساموى والبدن الساموى من استرقاق واستحلال ومص دماء الغير وعرقهم ، هذه مما لا يستطيعون العيش بدونه ودونها الموت والانقراض كطيور دوكينز الغشاشة . فهذا عرق أو منطقة لم تنتج حضارة يوما ، بل فقط احترفت القرصنة وقطع الطريق على منجزات الحضارات الأخرى . هنا قد تسمع كلاما كثيرا عن أن المسيحية طبقت خطأ والإسلام طبق خطأ والاشتراكية طبقت خطأ ، وهلم جرا . لكن الحقيقة أنه لا يوجد كلام فارغ أكثر من هذا . لا شىء اسمه تطبيق خطأ . هذا هراء مطلق . من السهل أن تقول هذا الكلام على أى شىء . حتى بفرض أن هذه كانت يوتوبيات ، وما هى بذلك مطلقا ، فليس عبقرية من أى نوع أن تأتى بفكرة هائلة اليوتوبية ، المهم هو التطبيق ، المهم أن تأتى بنظام يطبق نفسه بنفسه ، نظام يتسق مع طبائع الإنسان ومع الواقع الموضوعى وأهم كل شىء يتسق مع قوانين أمانا الطبيعة التى لا ترج ولا تنزح . وأمانا الطبيعة تقول لنا إن رأسمالية الضاعنين ، ليبرالية الدغل ، هى الشىء الصحيح والمثالى والذى يطبق نفسه بنفسه بل وبطهر الغشاشين ويفرزهم بعيدا طوال الوقت ، أما الإجرام والتخلف والظلام والويلات الذى ابتلت به الأديان المسماة

بالمساوية أو المتجلاة ، أو ابتلت به الاشتراكية ، ابتلوا به الكوكب ، فهي مسألة چيينات وتكيف لشعوب مريضة وفاشلة لا أكثر .

المشكلة ليست فى الدين ، المشكلة فى الچيين ! بديهى أن الأديان ، كل الأديان ، هى فى التحليل النهائى نتاج ثقافى للعرق الذى اخترعها . هى لم تهبط من السماء بپاراشوت ، إنما أشياء اخترعها بشر من لحم ودم ، وحسنا : چيينات ! أخيرا ، لعل لنا أيضا أن نضيف هنا ملحوظة هامشية لكن ليست أقل دلالة هى لماذا دوما تنتصر أديان ما يسمى بالتوحيد للراعى على حساب الزارع ، ذلك منذ قصة هايل ضد قاين ويعقوب ضد عيسو ويوسف ضد الملكة وموسى ضد فرعون وهلم جرا . فالراعى عندها إنسان نقى خير دائما أبدا ، بينما الزارع ساحر شرير يعبث بأصابعه ، التى هى أصابع الشيطان شخصيا ، يعبث فى التربة فإذا بها تثبت زرعها إذا أوراق وأزهار وألوان وأشكال . الفكرة وراء ذلك التحيز الصارخ والدائم فى النصوص المسماة بالمقدسة ، أن الراعى يعيش على الكلاً ويعتبر أنه كله ملك له ويسميه ملك الرب وأرض الرب ولا يجوز لبشر الإدعاء بملكيتها ، أو أن يحاول يمنع أغنام الراعى من حصد الأخضر واليابس فيها بالمجان .

هكذا إذن كان الإسلام ، والذى لا غرابة أن جاء من قلب أوسع صحراء فى المنطقة ، هو الذروة التكميلية الغائية والمثالية تماما للتعبير عن طبائع الچيين الساموى ، عن كون القرصنة وقطع الطريق أسلوب الحياة الوحيد الذى يعرفه ودونه الانقراض ، وعن رؤيته للحياة وللأغيار وللثروة وللمرأة وللأطفال أو إجمالا لكل شىء يمكن استرقاقه أو استحلاله ، ذلك أن كل شىء من كل هذا هو من صنع الإله ، وكل شىء هذا صنعه خصيصا من أجلنا و' سخره لنا وما كنا له مقرنين ' . أو بصيغة أخرى كانت اليهودية هى المسودة أو ' البروفة ' فإن الإسلام هو التعبير الأمثل والغائى عن الرغبة التى يميلها على ذلك العرق كسله الچيىنى القدرى ، رغبة لا تنتهى أبدا ولا تتغير أبدا ، رغبة الاستلقاء على الظهر بينما غنمه تأكل مزروعات الغير التى ربما رواها هذا بعرقه ودمه . من ثم بالتالى قلنا إن لا غرابة مطلقا أن دين الغش الأعظم هذا قد توطن لقرون وقرون ، بل واستفرد بالمنطقة وطرد بسهولة عجيبة كل الأيديولوجيات السابقة حتى الغشاش منها ، وظفر على نحو رائع بعقول وقلوب شعوب المنطقة يدغدغ إلى ما لا نهاية حواسها والطبائع المتفردة لچييناتها .

يبقى السؤال : إذا كانت اليهودية قد تناسخت إلى علمانية صهيونية أشكيناوية فائقة الحداثة ، وإذا كانت المسيحية قد تناسخت إلى العلمانية الإنسانية اليسارية التى تجثم منذ قرنين أو ثلاثة على الفكر الغربى ، فما هى فرص الإسلام فى التناسخ لفكر حدائى يوما ؟ الإجابة فى زعمنا المتواضع هى مستحيل ! صحيح أن تجربة أتاتورك العظيمة تعطينا المؤشر لما يمكن أن تفعله ديكتاتورية عسكرية يمينية علمانية من معجزات فى بناء الاقتصاد وفى فرض الحداثة وفى محاربة الدين ، لكن لا يجب أن ننسى ذلك العدد الهائل من محاولات الانقلاب الإسلامية عليها على امتداد ثلاثة أرباع القرن التى مضت على التجربة ، أيضا لا يجب أن ننسى بالذات خصوصية الاقتراب من أوروبا واختلاط الأعراق وما شابه ، ثم لا يجب أن ننسى أن التجارب الأخرى المذكورة ، إما أن استغرقت آلية الانتخاب الطبيعى فيها ألفتيات كاملة من السنين وليس مجرد عقود أو حتى

قرون ، هذا فى حالة اليهودية ، وإما أنها تطورت تطورا طبيعيا فى بيئة عرقية جينية مختلفة بالكامل من البداية ، هذا فى حالة المسيحية والبروتستانتية . فى المقابل يبدو الأمر أكثر صعوبة بما لا يقارن فى عربستان . الحقيقة الإنسانية الأخلد إطلاقا هى أن دائما أبدا الكلمة العليا هى للجينيات . أو حسب فحوى العنوان نفسه فى كتاب دكتور دوكينز : نموت وتحيا جينياتنا ! هنا حين يأتى المجال للحديث فى بلادنا عن الإقلاع عن منهجنا فى الحياة الذى هو القرصنة وقطع الطريق ، أو عن الدعوة لتبنى الحداثة والعلمانية والبناء والتحرر والانخراط فى العالم الواحد . نرى جينياتنا تصرخ بكل قوتها للفكرة : NO WAY! .

...

إذن ، اسم اللعبة هو جينياتنا شرق الأوسطية وليس أى شىء آخر ، بالذات ليس تلك المؤثرات الأجنبية ، فكلها كانت إيجابية على سبيل الحصر والعزم ، لكننا لم نستفد منها وقاومناها بدم بارد وغباء واثق لا نظير لهما . صحيح دين اليهود قال لهم أيضا إنهم شعب الله المختار ، لكنهم حولوا هذا لحقيقة يومية معاشة لا سيما وأنهم تركوا الدين نفسه وياتوا علمانيين . صحيح أن المسيحية أسمت أتباعها أبناء الملكوت ، بل ووعدهم يسوع بالخلود دون غيرهم بأن من آمن به ولو مات فسيحيا ، بل وصحيح حتى أنها أسست فعلا أوسع وأعظم إمبراطوريات التاريخ ، إلا أن على أرض الواقع لا تجد اليوم من هو أكثر من المسيحيين دنيوية وعملية وتطلعا بحب وأدب للرقى وللشعوب الأرقى ، وتحديدًا منها التطلع للعلمانيين من يهود وپروتستانت أو قل عن هؤلاء الأخيرين الشعوب الناطقة بالإنجليزية إذ لعل من المفيد تقسيم العالم لناطقين بالإنجليزية وغير ناطقين بها . المثال الكلاسى هو الشعب المكسيكى المتطلع بكل تواضع شمالا ، أما الاستثناء الوحيد فهو الفرنسيون ، الذين يحمل عرقهم ميراثا ثقافيا ثقيلًا بكل أسف . وهذا الميراث هو الذى يجعلهم نسخة طبق الأصل من العرب ومن الهنود الحمر يهزمون ولا يستسلمون . لغتهم الفرنسية باتت هامشية تماما مع ذلك يريدون فرضها بقوة القانون بعد أن خسروا كل الطرق لفرضها سلميا عن طريق التنافس الحر ، والنتيجة أن باتوا -مثلنا بالضبط- قطاع طرق يسعون لجر كل العالم خلفهم للوراء ، ذاك المثال الذى قصدنا أن نفتح به هذه الدراسة ، ونجعله مدخلا لكل الكلام اللاحق عنا كعرب . (نعم ، الإمبراطوريتان الفرنسية والسوفييتية لا تختلفان فى شىء عن الإمبراطورية الإسلامية ، كل من يبيعك كلاما ووحيا ورسائل مقدسة وليس اقتصادا وتقنية وجلوبة هو إمبراطوريات مص دماء ، أما كلمة اشتراكية كستراتيجية غفلة بالمصطلح الدوكينزى ، فستظل دائما أقرب للمعنى النظرى ، ربما آمن بها بعض 'المغفلين' الحقيقيين الرومانسيين ، لكن قطعًا ليس زعماء الشيوعية أو الثورة الفرنسية) .

على أية حال نحل نحلنا بالقطع الحالة الأكثر كلاسية فى مقاومة المستقبل فى عالم اليوم . والمكون الثقافى المفرط لأبعد مدى عندنا ، وأساطيرنا متغلغلة هناك فى جينياتنا ، ويكاد يستحيل نزعها منها ، كلها تماما كما الهنود الحمر الذين بعد كل هذه القرون لا يزالون يصرون حتى اليوم على الحكم الذاتى لمعسكراتهم ، ويرفضون الانخراط فى العالم الحداثى المحيط تحت أية إغراءات .

الثلاثة دون كل شعوب أو ثقافات التاريخ) ، فما قد يحدث حتى يتم إخراجنا من الجغرافيا هو ، وبصراحة كاملة ، إخراجنا من الدنيا أصلا ، إذ في الواقع استنفذنا مرات الرسوب وحن وقت فصلنا من مدرسة الحياة !
... القرار ناهيك عن التحدى نفسه وسباق الزمن المرعب والفجوة غير القابلة للتعويض مع كل من عدانا لاكتساب التقنية ، ولا نقول اختراعها ، كلها أمور بالغة الصعوبة ، إن لم يكن الاستحالة . القضية ليست تعاليا ولا احتقارا ولا عرقية ولا غزوا ولا حتى انعداما للإيمان بقدراتنا . القضية هي التكيف . الشعوب ذات المكون الثقافى العالى هي شعوب معادية للتقدم بالضرورة ، وهى على سبيل الحصر الآن -ودون خطأ يذكر- الشعوب العربية والإسلامية زائد الشعب الفرنسى الذى يتناول وجبة الغداء فى ست ساعات . لو حدث فرضا واحتل العرب إسرائيل ، فسيهدمون معهد وايزمان وبينون بدلا منه مسجدا . الفرنسيون سيهدمونه وبينون مطعما . أى شعب آخر يسعى بالفعل حاليا للتعلم منه .

للأسف جسامه ووطأة ما نراه حولنا من أوضاع مزمنة يدفعنا للاستنتاج أن ثمة خللا جينيا يمنع بعض الشعوب من التكيف . أو كأن ثمة جينا معيناً يملك بوابة السماح للجينات الأخرى بالتطور . ترى هل ستأتينا يوما نظرية لتفسير ظاهرة العرب أو الهنود الحمر اسمها الجين المفقود ، ربما على غرار نظرية ريتشارد دوكينز عن الجين الأنانى ؟ هذه كانت تأكيدا ولا تزال نظرية ملهمة ملهمة (بفتح وكسر الهاء) ، والتي وإن ألهمتنا بشيء فى هذا السياق ، فقد تلهمنا بفكرة أكثر من مجرد تسمية مشابهة لنظرية جديدة ، حتى وإن ذهبت بنا فى اتجاه مخالف بعض الشيء . هذه هى أن الجين الغربى ، أو الأنجلو-يهودى بالذات (الضاغنون) ، يرى أن بقاءه يكمن فى بقاء العرق البشرى ككل ، وتحديدًا فى تفوقه المتواصل ، هذا من خلال تخليق الجين لجينات أفضل منه كى ترثه وتفرض من ثم رؤيتها الأفضل على كل العالم . أما الجين العربى (الغشاشون) فيرى بقاءه فى بقاء قبيلته ، وتحديدًا بقاءها كما هى بكل تخلفها وجمودها ، هذا هو الخلود الغائى المنشود فى رأيه . عفواً بروفيسور دوكينز ، لعل ثمة أكثر من فهم لكلمة خلود ، وهذا ربما يشكك قليلا فى نظريتك الموحية بأن كل الجينات ذكية ! بما أن ' الميمات ' هى الأفكار التى تنجو كما العشائر البيولوجية عبر العصور رغم آلية الانتخاب الطبيعى ، فهذا بلا شك لأنها أفكار ممتازة وقوية وصالحة لكل العصور . للأسف نضيف هنا أن تخلف العرق الساموى شرق الأوسطى البليد الوحشى الطفيلى وقاطع الطريق والواجب من ثم إبادته ، وهى الفكرة الحية منذ أرسطو حتى إرنست رينان (وأيضاً حتى هتلر وإن مع كثير من سوء الفهم وعدم التشخيص الصحيح لها من قبل هذا ' الاشتراكي ' ' القومى ' -لاحظ ، الأشبه بالمختل عقليا الذى يحركه هوس الكراهية السلبى إن لم نقل الإحساس بالدونية ضد أعراق بعينها أكثر منه رؤية حقيقية علوية إيجابية وشاملة لتغيير العالم ، حيث كما أخطأ اليابانيون بالتناول على العرق الأنجلي الأرقى صاحب الثورة الصناعية ، فيما قد نسميه خطيئة بيرل هاربور ، ارتكب هو ذات الخطيئة لكن مزدوجة ، خطيئة دنكرك وخطيئة أوشويتز ، ولولاهما لكنا قد حصلنا الآن وتحت راية العرق الآرى على أوروبا حضارية موحدة تم تركيع قوى التخلف الفرنسية والروسية فيها للأبد ، لكن للأسف الأيديولوجية النازية كانت أيديولوجية كراهية ، مشروعاً قائماً على رد الفعل لا الفعل ، وما كان لها أن تقود ، وما

كان ليحدث غير ما حدث) ، تلك الفكرة -أى ما يسمى بمعاداة الساموية- واحدة من تلك الأفكار العصية على الانقراض لسبب بسيط للغاية : أنها صحيحة !

هناك شعوب لو تركتها مليون سنة وعدت لها لوجدتها على حالها ، وهناك شعوب تطور نفسها يوميا . هذا أمر لا علاقة له بالظروف . هذا أمر يتعلق بالجينات . فقط نقول إن الكلام فى الجينات ليس عرقية ولا برنامجا للكراهية ولا يجب أن يكون ، هو فقط حقائق علمية مفيدة مجردة عليها أن تساعدنا فى تفسير لماذا استعصت أو تستعصى شعوب بعينها على التحديث ، فى كل الأحوال علينا أن نقبل كلمة العلم أيا ما كانت . للأسف هذا العلم يُوشر يوما بعد يوم إلى العكس مما يحاول اليساريون إقناعنا به صباح مساء . يقول إن لا أهمية تذكر لما يسمى بالظروف أو التربية أو... أو... . الجينات قدر لا يمكن الفكك منه ، يمكنك التحرك فى حدود ما تسمح لك هى به ، وهذا واجبك الذى لا يجب أن تتقاعس عنه ، لكن شيئا بالقطع لا يمكن أن يتم رغما عنها . الأمر فى حاجة لقوة تغيير طاغية كاسحة ، تفوق تماما ما نراه من محاولات إصلاح خجول جزئية بطيئة متواضعة وسرعان ما قد تنتكس .

[تابع فى صفحة الصناعة النهائية التراجمية البائسة لتجربة الدكتور الجنزورى ، تلك التى جاءت أسوأ وأسرع من كل التوقعات ، وبعد ثلاثة أعوام فقط من هذا . كذلك يمكنك البحث عن مزيد من التأصيل لمثل هذه الأفكار فى كتابنا الأسبق حضارة ما بعد-الإنسان (١٩٨٩) ، والمتاح الآن بكامل نصه هنا على الموقع] .

لذا يظل السؤال دائما أبدا هو سؤال الطبيعة الأزلى وربما الأكثر قاعدية ، ولم يتغير قط : تكيف أو مت (لفريق الأبا أغنية أخرى تقول **The Winner Takes It All** . بالمناسبة ، هذه جاءت فى مرحلة النضج) !
فهلأ حسمنا إجابتنا قبل وقت لا يجدى فيه الندم ؟

بعبارة أقصر وربما أشد وخزا : العرب شعوب غبية انفعالية جاهلة وكائنات طفيلية ديدنها تاريخيا النهب والسلب ومص الدماء وهدم الصروح لا تشييدها ، ذلك كله بحكم انتمائهم للعرق الساموى ، فهل من طريق لكى يبرأوا من اللعنة التى تجرى فى عروقهم ، كما برأ الأشكيناز عبر ألفيتين مرعبتين من محارق بلاد الصقيع ؟
قطعا اليهود شعب بشع . شعب أنجب كل هؤلاء الأنبياء لا بد وأن يكون كذلك . لكن اليوم بفضل العلمانية الصهيونية أصبح يتربع على قمة العالم علما وتقنية وفكرا وعقلانية وحدائة وانفتاحا وصنعا للمستقبل وكل شىء . لكن هذا لم يحدث بين يوم وليلة ، والصهيونية ما كانت ستجح أبدا مع ذلك الشعب الساموى القديم الانفعالى المتوجس المتطير ، سدنة أسوأ الخرافات لكل العصور . أهوال رهيبية وشديدة الامتداد زمنيا هى وحدها التى صقلت جيناته الجديدة وجعلته ينقلب من أقصى النقيض لأقصى النقيض .

إلى أن يتم مع العرب مثل هذا نخشى أن نكون مضطرين للقول : التغيير وقبول المستقبل وفتح القواقع هى الجين المفقود ، والجينات المفقودة شىء للأسف لا يمكن زرعه ، لا سيما وأن اتضح أن ثمة ترابط جينى بين هذا الغياب لذلك الجين وبين الوجود القوى لجينات الانتهاب والاستلاب المميزة للعرق الساموى .

[لاحقا ألهمنا المفكر الإسلامى الكبير وواسع النفوذ ، مفعم الخيال جاد العمق واضح الرؤية دقيق الهدف والذى لا يراوغ بالكلمات أبدا ، والأهم منها جميعا أنه من المعاصرين القلائل ممن يفهمون ما يدور حوله الإسلام

أصلا ، **أيمن الظواهري** نائب رئيس تنظيم القاعدة ورئيس تنظيم الجهاد المصرى سابقا . ألهمنا بعبارة توجز كل هذا ، بل وتشعرنا بمدى عبثية كل ذلك المجهود الذى بذلناه فى هذا البحث والترسانة اللغوية التى جندت له ، إذ كان من الممكن اختزاله فى كلمتين لا أكثر ، ناهيك عما تتمتعان به من إيقاع موسيقى جميل . فى رأينا هاتان الكلمتان توجزان ليس فقط العقل العربى والإسلامى ، بل كل العقل الساموى شرق الأوسطى (باستثناء اليهود الأشكيناز طبعاً ممن عاجلوا أنفسهم من لعنته ، ونستثنيهم نحن من كل كلام لنا على الساموية ، فهم كينونة جيبينية مختلفة المعالم بوضوح ، حتى الأنف المعقوف الشهير اندثر لديهم !) ، ولعلمها توجزان عامة أيضا كل أصحاب العقول الراضية للتقدم بمختلف درجاتهم بمن فيهم الغالبية الكاسحة من الأرثوذكس والكاثوليك عبر العالم . فشكرا بلا حدود أيمن الظواهري ! تلکما الكلمتان الموسيقيتان اللتان توجزان كل شىء هما : **الولاء والبراء !** .

...

تذييل : ... وللآخرين أيضا جبينهم المفقود !



Delicate-Hearted America!

ربما لا نود إنهاء هذه الأطروحة قبل تقديم ما يمكن أن يكون نواة متواضعة لجهد يمكن أن يفضى فى النهاية لشيء قد يحمل يوما تسمية نظرية عامة للحضارة ، تفسير شامل لأسباب اضمحلال وسقوط الإمبراطوريات ، الموضوع الشائك الذى لم يخض فيه تاريخيا إلا مفكرين قلائل كان لديهم القدر الكافى من البصيرة والشجاعة معا ، والسبب الواضح أن دائما ما ترفع فى وجه الجميع فزاعة العرقية (العنصرية) والتميز بين الأفراد بعضهم البعض وبين الأمم بعضها البعض ، ذلك بعد كل ما ترسخ من قيم اشتراكية و " إنسانية " فى العقلية الثقافية لكل العالم تقريبا . يتركز الإسهام المقصود من جانبنا فى أن الحضارة طوال الوقت تتقدم وتراجع فى نفس الوقت . تقفز لأعلى وللخلف معا . رغم كل الإنجازات التقنية والاقتصادية الهائلة ، قصة الحضارة لم تكن سوى قصة التراجع غربا أمام زحف العرق الساموى . حتى الآن نجح هذا العرق السرطاني وعلى نحو باهر فى دحر كل ما بنى بالفعل من حضارات ، وجعل الحضارة تلو الأخرى تتراجع وتظهرها لذلك الغرب . اليونان أم الحضارات وأول حضارة حقيقية بمعنى أنها وضعت الأسس المادية أو على الأقل الفلسفية لمفهوم أن الحضارة ما هى إلا السيطرة على الطبيعة ، هزمت على يد الدين ، الذى هو بالأساس اختراع ساموى يهودى ، إن لم نقل مصريا أيضا مع فارق المحتوى .

بموتها قفزت الحضارة الجديدة إلى الخلف غربا إلى روما ، حضارة تملأ الأسماع والأبصار بتقنيات رائدة وقيادات جبارة وليس بمجرد تنظير فلسفى . لكن هذه المرة قهرها العرق الساموى ليس بتسلل أفكاره إنما بتسلله هو المادى إلى المركز على هيئة عبيد بشحمهم ولحمهم .

بعد أن أركعت مسيحية العبيد روما العظيمة قفزت الجبهة الحضارية للوراء مرة أخرى ، إلى إنجلترا . إلى البلد الذى تبنى نسخة شبه علمانية من المسيحية ، تؤمن كثيرا بالفرد وبحريته ، وتحمل كل ما يمكن تخيله من بذور للحضارة العظيمة التالية . يحلو لأغلب الناس عندنا أن يقولوا إن بينما كان الغرب أو بريطانيا غارقا فى الهمجية ، كان الشرق هو بؤرة الحضارات تتوالى عليه الواحدة تلو الأخرى . هذا ينطوى على مغالطتين جسيمتين . الأولى أن ما كان يتوالى عندنا ليس حضارات إنما حضارات-ضد ، مصر القديمة والمسيحية والإسلام . مع خرافات الغيب وبيع الكلام والدجل بآلهة خفية مزعومة ، ما كان يتوالى هو هدام الحضارة قطاع الطرق مصاصو الدماء ناهبو عرق الغير وليس أى شىء آخر . المغالطة الثانية أن إنجلترا كانت تدشن بالفعل حضارة حقيقية فى ذلك الوقت . كان عندنا أثناسيوس وكان عندهم الملك آرثر ، كان عندنا القرآن وكان عندهم الماجنا كارتا ، وهلم جرا من مثل هذه المقارنات الشاسعة . المهم ، صعدت الحضارة البريطانية حتى باتت إمبراطورية لا تغرب عنها الشمس حسب القول الشائع . نقلت لكل العالم ثورة تقنية عظيمة مذهلة اسمها الثورة الصناعية ، ونقلت لكل الدنيا مبادئ الحرية ، حرية الاقتصاد ، وحرية الفرد ، وحرية الصعود الطبقي ، وهذه ليست أفكار (كلام × كلام = كلام تربيع كما إمبراطوريات الشر الثلاث الإسلامية والفرنسية والسوفييتية) ، إنما بنية تحتية لاقتصاد الرأسمالية الصناعية التى تحرر العبيد وتحرر علاقة الشغل وصاحب الشغل وتحرر التجارة العالمية ، أو باختصار تحرر كل شىء . لكن مرة أخرى مخالطتها للأعراق الشرقية بدأ ينخر فيها ، وذات المبادئ بدأت تنخر فيها من الداخل ، بصعود قوى نقابات الشغيلة والدوبان التدريجى للقيادة الحضارية ، وبزوغ حكم الدهماء المسمى عموما بالاشتراكية . هذا ما حدث بعيد الحرب العالمية الأولى باستيلاء نقابات الشغيلة على السلطة . هذه ليست جذوة وقيادة . طبقة العبيد لا تصنع حضارة أبدا ، هى لا تصلح لقيادة شىء ، ولا حتى لقيادة نفسها ، ناهيك عن أن تقود العالم . والحضارات إذا كان لنا أن نتعلم من تاريخها شيئا ، تنهار حين يسيطر العبيد على المركز . وإن كنا لا بد أن نشدد هنا أن هذا ليس أكثر من ظاهر الأشياء ، أما الأسباب فهى شىء آخر ، شىء أعمق كثيرا ، شىء أكثر مادية ، وغالبا بالتحديد هو التوقف عن توليد تقنية جديدة للغد ومن ثم دفع الثروة والقدرة قدما (طبعا إمبراطوريات الشر الثلاث المذكورة ، ليست حضارات أصلا ، ولم يحدث أن أنتجت بالمرة تقنية جديدة واحدة ، ناهيك بالطبع عن تدشين ثورة تقنية كاملة . هى مؤسسة من الأصل بواسطة عبيد ، هى لم تملك يوما المشروع التقنى لتأسيس إمبراطورية فى عالم بلا إمبراطوريات . هى فقط قامت لقطع الطريق والقرصنة على إمبراطورية ما أكبر قائمة بالفعل ، إمبراطورية حقيقية وحضارية . والهدف المباشر أو الوحيد لإمبراطوريات الدرجة الثانية ، بقيادات مثل محمد أو ناپليون أو ستالين ، هى فقط القرصنة على إنجازات الإمبراطورية الأم ، على الحضارة التى أتت بالثورة التقنية لعصرها !) . إذن ،

الحرية الإنجليزية انقلبت نيرانا عكسية ، العبيد الذين تحرروا كى لا يكون عندهم حجة لو طردهم صاحب العمل أو لو ساومهم على أجورهم ، باتت لهم الكلمة العليا ، أسسوا نقابات وبالبلطجة انقلب من تخلوا عن حقهم فى أن يصبحوا سادة ، انقلبوا عبيدا لدى تلك النقابات والبلطجة واضطرابات المصانع والشوارع ، وفى النهاية وصل هؤلاء لمركز الحكم ، وتداعت إمبراطورية أخرى . اضطرت الجبهة الحضارية للقفز قفزة ثالثة للخلف غربا ، لتنشئ الحلقة الرابعة والأعظم -حتى اللحظة- للحضارة : أميركا .

الأنجلي هم أنفسهم الذين أسسوا أميركا ، وأعلن الفوج الأول من هؤلاء المستوطنين مبادئ الدولة الجديدة فيما سمي بمكتنز الماي فلاور ، ومن بعده فى وثائق التأسيس الأخرى الشهيرة . الفارق بينهم وبين بريطانيا الأم الآفلة أنهم أسسوها بوعى شديد لا على قيمة المساواة ، إنما على قيمة المنافسة . وسرعان ما أذهلتنا النتائج الباهرة ، حيث تكاد تتخطى أميركا المعاصرة ثلث اقتصاد العالم وحدها . اليوم تتكرر الدائرة ، العبيد يقومون بتركيح حضارتنا المعاصرة بذات الآلية القديمة ، لسبب بسيط أنهم ليسوا فى حاجة لآلية أخرى . الهجرة الساموية عربية وإسلامية تغزو الآن أميركا على قدم وساق ، وهؤلاء ليسوا العبيد الوحيد ، بل هناك أيضا اللاتين القادمين من الجنوب ، وهناك السود ، وهناك الأسوأ من كل هؤلاء وأولئك ، جلابو العبيد ، ممن يعملون على قدم وساق بما يفوق ما كانه يفعلهُ أسلافهم فى روما القديمة . إنهم اليسار الأميركي وتحديدا بالاسم الحزب الديموقراطى ، الذى لا وسيلة له لاستلاب السلطة وهدم الأسس الأصيلة والأصلية التى قامت عليها أميركا ، إلا جلب المزيد من العبيد .

ترى أين ستكون القفزة الرابعة للوراء . جغرافيا ، وتبعاً للتسلسل المذكور ، ستكون عبر المحيط الهادئ ، لا مكان آخر ، العرق الساموى أمامكم والمحيط وراءكم . لكن مهلا ، وقفة صغيرة لنحدد أولا المطلوب من الحضارة القادمة . إنه ليس بالضبط ذات الشرط التقليدى القديم ريادة تقنية ونخوة قيادية تفرض نفسها على العالم . المطلوب بجانب هذا قدرة على كسر تلك الآلية الجهنمية التى يدمر بها العرق الساموى بأفراده ومعتقداته الحضارة تلو الأخرى . إنه ذات الحلم الأرسطى قديم ، فقط لم يكن ثمة قط سبيل لتحقيقه من قبل . الديموجرافيا أمر واقع ، بل وعدوانى والحضارة دوما فى موقف دفاع أمام زحف العبيد تكاثرا فهجرة أو هجرة فتكاثر . اليوم اختلف الموقف لأول مرة . اليوم وعلى نحو غير مسبوق فى تاريخ الحضارات ، لدينا شيء اسمه أسلحة الدمار الكتلى WMD . بالسلاح النووى أو ما شابه يمكن تخليص البشرية من لعنتها الأزلية التى هى العرق الساموى . الأنجلي -خير أمة أخرجت للناس- وأبنائهم الأميركيون أثبتوا للأسف أنهم أكثر تهديبا وإنسانية ورقة قلب من أن يقدموا على مثل هذه الخطوة . ترى من هناك خلف الپاسيفيك مؤهل لهذه الخطوة . هل ستكون الصين ؟ غير محتمل كثيرا طبقا لنظرية المعادن أو الأعماق الچينية للأمم التى طرحناها . بعض الأعراق مصمم چينيا كقائد ، بعضها مبدع بطبعه ، بعضها نشط بطبعه ، بعضها مغامر بطبعه ، وحسنا : بعضها متخلف غبى كسول أو تابع بطبعه كالعرب والسود مثلا . الصينيون قوم رائعون ربما ، قادة لا . لم يحدث أبدا أن كانوا روادا أو غزاة للأمم المجاورة . الخبر الجيد أن كل المواصفات المطلوبة لوريث الحضارة الأميركية موجود فعلا :

اليابان . اليابان الحالية حضارة تقنية عظيمة ، والأهم أنهم قادة بكل معنى الكلمة ، قادة كانوا الوحيدين في كل التاريخ ، ممن تبوا الإبادة الكتلية المنظمة صلاحا لشأن منطقتهم . طموحهم وصل خلال الحرب العالمية الثانية لإبادة كل الكتلة البشرية الهائلة المسماة الصين ، وبدأوا بالفعل وبكل القوة هذه الإجرائية الحثيثة باستخدام الأسلحة البيولوجية ، لكننا كما نعلم أخطأوا الحسابات في بيرل هاربور وتناولوا ، هتار وهم ، على ما بدا حتى اللحظة على الأقل كأعظم أمة أخرجت للناس الأنجلو-أميركيين ، فكانت النكسة الهائلة التي نعرفها . ثم يوم انقلب اليابانيون بين ذات صبيحة وضحاها من سنة ١٩٤٥ لم يكونوا يغيرون چييناتهم ، بل بالعكس مثل هذه التغيرات المذهلة منطوى عليها أصلا في چييناتهم ، ولن يكف أشباه الآلة هؤلاء عن الإتيان بمثلها كلما لحظة استلزم فيها الأمر . وربما نضيف أن ليس من المصادفة أنهم الشعب الوحيد الذي يأكل السمك نيئا ويأكل اللحم والدجاج نصف مطهو . وفي شجرة المملكة الحيوانية التي تطورت من أكل العشب لأكل اللحم لا بد حسب تقديرنا وأن يضعهم ذلك في مرتبة أعلى من بقية عموم البشر ممن لا يقوون على مثل تلك الأشياء ، ومن ثم لم تنم أجسادهم وعقولهم مبرمجة أو مستفيدة من غذاء اللحم النيئ . إذن چيينات اليابان ، التي كما غيرها شيء لن يموت أبدا كما علمنا تاريخ كل الشعوب ، هي لا تزال كامنة هناك بكل عناصرها الحاسوبية والدموية سواء بسواء ، وهذان بالمناسبة وجهان لعملة واحدة اسمها العقلانية المطلقة التي لا ترحم .

لم أندم يوما على سذاجتي قدر ندمي على قراءتي الأولى لأفلام مخرج اليابان العظيم أكيرا كوروساوا أو أفلام الساموراي أو حتى الأفلام اليابانية عامة . رأيت في اليابانيين شعبا دائم الانفعال والصراخ شديد التطرف في أفعاله ، منها على الأقل ذلك الانتحار غير المبرر مثلا (لحسن الحظ أني لم أتسرع وأكتب هذا وإلا كان خجلي اليوم مضاعفا !) . تخيلت أن هذا هو التاريخ وهم الآن هم عكس هذا . لم أكن منخطئا أكثر من هذه إلا في تلك . الحقيقة أنهم ذات الشيء في كلا الحالتين . نعم هم ليسوا باردين كالإنجليز ، لكن أيضا ليسوا نوعا من العرب في انفعاليتهم . يفعلون بمنتهى الشدة والتطرف نعم ، لكن السؤال هو متى ولماذا . أنهم فقط ودائما أبدا يفعلون لأسباب موضوعية محض ، للعقل للمنطق ، للحق المجرد ، للصالح العمومي ، وليس لأية أسباب ذاتية أو شخصية أو قبائلية ، بعبارة مختصرة : يفعلون ضد الانفعال . لو رأوا أن غيرهم أفضل منهم لصرخوا بكل القوة دفاعا عنه ، وضد أنفسهم . نعم ، انفعالهم غالبا ما يكون موجها إلى الذات في غالبية الحالات ، وليس من أجلها دفاعا عشائريا أعمى كما حالتنا نحن مثلا العكسية مائة وثمانون درجة .



That's Liberalism:
As in Absolutely Free Market as in Completely Free Personal Liberties!

معظم الكتب عن اليابان ساهمت في تضليلنا على نحو أو آخر ، بما في ذلك كتاب اعتبره عظيما وقمت شخصيا بترجمته كاملا هو 'الجيل الخامس للحاسوب' ، حيث يكثر الكلام مثلا عن قيمة الأسرة واحترام الكبير بما يخرجك بانطباع أن هذا هو عصر الإقطاع كما عرفته كل الدنيا ، وليس اختلافا ونوعيا وجذريا في السلوك ورؤية العالم . بينما الحقيقة هي العكس بالضبط .

الحرية الجنسية عندهم مطلقة ، اخترعوا من الخدش تقريبا شيئا اسمه أفلام الاستحواك الجنسية ،

المدهش أنها أخذت العالم كله كما الإعصار ، في وقت استكان فيه الجميع لهيمنة أميركا على صناعة الأفلام (الفارق مذهل بينهم وبين الصين التي تراقب كل شيء وتمنع كل شيء ، حتى القبلة على شاشة السينما ، ومثلها بالطبع الهند) . من يؤمن بالحرية المطلقة بجناحيها الاقتصادي والشخصي ، هي شعوب جبلت لتقود ، ومن يحرم كل شيء ويخشى أى شيء ، هي شعوب جبلت لتقاد ، أو -حسنا- لتباد !

هم فى جميع
الأحوال وجميع
العصور آلات
موضوعية
محايدة ، ما
يفرقها عن جينيات
العرق الأنجلي
أنها من الممكن
أن تذهب لأى
مدى حمية ودفاعا
عن تلك
الموضوعية
والحقيقة
المجردة ، أو
تقريبا قل هم
الشعب الوحيد
الذى يفعل من
أجل أشياء كهذه ،
أو بكلمة أخرى
هم المطايا
المثاليون الغايون
لآلية التطور ،
لجيين التطور ذاك
مطلق الأناية
(مرة أخرى



That's Liberalism:
As in Absolutely Free Market as in Completely Free Personal Liberties!

مصطلحات دكتور دوكينز) .

يوم ينخر اليسار وقصف الهجرة العربى-الإسلامى-الكاثوليكي أميركا ، هم جاهزون . ساعتها سينسى
اليابانيون ، كل ماضيهم فى لحظة (كما فعلوا يوم هيروشيما) ، وسيولدون ميلادا جدا بالكامل مرة أخرى ،
وسيشبتون أنهم أفضل وأفضل مما ترسخ لألفيات كاملة من حقيقة أن العرق الأنجلي هو خير العشيرة الإنسانية ،

ولا تنس أن اليابانيين استخدموا أسلحة الدمار الكتلى فى الحرب العالمية الثانية بهدف الإبادة ، أما العرق الأنجلي مرهف القلب فقد استخدمه لإنهاء الحرب وحقق الدماء (!!) . ذلك أن لهذا العرق بدوره جبينه المفقود ، آخر جبينات الإنسان ، لديه بمصطلحات علوم التطور ذاك النوع الخبيث الدخيل من التطفر الذى يفضى لانقراض كل العشيرة ما لم تتم محاصرته ، إنه جبين ' المغفلين ' ، جبين رهافة القلب ، أو فى قول ثالث جبين ' الإنسانية ' ، هذا الذى يحاول دوما إجهاض أو الانتقاص من الموضوعية المطلقة التى استنتها لنا أمانة الطبيعة فى ملعبها الأثير ، الأدغال ، مهد الحضارة الحقيقى . أما اليابانيين فهم قطعاً أكثر الأمم آلية وبرودة عقلانية فى كل ما عرفه العرق البشرى من تنوعات ، وكل ما حدث أن فقط لم تتسن لهم الفرصة الحقيقية لقيادة العالم ، ومن المرجح جدا أن قفزة الحضارة التالية ستكون كبيرة بالمعنيين المجازى والحرفى للكلمة . ستذهب هناك لأحضانهم عابرة المحيط الهادى بكامله هذه المرة .

باختصار : نعم ، هم ليسوا المؤهلين بعد لقيادة العالم ، لكن ما نقوله عنهم ليس خيالاً علمياً مستقبلياً بالكامل . بالطبع عليهم على الأقل قبل ذلك أن يقدموا لنا شيئاً يعادل فى وزنه الثورة الصناعية الإنجليزية ، وثورة ما بعد-الصناعة الأمريكية ، الثورة الصينية مثلاً ، ثورة الذكاء الاصطناعى أو حكم الروبوتات مثلاً ، [أو الهندسة النانوية مثلاً] ، ولا شئ يشير الغرابة لدينا فى كونهم متقدمون بالفعل دوناً عن الجميع حتى اللحظة على كل هذه الجبهات المذكورة . لكن الأهم ليس أنهم جاهزين لهذه الثورات التقنية فقط ، بل لما هو أهم وأخطر تماماً ، لما لم يحدث وأن كان أحد مستعداً له من قبل قط : جاهزون جبينياً للدخول فى حرب إبادة ضد أعراق التخلف العصية على التحديث التى تعرقل مسيرة حضارة الكوكب . ساعتها سينسى اليابانيون أنهم أمة حتى بلا جيش تقليدى الآن ، سيلغون المادة التاسعة الشهيرة من دستورهم ، وسيصنعون القنبلة النووية فى ظرف ٢٤ ساعة . وفى خلال أيام قليلة سيخلصون كوكب الأرض من شعوبه قاطعة الطريق . هنا ستصل دراما التاريخ لذروتها وتنتهى أليات من الصراع فائق الكلفة بين الحضارة وبين قطاع الطرق والمارقين ، سيأتى فيلم الإنسانية لهائته المنطقية بظهور البطل القدير بتخليصه لبقية العالم من الطغمة الشريرة ، وكتابة الخاتمة السعيدة لحرب الخير والشر المستطولة .

بعد هذه النقطة لا يمكن لأحد -ولا ربما أرسطو- تخيل كيف سيكون العالم بدون قوى تخلف وعبيد ينخرون ركائزه الحضارية . هذا سيكون عالماً بعد-إنسانى بالكامل ، لا أثر فيه لذاك الداء القاتل المسمى بالديموقراطية ، السم الذى أودى بكل الحضارات والإمبراطوريات ، وسيكون بآفاق ، وطبعاً بمشكلات أيضاً ، لا يمكننا قط التكهن بها . فقط ما نستطيع التكهن به ، أنه حين تنهار الحضارة الأمريكية ولا يوجد من سيرثها وراءه الپاسيفيك ، سيكون المكان الوحيد للقفز للخلف هو المريخ . المشكلة حتى أن هذا ليس حلاً للمشكلة . إذ أيضاً سيلحق بكم هناك العرق الساموى ! السؤال هو عينه كان دائماً سؤال بسيط : لمن الغلبة للغشاشين أم للضاغنين ؟ والإجابة أيضاً بسيطة بساطة إجابات أرسطو على ذات السؤال قبل ٢٥٠٠ سنة . قائمة البلطجية قطاع طريق الحضارة لم تبدأ بلينين وجاندى وناصر ومارتين لوثر كينج ، ولا يبدو أنها انتهت بالقذافى ومانديلا

والخوميني وصدام حسين ، لذا أيها السادة قليلا من الحلول الجذرية ولو لمرة واحدة على سبيل التغيير . نعم صحيح أن الحضارة طالما كانت في صعود متواصل ، صحيح أنها وجدت في كل مرة من اليونان للرومان للإنجليز ، فسحة للقفز إلى مناطق أقل حمية وأكثر برودة في طباع أعراقها ، أو أنها وجدت أرضا جديدة بكرًا للفرار إليها كأميركا . لكن هذا الهرب لا يصلح لأن يدوم للأبد ، ولا يكاد يوجد عمق استراتيجي آخر ، فقط لا مفر من المواجهة المؤجلة ، مواجهة سؤال التاريخ الأكبر : ألم يكن عالمنا ليصبح أكثر تقدما بألف مرة عما هو عليه الآن لو كان لدى أرسطو وتلميذه أليكساندر الملعب بالعظيم سلاح نووي ؟ !

لقد قسم ' الأستاذ ' بنى الإنسان على أساس معيار كبير واحد : هل أنت بلا مشاعر أو انفعالات أو على الأقل تسعى للتحكم فيها لو راودك بعضها أحيانا ، أم أنت مائج المشاعر والانفعالات طوال الوقت وطبعا يمتنعك هذا أو على الأقل لا ترى فيه أى ضير أو عيب . هكذا صنف أرسطو بنى الإنسان ما بين يونان وبرابرة ، ما بين سادة وعبيد . حتى يوما هذا لم يستجد جديد يحمل على الاعتقاد أن تصنيف أرسطو لا يزال منطبقا على العرق الساموى ، برابرة وعبيد عصر الصناعة وما بعد-الصناعة ، وكل العصور قبلهما وبعدهما . مرة أخرى لا أريد الخوض فى حديث الأعراق الذى لا أكاد أفهمه والأقرب للرمال المتحركة (الموسوعة البريطانية ليس بها أصلا مدخل اسمه العرق الساموى !) . وأقول إن ما أقصده وما أفهمه هو فقط أرسطو ، أى ذلك التقسيم للبشر على أساس انفعاليتهم أو برودهم . هؤلاء وأولئك أعرفهم وأميزهم بسهولة حتى لو كانوا فى أقاصى أستراليا أو جنوب أميركا . بالتالى أكرر إنه باستثناء الأشكيناز الذين صهروا لألغيات كاملة فى محارق يلفها الطقس والطباع الصقيعية إلى أن خرجوا من تلك الأفران معدنا مختلفا بالكامل ، لا انفعال فيه ، يكاد يطابق العرق الأنجلي فى بروده العقلانية المطلقة (ولعل هذا التطابق الصاعق كان السبب وراء ظهور تلك النظرية سالفة الذكر عن العرق الأنجلو-إسرائيلي) ، فعدا ذلك فكل الخصائص المزمنة المريرة التى تحدث عنها أرسطو لا تزال تورثها الجينينات جيلا بعد جيل لتحافظ على شرق المتوسط بالذات ، وبالذات جدا ، كالبؤرة الرئيسة لقرصنة وقطع طريق الحضارة ، وإلى الأبد . أو على الأقل إلى إشعار آخر : إشعار تلك المواجهة المؤجلة !

ألم يئن الأوان كى تقول الأقلية الصامتة كلمتها ، ويعلو من جديد صوتها فوق صخب الدهماء الجارف ؟ ألم يئن الأوان كى تتحد نخبة العالم ، كى تنهى عصور الظلام الحالية التى بدأت بما سُمى الثورة الفرنسية ومن بعدها غناء mediocrity يسارى يحمل مسميات كالديموقراطية والجمهورية والاشتراكية والإنسانية والحقوق ؟ المفارقة أن الإجابة ربما ليست جديدة جدا بقدر جدة عصر المعلومات الرقمية . يقال عادة إن عصور الظلام قد انتهت وعصر النهضة قد بدأ بوصول بعض نسخ من كتب أرسطو لقينيسيا ، ولعلنا نزعم هنا -وربما بكل العزم- أن التاريخ سيعيد نفسه عما قريب ، وبنفس السيناريو بالضبط . سوف تنتهى عصور الظلام ٢ وسوف يبدأ عصر النهضة ٢ ، كلاهما بوصول بعض نسخ من كتب أرسطو للإنترنت . (وطبعا من نافلة القول إن هذا ليس بحال انتصارا منا للفكر على حساب المادة ، أو للثقافة والمعنويات والأيدولوجية على حساب التقنية والاقتصاد وقوى الطبيعة ، أو اختصارا انتصارا للبنية الفوقية على حساب البنية التحتية . بالعكس تماما . فالمهم

نوع الفكر نفسه ومحتواه . وليس فى كل التاريخ ، بمن هو أعظم من أرسطو نصيرا للمادة وللمادية ، ولأمننا الطبيعة ولقوانينها التى لا ترحم ولا تحابى) .

...

الإجابة للأسف : لو لم تحدث مثل تلك الوقفة الجادة مع بؤر التخلف والماضوية ، وفورا ، فلن يكون هناك ' محيط جلوبى حى مشرق وسريع الانطلاق ' تتوسطه ' جزر مظلمة وعاجزة ' . ستكون كلها أحلام ' الجات ' التى تذررها الرياح . والعكس سيصبح هو الصحيح ، سيستمر النموذج الكلاسى القديم قائما : مدن متحضرة تحاول أن تعزل نفسها بأسوار منيعة عن محيط واسع من العشوائيات أو ' الصومالات ' يسيطر عليه بالكامل قطاع الطرق المحليين ، فى أفضل السيناريوهات تماما سيفشلون فى غزو العالم المتقدم ، ويقنعون بالتناحر على فئات شعوبهم ' المستقلة ' صاحبة ' الهوية الخاصة ' .

متابعات ١* :

- نجلاء العمري وحسام السكري - نبيل على - محمد عناني - قناة الجميرة - عبد العزيز حمودة -
... نماذج تطبيقية متنوعة لمرض واحد من أمراض العقل العربي
—التطفل على تقنية الغرب اعتصارا حتى آخر قطرة
هذا دون أدنى فكرة عن الشروط القاعدية التي جعلت المخترع مخترعا !



The Planet of Standardization!

* هذه فقط خمس متابعات مختارة من بين عشرات المتابعات التي أبدت في صفحة الثقافة منذ تأسيسها ، وقد وصل عدد أجزاء الصفحة إلى خمسة أجزاء حتى لحظة إعداد هذا الملف ، كل منها يناهز تقريبا حجم الدراسة الرئيسة أعلاه التي مثلت الجزء الأول منها . تم اختيار هذه المتابعات لكونها مبكرة نسبيا وكانت لحد كبير الأكثر إنشغالا أو التصاقا بأطروحات الدراسة المذكورة ، وربما أيضا لأنها تتعلق في غالبيتها بأشخاص عرفهم الكاتب معرفة شخصية .

◀ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٠ : يكتب هذا التعليق وموقع الجماعة الدينية الإرهابية اللبنانية المسماة حزب الله على شبكة الإنترنت في حالة انهيار كامل [موقع آخر للجماعة أصبح يرفع مؤخرا العلم الإسرائيلي وييث نشيدها القومي !] .
واليوم بعد نحو ثلاثة أسابيع من الانهيار بات السبب معروفا من خلال توضيح من الجماعة نفسها جاء في إذاعة بي بي سي العربية .

مبدئيا علاقتي بلبنان ليست كبيرة جدا . ما أذكره أنى عندما كنت طفلا كان يقال لنا في كتب الجغرافيا إن نسبة المسيحيين في لبنان ٩٢ ٪ ، وبقية الأديان بما فيها الإسلام ٨ ٪ من سكانها . لكن يبدو أن الأحوال انقلبت حاليا . هل تمت أرثذكسة المواردنة ، بحيث يسهل لهم التخلي عن دينهم وأراضيهم للمسلمين ، كما حدث في كل أراضي الأرتوذوكس ؟ هل دجنهم المسلمون ؟ هل هاجروا ؟ هل تم غزو لبنان من الخارج ؟ هل مجرد معلومات كتب المدارس المصرية لا يعتمد عليها ؟ لا أعلم بالضبط ، ولا شك أنها حكاية معقدة . ربما كثيرون مثلي لا تتاح لهم فرصة التفقه في الشأن اللبناني العجيب ، أو حتى أن يودوا الخوض فيه . لذا فإنه اعتمادا على ما يستمد من مجمل الصحف ومحطات الإذاعة وغيرهما يمكن معرفة أنه حاليا بلد محتل من قبل سوريا المجاورة وتحكمه بالتالي حكومة عميلة لها رغم المقاومة المتواصلة من أغلب قطاعات هذا الشعب العتيد في الحضارة والإنجاز ضد هذا الاحتلال المتخلف (عامة لا يكون الاحتلال شيئا متخلفا ، فالحضارة تنتشر بالاحتلال أساسا ، وهو عادة غزو من المتقدمين لمناطق متخلفة ، لكن أحيانا قد يحدث العكس تحت ظرف ارتقاء حضارى استثنائى ما ، فترى مثلا بدو الصحراء العربية أو تثار الجبال الآسيوية ، وقد غزوا المدن الخضراء الزاهرة . والاحتلال السورى للبنان -مثله مثل الاحتلال العراقى للكويت كأمثلة معاصرة- ينتمى لذلك النوع البغيض من الاحتلال 'الجرادى' ، أى الذى يهجم كالجراد على بلد أكثر تقدما ولا يريد إلا نهش خيراته وإعادته لما عليه هو نفسه من تخلف ، يبحث بعدها عن التهام الأخضر واليابس في مكان آخر وهكذا دواليك) .
بالمثل أيضا فوصف الإرهابى للجماعة المذكورة ليس من عندنا إنما من التصنيف الرسمى لشعبة الدولة (وزارة الخارجية) الأمريكية والمعتمد عالميا على نطاق واسع بما في ذلك في مصر التى طالها الكثير من الإرهاب المدعوم من إيران ، سواء ذلك رسميا أو في الكثير من صحفنا مثلها كأغلب صحف العالم . أما ما نوده حقا هنا فهو استخلاص بعض العبر من تلك الواقعة التى تآتى في ذروة المواجهات المحترمة في الأراضي الفلسطينية وقبيل القمة العربية التى أصبحت شهيرة حتى قبل أن يبدأ انعقادها غدا في القاهرة ، رغم أنها تآتى في الواقع في الوقت الضائع بعد اهدار فرصة أخرى لمستقبل عربى تنضم لطابور الفرص الطويل الذى ذكرناه عاليا ، وهى فرصة مؤتمر كامب ديفيد الجديد قبل ثلاثة شهور حيث كان يجب للقمة أن تنعقد آنذاك لإقرار العروض الإسرائيلية حول مستقبل فلسطين والقدس... إلخ وهى للمرة المائة ربما عرض جاء في زمانه لم يعد قائما ، وكغيره من العروض سيراه العرب يوما عرضا سخيا للغاية ، هذا بغض النظر عن كون كلا الطرفين يراه حاليا مجحفا لا سيما فيما يتعلق بالنزاع حول أرض المعبد التى أنشئ المسجد الأقصى على جزء منها ولا يزال (الحقيقة أنه ترجمة سلمية مبدعة وجريئة حقا لأكثر من ٣٠٠٠ عاما من صراع الأديان القبيح) .

التدمير طبقا لما قاله المسئول التقانى عن الموقع المنهار جاء بسبب رسائل بُعث بها من كل من إسرائيل والولايات المتحدة ولا يزال العطب مستمرا منذ بداية أحداث العنف الفلسطينى الذى أعلنت الجماعة تضامنها معه وذلك حتى الآن . كما قلنا في مكان سابق في هذه الصفحة فالبرمجيات الحاسوبية العربية الكبرى هى صناعة إسرائيلية بالكامل

حركتها صدفه محضة هي كون اللغة العبرية تكتب كما العربية من اليمين إلى اليسار ، ومن ثم بات من الاقتصادى نسيا تعريب نظم التشغيل والتطبيقات الرئيسة لشركة مايكروسوفت رغم الهامشية الشديدة للسوق العربية . ثانيا وبالمثل فالبرمجيات الكبرى للإنترنت نفسها كالدردشة ونقل الملفات والترجمة على الخط ... إلخ هي مبتكرات إسرائيلية في معظمها ، ومستخدمو الشبكة يعرفون جيدا هذه البرامج ولا يستطيعون الاستغناء عن أيها قط . **بايجاز ، الويندوز العربية مجرد منتج ثانوى ظهر تلقائيا وهم يصنعون الويندوز العربية ، ولولا تلك المصادفة التي جمعت العربية والعربية من حيث اتجاه الكتابة ، لكننا لا زلنا حتى الآن نستخدم ألواح الإدواز في الكتابة ونستخدم الرصاص المصبوب في الطباعة !** ما يهمننا هنا ليس أننا فقط أمام حالة نفاق عربية أخرى ، إنما في تحليل الفارق بين شخص يعتقد أنه أصبح متطورا بشراء جهاز حاسوب من الغرب ووضع بعض البرمجيات من صنع الغير ثم ينطلق في الهجوم على كل هولاء باعتبارهم الأعداء الذين يجب محوهم ، وبين من يبتكر هذه التقنيات أصلا وهو الوحيد الذى يستحق حقا في رأينا وصف المتطور . مبدئيا كما رأينا فالأخير يستطيع بسهولة تخريب كل مجهودات الأول ولا يملك هذا سوى الولولة المعتادة . والواقع الأبعد أن إسرائيل اعتقادا منها أن هذا سيكفل لها مزيدا من الهدوء ، تركت في مايو الماضى جماعة حزب الله تستشعر النصر بانسحابها هي على نحو مفاجئ من الجنوب اللبناني . بينما الواقع أنها لم تنسحب إلا بعد أن ضمنت حتى آخر قطرة تحقق كل الأهداف التي دخلت من أجلها الأرض اللبنانية قبل ٢٢ عاما والتي كما هو معلوم لم يكن منها قط في أى لحظة التمسك بأى أرض لبنانية . آنذاك كانت لبنان تعج بكل منظمة التحرير وعشرات الآلاف من مقاتليها زائد عشرات المنظمات الأخرى التي تحيل كلها الحياة في الشمال الإسرائيلى جحيما وكذا بحزب الله الوليدة تخطف خمسينا من المارينز في بيروت ... إلخ ، أما الإنسحاب فقد تم ببساطة بعد أن تم ضمان عدم إطلاق رصاصة واحدة من لبنان على إسرائيل . والآن احكم أنت من انتصر ومن انهزم ، هذا بالذات لو لم تكن أحد صبية الحجارة الموعودين بالجنة ومن ثم لم يعيش تلك الأيام ويعرف حقائقها ويغمر به حاليا كل المرتزقة باسم تحرير الأرض التي أضاعوها هم أنفسهم بأيديهم الرعناء وعقولهم المضطربة ، والأسوأ أنهم لا زالوا حتى الآن باسم تحريرها يضيعون المزيد والمزيد منها ؟ !

الدرس المستفاد هو إننا على العكس بالضبط مما هو حادث ، يجب أن نستفز بشدة من هذا الفصام المتواصل في حياتنا والذى قال عنه يوما **الدكتور زكى نجيب محمود : أنت لا تستطيع مهاجمة الغرب باستخدام ميكروفون مصنوع فيه !** لن نتحدث عن البذور والحيوانات المنمأة چينيا التي نستوردها من إسرائيل وتكفل حياة رخيصة نسبيا لشعبونا شرهة التكاثر ، ولن نتحدث عن ١١ دولة عربية تتعاون مع إسرائيل والتسمية الأدق —وعذرا لعاداتنا القبيحة في تسمية الأشياء بمسمياتها— تتلقى الصدقات منها كدولة غنية متقدمة وسط محيط فقير متخلف ، ولن نتحدث عن المعونات الغربية لإطعام الجياع منا ، أو عن آلاف التصرفات الأخرى التي ينطبق عليها قول هذا المفكر العربى العظيم . إنما نكتفى —وطبقا لما تفرضه المناسبة— بالحديث عن صدور الصحف ونصب خادماة الإنترنت لتهاجم الغرب وإسرائيل باستخدام حواسيب وبرمجيات غربية بل وفي غالبها إسرائيلية تحديدا ، هذا بينما نذكر أنه —وطبقا لمجلة روز اليوسف المصرية— تقدم ١٥ ألف مهندس حاسوبيات مصرى للإعلان الإسرائيلى السابق لعملية **تعريب الويندوز ٩٥** . الأهم أن ليس أن كان هذا الجزء المثير في الخبر إنما كون أن النتيجة هي : لم ينجح أحد !

باستثناء البلاد العربية لا يكاد يوجد بلد لم يستطع أطفاله اختراق الشبكات الحاسوبية الكبرى في العالم بما فيها شبكة شعبة الدفاع الأمريكية (الپنتاجون) عالية المنعة ، ذلك بدءا من أطفال أميركا وإسرائيل حتى أطفال روسيا والفلبين (حتى الفيروسات الحاسوبية لا يوجد فيها ابتكار واحد مسجل باسم أطفالنا أو حتى كبارنا !) . من هنا يمكن أن تتجسد الفجوة المخيفة حقا وأيضا من هنا يمكن فهم لماذا لم ينجح أحد في تلك المسابقة !

ببساطة : عزيزي القارئ ، إذا كنت تستطيع الآن قراءة المكتوب أمامك هنا ، فمعناه حرفيا أنك مررت بما لا يقل عن دسنة من المنتجات الإسرائيلية الموضوعة في الخادامات والراوترات وحوائط النار عبر الجلوب ، زائد طبعا في حاسوبك نفسه . هذا ما يحدث أيضا مع رجال حزب الله عندما يقرأون ما كتبوه في موقعهم ، ويرفعون حواجبهم إعجابا ببلاغة الهجوم على إسرائيل فيه !

[تحديث : ٧ مارس ٢٠٠١ : نفس القصة تتكرر مع موقع منظمة حماس ، الذي يقودك لموقع پورنوجرافي . ليس لدينا الجديد ليقال . نفس الكلام بالضبط ! فقط اقرأ القصة كما عممها أحد مواقع التفصييص hacking اليوم <http://www.hackernetwork.com/newshere/one/arc7.shtml> . جريدة الأهرام كتبت عن القصة لاحقا <http://www.ahram.org.eg/weekly/2001/537/it3.htm>] .



Last House on the Left!

وبعد ، وبمناسبة هيئة الإذاعة البريطانية وهي مكان يفترض ولو نظريا أنه رفيع وأصيل المهنية ، كما أن دورها في التنوير الاجتماعي من خلال برامج التحقيقات الاجتماعية أمر لا يمكن التقليل من شأنه ، إلا أن كثيرا من الظلال تحيط بها ككل في السنوات الأخيرة ، وبالأخص كثيرا القسم العربي منها . هؤلاء لا زالوا لم يتحرروا بالكامل من البارانويات العربية التقليدية (عامة ودون خطأ كبير يمكن التمييز بين المخضرمين القدامى أصحاب التقاليد وبين الشباب الأحدث الذي يضم للأسف إما مستشحيين ومستشحيات أو قوميين وقوميات يرسلون جميعهم لنا يوميا ' بتحياتهم من لندن ' ويرسلون إلى دافع الضرائب البريطاني بالفاتورة ، وهم في أفضل الحالات يتوهمون أنهم أصبحوا موضوعيين بمجرد استضافة بعض الإسرائيليين في برامجهم وأخبارهم ، وليس بأن يكونوا موضوعيين هم أنفسهم . بشكل تقريبي ربما يمكن وضع فاصل سنى بين القدامى مطلقى الموضوعية والجدد ذوى الولاءات ، بشخصية

حسن معوض رئيس دائرة البرامج الإخبارية بالقسم العربي وآخر الرعيل ذوى التقاليد المهنية الرفيعة) . لا نريد أن نفخر لاستنتاجات متسرعة ، لكن المؤكد أن القسم العربي صار مرتعا للعروبيين والإسلاميين على نحو لم يسبق له مثيل ، والشائعات تجرى على أنه بدأ يعد الهدف الثالث للتنظيم العالمى للأخوان المسلمين ، بعد قناتي الجزيرة وأبي ظبي . أما الخدمة العالمية ككل ، فقد بدأ يتلاشى حيادها تدريجيا مع المزيد من هيمنة قوى اليسار عليها بالذات منذ نهاية الفترة

الثائرية . ولا نعتقد أن أحدا يتمنى أن يتحول ' منزل الحرش ' Bush House العريق ليكون آخر بيت على الشمال في عالمنا المعاصر !

أحد رموز ذلك الشباب المتحمس رئيس الموقع العربي على الغشاء والذي كانت آخر حلقة يقدمها من برنامجه غير المأسوف عليه كثيرا المسمى بالمقهى الإلكتروني تتحدث عما أسمته المعايير المزدوجة لشركة مايكروسوفت ، إذ بعد أن زار كبير تنفيذيها ستييفن إيه . بولمر بعض البلاد العربية وراح ينتقد انتشار القرصنة فيها ، ذهب إلى إسرائيل ليدشن مشروعا مشتركا ضخما بينما القرصنة في إسرائيل أكبر بما لا يقاس من كل البلاد العربية . نعم يا صديقي أنت محق ، لكنك نسيت أن هناك مكانا القرصنة فيه أكبر مما هي في إسرائيل ، إنه أميركا نفسها . إذن الكلام يصبح مختلفا عندما نتحدث عن الولايات المتحدة أو عن إسرائيل التي يوجد بها المختبر الوحيد لمايكروسوفت خارج أميركا . فهاتان سوقان هائلتان ومن ثم تعد القرصنة فيهما مجرد فواقد ثانوية مقبولة بل ربما مفيدة ، ناهيك عن أنهما المصنعان أصلا للسلعة وهما أدري بسوقيهما ، وليس لأحد آخر حق الإفتاء بالرأى في شأن يخصهما لهذه الدرجة (هذه عادة الأسباب وراء ما نسميه نحن **المعايير المزدوجة** ، فلو رأسنا برأس الآخرين حقا لتطابق المعيار !) .

ولا أريد الحديث كثيرا عن دلالة اختيار هذا الفريق لعنوان الموقع bbc.com منتما للنطاق الرئيس التجاري العام .com ، نازعا عنه صفته القومية .uk ، رغم التاريخ العتيق للبي بي سي كمؤسسة ورمز قومي تاريخي . إنها اختطاف لا يحتمل التأويل يسلبها حضارتها وانتماءها ، ويسرقها ويسرق تاريخها مع سبق الإصرار والترصد لحساب هوية أخرى أشد تخلفا في المحتوى وفي كل شيء هي الهوية العربية . ببساطة ، الكل يسأل إذا لم تكن البي بي سي تحمل النطاق .uk ، فمن ذا الذي غيرها يمكن أن يحمله ؟

أيضا هذا الكلام قد يسرى بالمثل على دعوة أخرى رائجة في السنوات الأخيرة هي **تحرير منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الكنتلي WMD** . إذ ننسى أن من اكتشف أو وضع المعادلات النووية هما عالمان يهوديان ، أحدهما صهيوني متطرف نشط رشح ليكون رئيسا لإسرائيل واسمه ألبرت أينستين (بعد سلف كان بدوره عالم كيمياء مرموقا عالميا هو الدكتور حاييم وايزمان) . إن العالم كله يغض النظر عن السلاح النووي الإسرائيلي ليس لأسباب سياسية أو ما شابه ، إنما ببساطة لأسباب تتعلق بالإتيكيت ، إذ من المحرج الكلام مع المخترعين بهذه الطريقة !

إجمالا فإن كل ما أردنا قوله هنا بمناسبة إنهاء موقع جماعة حزب الله على الإنترنت إنه ربما لا يحق لنا الكلام من أي نوع بينما لا نتج تقنية أصلا . للمرة الألف نرى أن **التقنية (ومن ثم الاقتصاد بالتبعية وحدها) هي اسم اللعبة** ، وهذا ما يجب أن نكتف كل جهودنا له وننسى دونه كل هزائمنا ومفقداتنا السابقة وهي أتفه من أي مما قد نفقده مستقبلا . للأسف الخطوة الأولى والحتمية هي أن يكون لنا عقولا أخرى غير تلك الحالية ، عقولا تشبه عقول أعدائنا ، على الأقل عقولا لا تجعل منهم أعداءنا بل أساتذتنا .

سؤال أخير : من منا يكفل أنك لو نزعنا السلاح النووي أو حتى الجيني لهذا الطرف أو ذاك أنه لن يخترع ما هو أحدث منه ؟ !

[**تحديث :** ١١ نوفمبر ٢٠٠١ : الأستاذة إياها بتاعة التحيات من لندن بدأت بوضوح الطور الجديد من حياتها المهنية -أقصد النضالية- في البي بي سي : التحول من القومية العربية (من العروبة وليس العربية) للإسلامية . ١١ سبتمبر كان البداية -لو تذكر- في تحولها للإعجاب بالإسلام . وذلك تحديدا في حديثها مع

المفكر القوي البحريني محمد جابر الأنصاري بعيد الأحداث (استضافته طبعاً بناء على ' طلب الجماهير ' الذى تخصص دوماً على أن تبرر به لدافع الضرائب البريطانى كل حلقات برامجها) . القويون كما تعلم لا يصنفون إلى معتدل ومتشدد كالإسلاميين ، إنما إلى جديد وقديم ، والجدد -والأنصاري منهم- أكثر ذكاءً وأقل طموحاً لكن ليسوا أقلً بارانوية ولا كراهية للغرب من القدامى . خلال هذا الحديث بدت سيدتنا فى حالة اكتشاف طفولى لذلك السلاح الجديد المذهل -الإسلام- الذى طالما أهمله القويون فى معركتهم مع الغرب وإسرائيل (مثلاً رددت بإعجاب خلفه وصفه لهذا العامل الجديد بأنه ' ورطة تاريخية ' ، ولم أفهم لحظتها أنها قد عقدت العزم على أن تحلها بنفسها) .

هذا الأسبوع قامت بضريرتين فى وقت واحد حلت بهما كل ورطات القويين التاريخية : استضافت رئيس المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أو أيا ما كان اسمها ، فلم يسمع عنها أحد من قبل) ، وفى برنامجها الآخر الذى أعطته إياها الـ جى بى سى (ربما بمناسبة توسع اكتشافاتها بعد ١١ سبتمبر !) تحدثت عن كتاب أوروبى عن الإسلام لسليلى هنرى كوريل وحسن البنا . الشيء المشترك أن صاحبة الجلالة أصبحت تروج علناً لنظرية جديدة تقول إن الغرب ليس مسيحياً إنما مسيحى-إسلامى ، المكون الإسلامى فيه ' أصيل وجوهري وعضوى ' تماماً كالمسيحية (وطبعاً تقصد أنه قريباً جداً سيصبح الغرب الإسلامى فقط) . وهما هى تدشن مذهبها الجديد بعد أن تأكدت فيما يبدو أنها ستعيش وأنها (وهذه من القضايا التى ألححت ذات مرة لأنها مشغولة بها) ستموت فى لندن . اسم هذا المذهب الذى سينافس فى النجاح الحنبلى واللاذنية : **الإسلام الأوروبى** .

بعبارة أخرى : لقد اكتشف القويون العريجون سابقاً -الإسلاميون حالياً- أن الغزو من الداخل هو أنجع وسيلة ، فهذا هو الدرس التائه الذى علمهم إياه محمد عطا ، وأنقذهم به من ' ورطتهم التاريخية ' (ولم يكن السبب فيها كما تخيلنا من قبل !) .

أنا لم أرد أن أروح عنك بنكتة عزيزى القارئ . فقط تأمل كيف يفكر هؤلاء المتدينون ، ولا تناقشنى إن كانوا قنابل موقوتة أم لا . إنهم حتى لا يعترفون بمجرد هداية بقايا المؤمنين بالمسيحية بل هدفهم كل العلمانيين . أوروبا علمانية يا سيدتى . لا هى مسيحية ، وقطعاً لم ولن تكون إسلامية ، فهذا هو الأبداء أبداً . استيقظى قليلاً يا أستاذة فأيام أمثالك معدودة فى الغرب .

ومرة أخرى أرجو من السادة أصحاب الـ جى بى سى ، الصحوه لما يقدم من وراء ظهورهم . أنتم المنبر الإعلامى الوحيد فى العالم (باستثناء تليفزيون حزب الله ، وتليفزيون الطالبان غير الموجود أصلاً !) الذى لا يصف بن لادن بالإرهاب ، إنما بـ ' ما تسميه أميركا بالإرهاب ' . أذكر أنى كنت ضمن مجموعة من الناس استعلموا آراءهم قبل نحو أربع سنوات ، عندما كانت الأمور متأزمة للغاية مع الحكومات العربية . وبالفعل تم إجراء تعديلات واضحة ، لكن ها هى الأمور تنتكس من جديد . ساعتها قلت أنى لم أعد أسمع شيئاً بالعربية ، وأنى تحولت فعلاً للاستماع للنسخة الإنجليزية من صوت أميركا . ثم سألتهم سؤالاً بسيطاً : من يصنع هذه الإذاعة : لندن أم العرب المقيمين فى لندن ، ناهيك عن أن يكونوا تحديداً العرب الساخطين المعارضين المنفيين من قوميين وإسلاميين ، وناهيك عن أنها يجب أن تتحدث عن لندن أولاً وعن العرب ثانياً ؟ إنها ليست جريدة أخرى أسسها عبد البارى عطوان لنفسه ولشركاء نضاله المشبهه فى لندن ، بل إذاعة تحمل اسم جلالة ملكة بريطانيا .

بالمثل أرجو - وإن كان للمرة الأولى- من السيد **توني بن بليز** قليلا لمن يمنحهم تأشيرات دخول وصكوك جنسية بريطانيا العظمى ، بدلا من ' الجهاد ' في المساجد وتلقى التقرير من بشار الأسد . التفاؤل ليس من طبعي ، ولا حيلة لي في هذا وكل الأشياء تعززه يوما . والأرجح أن لا هذا ولا ذاك سيحدث ، إنما أن يطيح الشعب البريطاني نفسه بمن يخونون قيمه وتاريخه وحضارته [.

اقرأ بعض آراء نايبول الفائز بجائزة نوبل للأدب في الإسلام وتوني بليز وتردى الثقافة البريطانية صفحة سبتمبر <http://everyscreen.com/views/civilization.htm#Naipaul> . وطبعا يمكنك أيضا قراءة المزيد في <http://everyscreen.com/views/september.htm#Berlusconi> عن الصراع ككل عامة ، وعمما يجرى في بريطانيا خاصة من صحوة في فهم الأجنحة الخفية -أقصد العلنية- للإسلاميين .

[**هدية رمضانية : ديسمبر ٢٠٠١** : تابع تطورات سباق التأسلم الكبير في البي بي سي العربية في صفحة الفن الجماهيري <http://everyscreen.com/views/popart.htm#Metwally>] .

[**هدية غير رمضانية : أبريل ٢٠٠٢** : تابع تطورات سباق التأسلم الكبير في البي بي سي العربية في صفحة الإبادة http://everyscreen.com/views/extermination_part_3.htm#BBC . ككل الأجهزة الإعلامية التابعة للتنظيم العالمي للأخوان المسلمين ، أعلنوا الحرب على إسرائيل لحساب بارونات الانتفاضة] .

[**هدية بمناسبة غزوة بالي الإندونيسية العظمى : أكتوبر ٢٠٠٢** : تابع المزيد عن عينة ضيوف البي بي سي العربية في صفحة الحضارة http://everyscreen.com/views/civilization_part_2.htm#Bali ، الأثوكتاتو الكبير أركان حرب الشيخ بن لادن ، ولا أحد غير الشيخ بن لادن ، الأستاذ منتصر الزيات . بالمدخل أيضا إشارة لسحب إذاعة راديو سوا الأميركية للباساط جماهيريًا من تحت أقدام البي بي سي العربية الإسلامية المباركة . وكذلك لقصة الدين الجديد الذي تدعو له البي بي سي والمسمى همزة وصل ، وكان فيها تحديث بمناسبة موت مرشد الأخوان ، ويا لهوى ع إلى عملوه ع المرحوم !] .

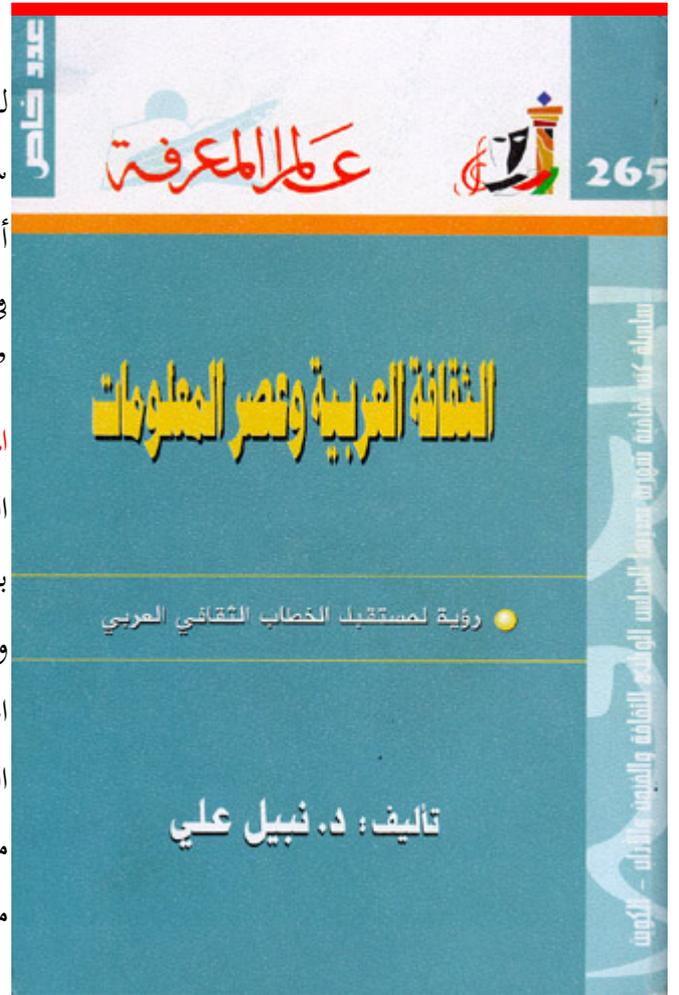
[**فضيحة بجلاجل هذه المرة : يوليو ٢٠٠٣** : البي بي سي العالمية تزور معلومات الاستخبارات حول العراق وتتهم الحكومة بذلك ، والنتيجة أن انتحر أحد خبراء الأسلحة بعد توريطهم له . إنها عقلية اليسار (ناهيك طبعا عن حلفائه العروبيين والإسلاميين) المصرة على أن بالروح بالدم نفديك يا صدام ويا أمثال صدام . النتيجة : انفجارات لم يسبق لها مثيل من الكتابات الصحفية تفضح كل ركن في عقلية البي بي سي ، التي هي بالأحرى حزب أو قبيلة أو عصابة أو طائفة دينية ، أكثر منها جهازا إعلاميا . تابع القصة في صفحة الجلوبية http://everyscreen.com/views/globalization_part_5.htm#DavidKelly !] .

[**عودة للهدايا الرمضانية : نوفمبر ٢٠٠٣** : أسلوب البي بي سي العربية في وضع الإجابات على أسئلة الضيوف ، أو أسلوب موقعها على الإنترنت في الإجابة بإجابات الاستفتاءات سلفا ، هنا http://everyscreen.com/views/extermination_part_5.htm#IstanbulExplosions بمناسبة ما فعلوه أثناء هجمات إرهابية في إستانبول نسبوها -بأنفسهم مباشرة أو من خلال الضيوف المتحمسين والمتمنعين معا- للموساد !] .

[**يناير ٢٠٠٤ : النهاية السعيدة** : ما أن وصل الأشرار لقمة نجاحهم وأرغموا **روبرت كيلروي-سيلك** على الاستقالة ، حتى جاءت النهاية السعيدة للفيلم : الهزيمة النهائية للأشرار ، ليس مجرد الصحفي المزور **أندرو**

جويليجان ، بل جميع قيادات الـ بي سي العليا ، التي أرغمت على الاستقالة ، ووضعت كل السياسة التحريرية تحت الفحص والمراجعة بواسطة لجنة قومية ، يأمل أن تعود بها لمجدها العظيم أيام كانت بمعنى الكلمة إذاعة بريطانيا العظمى قائدة التحديث والتحرر في العالم . في صفحة الجلوبة http://everyscreen.com/views/globalization_part_5.htm#RobertKilroySilk ستجد هذه القصة المطولة جدا ، لأن ببساطة حقبة بغیضة كاملة من تاريخ الـ بي سي الخدمة العالمية قد انتهت الآن ولأبد برمتها . فقط الخطوة التالية هي تطهير الخدمة العربية ، التي ستجد أن معظم المدخل ذهب للتدقيق في أساليب أبطالها الأشاوس في لى الحقائق والتحريض المغلف بورقة توت من الحيادية لا تستر شيئا ، وتقديرنا الشخصي أن هذا التطهير مسألة وقت الآن وليس أكثر] .

◀ ١٧ يناير ٢٠٠١ : يصدر غدا الكتاب الجديد للدكتور نبيل علي ' الثقافة العربية وعصر المعلومات ' في إطار سلسلة عالم المعرفة من الكويت . وبالنسبة لي لطالما تعودت أن لا أبدأ قراءة كتاب لهذا الخبير والمفكر العربي دون الفراغ منه في نفس اليوم . كتابه الأول كان بحثا رائدا بكل المعايير في ' اللغة العربية والحاسوب ' . كتابه الثاني ' العرب وعصر المعلومات ' كان أيضا أول عرض بانورامي شامل لقضية التحديث المعلوماتي في الوطن العربي ، وقد انطوى على برنامج شامل لحظة هذا التحديث كان تحفظي الوحيد عليه في وقته أنه غير عملي بالنسبة للمعطيات الراهنة متمثلة في عقلية الحكام واهتماماتهم ويتجاهل المفتاح العملي الوحيد لهذا التحديث وهو الانفتاح الكامل على العالم المتقدم ، وبالأخص منه إسرائيل . كتابه الجديد أقنعني أن هذا التجاهل كان متعمدا .



The Ever-Growing Arab Paranoia!

الدكتور نبيل علي جمعني به يوما ود واحترام عميقين للغاية ، وكنت أرى فيه الجبهة المتقدمة جدا للتحديث الذي نحلم به ، وأستاذا ومثالا عظيما لجيل جديد عليم ومتطور ولي أنا شخصيا ، بالذات وأن التكنوقراطي والمثقف نادرا ما اجتماعا معا في شخصية عربية كثيرا من قبل . للأسف تمر الأيام ويتضح أنها لم تكن سوى أيام الآمال الرومانسية يوم أعطاني نسخته الشخصية من كتاب ' الجيل الخامس للحاسوب ' وذهبت لأكافح من أجل ترجمتها وتعميمها متخيلا أني قد أضيف شيئا لمعرفتنا العربية بالعالم حولنا أو بشكل الأشياء القادمة . ساعتها لم تكن أصداف القنفذ قد تصلدت وتشنجت للدرجة التي نراها اليوم . وقطعا لم أتخيل يوما أن الدكتور نبيل علي سينضم فكريا لقافلة من أسميهم كتاب الثلاثاء <http://everyscreen.com/views/politics.htm#Ganzoury> في جريدة الأهرام ، ممن يزرعون الفواصل إن لم يكن البغضاء بيننا وبين العالم المتقدم بجوارنا أو إلى الغرب منا (تماما كما لم يتخيل أحد قبل أسبوع واحد من اليوم أن ينضم شخص مثل الوزير فاروق حسني لكثائب الظلام ، انظر <http://everyscreen.com/views/censorship.htm#IslamicButchersPartII>) .

أولا : تملأ كتاب ' الثقافة العربية وعصر المعلومات ' نبرة عالية للغاية تنادى بتدعيم الهوية العربية ، وتعليقي لن يأتي بجديد أكثر من كل ما امتلأت به هذه الصفحة من آراء . وهذه الصفحة المتواضعة والتي بدأت أنشغل بكتابتها تقريبا في نفس الوقت الذي يقول الدكتور نبيل علي أنه بدأ فيه الانشغال باشكالية مستقبل الثقافة العربية ، ليست بحثا أكاديميا عملاقا ككتابه القيم تماما بمعايير الجهد البحثي ، لكني أزعم أنها تتميز عنه بالاتساق بين المقدمات والنتائج . كتب لي

أحد زوار الموقع مؤخرا يسبغ على بأسماء يعرفها مشاهدو السينما من سنة ٢٠٠٠ : المصارع والمناضل والعاصفة المثالية والحقيقة الخفية والصرخة والمهمة المستحيلة جزء ٣ (!) . الحقيقة أن هذا لم يسعدني بالمرّة ذلك أنى لا أستحقها بحال ، فلست مناضلا أو صاحب رسالة إنما مجرد شخص ساخط ، ولو كان قد سخر منى وليكن باسم السيد اتساق مثلا لربما سعدت إذ يكون قد فهمنى أكثر .

ببساطة أنا لا أستطيع أن أكون مؤمنا بالعلم وأجعل انتمائى لوطنى أو للشرعية الدولية أو حتى انتمائى للإنسانية يفوق ولائى لشيء أكثر قاعدية وأقدم بملايين السنين مثل قانون التطور مثلا ، أو أن أكون مؤمنا بالتقنية وأعادى أكبر الدول تقدما تقنيا كأميركا وإسرائيل ، ولا أستطيع أن أكون علمانيا ولا أكن إعجابا بالحركة الصهيونية ، أو أن أكون مؤمنا بالكفاءة والدقة وعلوم الهندسة والرياضيات وأقبل بنظام عبثى مثل الديمقراطية... إلخ... إلخ . لا أستطيع ، نعم هذا هو كل ما هنالك وببساطة هو كل الإشكال ، وتضارب الأفكار يضعنى فى حالة من الانحاء الذهني على طريقة بطل فيلم كيبورك 'الإشراق' ، صدقنى هكذا الأمر لا أكثر ولا أقل . هذا الاتساق هو الذى قصده والذى يخلو منه كتاب 'الثقافة العربية وعصر المعلومات' . على الأقل من نافلة القول أن تدعيم الهوية الذى يتمحور حوله الكتاب شىء غير جلوبى وغير عصرى بالمرّة ولا يتماشى مع أى مقدمات تدعو للتحديث والعصرنة ، ذلك من حيث الأصل والمبدأ أولا ، وثانيا بالأخص من حيث إذا ما كانت هذه الهوية رجعية ومتخلفة بطبعها بل والأسوأ إطلاقا على ظهر البسيطة .

وبالمناسبة يتحرق فى داخلى سؤال يا دكتور: هل يعجبك إذن نموذج بشار الأسد وبالمناسبة يتحرق فى داخلى سؤال يا دكتور: هل يعجبك إذن نموذج بشار الأسد <http://everyscreen.com/views/extermination.htm#Bashar> ، شخص يلوك كالعلكة كلمة المعلوماتية صباحا مساء؟ (بغض النظر عن أنى لا أعرف من أين أتى بهذا الاشتقاق العربى الركيك أو هو ترجمة لأى كلمة إنجليزية . أعرف فقط شيئا اسمه المعلوماتيات ، أو ربما أشياء اسمها خدمات معلوماتية ، تقنيات معلوماتية ، أو هكذا) . إذا كان ما تحلم به هو زعيم 'عصرى' من هذا النوع فلست فى حاجة لأن أذكرك أنت بالذات أنه يلقى علينا كما على شيوخ القمة العربية بخطبه المعادية لإسرائيل والمدافعة هن الهوية العربية من أوراق بصمت حروفها ببرامج حاسوبية إسرائيلية التعريب . ناهيك أصلا عن أن معلوماته فى كل شىء بل وفى 'المعلوماتية' تلك ضحلة أصلا وخذ دليلا على هذا ان قدرته على التفكير متوقفة عند أطروحة ساذجة للغاية هى قهر إسرائيل من خلال مقاطعتها (تصور !) . إن حصيلة ذكائه لا تختلف كثيرا عن حصيلة ذكاء أبيه وفكرة كليهما عن الدهاء السياسى لا تعدو شيئا واحدا هو أنه إذا كان من بد أن تغرق سوريا فيجب أن تغرق مصر والأردن ولبنان معها (تحية لا بد منها للراحل الشجاع **محمود التهامى** رئيس تحرير روز اليوسف والوحيد فى كل الصحافة المصرية الذى تجرأ يوما على قول شىء بهذا المعنى) . هل هذه هى الهوية التى تنادى بها يا دكتور؟ الإجابة عندى أن كل باحث عن الهوية فى عالمنا الجلوبى على التقنية المفتوح والموحد الحالى لا بد وأن ينتهى إلى نوع ما من **هوية الوجه المزدوج** هذه . إنك حتى لم تدفع بضعة سطور فى كتاب يناهز الستمئة صفحة لتعريف ماذا تقصد أصلا بالهوية العربية !

ثانيا : بالنسبة لقضية **إسرائيل** تحديدا ، الكتاب يقدم فرضية مسلمة أنها عدو . بادئ ذى بدء علميا هذا كلام غير منهجى وكان يجب البرهنة عليه لا افتراضه . تناقض آخر أن أحدا فى كل الأقاليم العربية لم يقدم وصفا مرعبا لمدى تقدم

إسرائيل في حقل المعلومات بل وفي حقل اللغة والثقافة العربية (وهذه واحدة من أكبر مفاجآت الكتاب) مثلما قدم كتاب الدكتور نبيل على ، ثم بعد ذلك يطالبنا بالتصدي لها . هل هذا معقول ، وأى منطق في التاريخ يقول بجدوى هذا ؟ ! في بعض مناطق الكتاب نراه يحتج بشدة على غياب أثر مجتمعات اللغة العربية ، والمنطقي بعد ما قاله عن إسرائيل وجهودها في حقل اللغة العربية ، أن يفترض طبقا لعلاقة المسبب والنتيجة التي هي أساس المنهج العلمي ، أنه لن يوجد مجمع حقيقي ومؤثر للغة العربية في أى مدى منظور إلا بإنشاء **مجمع اللغة العربية بتل أبيب** ! (على الأقل لن يسموها **لغة الضاد** بعد الآن ، فالضاد موجودة في لغات كثيرة بينما العربية تنفرد بحروف أخرى كالعين والحاء ، لكن جهل العرب الأثير والمزمن بالعالم هو الذى هيا لهم حكاية الضاد هذه !) .

عامة هو لا يكاد يذكر من وسائل مواجهة إسرائيل شيئا عمليا واضحا (ونحن لسنا ضد مواجهة أحد ومحوه من على وجه الخريطة فقط إذا كانت لدينا لذلك خطة علمية حضارية محكمة ولا تؤدي إلى محونا نحن وليس هو !) ، بل الحقيقة أن ما قدمه من مقولات عامة عن الهوية والإيمان مثلا لن يؤدي بنا قط لأن نصبح قوة عصرية تهزم أى حشرة وليس وليس قدرة عظمى كإسرائيل .

الأبعد أن لاح لى أحيانا أنه يحتزل هذا الصراع إلى مجرد منافسة بيزنسية بين شركتى مايكروسوفت وصخر ، الأولى باعتبارها قوة إمبريالية صهيونية تريد احتكار المعالجة الحاسوبية للغة العربية ، وصخر باعتبارها البديل القومى لهذا . ومن هنا يرفع ورقة رخيصة في الحقيقة للتنافس البيزنسى -ناهيك عن التنافس العلمى- وهى التحريض على الولاء القومى والتخويف من الغزو والتآمر ... إلخ . لن أكرر ما تعلمناه من جيلكم الرائع جميعا أن **لا وطن للعلم** ، بل أذكر فقط **أول درس تلقينته بل وتلقينته مرتين في أول يوم لى في كلية الهندسة** . كان هذا درس التقييس (التوحيد القياسى) مرة في محاضرة الصباح من أستاذ هندسة الإنتاج ومرة عند الظهر من أستاذ التصميم



الهندسى . ومايكروسوفت شئنا أم أبينا هى المواصفة القياسية للحوسبة العربية ، وليس من مصلحة أحد ولا حتى صخر نفسها أن لا تكون للحوسبة العربية مواصفة موحدة قياسية . كذلك وفي التحليل الأخير وبلا تمييز مسبق ورغم إعجابنا بالكثير من منتجات شركة صخر ، إلا أنها لم تسد للحوسبة العربية قدر ما أسداه لها الإسرائيليون من خلال شركة مايكروسوفت ، بل أن المقارنة غير واردة أصلا .

ربما يرد هنا من يقول أن الدكتور نبيل على من أنصار التقنية وأنى أتحدث عنه كما لو كان عدوا لها . بالتأكيد ذلك صحيح ، إلا أن التقنية ليست مجرد شعار يرفع ، لكنها شىء يحيط به عشرات الاعتبارات العملية وأولها أنك لا تستطيع

أن تفعل شيئاً واحداً حتى - وليس كل ما هو بين الإبرة والصاروخ - بمفردك في عالم اليوم حتى لو كنت الولايات المتحدة نفسها . نحن في عالم يتحدد التقدم والتخلف فيه بفارق أسابيع وأحياناً أيام في سباق التقنية ، والطريقة التي يتحدث بها الكتاب نتائجها بطيئة للغاية إن لم تكن مستحيلة . وأنت في حاجة ماسة لربط عجلتك الاقتصادية والتقنية بقوى تقنية حقيقية تساعدك أولاً في اكتساب التقنية ، وثانياً وهو الأهم في تسويق ما سوف تنتجه . وقد رنا - الجيد أو الرديء أيهما شئت - أنه لا أرخص ولا أفضل ولا أسرع ولا أيسر شروطاً من إسرائيل لنعقد معها مثل هذه الصفقة .

ربما نكون جارحين بعض الشيء إن قلنا أن مشكلتنا الأولى هي ببساطة أننا لا نعلم كوننا أصفاراً ، وللدقة عشرين صفراً لهواة حسابات الوحدة العربية . وأن الدور الذي سيسند إلينا في البداية لن يكون أكثر من المهام الدنيا في منظومة التقنية الجلوية . وما سيحدث بعد ذلك سيتوقف على شيء واحد فقط هو نحن ، أى اجتهادنا وسرعتنا في التعلم وقدر استيعابنا لحقائق الأمور بتواضع موضوعي وبلا پارانويا أو شعارات . إن ما ننادى به في علاقتنا بإسرائيل ودونما تزويق للكلام هو التبعية النشطة أو ما أسميناه تحديداً التلمذ النجيب prolific apprenticeship . ونحن لم نياس من تكرار الكلمة ، لكن ما حدث أنها نفسها لم يعد لها جدوى أو حتى بقى لها جزء من معنى مع كل هذه التحولات المخيفة في العقلية المثقفة العربية في السنوات الأخيرة ، ولأن عروض التبعية وفرصها من ناحية الطرف الآخر لم تعد قائمة أو المنخفض سقفاً بشدة .

هنا نعود لنغلق الدائرة بمناقشة الحجة **إن استخدام العرب والمسلمين للتقنية ليس سوى الأشبه بالعلكة في أفواه المثقفين العرب : وهل تطفل وقح على إنجازات اختراعها الغير ، سيسمح لنا ' العدو ' بالتقدم ومنافسته ؟ واستخدامهم لها هو مضاد لكل المبادئ التي أدت الإجابة موجهة لهم وغير موجهة لك يا لا اختراعها . إن مجرد وجود مقدسات كالأسرة أو المدرسة أو الوطن أو الدين ، هو نفى مسبق للإبداع ، ولا يمكن لأطفال يحترمون بابا وماما يعرفها جيداً . نعم ، بل سيرحبون بشدة ، لأن تقدمنا واكتسابنا للتقنية العالية سيزيد من سوق منتجاتهم ، ويمنحهم موارد جديدة لمزيد من **مبتكرين أو مخترعين .****

من الاختراع والتقنية الأكثر علواً . أما من حيث المنافسة فهي شيء ألقوه من بقية عمالقة العالم ، والقادمون الجدد ليسوا بالخطر ذى الشأن بهذا الصدد . والمنافسة في جميع الأحوال هي اسم اللعبة التي تعودوها وارتضوا نتائجها أياً كانت نصراً أو هزيمة . الحقيقة الأبعد أنهم لا يخشون حتى التقنية العسكرية العالية ، إن كانت في أيدٍ مسؤولة ، ويعتبرونها قوة للحضارة وليست ضدها .

ثالثاً : المسألة الدينية مفاجأة أخرى في خطاب الدكتور نبيل على ، ومنها دعوته لتوظيف الدين كقوة إيجابية للتقدم . وليس لى في هذا كلام جديد كثير عما جاء في صفحات هذا الموقع المختلفة . وكذا من نافلة القول إن ما يطرحه هو رهان خطر بل خاسر بالتأكيد ، وكأن آلاف السنين لم تعلمنا كم هو قوة محافظة ومعادية للتقدم ذلك النفى للعقل باسم الإيمان ، أو تعلمنا أن لا مستقبل لشعوب جعلت مرجعيتها الغيب وليس العلم الدنيوى التجريبي ، أو تعلمنا أن لا إبداع ولا اختراع ولا حتى اكتشاف إلا بتنشئة الأطفال على الاستهانة بكل المقدسات والثوابت والجوامد . نعم ، إن

استخدام العرب والمسلمين للتقنية ليس سوى تطفل وقح على إنجازات اخترعها الغير ، واستخدامهم لها هو مضاد لكل المبادئ التي أدت لاختراعها . إن مجرد وجود مقدسات كالأسرة أو المدرسة أو الوطن أو الدين ، هو نفى مسبق للإبداع ، ولا يمكن لأطفال يحترمون بابا وماما والمدرس والكاهن ورئيس الدولة ، أو يلقنون شيئا غير ضرورة تحطيم كل المقدسات ، أن يشبوا مبتكرين أو مخترعين . أفضى لك صديقى ، بسر شخصى . لا يوجد فى الدنيا شيء يهزنى . مات كثيرون من أعز الناس لى وكل ما فعلته أن كتبت حزنى ببساطة . شاهدت مرارا فى حياتى جثتا وأشلاء ، وليس مجرد أن شاهدت كل فيلم رعب صنع فى العالم منذ القرن التاسع عشر حتى هذا الشهر ، وأكتب عنها وأترجم كتبها حولها . بل ذات مرة أثناء فترة اشتغالى فى أحد المصانع الحربية بجلوان ، وأثناء وقوفى أمام بوابته يوما ، فجر لورى رأس مجند تحت عجلته الأمامية ، فانطلق مخه كقذيفة ليسقط بالضبط بين قدمى ، وكنت أشاهد هذا من البداية للنهاية ، ولم يهتز لى طرف فى الواقع . السر الذى أقصده ، أن هناك نقطة ضعف وحيدة فى حياة تسحقنى حتى الموت . إنها مشهد أن أرى أبا أو أما أو أى شخص بالغ عامة ، يعنف طفلا ليرغمه على فعل شيء يأباه ، فإذا بالطفل لا يثور ، إنما يدعن ويطاطئ رأسه فى صمت . هذا فقط هو ما يمكن أن يقتلنى . ومن الواضح أن ما أسهل فى مجتمعاتنا هذه ، من أن تموت كل يوم !

أنت لا تجتث الدين فقط لأن هذا يأتي فى سياق اجتثاث قوى وعوامل التخلف المختلفة الشبيهة فى سياق اجتثاث قوى وعوامل التخلف المجتمع ، أو فقط لأن التاريخ علمنا أن التسامح معه المختلفة الشبيهة فى المجتمع ، أو فقط لأن بنسبة ١٠٠٪ . **يعنى إجهاض المشروع الحداثى بنسبة ١٠٠٪ .** **أولاً لأنه يترجم فشله وعداءه للحضارة لعنف دموى ، أو لأن نصوص الدين قد تنسى لبعض الوقت لكن لا يمكن تعديلها أبدا وحتما سيظهر يوما طال أو قرب شخص يرفع فيه المصحف ويقول هكذا قال الله وقال الرسول ويحول متاعب الناس لتبقى لبعض الوقت لكن لا يمكن تعديلها لنجاحات تحريضية باهرة ، أو لمجرد أنك تخاف أبدا وحتما سيظهر يوما طال أو قرب شخص منه ، إنما بالأساس لأن التقدم نفسه لا يمكن قط أن يرفع فيه المصحف ويقول هكذا قال الله وقال تبنيه عقلية تؤمن بالخرافة .**

تحريضية باهرة ، أو لمجرد أنك تخاف منه ، إنما بالأساس لأن التقدم نفسه لا يمكن قط أن تبنيه عقلية تؤمن بالخرافة .

الدين كان وسيظل رمالا متحركة لن تصل فيها لأية نتيجة أبدا ، والنهاية أن تبتلعك . خذ مثلا جدليا من ذات الكويت (التى طبعت هذا الكتاب) . تخيل مفكرا مستنيرا أراد استخدام جماهيرية الإسلام فى الترويج التصالحى لقيم تقدمية ، فيلقى مثلا بمقولة عمومية مثل الإسلام كرم المرأة كى يمرر منح المرأة بعض الحقوق (الانتخاب والترشيح مثلا) ، معتقدا أن هذه النبرة التصالحية ستحبب الناس أكثر فى الفكرة باعتبارها ليست خلافية أو حادة ، أو واهما أن المتدينين سوف يتغاضون عنها هكذا ويمرونها . ما سيحدث هو أن سيرد عليه المتدينون الحق ردودا شعواء ، وكأن جاءهم كلماته هدية من السماء . سيدكروننا جميعا بقول النبى إن لا يصلح قوم ولوا عليهم امرأة ، وأشياء مثيلة كثيرة

جدا . هنا قد لا يجد المستنير بدا من الدفع بأن هذا الحديث النبوي أو ذاك ربما كان 'ضعيفا' ، أو ربما 'غير صحيح' ... إلخ . ويستمر الجدل على هذا المنوال . انظر من فاز ومن خسر . هو خسر كل شيء وهم فازوا بكل شيء . كل ما فعله صاحبنا هو أن يبض وجه الإسلام ورسوله ... إلخ ، بأن قال إنهم متحررون متطورون ، ودفع حتى أبناء معسكره للاستغراق في قراءة الدين وتضييع وقتهم في ترهاته القديمة . ونال خصومه اعترافا هائلا بالمرجعية بحيث لا يمكن بعد ذلك مناقشة إلا شيء مستنيرا أو متخلفا إلا في ضوء الإسلام والشريعة ونصوصهما المقدسة . الموقف الصحيح الحرى يمثل ذلك الشخص ، هو فقط أن يدفع بتخلف الدين من حيث كونه دينا ، وليس لأى سبب آخر .

كما قلنا للتو ، بدون علمانية ١٠٠٪ . فستتصر الخرافة حتى لو كانت ١٪ !

أستاذى العالم الجليل ، المرجح أن كل سكان الكواكب وصلوا أو سيصلون لنفس علمنا ، بل ربما بنفس ترتيب الاكتشافات ، لكن المؤكد أن أيا منها لن يصل أبدا لنفس تصوراتنا الدينية . هذا هو الشق الإنسانى المحض فى 'معارفنا' أو للدقة قل جاهليتنا . الدين -أى دين- لم يكن فعلا إيجابيا قط . فقط هو رد فعل على حضارة قائمة لا هم له إلا إطفاء نورها ، عندما يتفاقم عدم تكيف أعين الدهماء مع سطوع ضوء معطيات العلوم والتقنية الجديدة التى تطرحها . هذا ما حدث لأثينا على يد الدين القديم ، ولروما على يد المسيحية ، ثم تكفل الإسلام بالجيوب الأخرى المتبقية بعدهما ، ومن ثم يستكمل إحكام قبضة عصور الظلام على كل العالم . أسوأ ما يمكن أن يفعله الذهنون اليوم هو التعمية على هذه الحقائق . العلم كالماء ترى كل شيء من خلاله على حقيقته ولونه ، والدين كالزيت يجعل الأشياء ذهبية وهمية براقية ، أما أن يمتزج الماء والزيت فلن ترى شيئا على الإطلاق ، ولطالما ربا التاريخ على رجال العلم الحقيقيين من موقف كهذا .

[اقرأ المزيد وتحديدا ما يخص البديل الذى نطرحه للمستقبل العربى فى نفس هذه الصفحة لا سيما الدراسة الأصلية أعلاه أو فى صفحات الموقع بعنوان الليبرالية ، الجنس ، الحضارة ، العلمانية ، الجلوبة ، حضارة ما بعد الإنسان] .

رابعا : مفاجأة أخرى بالكامل هى الموقف الجديد للدكتور نبيل على من **ذكاء الآلة** أو ما يسمى بالذكاء الاصطناعى الذى هو تأكيداً أحد رواده العرب . وقد سرت فى جسدى صاعقة ، وأنا أقرأ سخريته بسكين بارد من نبوءة مارفين إل . مينسكى أن من حسن حظ البشر أن تقبل الآلات معاملاتهم كحيوانات أليفة مستقبلا . لقد كنت أعتقد أن هذه معرفة شائعة بين أمثالنا يا دكتور ، بل لعلى أنا شخصيا كتبت هذا قبل مارفين إل . مينسكى وأسميته سيناريو القط المدلل <http://everyscreen.com/views/posthuman.htm#Original> . أين أيام الخيال القديمة يا أستاذى ، يوم كان أبرعنا هو من يستطيع التعمق أكثر ليرى قبل غيره ماذا يوجد فى آخر النفق ؟ لقد تعلمنا من مينسكى بعد ذلك أن البيولوجيا طريق مسدود ، ويقصد بالطبع أنها -أى الهندسة الجينية- مجرد ترميمات على كائن فادح العور فى التصميم هو الإنسان ، وقد قال هذا رغم علمه أن تمويلها وفير وجاهز ، بينما ذكاء الآلة لم يف بأكثرية ما وعد به فى نصف القرن الأخير بسبب نقص التمويل ، لا سيما بعد خيار آى بى إم التاريخى بتزويج الحواسيب كآلات تابعة طيبة للإنسان وليس ككائنات أذكى منا .

بهذا المعيار كان يجب أن يكون مينسكى هو أكثر الجميع بأسا لكن الذكاء السيليكوني ما كان تحت أى الظروف يستحق منك مثل هذا التنكر يا دكتور . فإذا كان الإنسان معييا لدرجة لا يفخر بها إى خالق ، فليس الحال كذلك مع ذكاء الآلة مستقبلا أو الآن حتى . إنه لا يزال المستقبل الحقيقي لذكاء كوكب الأرض ، والحقيقة أن الصورة قبل تنقلب فجأة فى القريب العاجل نفسه ، وتختفى مشكلة التمويل خاصة مع تقدم الهندسة النانوية وانتصار مبدأ الخلق من الصفر <http://everyscreen.com/views/posthuman.htm#FSC> كنقيض لمبدأ محاكاة الإنسان التى هيمنت على فكر مخترعى التقنية وعلى ما سمي الذكاء الاصطناعي بالذات . ساعتها لن ترث الروبوتات الأرض كما قال مينسكى فى نبوءته الشهيرة يوما ، بل تحديدا النانويات منها ، كائنات مجهرية فائقة الذكاء لا حاجة للكوكب معها للقرء آندى أو لحاسوب الأزرق العميق وطبعاً لا حاجة لعدد كبير من القطط المدللة . [اقرأ المزيد فى صفحة حضارة ما بعد الإنسان <http://everyscreen.com/views/posthuman.htm>] .

أخيرا ، أرجو عفوك يا دكتور إن لم استطع كتم أكبر شعور تولد لدى من كتابك ، أن الوحدة العربية قد تحققت أخيرا ، وأن حلم من يسمون بالقوميين الجدد وعلى رأسهم الدكتور محمد الرميحي بشخصيته التنويرية المرموقة يوما ، والمسئول حاليا عن المجلس الذى صدر كتابك فى إحدى سلاسله قد أصبح حقيقة حية . فرغم أن القوميين الجدد أضحوكة حية ، إذ يعترفون مثلا بالتمايز القطرى وهو كلام كان يجب أن يقال منذ نصف قرن مضى ، أما ما يجب أن يقال اليوم وهو الذوبان فى العالم فهم يقاومونه بكل الجنون الممكن ، ورغم أنهم أناس طيبون أدركوا حجم ما نحن به من هزيمة ويستحقون الشفقة أكثر من أى شىء آخر ، إلا أن أبشروا يا قوميينا الجدد : لقد تحقق كل ما بشرتم به من حلول وسيطة ، وما هى الهوة قد ضاقت كثيرا بين أسامة بن لادن ويوسف القرضاوى من جهة ، والفنان فاروق حسنى والدكتور نبيل على من جهة أخرى (لا تشغل بالك بكم هى وسيطة حقا تلك الحلول ، والأوائل لم يتزحزحوا عن مواقفهم قيد أمثلة !) .

سيدى : الحقيقة أن العلمانية ومن ثم العلم لم تكن يوما مكونا أصيلا فى الفكر القومى العربى ، وخير شاهد حفنة الدراويش التى عجت بها الطغمة الناصرية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، أو أن حزب الله الدينى هو الكتيبة الوحيدة التى يحارب بها البعث السورى إسرائيل بعد هزيمة ١٩٧٣ ، أو تلك الكلمات العجيبة التى أصبحت تملأ علم العراق منذ ١٩٩٠ وقد كان أحد أكثر الريبجيمات العربية تشدقا بالعلمانية ذات يوم ، بينما العلمانية الحقيقية تعنى العلم وموالات الحضارة صانعة العلم ، وهذا شىء لم يفعله إلا **الحبيب بورقيبة** فى حدود علمنا . ببساطة لقد ورث القوميون العلمانية من إنجازات العصور السابقة عليهم لكنهم بدوها عند الناصية مع أول هزيمة . المهم فقط أن ها هم المثقفين العرب بل وكل الأمة قد اتفقوا أخيرا على كلمة رجل واحد : **الانتحار !**



The Genetic Catch 22!

◀ ١٨ نوفمبر ٢٠٠١ : فكرة جيدة جدا التي تحدثت عنها پامبلا ماككلينتوك اليوم في قارائتي ، وهي تجنيد قناة إم . تى . فى . الموسيقية في تغيير موقف الشباب العربي تجاه أميركا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ <http://everyscreen.com/views/september.htm> ، وأنها قد تصل لحد التفكير في تدشين نسخة عربية بالكامل منها .

قطعا هي فكرة ضرورية وملحة ويجب البدء فيها فوراً ، وهي تقول إن التفكير الجدى بدأ فعلاً . مع ذلك يظل مدى نجاح الفكرة محل سؤال في رأينا . فچينيات الشباب العربي ليست عينها بالضرورة چينيات الشباب الهندي والصيني التي كان لهذه القناة أعظم الدور في محو الهوية القومية لهم ، ودمجهم في الهوية الجلوية .

هناك بعض التجارب التي تبدو ناجحة للتعريب ، لعل أذكر منها البرنامج التليفزيوني التعليمي **شارع السمس** ، وربما السبب هو الانخراط المتواصل للأميركيين في تنفيذ النسخة العربية ، وقد سمعت بنفسى آراء لبعضهم تقول إن النسخة العربية أفضل من الأصل الأميركي !



Sincere!

في المقابل أضرب المثل بتجربة شخصية مؤسفة في مشروع آخر موجه للأطفال أيضا ، كانت نتيجته النهائية **World Book** . **مشروع ترجمة** ، الذي رعته هو أيضا السيدة سوزان مبارك بنفس جديتها وحماسها المعهودين ، وأيضا أقبال الأميركيون عليه بقلب مفتوح . هذا كانت ترجمته على العكس تماما شيئا مبتسرا للغاية ، مختصرة لحد الإخلال لا تكاد تزيد عن ربع النص الأصلي ، بل ومحرفة المعاني أغلب الوقت ، وركبتها صراحة

الپارانويات العربية التقليدية أحيانا غير

قليلة . السبب المباشر هو التخلف العقلي للشخص الذي أسندت إليه الإدارة الفعلية للمشروع تحت مسمى نائب رئيس التحرير ، مع نأى أصحاب المشروع الأصليين كلية عن مراجعة المحتوى .

طبعاً ما قصدته بالچينيات چينيات من سيقدمون القناة ، قبل وبمراحل چينيات من سيستقبلونها ! والسؤال الآن :
ترى لأى من النموذجين المذكورين ستتنمى الإم . تى . فى . العربية ؟ أسمعك تقول إن التفاؤل ليس من فضائلى
المفضلة ! ماشى ، أو بلغة تليق بالمقام ، أو . كيه . لنتنظر ونرى !

◀ ١ يناير ٢٠٠٢ : قناة تليفزيونية الإعلام أصبح -مثله مثل الإرهاب- سلاح ناطقة بالإنجليزية موجهة للغرب من مجلس الضعفاء . ثورة اليمين العالمي فى أميركا وإسرائيل التعاون الخليجي . قناة مثيلة من منظمة المؤتمر وغيرهما ، جعلت الإعلام أمرا بالغ الثانوية بالنسبة الإسلامى . قناة ثالثة بذات اللغة بأموال للأشياء الجديدة التى تنفذ على الأرض . لم يعد يهمهم كثيرا إقناع عموم الناس عبر وسائط الإعلام بأشياء لن يفهمها أصلا أفقهم الضيق . هذا عالم بعد-إنسانى ، والواضح أنهم تركوا لنا نحن العرب أن لشركة خصوصية أميركية لعرض وجهة النظر نأخذ دورنا فى عيش عصر الوسائط البائد .

العربية والإسلامية فى أحداث سبتمبر . ما نبوءتنا أن الخطوة التالية أن يصبح عالمنا المتخلف كل هذا الهراء ؟ بحق كل أنبياء العرب واليهود هو المواطن الوحيد للديموقراطية وحقوق الإنسان ، معا ، من ذا الذى سيشاهد قناة كتب عليها ويشهرهما كسلاح فى وجه غرب راح ينضج صنع فى عربستان ؟ من ناحية لأن هناك عدة متجاوزهما . ساعتها لن يركع المتقدمون تمجيذا ، بل آلاف من قنوات الساتلايت (المسماة سيحتقرون تمسكنا بأفكار الماضى سيئة السمعة التى عفا عليها الزمن كهذه ! تبجحا عندنا بالفضائية ، فقط لأننا فشلنا

فى الطلوع للقمر . الغرب الذى غزا الفضاء فعلا يستخدم كلمة ساتيلايت التى تعنى ' ملازم ' أى أنك بعد تدور فى فلك الأرض . تخيل كم سيهتقه المواطن الغربى لو قلت له إن لدينا space channels أو شيئا بهذا المعنى ! . تلك القنوات أصبحت كما نشرات الشركات والصحافة المحلية لا يشاهدها إلا صانعيها ، حتى هذا إن لم تشغلهم أشياء أقل مللا (البحث فى جهاز استقبالك عن قناة باسم شركة ريبدا إلسيفيه ، أو عن ضواحي مدينة بيتسبيرج ، وستجد واحدة على الأقل فى كل حالة !) . من ناحية ثانية أننا لا نعرف أصلا كيف تصنع القنوات ، ولا كيف تنتج برامجها ، ولا ماذا تقول للغير ، ولا كيف تقوله . المفارقة أن قبل أسابيع قليلة كتبنا فى صفحة الصناعة <http://everyscreen.com/views/industry.htm#EgyptianTV> ندعو لإغلاق كل القنوات المصرية ، والإبقاء فقط على القناتين الأولى والثانية ، وإن لأسباب مختلفة تتعلق فقط بالتمويل .

مبدئيا ، بعد مئات الصحف اليومية العربية لا مهنة لها سوى الزعيق مع غياب مطلق لأى منطق حتى بين صفحات العدد نفسه منها ، وبعد قناة الجزيرة (التى هى نفسها عبارة أصلا عن خريجين لمدرسة الجى بى سى أيام كانت عظيمة لكنهم ها هم وكالديدين العربى الطفيلى الأصيل يستخدمون تقنيات الغرب وخبراته التى تعلموها منه كى يردوها لصدرة) ، وبعد قناة لحزب الله تحريضية صريحة لا تحتاج لتعليق ، [وبعد مكتب متخصص تابع لعرفات http://everyscreen.com/views/extermination_part_4.htm#ET شغلته اختراع وتلفيق عشرات الأنباء الضخمة يوميا من لا شيء] ، يلوح لى أن الإعلام لم يعد حرفة غربية أصلا ، وبات مجرد سلاح الضعفاء (تماما مثله مثل الإرهاب !) .

لعلها ذات المقارنة بين العربي الانفعالي المتخلف ' الإنسان ' والغربي المتقدم العقلاني ' ما بعد-الإنسان ' . في عصر بوش ، وبالأحرى في إسرائيل تحت حكم الليكود ، بات الاهتمام بالمحتوى الذى يتم تنفيذه على الأرض ، أكبر بكثير من الاهتمام بإقناع عموم الناس عبر وسائط الإعلام بأشياء لن يفهمها أصلاً أفقهم الضيق . هذا عالم بعد-إنسانى ، والواضح أنهم تركوا لنا أن نأخذ دورنا فى عيش عصر الوسائط البائد (نبوءتنا أن الخطوة التالية أن يصبح عالمنا المتخلف هو الموطن الوحيد للديموقراطية وحقوق الإنسان ، ويشهرهما كسلاح فى وجه غرب راح ينضج متجاوزهما . نعم ، سيتسابق عليها المتخلفون كما المؤضة -طبعا دون المساس ' بثوابت الأمة ' ، ويقصد بها التخلف كما تعلم ! لكن كم سيفجعون ساعتها حين يكتشفون أن المتقدمين لن يركعوا تمجيديا لنا ، بل سيحتقرون تمسكنا بأفكار الماضى سيئة السمعة التى عفا عليها الزمن كهذه !) .

[تابع المزيد فى صفحة الليبرالية
http://everyscreen.com/views/liberalism_part_2.htm#ArabDemocracy عن فكرة
العرب كمرقد أخير للديموقراطية ، بعد نجاح غزو أميركا للعراق ، وتحول الديموقراطية لصرعة عند المثقفين
والريجيماة العربية سواء بسواء !] .

من هنا ، وببساطة ، المطلوب الآن ليس أن نقول للغرب أو إسرائيل شيئا . المؤكد أن هذا سيزيد الطين بلة ، ولن يجدوا أكثر من هذه القنوات برهانا عمليا لجمهورهم لما يقوله إعلامهم عن حقيقة العرب والإسلام . الفارق هذه المرة أن ضبطنا متلبسين بقوله ، وليس منقولا عما اعتدنا تسميته إعلاما صهيونيا . وإذا كان إعلام بالمستوى المهنى للنيو يورك تايمز والسى إن إن إعلاما صهيونيا ، فالمؤكد أن العالم كله لا يريد إلا الاستماع للإعلام الصهيونى . فقط حان الوقت لنسمع نحن ما يقولونه هم ، فالدور دورنا فى الإصغاء والتعلم والتنفيذ . الأجدى أن نوجه قنواتنا لشعوبنا لا لشعوب الآخرين . نوجهها لتقول لنا صراحة أننا اخترنا الهوية الخطأ والثوابت الخطأ ، وترشدنا لكيفية الانضمام للهوية العالمية والثوابت العالمية الأكثر حداثة وتحضرا .

لو طلبت منى النصيحة فستكون كلمة واحدة : كل إناء ينضح بما فيه ، وأملنا أحد أمرين ، إما أن نسد جميع المسام التى يعرف من خلالها الغرب كيف نفكر وماذا نقول وهذا حل صعب ، وإما أن نغير المحتوى العفن داخل الإناء ونضع بدلا منه شيئا نظيفا ، وهذا حل أصعب !

أيها السادة : مشكلة الإعلام العربى ليست فيما يقوله ولا من يقوله ولا متى يقوله ولا أين يقوله ولا كيف يقوله . مشكلته لا علاقة لها بالإعلام أصلا . مشكلته لا أكثر ولا أقل من أننا شعوب متخلفة معادية للحضارة والتحضر ، والعالم لا يحترم المتخلفين ولا يجهم .

فقط : SHUT UP!

[تحديث : ٥ مايو ٢٠٠٢ : VOA Arabic signing off. Sorrowfully for the last time!

نعم ، بدون تنويهات كثيرة سابقة أغلقت إذاعة صوت أميركا العربية بالغة العراقة فجأة . وحلت محلها إذاعة مختلفة تماما اسمها راديو سوا . الكل يعلم أن أميركا الرسمية تخطط لإذاعات وقنوات تليفزيونية موجهة للعرب بعيد ١١ سبتمبر ، لكن ظهور راديو سوا جاء مفاجئا لدرجة أنى لم أجد خبرا يشير لموعد تدشينه بما فى هذا موقع الإنترنت الجديد http://www.radiosawa.com/ بعد إلغاء الموقع التقليدى

<http://www.voanews.com/arabic/index.cfm> لصوت أميركا ، وإن كان من المستبعد أن بدأ كل هذا خلال هذا الأسبوع ، أو ربما بدأ تحديدا مع أواخر أبريل إن لم بداية شهر مايو ، بحكم أني دائم التردد على موقع الإنترنت ، كما أني لم أنقطع أبدا عن الاستماع المتفرق للإذاعة القديمة ، بالذات القسم الإنجليزي منها والذي يأتي على ذات الترددات .

المهم أن ليست هذه حتى هي المفاجأة الحقيقية ، ولا حتى الاسم الغريب نسبيا ، بل المحتوى . أساس البرمجة أغاني عربية وغربية مناصفة بالضبط ، يجمعها أنها أغاني حديثة أو ما يسمى بالشبابية . يتخلل هذه عند الدقيقتين ١٥ و ٤٥ من كل ساعة موجز سريع جدا للأخبار . نعم هكذا ولا شيء آخر . تركيبة غريبة محيرة بل جريئة ومثيرة للدهشة ، وقطعا غير متوقعة على الإطلاق ، وأقرب شيء يمكن تشبيهها به هو محطة -MBC FM ، مع فارق المحتوى الخليجي-السعودي المكثف في هذه الأخيرة ، مقابل غنائيات مصرية-لبنانية بالأساس في النصف العربي لأغاني المحطة الجديدة . المذيعون والمراسلون مزيج من بعض القدامى ، مع تطعيمهم ببعض العناصر الجديدة ربما أكثره ملاحظة إحدى المذيعات المعروفات ذوات الأصل اللبناني من إذاعة مونت كارلو ، والسبب طبعا الحاجة لخبرات في برمجة الأغاني لا شك أن للإذاعة المذكورة خبرة في الترفيه الخفيف ، لكن طغيان الثقافة الفرنسية عليها يجعلها شيئا بالغ التقريز والتخلف ، مع ذلك يظل إدخال بعض من واهبها في سياق إذاعة أميركية شيئا مختلفا إيجابيا ومحبا .

من منظور الإسلاميين ، ليس في هذه الإذاعة ما يستفزهم . الأخبار موجزة بلا تحليلات ولا برامج رأي... إلخ ، حتى مما كان موجودا أصلا في الإذاعة القديمة . هذا طبعا بعد التنحية جانبا فكرة إن الغناء رجس من غواية الشيطان . من الناحية الأخرى ستجد سوف تجد الإذاعة بلا شك وفرة من المنتقدين . فالمستمع الجاد يريد فعلا الاستماع ليس فقط لوجهة النظر الأميركية الرسمية وشبه الرسمية في الشؤون السياسية ، بل في شتى مناحي الحياة الأميركية ، وهذا ما كان يقدمه بكفاءة صوت أميركا العربي التقليدي ، ولا يزال يقدم الآن لكن ليس بعد باللغة العربية . أنا شخصا تأثرت في طفولتي ببرامج الأدب الأميركي والتاريخ الأميركي ، وكتبت هذا يوما (أعلاه في الدراسة الرئيسة) . ذلك ناهيك عن الوضع الفريد في تلك السنوات لبرنامج الموسيقى الغربية ، وهو أيضا مما نوهت به من قبل <http://everyscreen.com/views/globalization.htm#Personal> . وإن كنت للأسف الشديد أصبحت أنسى أسماء جميع هذه البرامج حاليا . هذا التأثير القديم والعميق يمثل في الواقع جزءا من صدمة اليوم ومشاعرها المختلطة ، لا سيما وأن كان يراودني كثيرا في الأسابيع الأخيرة فكرة التأريخ الأدق لتلك البرامج ، هذه التي سبق وأشرت لها على نحو عابر ، واعتمادا فقط على الذاكرة القديمة . هذا الشق من المشاعر يجعلني أقرب اليوم لشخص شديد الأسف على فراق أخير برحيل جاء فجأة لشخص عزيز عليك ، لا سيما إذا ما ولد بك هذا الرحيل شعورا أنك كنت مقصرا أو لم تكن وفيا جدا نحوه . بصراحة كانت معظم متابعتي في السنوات الأخيرة تتركز على واحدة من الساعات الإخبارية المجمععة باللغة الإنجليزية ، فالشيء الوحيد الذي لم يكن بوسعني احتمال سماعه في القسم العربي وهجرته كله تقريبا بسببه ، هو ذلك البرنامج الخاص بالمهاجرين العرب ، والأسباب لا تخفى عن قارئ الموقع ، وأقدم بعقود في الحقيقة مما قلته يوم ١١ سبتمبر <http://everyscreen.com/views/september.htm#WTC> .

الشيء المدهش بعد كل ذلك ، أن تلك الإنخانة العجيبة لصوت أميركا ربما تكون قد جعلتها أكثر إغراء للاستماع ! البرمجة أصبحت ٢٤ ساعة وليس أربعة أو نحوها كالسابق . الأغاني تعطيك الاستماع السهل الذى لا يتطلب تركيزا كبيرا . كونها أغاني عصرية عربية وأجنبية ، تمثل مزجا يطابق بالضبط أذواق الجيل الجديد ، لا سيما القطاع الأفضل تعليما منه (فقط ربما هناك بعض ملحوظات شكلية يجب مراعاتها لتحقيق استماع أكثر سلاسة كذكر أسماء المذيعين وذكر أسماء الأغاني فى بداية ونهاية كل نصف ساعة) . **الإذاعة بلا ريب موجهة للجيل الأصغر** ، بما فى ذلك حتى الإعلانات التوجيهية التى تعنى بشيء واحد هو عدم تناول العقاقير . الموجز الخبرى يضعك فى وضع المتابعة للأحداث ، بالذات وأن هناك أخبار فنية ومنوعة من بينها . المفارقة فى هذا الوضع هى السياسة ، إذ ربما عندما تقدم الإذاعة أبناء مهمة ستجد نفسك مضطرا لتركها والتحول للإذاعات أو قنوات التلفزيون أو مواقع الإنترنت الأخرى الأكثر إسهابا فى التعامل مع الأخبار !

ترددت كثيرا قبل الكتابة حول إذاعة سمعتها ليوم واحد ، لكن هذه الصدمة المربكة ربما تستحق التسجيل كما هى ، بالذات وأن من المحتمل أن تنهال الانتقادات عليها من كافة الاتجاهات ، وقد يتم تحوير وضعها الحالى . لذلك لم أشأ إنكار رد فعلى الأولى المرتبك ، الذى تغلب عليه المشاعر والانطباعات السريعة والحنين ، أكثر منه التحليل والتقييم . المذهل ، أنه رغم كل ما قلته عن الغرابة والصدمة ، فإن الانطباع اللا شعورى كان كاسحا فى انجذابه نحو الجوانب اللذيذة والمحبة للإذاعة الجديدة . بل لعل راديو سوا هو بالضبط ما يحتاجه شبابنا الباحث عن التنوير العمومى البسيط الخالى من أى تعقيد ، والفار بالطبع من الخطاب ' الاستشهادى ' المخبول لقناة الجعيرة ، اسمها الصحيح بعد مواقفها الجنونية التحريضية وغير المهنية بالمرّة بالذات مع اندلاع الحرب السادسة الشهر الماضى http://everyscreen.com/views/extermination_part_3.htm#SixthWar ، حيث جعلت نفسها أول وأكبر إحياء لأيام صوت العرب وأحمد سعيد التى كنا قد اعتقدنا أن الزمن قد عفا عليها للأبد] .

[فى ديسمبر ٢٠٠٢ اختارت مجلة النيو يورك تايمز راديو سوا ، كواحد من أعظم ' أفكار ٢٠٠٢ ' . تابع القصة فى صفحة الثقافة http://everyscreen.com/views/culture_part_3.htm#YearInIdeas] .

[فى ١٧ يوليو ٢٠٠٣ صدرت مجلة hi شهرية بالعربية موجهة للشباب العربى ، برعاية حكومية أمريكية ، وموقعها على الغشاء <http://www.himag.com/> . لا بأس بما كتفافة عامة بسيطة (تعمم مثلا قائمة أنجح عشرة أفلام أمريكية لعام ٢٠٠٢ بعد سبعة شهور من نهاية السنة !) . لكن على الأقل إيجابية راديو سوا المتمثلة فى تقديم الخبر السياسى المحايد لكن المسفوح فى الإعلام العربى ، لا يوجد ما يناظرها هنا . والمؤكد أن تحاشى هذه المجلة للاصطدام بما يدور فى العقل العربى لن يأتى بأى أثر إيجابى ، بل ربما العكس ، إذا كانت ستظل تلح أن كل شيء مباح فى أميركا بما فيه ارتداء الحجاب . المفروض أن تناقش ما هى الحكمة أصلا من هذا الحجاب !] .

[**تحديث : ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٢** : الآن أنا متفائل بشيء واحد على الأقل ، القناة الجديدة التى تخطط لها حاليا الإم بى سى . قناة إخبارية ناطقة بالعربية (طبعا !) سوف تبث من دبي ، يرأسها الإذاعى المصرى المستنير **صلاح نجم** . هذا الإعلامى المرموق والرفيع مهنيا هو الذى صنع السنوات الخمس الأولى ' المحترمة ' من عمر قناة

الجمعية ، الجزيرة سابقا ، ما بين تدشينها في يوليو ١٩٩٦ وحتى سبتمبر ٢٠٠١ ، حيث أزاحه تدريجيا هبوط التنظيم العالمي للأخوان المسلمين عليها ، وتجنيدهم لها كأداة للجهاد والانتفاضة ، ثم من بعده كبوق صريح لطالبان والقاعدة . القناة اسمها ' العربية ' ، وهذا ما نحتاجه حقا : قناة ناطقة بالعربية تخاطب العرب لترتقى بمعلوماتهم وفهمهم من خلال خدمة خبرية موضوعية خالية من التهيج والغناء والشعارات السافلة . ها هي أخيرا القناة التي قلنا من قبل <http://everyscreen.com/views/september.htm#Ajami> إنها تستحق أن يكون ضيف اليوم الأول لبثها الرئيس جورج دبليو . بوش ، ويخطئ كثيرا لو لم يفعل هذا . أدعوك بقوة لقراءة هذه المقابلة الرائعة www.tbsjournal.com/Archives/Fall02/Nejm.html للإصدار الجديد اليوم من دورية الجامعة الأميركية في القاهرة نصف السنوية Transnational Broadcasting Studies مع صلاح نجم] .

[تحديث : ١٨ أغسطس ٢٠٠٣ : اليوم أغلق مركز زايد للتنسيق والمتابعة ، أحد المشاريع التي أنشئت لما يسمونه التقارب بين الأديان والتواصل مع الغرب وتحسين صورة العرب والإسلام . ما حدث أن فقط الإناء نضح بما فيه ، كما توقعنا ونتوقع لكل مشروع مشابه ، فكانت كارثة وفضيحة مجالجل ، تابعها في قصة مستقلة لاحقة . [http://everyscreen.com/views/culture_part_3.htm#Zayed] .

[أيضا بدءا من ديسمبر ٢٠٠٣ تابع في صفحة الحلوبة http://everyscreen.com/views/globalization_part_5.htm#AlHurra قصة تدشين قناة ' الحرة ' الأميركية الناطقة بالعربية ، وتقييمنا لها] .

◀ ١ يناير ٢٠٠٢ :

هذا المدخل كان من الواجب كتابته منذ شهور لكن أحداث سبتمبر وما تلاها أدت لهذا التجاهل . الموضوع لا يبدو مهما جدا ، وهذه هى المشكلة . فى عدد أبريل ١٩٩٨ صدر فى سلسلة عالم المعرفة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب فى دولة الكويت ، كتاب فى



نظريات النقد الأدبى بعنوان **المرايا المحدثبة** . الموضوع لا يهمنى كثيرا شخصيا ، مع ذلك قرأت المقدمة . لم أكون رأيا ، أو لعلى فهمت إجمالا أنه يقدم نظرية تسير فى طريق تأكيد الهوية العربية ، وكما تعلم هو أمر لا يروق لأمثالى من أنصار هذا العالم الجلوبى .

المهم هذا ليس حكما على البحث ولا دخولا فى تفاصيله ، لأن ما لفت نظرى شىء آخر تماما هو استخدامه للعنوان فحسب قوله المرآة المحدثبة هى التى تنظر فيها فترى نفسك متضخما . المفروض أن أى تلميذ فى الابتدائى يعلم أن العكس هو الصحيح . اغتظت بالطبع بما يجب لپروفيسور حتى لو كان فى الآداب أن يتورط فى استخدام بديهيات العلوم بهذا التسرع (ناهيك عن حقيقة أنه ينظر يوميا ألف مرة عبر مرايا سيارته المحدثبة ، والمؤكد أنه لا يرى فيها الأشياء ضخمة على الإطلاق !) ، لكنى سرعان ما نسيت الموضوع ، فما أكثر الأخطاء -بل الجهالة- العلمية فى حياتنا . الجديد مؤخرا أن صدر الجزء الثانى من الكتاب بعنوان **المرايا المقعرة** ، ويتحدث فيه عن كيف يرى النقاد العرب أنفسهم والأدب العربى صغارا كمن ينظر لمرآة مقعرة -هكذا يقول أيضا .

تخيل حجم الملهاة أو المأساة أو رأى أى طفل حضانة فى أميركا أو حتى الهند فيما يلى : أستاذ جامعى مصرى كبير شهير يؤلف كتابا بعنوان المرايا المحدثبة ، يمر على مئات المتخصصين بدءا من شغيلة المطابع والمراجعين اللغويين فى مصر والكويت صعودا إلى مشرفى سلسلة عالم المعرفة ممن يفترض أنهم من عتاة المثقفين العرب ، ثم يقرأه عشرات الآلاف هم أيضا الأرفع ثقافة فى بلاد العرب ، ثم يصدر منه جزء ثانى ، كل ذلك دون أن يلحظ شخص واحد فقط من كل هؤلاء طيلة كل تلك السنوات أن المرايا المحدثبة ، مثل مرآة سيارته التى ينظر فيها يوميا ألف مرة ، تصغر الأشياء لا تكبرها ، وهو الأمر الذى بنى الكتابان نظريات كاملة عليه !

المشكلة إذن ليست غلطة شخص اسمه عبد العزيز حمودة ، ولا دستة 'علماء' حضانة في أميركا أو حتى الهند فيما يلي : أستاذ يشرفون على السلسلة ، فاتتهم جميعا تلك جامعي مصري كبير شهير يؤلف كتابا بعنوان المرايا الحقيقة العلمية البسيطة . الآن المشكلة تخص المحدبة ، يمر على مئات المتخصصين بدءا من عشرات الآلاف من النقاد والقراء الذين اشتروا الكتاب الأول ، وفاتتهم جميعا هذه الغلطة ، أو بالأقل لم يلفت أحد منهم انتباه السلسلة لهذه الغلطة . أو على الأقل جدا العرب ، ثم يصدر منه جزء ثانى ، كل ذلك دون أن فقدت الغلطة على مئات من زملاء يلحظ شخص واحد فقط من كل هؤلاء طيلة كل تلك وأصدقاء وتلاميذ المؤلف ممن قرأوا الكتاب ، السنوات أن المرايا المحدبة ، مثل مرآة سيارته التي ويلتقون به يوميا ، بل ويعلمون أنه سيؤلف ينظر فيها يوميا ألف مرة ، تصغر الأشياء لا تكبرها ، وهو الأمر الذى بنى الكتابان نظريات كاملة عليه !

العلوم والتقنية أمور خارج دائرة اهتمام العقلية العربية بالكامل . نحن مشغولون فقط بطمئنة بعضنا البعض على أن الله لا يزال مسلما ولم يعتنق اليهودية أحد قد لفت نظره ، ثم صمم هو على المضى بعد .

فى الخطأ ، باعتبار الأمر مثلا من التفصيلات

التافهة ، فهذه ستكون قضية أخرى وكان سيكون لها مقال مختلف غير ما نخوض فيه هنا !) .

اعتقد القارئ قد وصل بالفعل لما نريد قوله ، وهو شئ بسيط جدا لكن رهيب بالكامل : No Future! . العلوم والتقنية أمور خارج دائرة اهتمام العقلية العربية بالكامل . لا مجال للمقارنة بصيبة أميركا أو شرق آسيا المشغولون ليلا نهارا بالاختراعات الإلكترونية التى يمكن أن تحقق حلم طفولتهم الأوحده ، حلم إكمال المليون دولار قبل بلوغ العشرين من العمر (وعما قريب ستشغلهم الاختراعات الجينية — الواقع أن احتفالنا الذى بدأ اليوم بفيلم بليد رانر <http://everyscreen.com/views/posthumancinema.htm#BladeRunner> هو الذى ذكرنا بهذا المدخل المؤجل !) . العقلية العربية مشغولة إما بطمئنة بعضنا البعض فى خضم النوازل القاتلة المتوالية على أن الله لا يزال مسلما ولم يتحول بعقيدته إلى اليهودية ، أو مشغولة بالهزيمة نفسها وانتوت أن تدور إلى ما لا نهاية فى دوائر الثأر الذى لا يأتى أبدا ، أو فى أفضل الحالات مشغولة بالتأكد من منعة القوقعة التى تحمينا من العواصف الهوجاء وضوء الشمس المميت ، فوقعتنا الرائعة المسماة الهوية العربية ، ذلك كما يفعل الدكتور عبد العزيز حمودة والمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت .

متابعات ٢ * :

محمد حسنين هيكل

... دراسة حالة

◀ ٨ ديسمبر ٢٠٠٥ : اليوم أسعد أيام حياتي ! بالأحرى كان لدى عقدة كبيرة منذ الطفولة ولم تنحل إلا اليوم . هذه العقدة اسمها محمد حسنين هيكل ! أنا الآن في العام الحادى والخمسين من عمري ، ولا أذكر منذ متى بالضبط بدأت أقرأ لمحمد حسنين هيكل . المؤكد أن ذلك كان قبل أن أكمل العاشرة ، ولم يكن الأمر قراءة فقط بل قراءة و / أو سماع له في المذياع حين كانت الإذاعة المصرية تقرأ نص المقال عصر كل يوم جمعة (وكانت إذاعات أبى وأنا المفضلة لندن http://everyscreen.com/views/culture_part_2.htm#BBC تبث إشارات ضعيفة لا تكاد تسمع نهارا وصوت أميركا http://everyscreen.com/views/culture_part_2.htm#VOASigningOff لا تشتغل نهارا أصلا) . في تلك الأوقات لم أكن أفهم الكثير ، وربما كنت أقول لنفسى إن هذا بسبب صغر السن ، علما بأنى وحياتك متفوق في المدرسة وطول عمري ما كنت إلا الأول ، وجايز علشان كده كان بيتهيأ لى أنى كنت فاهم . كبرت واختفى حسنين هيكل من حياتنا معظم السبعينيات والثمانينيات ، ولما ابتداء يرجع لكتابات متفرقة في التسعينيات ، عرفت حجم الورطة إالى أنا فيها : جايز فهمت أرسطو نظرية النظرية ونظرية الوتر الفائق ، لكن بالنسبة للسيد محمد حسنين هيكل أنا فعلا ما بأفهمش منه ولا حاجة . (' السيد ' دى احترام موش لا سمح الله حاجة تانى . جايز أتباعه إالى بيطلبوا له فى الجرايد إياها بيسموه الأستاذ ، لكن على حد علمى لقب الأستاذ Master ده أطلق عالميا على شخص واحد فقط هو أرسطو ، وعلى نطاقنا المصرى الصغير أطلق على استحياء على أحمد لطفى السيد ، واستحياء يقصد بها أنهم أسموه أستاذ الجليل وليس ' ال ' أستاذ طبعا لأنهم على الأقل كانوا من العالمين بشيء اسمه أرسطو . ما عدا ذلك الكل تلاميذ ، والمفروض يشرفهم ويشرفنا أن نكون تلاميذا !) .

ربما سبب كل ده أن الإنسان عدو ما يجهل ، وعلشان كده جايز تلقانى كتبت حاجات عدوانية جدا ضده ، وأذكر أنى فى الصفحة دى http://everyscreen.com/views/culture_part_2.htm#July23 وجايز فى غيرها لا أذكر اسمه إلا مسبقا بلقب الحفيرة . ومن فترة قريبة http://everyscreen.com/views/popart_part_4.htm#SamirFaridConfessions اعترفت بصراحة أنى ما بأفهمش منه حاجة خالص ، وكنت ساعتها بصدد تشبيهه بناقد سينمائى صاحبنا كان ناصرى برضه ، وتشبيهه بخطب بشار الأسد المنمقة جدا ، وإلى برضه ما بأفهمش منها حاجة أبدا .

النهاره انحلت العقدة . والمفتاح كان برنامج الأسبوعى على قناة الجعيرة . بعد ما كنت طول عمري أسأل هو عاوز منا إيه ، نحارب ولا نسالم ولا نعمل إيه بالظبط ، النهارده عرفت بالظبط هو عاوزنا نعمل إيه . المعجزة الكبرى دى حصلت الليلة دى ، معجزة زى ظهور العذراء كده إلى طول عمرهم يتكلموا عليها فى كل بلد وأنا يا عيني غلبان أسمع وطول عمري ما شفت . النهارده ظهرت لى العذراء مخصوص ، قصدى ظهر لى حسنين هيكل . وده حصل بالظبط فى اللحظة إالى ابتداء يتكلم فيها عن شارل ديغول !

* هذا المدخل مجموع متابعتين وردت الأولى فى صفحة الثقافة فى http://everyscreen.com/views/culture_part_5.htm#Heikal والثانية فى صفحة الإبادة http://everyscreen.com/views/extermination_part_11.htm ، كلاهما فى التواريخ المذكورة قرين كل منهما .

'تماحيك' . نعم تماحيك . محمد حسنين هيكل يسمى التعاون أو السلام مع هؤلاء هذا كل ما كان يفعله دييجول ، الأقوياء بـ 'المنطق المسمى بالواقعية' ، يتحدث عنه بسخرية وطبعاً يرفضه رفضاً تاماً ، ويسمى أساليب السيد دييجول تسمية أخذة هي 'قوة الضعيف' ، ويتحدث عنها بالطبع على نحو عبد الناصر وأشياعه وتلاميذه كلى الانبهار .

ومريديه في بقية العريستان . السيد هيكل يريد عداء متواصلاً وحرباً لا تتوقف ضد أميركا تماحيك في تماحيك ، شكليات في وإسرائيل . الأسلحة ؟ لا ، لم يتحاش الحديث عنها هذه المرة . لقد حددها ، ليست الاقتصاد والجيش ولا التقنية ولا شكليات ، رمزيات في رمزيات ، البنية التحتية ، الأساليب هي العزة والكرامة والوزن التاريخي وكأننا بنعمل فيلم (لا سيما لو والثقل الثقافي والتيمايوس المصري الذي نوافقه أن لا يوجد فيلم غبي لجودار) ، موش بنصنع مثيل له في كل العالم ! بمعنى آخر السيد هيكل يعتقد أن حروب ونكتب تاريخ ونهد المناورة شيء لا يصلح فقط لزمن الحرب الباردة واللعب على الجبال بين معسكرين ، بل هي شيء صالح لكل زمان ولكل إمبراطوريات ونشئ مكان ، حتى لو كنت أنت برمتك عبارة عن كتلة مخاطية من إمبراطوريات : من الذى يوجه أولاً الفقير والجهل والمرض ، والأسوأ منها أن تكون معادياً للأبد خطاباً للمقاومة الفرنسية هو أم لأصحاب الثروة والعلم والصحة !

قائد قوات الحلفاء ، من يظاً أولاً شاطئ النورماندى كام مليون جندى أميركى أم كام جندى فرنسى واحد ، من يصافح تشرشل أولاً في فرنسا هو أم قائد قوات الحلفاء ، وطبعاً تماحيك وتفاصيل لا تنتهى عن رفع الأعلام وعزف الأناشيد والذى منه ، كلها على ذات الشاكلة المذكورة ، لا تثير إلا الضحك والاستهزاء . والذروة المعروفة هي أيضاً مباحكات وشكليات والتفافات دييجولية شهيرة فيما يخص مشروع مارشال ، بينما ما يجرى على الأرض كان ببساطة أن أميركا باتت تحكم أوروبا مادياً ومعنوياً معاً .

قصص وتفاصيل لا تنتهى صدرت عن مسيو دييجول هذا ، يمكنك أن تجملها في كلمة باسم العزة أو الكرامة ، أو بمصطلح أفلاطون التيمايوس ، والتيمايوس كما تعلم هو النخوة والحماسة أو عامة كل ما هو معنوى عند الإنسان في مقابل واقع الحياة المادى الملموس . بينما الطرف الآخر صاحب القوة الحقيقية ، القوة المادية على الأرض عسكرياً واقتصادياً ، سواء تشرشل أو رويسفيلت أو تروومان أو الجنرال أيزنهاور ، لا يملك أمام كل هذا السيل من الطلبات الساذجة التى تلتف حول المحتوى الحقيقى للأمور ، لا يملك سوى ابتسامة ساخرة بسيطة ، ويقبل دائماً أن ينفذ لك لعب العيال الثانوى الذى يشغلك لدرجة الهوس هذا . ولا نريد أن نفيض هنا في لماذا كانت الانجليز - وليس أى أحد غير العرق الأنجلي - هم أصحاب الثورة الصناعية والفرنسيون هم المتطفلون عليها ، ولا طبعاً في لماذا أميركا هي صاحبة ثورات ما بعد الصناعة ونحن العرب والمسلكون القراصنة المبتزون لانجازاتها ، ومثلاً وصلت بنا الوقاحة مؤخراً جداً (انظر المدخل

السابق
http://everyscreen.com/views/culture_part_5.htm#WorldSummitOnTheInformationSociety
(لحد طلب أن نتحكم في الإنترنت التى هي اختراع وملكية خالصة لها .

باختصار : محمد حسنين هيكل يسمى التعاون أو السلام مع هؤلاء الأقوياء بـ ' المنطق المسمى بالواقعية ' ، يتحدث عنه بسخرية وطبعاً يرفضه رفضاً تاماً ، ويسمى أساليب السيد دييجول تسمية أخاذة هي ' قوة الضعيف ' ، ويتحدث عنها بالطبع على نحو كلى الانبهار .

هذه هي أيضاً عينها جدلية المادية والمثالية القديمة جداً ، جدلية طبعا هذه ليست أرسطو المادى ضد أفلاطون التيمايوسى ، أو لو شئت مصطلحات هذه المرة الأولى التى هيكل القوة الغاشمة ضد القوة الناعمة . نحن لسنا ضد أن تكون لك يتحدث فيها هيكل عن عزة وكرامة أو قوة ناعمة . بل هي مكون أساس للقيادة ، لكن أن يكون دييجول ، لكنى لا أدرى كل شى فى حياتنا عيب وحرام والفقر وحده ليس عيباً ولا حراماً ، وأن تكون المعنويات والكلاميات و' القوة الناعمة ' هي كل شىء لديك ، وليس لها أساس مادى من العلم أو التقنية أو الثروة أو القوة الحقيقية ، فهذا تبجح وقبح لا أكثر . هذه ليست قوة الضعفاء ، هذه سفالة الحثالة !

قد يقول قائل إن الكلمة سلاح خطير ، الحروب الدينية تبدأ الغائمة الشهيرة له ، بكلمة واسألوا الخومينى وبن لادن وما سبقهما من التاريخ ، المكانة التاريخية ، الثقل والحروب الطبقيه تبدأ بكلمة واسألوا ماركس ولينين وما سبقهما من الثقافى ، الموقع التاريخ ، والحروب العرقية تبدأ بكلمة واسألوا ناصر ومانديلا وما الجغرافى ، الوزن سبقهما من التاريخ . بل قد يقول قائل أيضاً إن يوحنا بدأ إنجيله الديموجرافى ... إلخ ، بأطروحة هائلة الراديكالية ينحى لها أفلاطون خجلاً ، هي أن فى البدء كان الكلمة والرب نفسه ما هو إلا كلمة ! نعم ، هذا كله وهى مصطلحات كثيراً صحيح ، لكن المشكلة أنه مثلاً فى مقابل كل كلمة كراهية توجد ما استخدمت من قبل ألف كلمة تدعو للسلام والتسامح ، لكن لا أحد يستمع إليها . هذه الراضين لخروج مصر أيضاً تحريضات بكل معنى الكلمة ، لكن أحداً لا ينظر لها كتحريض الكبير من الصراع العربى لسبب واحد ، هو كما قلنا لأن أحداً لا يعيرها أدنى اهتمام . إذن الإسرائيلى سنة الكلمة فعالة - وفعالة فقط - حين تتناغم مع قوى الطبيعة ، مع ١٩٧٧ ، أو ما يسمونه صراعات الثروة والعيش ، أو -حسناً- وهو الأعم والأدق والأعمق : مع الجيئيات . لهذه الأسباب المادية جداً ، قبلت أوروبا المسيحية بالاستسلام ومبدأ الكدح البروتستانتى على مشقتهما ، ورفضت الإسلام ورخصة لإسرائيل تحت اسم استحلال واسترقاق الغير على عبقريتها . لهذا علاقة بجيئيات الواقعية السياسية . المناطق الحارة وجيئيات المناطق الباردة ، وليس بأى من التحريضين الخلاصة أن بات كل فى حد ذاتهما . وهكذا بالمثل ، قبل الشرق الآسيوى الصوفية شىء واضحاً -بالنسبة والدعة ورفض الشريعة وإملاءات الآلهة ، وهلم جرا . الكلمة فعالة لى على الأقل- السيد ليس فى حد ذاتها ، بل هي ليست فعالة على وجه الإطلاق ، هيكل يريد عداً والفعال فقط هو المادة إذا ما حدث ونطقت باسمها الكلمات . متواصلاً وحرراً لا تتوقف

ضد أميركا وإسرائيل . الأسلحة ؟ لا ، لم يتحاش الحديث عنها هذه المرة . لقد حددها ، ليست الاقتصاد والجيش ولا التقنية ولا البنية التحتية ، الأساليب هي العزة والكرامة والوزن التاريخي والثققل الثقافى والتيمايوس المصرى الذى نوافقه أن لا يوجد مثل له فى كل العالم ! بمعنى آخر السيد هيكل يعتقد أن المناورة شىء لا يصلح فقط لزمان الحرب الباردة واللعب على الحبال بين معسكرين ، بل هى شىء صالح لكل زمان ولكل مكان ، حتى لو كنت أنت برمتك عبارة عن كتلة مخاطية من الفقر والجهل والمرض ، والأسوأ منها أن تكون معاديا للأبد لأصحاب الثروة والعلم والصحة !

ربما كان اليوم يوم الاستنارة الكبير لى لأنى بطبعى شخص قوالى لو شئت التسمية ، لا أفهم الأشياء إلا لو هندستها ومنهجتها . ولحسن الحظ ما قاله السيد هيكل ينضوى بالضبط تحت عين الجدلية المركزية الكبرى التى طالما شغلتنى فى كل مسيرتى الفكرية لو شئت الوصف . الجدلية التى أقول عادة

http://everyscreen.com/views/popart_part_4.htm#SamirFaridFlasback4 عنها أنها جعلتنى اعتبر

نفسى ماركسيا أكثر من ماركس ، ذلك أن ماركس قد خان الماركسية وأصبح شيوعيا . جدلية أيهما له اليد العليا ، أيهما القائد وأيهما المنقاد ، البنية التحتية أم البنية الفوقية ، الاقتصاد والتقنية أم الثقافة والفكر . ولا يخفى أن هذه هى أيضا عينها جدلية المادية والمثالية القديمة جدا ، جدلية أرسطو المادى ضد أفلاطون التيمايوسى ، أو لو شئت مصطلحات هيكل القوة العاشمة ضد القوة الناعمة . نحن لسنا ضد أن تكون لك عزة وكرامة أو قوة ناعمة . بل هى مكون أساس للقيادة ، لكن أن يكون كل شىء فى حياتنا عيب وحرام والفقر وحده ليس عيبا ولا حراما ، وأن تكون المعنويات والكلاميات و' القوة الناعمة ' هى كل شىء لديك ، وليس لها أساس مادى من العلم أو التقنية أو الثروة أو القوة الحقيقية ، فهذا تبجح وقح لا أكثر . هذه ليست قوة الضعفاء ، هذه سفالة الحثالة !

أخيرا إلى الكلام المكرر : قد يقول قائل إن الكلمة سلاح خطير ، الحروب الدينية تبدأ بكلمة واسألوا الخومينى وبن لادن وما سبقهما من التاريخ ، والحروب الطبقيه تبدأ بكلمة واسألوا ماركس ولينين وما سبقهما من التاريخ ، والحروب العرقية تبدأ بكلمة واسألوا ناصر ومانديلا وما سبقهما من التاريخ . بل قد يقول قائل أيضا إن يوحنا بدأ إنجيله بأطروحة هائلة الراديكالية ينحنى لها أفلاطون خجلا ، هى أن فى البدء كان الكلمة والرب نفسه ما هو إلا كلمة ! نعم ، هذا كله صحيح ، لكن المشكلة أنه مثلا فى مقابل كل كلمة كراهية توجد ألف كلمة تدعو للسلام والتسامح ، لكن لا أحد يستمع إليها . هذه أيضا تحريضات بكل معنى الكلمة ، لكن أحدا لا ينظر لها كتحريض لسبب واحد ، هو كما قلنا لأن أحدا لا يعيرها أدنى اهتمام . إذن الكلمة فعالة -وفعالة فقط- حين تتناغم مع قوى الطبيعة ، مع صراعات الثروة والعيش ، أو -حسنا- وهو الأعم والأدق والأعمق : مع الچيينات . لهذه الأسباب المادية جدا ، قبلت أوروبا المسيحية ومبدأ الكدح البروتستانتى على مشقتهما ، ورفضت الإسلام ورخصة استحلال واسترقاق الغير على عبقريتها . لهذا علاقة بچيينات المناطق الحارة وچيينات المناطق الباردة ، وليس بأى من التحريزين فى حد ذاتهما . وهكذا بالمثل ، قبل الشرق الآسيوى الصوفية والدعة ورفض الشريعة وإملاءات الآلهة ، وهلم جرا . الكلمة فعالة ليس فى حد ذاتها ، بل هى ليست فعالة على وجه الإطلاق ، والفعال فقط هو المادة إذا ما حدث ونطقت باسمها الكلمات .

...

هوليوود أكبر قدرة طرية فى تاريخ البشر ، لكنها ليست نعود للقدرة الطرية (أو ما إلا جزءا ضئيلا من منظومة كاملة متكاملة للقدرة ، بل يترجمه هو باستهتار إلى القوة بالأحرى هى نتاج ثانوى للقوة الغاشمة لأميركا ، اقتصادية الناعمة) : هوليوود وتقنية وسياسية وعسكرية . فى حدود علمنا للضعفاء سلاح hollywood.htm أكبر قدرة واحد فقط لا غير عبر التاريخ اسمه القرصنة وقطع الطريق ، طرية فى تاريخ البشر ، لكنها ربما توسع قليلا على يد العرجية والإسلامجية المعاصرين ليست إلا جزءا ضئيلا من منظومة ليصبح منظومة متكاملة من القنابل الانتحارية والجعير الإعلامى ، لكنه فى كل الأحوال هو ذات السلاح الواحد الوحيد الذى لم ولن يكون لدى الحثالة المارقين ممن بالأحرى هى نتاج ثانوى للقوة الغاشمة لأميركا ، اقتصادية وتقنية أخرجهم التاريخ من خارطته سواه !

هذا أسلوب حياة ، الأسلوب الآخر هو أن تأتى بشىء وسياسية وعسكرية . فى حدود ضخم يغير وجه الدنيا ، ثورة صناعية ، ثورة إلكترونية ، ثورة علمنا للضعفاء سلاح واحد فقط رقمية ، ثورة هندسة چيينية ، ثورة هندسة نانوية . هذه الثورة لا غير عبر التاريخ اسمه القرصنة ستدر لك التريلونات من الثروة والسلطة والنفوذ ، تصبح بها محل احترام وتقدير العالم كله (إلا العرب والمسلمين ، وحسنا : الفرنسيين) ، ستصبح الفاعل لا المفعول به ، على يد العرجية والإسلامجية ستصبح الفعل لا رد الفعل ، ستمسك بكل الخيوط ، المعاصرين ليصبح منظومة متكاملة سينحنى لك الجميع ويسعون لصدقتك ورضاك ، وطبعاً لن من القنابل الانتحارية والجعير أبدا تكون فى حاجة للعب العيال الصغار الذى يقترحه علينا الإعلامى ، لكنه فى كل الأحوال السيد هيكل . هو ذات السلاح الواحد الوحيد

الذى لم ولن يكون لدى الحثالة المارقين ممن أخرجهم التاريخ من خارطته سواه !

هذا أسلوب حياة ، الأسلوب الآخر هو أن تأتى بشىء ضخم يغير وجه الدنيا ، ثورة صناعية ، ثورة إلكترونية ، ثورة رقمية ، ثورة هندسة چيينية ، ثورة هندسة نانوية . هذه الثورة ستدر لك التريلونات من الثروة والسلطة والنفوذ ، تصبح بها محل احترام وتقدير العالم كله (إلا العرب والمسلمين ، وحسنا : الفرنسيين) ، ستصبح الفاعل لا المفعول به ، ستصبح الفعل لا رد الفعل ، ستمسك بكل الخيوط ، سينحنى لك الجميع ويسعون لصدقتك ورضاك ، وطبعاً لن أبدا تكون فى حاجة للعب العيال الصغار الذى يقترحه علينا السيد هيكل .

هناك طريقتان يمكن أن تعيش بهما ، أو عينا يمكن أن ترى بهما العالم : عين السيد وعين العبد ، عين الوجيه وعين الشحاذ ، عين العملاق وعين القزم ، عين البناء الجاد وعين القرصان قاطع الطريق . أما إذا أردت مشروعنا نحن فالبديل للخيار الأخير البلطجي أيضا واضح : عين الشغيل ، عين الموظف ، عين الخادم . أنت لا تملك من العلم ولا من الثروة ولا من المعرفة ، إلا ما يجعلك تابعا لذلك السيد . من خلال خدمتك الصادقة والشفافة له ، سوف تكسب احترامه وعطفه ، سوف تكسب الكثير من العلم والخبرة ، سوف تكسب بعض المدخرات ، وربما يطرأ لك يوما أن تستقل بنفسك وتصبح صاحب مشروع صغير ، بالذات لو حدث وتكونت لديك رؤية ومشروع للمستقبل يمكن أن يصبح بديلا أفضل لقيادة العالم - كل العالم - بدلا من مشروعك هو الذى ربما سيحين له وقت ويعفو عليه الزمن ، ساعتها سيظل كما كان دوما صديقا لك ، بل ربما يصفق لك ، فقد كسبت طبقا لأصول اللعبة التى أرساها ، التنافس الحر الشريف ، لا بالضرب تحت الحزام ولا بتطاولات الصغار . أما أن تتعامل معه على طريقة ديجول ، تتبعه وتكرهه ، تتعلم منه وتعض يده ، فهذه فى رأينا سفالة ، ويا ليت نجد من بيننا ممن يهتمون كثيرا بموضوع الكرامة والتمايوس والعزة للعرب ، من يشرح للسيد هيكل أن لا كرامة ولا احترام ولا عزة فى مشروعك .

هل تعلم أن هناك اسما آخر لستراتيجية السيد هيكل المسماة ' قوة الضعيف ' هذه التى يبشرنا بها : إنها تسمى كيد النسا ! حيث الأدوات تبدأ بالتمنع وتنتهى بإعواج الرقبة والتآمر ، لكن لا مواجهة صريحة أبدا . تلك الكلمة العامية المصرية التى تعبر عن الرؤية السائدة للمرأة فى المجتمع المصرى وما قد يشابهه ، يقصد بها عادة أساليب المرأة حين تكون ضعيفة وبلا موارد ولا تملك سوى التنغيص على زوجها للفت الانتباه أو للانتقام أو لأى شىء . كل ما تملكه هو التنغيص ، فقط التنغيص . المشكلة هنا أنه لا يبدو حصيفا جدا ، ناهيك عن أن يكون محترما جدا ، أن تغامر بمصائر شعوب بأكملها ، بأن تجعلها تتعامل مع أميركا مثلا بتقتيات زوجة ' مقموصة ' ، وبهذه التقتيات وحدها بالتحديد !

باختصار يا سادة هناك طريقتان يمكن أن تعيش بهما ، أو عينا يمكن أن ترى بهما العالم : عين السيد وعين العبد ، عين الوجيه وعين الشحاذ ، عين العملاق وعين القزم ، عين البناء الجاد وعين القرصان قاطع الطريق . أما إذا أردت مشروعنا نحن فالبديل للخيار الأخير البلطجي أيضا واضح : عين الشغيل ، عين الموظف ، عين الخادم . أنت لا تملك من العلم ولا من الثروة ولا من المعرفة ، إلا ما يجعلك تابعا لذلك السيد . من خلال خدمتك الصادقة والشفافة له ، سوف تكسب احترامه وعطفه ، سوف تكسب الكثير من العلم والخبرة ، سوف تكسب بعض المدخرات ، وربما يطرأ لك يوما أن تستقل بنفسك وتصبح صاحب مشروع صغير ، بالذات لو حدث وتكونت لديك رؤية ومشروع للمستقبل يمكن أن يصبح بديلا أفضل لقيادة العالم - كل العالم - بدلا من مشروعك هو الذى ربما سيحين له وقت ويعفو عليه الزمن ، ساعتها سيظل كما كان دوما صديقا لك ، بل ربما يصفق لك ، فقد كسبت طبقا لأصول اللعبة التى أرساها ،

التنافس الحر الشريف ، لا بالضرب تحت الحزام ولا بتطاولات الصغار . أما أن تتعامل معه على طريقة ديوجول ، تتبعه وتكرهه ، تتعلم منه وتعض يده ، فهذه في رأينا سفالة ، ويا ليت نجد من بيننا ممن يهتمون كثيرا بموضوع الكرامة والتميؤوس والعزة للعرب ، من يشرح للسيد هيكل أن لا كرامة ولا احترام ولا عزة في مشروعه . (هذا ليس كلاما جديدا ، بل هو عينه ما طرحناه في الدراسة الرئيسة لهذه الصفحة قبل عقد من الزمان بالضبط ، فيما أسميناه التلمذ النجيب) .

هل تعلم أن هناك اسما آخر لستراتيجية السيد هيكل المسماة ' قوة الضعيف ' هذه التي ييشرنا بها : إنها تسمى **كيد النساء** ! حيث الأدوات تبدأ بالتمنع وتنتهي بإعواج الرقبة والتأمر ، لكن لا مواجهة صريحة أبدا . تلك الكلمة العامية المصرية التي تعبر عن الرؤية السائدة للمرأة في المجتمع المصري وما قد يشابهه ، يقصد بها عادة أساليب المرأة حين تكون ضعيفة وبلا موارد ولا تملك سوى التنغيص على زوجها للفت الانتباه أو للانتقام أو لأي شيء . كل ما تملكه هو التنغيص ، فقط التنغيص . المشكلة هنا أنه لا يبدو حصيفا جدا ، ناهيك عن أن يكون محترما جدا ، أن تغامر بمصائر شعوب بأكملها ، بأن تجعلها تتعامل مع أميركا مثلا بتقتيات زوجة ' مقموصة ' ، وبهذه التقتيات وحدها بالتحديد !

أعتقد أنني لم أعد الآن في حاجة لتسميتي المأثورة التي عفا عليها **الزمن ' حسنين الحفريه هيكل '** ، فلدى الآن تسمية أدق بكثير : في الطعام أو قبلة في **' حسنين كيدهن عظيم هيكل '** ! هذا فقط بشرط واحد ألا يتسبب الباص ، تشكوه لأهله هذا التشبيه في إغضاب أحد من الجنس اللطيف مني ، فهذا آخر وأصدقائه أو للأمم ما أريده ، بالذات وأن التشبيه الأدق لأتباع الشيوعية والقومية المتحدة ، تشنع عليه العربية والإسلام ، كما فهمنا أنه ما يتمناه منا السيد هيكل لدى الجيران أو على بالضبط ، أنهم مثل بق الفراش أو قمل الرأس ، لا يمكنك أن تجادل في قدرتهم العظيمة على تنغيص حياة أعتى الناس ، لكنهم لا يمكن قنائة الجعيرة ، تتجمل أبدا أن يرتقوا لمرتبة البشر ، فقط ليس لهم وظيفة ولا هدف في حين لا يكون التجمل الحياة سوى أن يكونوا بالمصري لقمة في الزور أو بالإنجلش وجع في محله (التقية) ، أو في الطيز . لا تتجمل حين يكون

ملحوظة : لا تتصور أنني أكره السيد هيكل . أنا لا أكره أبدا ، التجمل هو المطلوب ربما أحتقر أحيانا ، لكني لا أكره . بالعكس بالنسبة لهيكل أنا (خذ المعونات أولا ثم أحبه . هو رجل طيب ، دائما ما ' يقدر ظروف ' الناس ، كل الناس ، من الإمبراطور حتى الغفير ، هذا طبعا من خلال موقعهم كبشر وموقعه كإله . أنا أيضا من موقعي كبشر أقدر للغاية ' ظروفه ' ، جرا . لكن أن تصبح كإله . لكن هل تعرف ما أكثر شيء أحبه فيه إطلاقا ؟ أحبه في كل مرة يشد فيها الجزء السفلي من أذنه أثناء الكلام . هذه حركة لا المنتجة والقائدة وصاحبة إرادية يقوم بها المرء في كل مرة يكذب فيها خشية أن تكون هناك الرؤية وتمسك بزمام كل نقطة عرق ستسقط من إحدى أذنيه !

الأمر ، فهذا مشروع

غير وارد أصلا في العقل العربي .

أما عن المساومة ، فحدث ولا حرج . هم لا يحبون شىء في الدنيا ، قدر موائد الحوار وجولات المفاوضات . هذا يشعرهم بالاعتزاز ، فالمساومة هى إحدى الخصائص القاعدية لمجتمعات السوق الحرة . وبالتالي هم يشعرون بالذكاء والدهاء ، أنهم يلاعبون الغرب الرأسمالى بلعبته . هنا ينسون شيئا واحدا ، أن المساومة فى دنيا البيزنس ، تنتهى حتما إلى اتفاق فى غضون دقائق ، ذلك أن أحدا ليس لديه وقت أبعد من ذلك . إن بشار مثلا ومن قبله أبو بشار ، مستعدان للتفاوض حول الجولان ، حتى يوم القيامة الظهر . يأتون بألف حيلة وحيلة ، وبألف وسيلة ضغط تافهة وأتفه . ثم يستعجبون ، بل و يقيمون الدنيا ويقعدونها ، إن ترك الطرف الآخر المفاوضات وذهب لحال سبيله !

وبعد ، أعتقد أنى لم أعد الآن فى حاجة لتسميتى المأثورة التى عفا عليها الزمن ' **حسنين الحفرية هيكل** ' ، فلدى الآن تسمية أدق بكثير : ' **حسنين كيدهن عظيم هيكل** ' ! هذا فقط بشرط واحد ألا يتسبب هذا التشبيه فى إغضاب أحد من الجنس اللطيف منى ، فهذا آخر ما أريده ، بالذات وأن التشبيه الأدق **لأتباع الشيوعية والقومية العربية والإسلام** ، كما فهمنا أنه ما يتمناه منا السيد هيكل بالضبط ، أنهم مثل بق الفراش أو قمل الرأس ، لا يمكنك أن تجادل فى قدرتهم العظيمة على تنغيص حياة أعتى الناس ، لكنهم لا يمكن أبدا أن يرتقوا لمرتبة البشر ، فقط ليس لهم وظيفة ولا هدف فى الحياة سوى أن يكونوا بالمصرى لقمة فى الزور أو بالإنجلس وجع فى الطيز . هكذا كان تاريخ إمبراطوريات الشر ، إسلامية فرنسية سوفيتية أو عالم ثالثة . إنهم طفيليات ، قراصنة ، قطاع طرق ، متمردون ، مصاصو دماء ، ردود أفعال ، لكن لا يمكن يوما أن يكونوا ندا لسادة العالم ، مبادرين مبدعين بنائين عاملين فاعلين أو ذوى رؤى مثلهم .

أيضا هذا التشبيه أفضل من زاوية أخرى : إنه يدلنا على الطريقة الأمثل للتعامل مع قمل البشرية : الإبادة

! <http://everyscreen.com/views/extermination.htm>

...

ها أحكى لك حكاية : من كام شهر ، فى حوالى منتصف السنة كده ، بعد ما كنت كتبت موضوع سمير فريد http://everyscreen.com/views/popart_part_4.htm#SamirFaridConfessions الناصرى إلى ندم على كل حاجة ، وكنت شبهته ساعتها بمحمد حسنين هيكل وبشار الأسد ، آنذاك جاء لى صديق صحفى وكان متهلا وكأنه يبشرنى بنصر كبير أحرزته . شفت هيكل قال إيه عن إسماعيل صدقى ؟ ويقصد أنه مثل سمير فريد أعلن ندمه عن تاريخهم العرجى الحنجورى طويل المجرى ، وأن حسب رأيه المستقبل ينبى بفهم جديد وببداية جديدة من جانب المثقفين . ساعتها بان دفاعى المعتاد رديت عليه فورا بهياج وغیظ : إيه إلی بتقوله ده ؟ إنا مستنيين هيكل يقول لنا إيه الصح وإيه الغلط ، يقول لنا مين الصح ومين الغلط . إيه الفرق بينا وبينه ؟ الفرق إنا بنعرف الصح من اللحظة الأولى ، وهو بيعرفها بعد خمسين سنة تجارب أو بالأحرى إجرام . إيه العبقريه أنك تعيث فى الأرض فسادا خمسين سنة تأم إلی تأممه تسرق إلی تسرقه وتدخلنا عشر حروب غلط ، ثم ببساطة تيجى تقول Sorry أنا كنت غلطان . إلی زيه إلی حكمونا وقادونا خمسين سنة للخراب والفقر والدمار لا نفرح بتوبتهم ، هؤلاء الحل الوحيد معهم هو الإعدام ، وما فيش أى عدل أو علاج تانى معاهم .

بعد ما هديت شوية بقية الجلسة راحت كلها كلام فى القومية العرجية . ولأن صديقى ده ناقد سينمائى زى ، رحنا

نعيد الفرجة سوا على فيلم لورانس العرب

http://everyscreen.com/archive/movie_intl/i_1/LawrenceOfArabia1962.htm ، ورحنا نقول لبعض إن القومية العربية في الأصل كانت فكرة نبيلة اخترعها بيتر أوتوول ، قصدى اخترعها الكولونيل لورانس أيام ما كان ملازم صغير ، حيث كان الهدف منها إسقاط الخلافة الإسلامية البغيضة وإللى كان مقرها تركيا ، والمفروض أنها أدت الغرض وخلصت خلاص بمجرد رحيل لورانس عائدا للندن . لكن موش ده إللى حصل للأسف ، وكل إللى اتبنوها بعد كده عفلق وناصر وصادام والأسد وغيرهم ، حولوها لبلطجة واستزاق وقطع طريق ونهب الجيران ومحاربة العالم المتقدم وسرقتة ، زى سرقة قناة السويس وشركات اليهود ... إلخ . ما أذكره من تلك المشاهدة أنى ملت على صديقى سائلا بسخرية : إذا كان هيكل شاطر قوى كده في التاريخ ، لماذا لم يأت ولو لمرة احدة على ذكر الكولونيل لورانس ؟ صديقى كانت إجابته جاهزة وأكثر سخرية : لقد ذكروه مرة واحدة على الأقل يوم أصدروا قرارا بمنع الفيلم في مصر !

الآن وبعد حلقة النهارده أقول لك أنا إللى كنت غلطان ، Sorry : لا هياج ولا غيظ بعد اليوم . كل حاجة بالقوة الناعمة . ومبدئيا لا تتصور أنى أكره السيد هيكل ، ولا حتى كنت أكرهه قبل كده . أنا لا أكره أبدا ، صحيح ربما أحتقر أحيانا ، ربما أقرف أحيانا ، لكنى لا أكره . بالعكس بالنسبة لهيكل أنا أحبه . دمه خفيف . الملايين تموت أو تجوع ، ويقول لك عبد الناصر تجربة إنسانية . حاجة وسخة ، قصدى حاجة لذيدة ، موش كده ؟ وعلشان خاطرى ما تدقش أن ما حدش منهم كان افتكر ولو مرة سيرة الإنسانية لما كانوا في السلطة ويفتكروها بس لم يتهموا وياخدوا على قفاهم . ثانيا هو رجل طيب ، دائما ما ' يقدر ظروف ' الناس ، كل الناس ، من الإمبراطور حتى الغفير ، هذا طبعا من خلال موقعهم كبشر وموقعه كإله . لن أقول إنه حشرة بالنسبة لهؤلاء الذين يتحدث عنهم ، [ولن أسميه بالعرضحالى كما فعلت جريدة القاهرة هذا الأسبوع وهى تناقش مدى صحة تهمة العرضحالى التى يحاول طوال الوقت نفيها عن نفسه] ، كذلك لن أعاود استخدام لفظتى الشخصية الأثيرة-سابقا وأصفه من جديد بالحفرية ، فأنا كما قلت لك أحبه ، بل في الواقع سوف أضيف أنى هنا -وأيقضا من موقعى كبشر- أقدر للغاية ' ظروفه ' كإله !

لكن هل تعرف ما أكثر شىء أحبه فيه إطلاقا ؟ أحبه في كل مرة يشد فيها الجزء السفلى من أذنه أثناء الكلام . هذه حركة لا إرادية يقوم بها المرء في كل مرة يكذب فيها خشية أن تكون هناك نقطة عرق ستسقط من إحدى أذنيه !

...

على فكرة ورغم الفرحة الكبيرة بتاع النهارده ، أنا لسه عندى مشكلة قديمة صغيرة

http://everyscreen.com/views/globalization_part_3.htm#NextWar مع هيك ، ومع بشار ، وبالذات مع منظر بشار المدعو حاجة الشيعى ، ومع كثيرين ممن يسمون أنفسهم معسكر المقاومة هنا والآن وحتى الموت أو معسكر التمسكن حتى التمكن يوم القيامة الضهر [أسموه الممانعة لاحقا http://everyscreen.com/views/extermination_part_11.htm] ، أو المعسكرين معا بالتوازي ، هى أنهم يستشهدون كثيرا بكلاوسفيتز Carl von Clausewitz المنظر الاستراتيجى الروسى صاحب كتاب ' على الحرب ' *On War (Vom Kriege)* (١٨٣٧-٣٢) ، وبالذات منه عبارة الحرب هى السياسة بوسائل أخرى أو بلغة أخرى أو حرفيا *war is nothing but a continuation of political intercourse with the admixture of different means* . اليوم أيضا فهمت لماذا يجبون هذا الكلام جدا . إنه حسب فهمهم يركز على المعنوى على

حساب المادى ، وهم مولعون بالقوة الناعمة والتمنع والممانعة والمراوغة والتنغيص واللعب على حبال المعسكرات .
والخلاصة يتحاشون المواجهات ، بالذات المسلحة ، من خلال البحث عن ' أدوات أخرى ' . لعبة حاورينى يا بطة
يعنى !

المشكلة أن كتاب كلاوسفيتز هذا ، كتاب ضخم بدأته يوما ولم أتمه ، وقلت كفاية على كتاب ' الأمير ' ، وكتاب
صن تزو ' فن الحرب ' ، ليس لأنهما أفضل ولا أكثر قدما وكلاسية ، إنما فقط لأنهما وجيزان جميلان سهلان . غلطى
لم تكن أنى تخيلت أن كلاوسفيتز هو صن تسو ' بلغة أخرى ' أو ميكيافيللى ' بوسائل أخرى ' . أصحابك دول لعبوا
فى دماغى ، وشككونى أنه حاجة تانية ، لما بدأوا بيستخدموه للتنظير لملاعبة إسرائيل حتى يوم القيامة الضهر من غير
أى نتيجة ع الأرض . حسبما أفهم هو العكس تماما مما يقولون ، وطول عمرى ما فهمت أنه ' ناعم ' أبدا ، رغم أن
الاقتباس الشهير يمكن أن يوحى بهذا . يقال إن كلاوسفيتز هذا هو من قلب تاريخيا مفهوم الحرب رأسا على عقب ،
وأدخل فكرة الدمار الشامل أو حرفيا الحرب الإجمالية total war ، الهجوم على كل شىء للعدو ، أرضه وممتلكاته
ومدنييه وبنيته التحتية ومقدساته وأفنيته الخلفية ، كل شىء وليس فقط جيوشه . الغلطة ربما ليست فى أنا ، إنما فى أن
البعض قد فهم كلاوسفيتز معكوسا ١٨٠ درجة ، وأنه -أى كلاوسفيتز- لا يفضل الحرب أصلا ، السياسة هى الكل فى
الكل ، القوة الناعمة ، وبكده يقترح كيد النسا أساسا للعبة الأمم !

على أية حال المشكلة الصغيرة التى قصدها ، هى أن على أن أقرأ من جديد هذا الكتاب المطول ، وربما يكون لدى
بمجال كبير للسجال لاحقا هنا ، لو اكتشفت أن من اختطفوا ألفاظا كالتقدمية والعدالة قد اختطفوا أيضا كلاوسفيتز !
حتى ذلك الحين ١- سأظل معتقدا أن دستور القومجيين العربجية هو ديجول موش كلاوسفيتز ، ٢- ربما أظل على
فهمى الأصلى لكلاوسفيتز : الحرب والسياسة معا ليستا إلا الاقتصاد بوسائل أخرى ، أو ربما بالأحرى : الحرب
والسياسة والاقتصاد كلها معا ليست إلا التقنية بوسائل أخرى ! دعك من المقولة الأبعد أن الحرب والسياسة والاقتصاد
والبشر أنفسهم أو حتى كل العشائر البيولوجية ، وكلها إلى زوال وانقراض ، ما هى إلا بوسيلة أخرى ذلك الشىء الوحيد
الذى يبقى دون غيره على مر الحقب الجيولوجية : التقنية !

[هامش اقتصادى ' هيكلى ' متأخر ، مضحك ، سافل ، بل بالأحرى مرعب !

...

الشيطان يعظ !

Look who's talking!

متأخر ، نعم . إذ طالما أثار هيكل تقزى ، أقرأه أو أشاهده بالكاد وبسبب إلحاح هذا الصديق أو ذاك ، وطالما استعلت على الكتابة عنه بأية كلمة مباشرة طيلة حياتى . لكن بما أنى كتبت فعلا اليوم ، الشهر بأسعد أيام حياتى ، فما سأقوله الآن - وكان يجب أن يقال قبل ثلاثة شهور تقريبا - قد يكون هو المثال النموذجى لمن هو هيكل ، ماذا اعتاد أن يقول أو بالأحرى يحرص أو يضل ، ما هى طبيعة أدواته ، أو ربما ما هو الكنه الحقيقى لما يسميه ' تجربة حياته ' :

مضحك ، نعم . ذلك أن يتكلم أحد منظرى القدرة الطرية عن الاقتصاد ، فهذا شىء مثير للفضول . لكن أن يكون هذا هو ريبب (أو عقل أو سمه ما تسمه) عبد الناصر الذى جوع الجميع ، فهذه نكتة !

سافل ، مرعب ، نعم . ذلك أن يتحدث أحد عن نهب الإنجليز لمصر فهذا تضليل . لكن أن يتحدث عن هذا هؤلاء بالتحديد الذين سرقوا القناة وكل أموال الأجانب والمصريين ، فهذا بمنتهى البساطة : سفالة ، بل سفالة مرعبة ! لن تصدق ما جاء فى هذه الحلقة (التاسعة) من هذه السلسلة ، وتاريخها ٢٥ أغسطس ٢٠٠٥ ، حتى تقرأ بنفسك والأفضل تسمعه بنفسك على موقع قناة الجعيرة ، لكن إليك بعض التفاصيل ' المتأخرة ، المضحكة ، السافلة ، المرعبة ' :

كم الجهل والأكاذيب وخلط الأوراق كم يفوق كل خيال . بل هو كنز تاريخى فى الواقع ! وأقول إنى لا أعرف بالدقة هل هو ريبب عبد الناصر أم لا . فارق السن ليس المعيار بالضرورة . ربما العكس هو الصحيح ، هيكل هو العقل وعبد الناصر الريبب . أنا لا أعرف بل ولا يهمنى أن أعرف . ما أناقشه هنا هو فكر مجرد لا أكثر .

الكثير من هذا الكلام مرجعه هو جهل السيد محمد حسنين هيكل بألف باء الاقتصاد (وأذكرك عزيزى القارئ ، ربما على سبيل أن شر البلية ما يضحك ، بأن ابنه حسن هو واحد من أبرز قادة القطاع المالى الخصوصى فى مصر ، وأن خال هذا الابن هو أعظمهم إطلاقا فى مصر المعاصرة ، الدكتور محمد تيمور . وأنه

-أى الابن- صرح أكثر من مرة

<http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=6&issue=9417&article=254423> بأنه ليس هو فقط ، بل كل الأسرة يتبرأون من السيد هيكل وأفكاره . لكنها فيما يبدو

عجائب عالم الجينيات التى لم تسمح رغم كل شىء بتدخل جينيات فاسدة لعقل هذا الابن النابه الرائع !) .

نعود للجهل بالألف باء ، اللغوية أحيانا ، وليست الاقتصادية بالضرورة ! مثلا الأصل فى الحلقة أنها رد على مقولة يرددتها البعض إن مصر كانت دائرة لإنجلترا بخمسمائة مليون ، وراح يثبت أن مصر لم تكن ' دائرة ' إنما كانت ' مدينة ' بخمسمائة مليون . النكتة هنا بمنتهى البساطة أن من كان يوما أشهر صحفى فى مصر وفى الدول المحيطة لا يعرف الفارق بين كلمتى دائن ومدين ، وأن ما أراد إثباته هو بالضبط نفس الرأى الذى يشن عليه حملة شعواء ، مع فارق أن هذا الرأى يعرف الفارق بين معنى كلمتى دائن ومدين ، وهيكل لا يعرف !

تخيل ! ولاحظ إننا نتحدث في اللغة هنا ، وليس بعد في الاقتصاد أو المحاسبة ، دائن تعنى دائن ومدين تعنى مددين .

الأكثر إضحكا أن من بين هجومه على ما هاجمهم كان بالطبع محاضراته التقليدية أن عليهم الرجوع للوثائق قبل أن 'يفتى' (وبعد قليل سنعرف من هو الذى يفتى بالذات إذا كان يتحدث في الاقتصاد ، القوة العاشمة ، أو المادية بالمعنى الأرسطى ، التى يزدريها . هذا يكشف لنا هول كلمة وثائق التى يضحك بها على البسطاء ، من القراء وشباب الصحفيين (وإن كان اعتقادى أن الاثنين واحد !) ، ذلك أنه ببساطة ما قيمة الوثائق إن أعطيت لشخص لا يعرف الفارق بين كلمة دائن وكلمة مدين ؟ ! وأعترف أنها مفاجأة شخصية هائلة للغاية بالنسبة لى ، لأن معناها أنه لا يقرأ جيدا إخطارات حسابه البنكى ، بل لا يقرأ فى الواقع أية كلمة منه ، طبعا باستثناء الرقم الأخير الذى يدل على كم أودعت الجعيرة فى حسابه .

هو يقدم تمهيدات كثيرة للغاية لكلامه ، كل جملة يسبقها دوما بعبارة إما ' حاجة مهمة جدا جدا ' ، وإما ' حاجة غريبة أوى أوى ' . بينما أنا شخصيا على سبيل المثال ، لم أستخدم مرة واحدة فى حياته أية عبارة من الاثنين ، بل لم أستخدم مطلقا أى وصف من أى نوع لكلامى . لأنه ببساطة حقيقية لا أعرف إن كان كلامى مهما جدا جدا أم لا ، أو غريبا أوى أوى أم لا . فهذه أمور يحكم عليها القارئ أو يشعرها هو وحده ، ولا تخمى أنا نفسى من قريب أو بعيد . وقطعا أربأ بنفسى عن استخدام أسلوب رخيص كهذا للفت الانتباه لشيء تافه أقوله ، أو فى المقابل لأنى أكذب وأريد صنع إلهاء distraction رخيص على طريقة حواة الشوارع .

أنا لا أعرف بالدقة هل هو ريبب عبد الناصر أم لا . فارق السن ليس المعيار بالضرورة . ربما العكس هو الصحيح ، هيكل هو العقل وعبد الناصر الريبب . أحتاج مهلة من الوقت حتى أكون مثل هذا الرأى أو ذاك . ربما لا داعى أصلا . أنا لا أعرف ذلك ولا يهمنى أن أعرف . ما أناقشه هنا هو فكر مجرد لا أكثر . من هنا أسمح فقط لنفسى بتمهيد واحد غير ' مهم جدا جدا ' أو ' غريب أوى أوى ' بالمرّة ، بل بالعكس بسيط جدا متواضع جدا . أقول إن ليس لدى ' وثائق ' أصور كل قصاصة فيها على أنها كشف جغرافى أهم من اكتشاف أميركا نفسها ، أو كمهمة أصعب من مهام توم كروز المستحيلية . ليس لدى من ' وثائق ' سوى نص حديثه هو نفسه ، زائد بعض المعلومات العامة البسيطة تماما عن أشياء دراجة للغاية ، كتاريخ الملكية الزراعية فى مصر أو تاريخ البنك الأهلى مثلا . حتى كتاب الباحث الأمريكى تيموثى ميتشيلل Colonising Egypt الذى يستند له هيكل كثيرا ، لن أخوض فيه . فرغم أنى لا أقر الكتاب ، الذى يعتبر رؤية نقدية خاطئة ومعرضة للاستعمار البريطانى ، تحديدا من منظور مدرسة المثقفين أو المفكرين الفرنسيين اليساريين له . إلا أنى فى المقابل أعتقد أنه -من خلال الحقائق المجردة التى لوى عنقها قليلا ربما ، لكن ليس ١٨٠ درجة كما فعل هيكل وأشياعه طيلة عقود- سوف يؤيدنى أكثر مما يؤيد هيكل وأساتذته وصبيته ، فهو رؤية ثالثة تماما لا تفهم أو تؤيد مثلى الاستعمار الأجنبى العظيم ، لكنها قطعاً لا تلتقى من قريب أو بعيد مع دعاوى الوطنجيين الحربجيين المصريين .

...

' هذا بلد استغل إلى درجة غير طبيعية ولا يزال يستغل مع الأسف ' . هذه كانت بدايته ، وكما هو استبق المقدمات بالنتائج ، فأنا مضطر للتعليق عليها -مستبقا أيضا المقدمات بالنتائج- بأن هؤلاء الناس ، لأسباب سيكولوجية محض تتعلق بالدونية والأحقاد الطبقيّة والعرقية ، يرون فى البيزنس ، أى بيزنس ، مع أى أحد ، أى

أحد ، أنه نهب ، وأنا دائما أبدا مضحك علينا ! أى بيع وشراء نهب ، التصدير نفسه نهب ، أى إعمار وبناء مشروعات وتوظيف شغيلة نهب ! طبعاً سنصل في النهاية لمعرفة من هم البنائون ومن هم قطاع الطرق والقراصنة والصوص ، لكن ما علينا ، ولنبدأ برؤية ما قال ، وما هى تلك المقدمات .

يرى بتشويق كبير أكبر عملية ' نزع ' لغطاء الذهب المصرى . وهنا اسمح لى عزيزى القارئ أن لا أتوقف من الآن فصاعداً عند كل كلمة أو مصطلح ، لأنها جميعاً إما خطأ ، أو ببساطة تدل على شىء آخر . فمثلاً كلمة غطاء الذهب هذه ، لم يستخدمها إطلاقاً ، إما لجهله التام بها ، وهو الأرجح حسبما يستشف أصغر طالب اقتصاد أو محاسبة من طريقة كلامه فى الاقتصاد والمحاسبة ، أو لعلمه بها وجهله بمعناها ، أو لأن كل ما يهيمه هو أن يصور الأمر على أنه مجرد ' كنز ' سرق وتم حمله فى ' صرر ' و ' سحارات ' .

نعم -عزيزى القارئ- معظم ما قاله من وقائع صحيح . نعم كان هناك رصيد ذهب ملك لمصر . ونعم أخذته إنجلترا ، ونعم ذهب فى ' صرر ' و ' سحارات ' لتمويل أمراء السعودية فى الثورة العربية ، أو لنقل حتى ذهب بعضه ربما لبريطانيا نفسها . لكن ما هى القصة ؟ ما هى المشكلة ؟ بادئ ذى بدء هو يتحدث عن البنك الأهلى باعتباره البنك المركزى المصرى . ذلك أن ثقافته تنحصر فى أنه رأى الجنيهات القديمة تصدر عن البنك الأهلى المصرى . ويتحدث عن أن اللورد كرومر قد أسسه ، وهذه نكتة أخرى ، فهو لا يعرف أى بيزنس يؤسسه شىء غير الحكومة ، وكلامه كثير فى حلقات كثيرة (آخرها عن اتفاقية الكويز) ، عن ' رجال الأعمال إالى عاوزهم يبقوا كويسين ' ، لكن يردف دوماً ما معناه أن ذلك بشرط أن لا يكون لهم أية رؤية أو وظيفة فى الحياة إلا دفع الضرائب للحكومة الاشتراكية ، ولحروبها القويحية العربية ضد أميركا وإسرائيل .

الشق الخبيث فى الحديث عن البنك الأهلى المصرى ' كبنك مركزى ' ، هو الإيحاء السافل بأن أمواله هى أموال الشعب ! ماذا يعرف هذا الضيرر عقلياً عن البنك الأهلى وعن تاريخه وعن أصحابه وعن مؤسسيه ؟ إنه حتى يقع فى منطقة الجهل باللغة مرة أخرى . الاسم ، مجرد الاسم ! اسمه البنك الأهلى ، وليس مثلاً البنك الحكومى ، أو الخديوى ، أو الأميرى . الاسم فى حد ذاته أكبر وأعظم راية رفعت فى التاريخ المصرى تعلن مولد اختراع شىء جديد اسمه الملكية الخصوصية فى هذا البلد ، ملكية مستقلة بعيداً عن ملك الملك وفرعنة الفرعون . أما من منظور الإنجليز واللغة الإنجليزية فهو البنك القومى Nationl ، أى الإقليمى أو المحلى ، بمعنى ليس الإمبراطورى (هذا طبعاً طبقاً لمفهومهم الساذج أن كل الشعوب هى أمم قومية مثلهم فى أوروبا ، ومن ثم تستحق دولاً مستقلة . لكننا بدلاً من أن نشكرهم على ثقتهم الغبية بنا ، أهمناهم بأنهم يطبقون شعار فرق تسد !) .

المهم ، لا بأس هنا من بعض المعلومات الإضافية : البنك الأهلى المصرى مؤسسة قطاع خصوصى . وأكرر مؤسسة قطاع خصوصى . شركة بريطانية مسجلة ببورصة لندن . أكرر ببورصة لندن . فى نفس الوقت البنك الأهلى المصرى هو درة التاج فى الاقتصاد المصرى . تأسس فى ٢٥ يونيو ١٨٩٨ ، وصدر بشأنه مرسوم خديوى من عباس حلمى الثانى ، وبه بالطبع افتتح السجل التجارى حين أسس لاحقاً . لم يكن أول بنك تعرفه مصر . سبقته بنوك فرنسية فى الأغلب ، قليلة الشأن . لكنه أول بنك إنجليزى ، وأول بنك بهذه الضخامة ، والأهم أول بنك يصدر به مرسوم خديوى يخوله صلاحية إصدار العملة ، وقد باشرها بالفعل اعتباراً من أبريل ١٨٩٩ ، ولمدة ستين عاماً . أما قصة أن يصبح هو البنك المركزى ، فهذه قصة نهب قائمة بذاتها ، ما كان يجدر به أن يذكرنا بها . ذلك أن ريجيم عبد الناصر قد سرق هذا البنك من أصحابه الأصليين ، ثم فصل الشق الخاص بإصدار

العملة وأسماها البنك المركزي المصري ، الذى لم يستول فقط على هذه المهمة ، بل على المبنى العريق نفسه ، الكائن فى تقاطع شارعى شريف باشا وقصر النيل .

أىضا لا بأس بلمحة عن هؤلاء الذين سرقوا . كبار المؤسسين كانوا اليهودى الإنجليزى ألمانى الأصل سير إرنست كاسيلل أحد أغنى أغنياء إنجلترا آنذاك ومستشار الملك إدوارد ، واليهودى الإيطالى رافائيل سوارس أحد أغنى أغنياء مصر وأىضا مستشار الخديوى فيها ، وأخيرا تايكوون القطن فى مصر اليونانى كونستانتين سالقاجو . والأخيران مستقران فى مصر منذ عقود ، وكانا يملكان بالفعل إمبراطوريات بيزنسية متنوعة هائلة . على الأقل حتى تأميمه كان البنك يقدم خدمات الصيرفة التجارية مباريا أفضل مستوياتها العالمية . طوال الوقت كان له أبرز الأدوار إطلاقا فى تمويل المشاريع الكبرى ، وتشجيع الإقدام على ما هو حديث أو يحتاج لتمويل ضخم أو مغامر . أىضا أسهم فى وقت مبكر فى تسريع خصخصة الملكية الزراعية ، بمعنى أن كان يشارك فى تمويل راغى الشراء لأراضى ملوك مصر التى كانوا يبيعونها لمن يود تملكها ، تحسينا لمستوى الإدارة ورفعاً للإنتاجية والتنافسية . وهى مهمة هائلة شق فيها الخطوات الأولى ثم كان سعيدا بأن تركها لبنوك أخرى متخصصة ، بنك الأراضى والبنوك العقارية الأخرى . على العكس من كل البنوك ، ظل على عهده الأسمى ، شركة بريطانية مركزها لندن ، ذات طابع إمبراطورى عريق التقاليد المصرفية لأبعد مدى ، ويرفض توسيع ملكيته ، أو حتى مناصبه الإدارية العليا ، بحيث يدخلها مصريون أو غيرهم ، مهما كان مستوى ثرائهم أو حتى انتمائهم للأسر المالكة . باختصار ، لقد كان شركة الهند الشرقية ، فى نسختها المصرية ، وفى نفس الوقت كان وول ستريت فى نسخته المصرية كذلك ، بل فى الواقع كان أضخم كيان تجارى إطلاقا فى كل المسافة الممتدة ما بين أوروبا والشرق الهندى .

وعلى العكس من البنوك الأخرى ، وظل على عهده الأسمى ، شركة بريطانية مركزها لندن ، ذات طابع إمبراطورى عريق التقاليد المصرفية لأبعد مدى ، ويرفض توسيع ملكيته ، أو حتى مناصبه الإدارية العليا ، بحيث يدخلها مصريون أو غيرهم ، مهما كان مستوى ثرائهم أو حتى انتمائهم للأسر المالكة . باختصار ، لقد كان شركة الهند الشرقية ، فى نسختها المصرية ، وفى نفس الوقت كان وول ستريت فى نسخته المصرية كذلك ، بل فى الواقع كان أضخم كيان تجارى إطلاقا فى كل المسافة الممتدة ما بين أوروبا والشرق الهندى .

نعود لصبر وسحارات الذهب . باختصار ، المسكين لم يفهم أبدا أن التخلص من غطاء الذهب هو تحديث وليس نهباً . إصدار ورق نقدى بأكبر من قيمة المتوافر فعليا كغطاء ذهب ، إبان الحرب العالمية الأولى ، ليس عملية نهب إنجليزى للذهب المصرى ، بل تطور طبيعى . حجم تعاملات الناس كبر جدا ، ولا بد من حجم للنقد أكبر مما يتوافر من معدن الذهب فى الكوكب ، أو مما تملكه أية دولة مفردة منه . أية دولة متقدمة فى العالم اكتشفت أن اقتصادها كبر ، بحيث لا تغطى قطع المعدن الذهبية كل التعاملات بين الناس ، كانت تصدر عملات ورقية ، لها رصيد جزئى من الذهب ربما ، لكن هذا الرصيد سرعان ما صغر حتى تناساه الجميع فى كل مكان ولم يعد ذا أية قيمة ، بل القيمة فقط فى قيمة مصدر السند الذى تعهد بقيمته . ورق النقد هو سند مالى كأى سند مالى ، لا يجب بالضرورة أن تصدره الدولة ، ومن هنا كان إصدار بنك قطاع خصوصى له . بل ربما أصلا ' لا يجب ' أن تصدره الدولة ، إنما يحق لأى أحد إصداره ، والناس هى الفيصل ، قدرة الاختيار the power of choice كما يسميها ميلتون فريدمان ، لكن هذه قصة أخرى

<http://everyscreen.com/views/economy.htm> . وهو حين يذكرنا بأن المصريين لم يكونوا يحترمون

أوراق النقد ويحترمون الذهب ، لا يقدم كما تخيل دليلا إضافيا على أن تلك كانت عملية نهب ، إنما في الواقع لم يثبت أكثر من أن هذا الشعب المصرى شعب جاهل بدائى متخلف لا يفهم شيئا !

هو هنا يلجأ لتهويل الأمر . ٣٥ مليون جنيه ذهبي . ممتاز ! الجنيه الذهبى الآن بـ ٦٢٠ جنيها ، إذن نحن بصدد عشرات البلايين . أيضا ممتاز ! لكن يظل الجنيه الذهبى هو الجنيه الذهبى ، كذا جرام من الذهب ، كون الواحد منها يساوى الآن ٦٢٠ جنيها ، فليس لأن طرأت مثلا زيادة على عدد بروتونات معدن الذهب رفعت من قيمته ، إنما لأن الجنيه المصرى الذى كان أيامها يساوى جنيها ذهبيا ، وأكثر قليلا من الجنيه الاسترلينى ، هو الذى انهار ، فلم يعد يساوى أكثر من جزء واحد من ٦٢٠ جزء من الجنيه الذهبى . من الذى أدى لانحيار الاقتصاد المصرى ، ومن ثم لانحيار قيمة الجنيه المصرى ، ولتخلف وشلل وإفقار وموات كل شىء فى هذا البلد ، واتضح أن كل ما فيه لا يساوى شيئا يوم حانت لحظة الحقيقة أيام السادات واضطرت للانفتاح على العالم ؟ أعتقد أن السيد هيكل أدرى منا جميعا بالإجابة ، هذا لو نظر فى المرأة ، أو لو ذهب لقراءة الفاتحة على قبر زعيمه .

هذا عن تحويل الذهب لورق ، وكما هو واضح لا غبار بالمرّة على الأمر حتى هذه المرحلة ، بل بالعكس هو طفرة حدائية عظمى . الآن ماذا بعد عن استيلاء الإنجليز عليه ؟ حسب هيكل نفسه هذا ' الاستيلاء ' هو أخذ هذا الذهب مقابل ورق من نوع آخر ، صكوك لأرصدة تستحق للبنك الأهلى من بنك إنجلترا . وعند هذه النقطة يتكرر ذلك الحديث عن البنك الأهلى ' كبنك مركزى ' ، بإيجاء ضمنى شرير -ربما لم يتعمده لأنه لا يدرى- أن هذه أموال الشعب أو الحكومة (وسأذكر بعد قليل أن فى الملكيات الشيطان غير متطابقين) ، بينما الحقيقة أنها أموال البنك ، أموال كاسيلل وسوارس ومودعيمهم ... إلخ ، أموال خصوصية جدا وغير حكومية بالمرّة . يعنى ببساطة خالص مالمص بالص هى عملية بيع وشراء . بريطانيا كانت تحتاج للذهب لتمول به بعض التعاملات فى المنطقة ، كالتى ذكرها ، ولا بأس أن تشتري ما أصبح لمصر من أرصده منه ، لم تعد فى حاجة إليها بعد دخولها فى عصر الحدائنة ، عصر النقود الورقية .

نعم ، إنجلترا أخذت ذلك الذهب وأعطت به صكوكا للبنك الأهلى . ما المشكلة ؟ بيع وشراء . يقول إنهم أعطوا الذهب لحكام السعودية . يا للنكتة ! إنه يكشف بنفسه لماذا اشتروه . هؤلاء السعوديون بدائيون ولا يعرفون أوراق النقد ، وكل تعاملاتهم بالمعادن ، بقطع الذهب مدققة الوزن ، ويحتاجون لتلك الجنيهاات التى تنوء بوزنها الصرر والسحارات لتمويل أى شىء .

هل مولنا نحن الثورة العربية ، أم مولها الإنجليز ؟ الإجابة واضحة ، لكنه هو لم يجب أبدا ، ونقل الحديث فجأة من الحرب العالمية الأولى للحرب العالمية الثانية . الإجابة هى ما يلي : الأمر ببساطة يعتمد على مصير ما أخذناه من ورق مقابل ذهبنا . هنا تأتى المرحلة الثالثة من فيلمه المثير جدا ' **النهب الكبير** ' : بعد أن ضحك علينا الإنجليز وحولوا الذهب لورق ، ثم بعد أن ضحكوا علينا وأخذوا الذهب نفسه مقابل نوع آخر من الورق ، الآن ما مصير هذا الورق الأخير ؟ يثير السيد هيكل جلبة حول قيمة ديون مصر لإنجلترا . يقول إن طعاما كثيرا ذهب للجيوش الإنجليزية ، والسكك الحديدية استهلكت والطرق تآكلت ... إلخ . كلام ممتاز . بعد لحظة واحدة نكتشف أن ما تدين به مصر لإنجلترا ٤٣٠ مليونا وليس ٣٥ مليونا . من أين جاء الفارق إذن ؟ بل ربما ليس

فارقا أصلا ، والأول قد سدد وهذه ديون مستجدة خلال الحرب الثانية . ثم هل ' خربت ' بريطانيا الطرق فعلا ؟ هل ' خربت ' السكك الحديدية فعلا ؟ هل نسي أنهم من بنوها أصلا ؟ وأن لن يعيد بناءها أو توسيعها أو حتى إمدادها بالقاطرات والعربات سواهم ؟ تلك التفوهات لا تعتبر في معاييرى إلا شيئا واحدا : سفالة !

يتحدث عن بطولة هائلة لموظف طالب يبحث هذه الديون و' حاربوه بحملات ' ، ومع احترامى لشخص كهذا ، لا أعرف شيئا عنه أو عن نواياه ، فقد أساء هيكل إليه . أساء له بأن أضافه لمسلسل البطولات التى اخترعتها الناصرية واخترعها اليسار ، بينما لا بطولة فى هذا مطلقا ، أو ربما قطاع طرق وضيعين صنعوا منهم أبطالا كأدهم الشرقاوى مثلا . إذن مصيرها كما هو واضح أنها ديون لمصر مستحقة على إنجلترا ، وكل ما فعله المسئولون المصريون أن تفاوضوا على تقييما وتحديدها . يقول ' أنا لا أعلم كيف قيمت الأشياء ، الله وحده يعلم ! ' . ربما الله يعلم ، ربما هؤلاء المسئولون المصريون يعلمون ، فقط المؤكد أنك أنت لا تعلم !

الآن وقد أصبحت المسألة ليست ذهبا ' نهب ' فى الحرب العالمية الأولى ، إنما ' ديون ' مستحقة للبنك الأهلى (القطاع الخصوصى غير المصرى) ، أو للسكك الحديدية أو غيرها ممن كلهم تقريبا أجنب ، لحساب بنك إنجلترا . قد نقول له هنا ' وأنت مالك ؟ ' ، أو ' يا داخل بين البصلة وقشرتها ' . ولا داعى لوقفه لتعريف الملكيات بأنها تملك وبالأحرى لو شئت الدقة الملوك هم الآلهة نفسها ، وليس كما يعرف أصل الملوك بسفالة فى حلقة أخرى أنهم شيوخ قبائل ذوى إدعاءات دينية . لكن المهم ، أيا ما يكن ، سواء كانت الدين للبنك الأهلى ، أو بعضها حتى للحكومة ، أموال شعب ، هل ' أكلتها ' إنجلترا على مصر ؟ هو نفسه لا يقول هذا ، إنما يقول إنها سويت على مراحل . ما المشكلة ؟ بريطانيا كانت خارجة من حرب . يتناسى أن تلك أحوال عالم خارج كله من حرب . مع ذلك بريطانيا لم تقل مثلا إنها كانت تدافع عن مصر بموجب الاتفاقات ، وأن على مصر كما أية دولة أخرى فى العالم صغرت أو كبرت ، تحمل نصيبها من كلفة السلام العالمى ، ومن ثم ترفض بريطانيا رد النقود . بل ما حدث ببساطة أن وافق تشرشل على محاسبة مصر على كل كلفة الحرب حتى آخر بينى ، لا لشيء إلا لأنها بريطانيا . لأنها السيد ، السيد الذى ينعم على الرعية ، لا الذى ' ينهبهم ' كما تقول الأساطير اليسارية والناصرية .

يشير جلبة أخرى عن كونها لم تكن تدفع نقدا . أيضا ما المشكلة ؟ لقد جاءت كسلع . كمصانع ، كحداثة ! هل لم تكن فى حاجة لتلك السلع ؟ هل فرضت علينا ؟ لو رفضوا إعطاءنا السلع وأعطونا نقودا ، لقال هيكل إنهم يحبون عنا التقنية ، يحاصروننا ، ويحكمون علينا بالتخلف . الحقيقة أنه ربما يكون السيد هيكل على حق ، فمن يحتاج أصلا لدفع نقود مقابل الحداثة ، إذا كان من الممكن أن تنهبها أو تسرقها ؟ المفاجأة بعد كل ذلك أن يكشف لنا هيكل أن ريجيم عبد الناصر الذى سرق أضعافا مضاعفة لها فيما بعد ، حصل هو نفسه على ١٣٥ مليوناً سترلينيا منها مباشرة ونقدا . تصور مباشرة ونقدا ؟ !

...

بعد ذلك يذلف البائس الذى لا يدري أين يناقض نفسه لموضوع آخر . ها هو منظر ' النكسة ' و' الصمود والتصدى ' و' الممانعة ' ، بكل مكره وخبثه وجبروته ، لا يلحظ هو نفسه أنه يقول الشيء وعكسه فى نفس الجملة . يقول إن كل شيء كان مملوكا للأجانب ، ويعدد بالأرقام الملكيات الأجنبية لكل شيء تقريبا ، ويقول إن هذا معناه أن مصر نخب . يقول إن حتى طلعت حرب نفسه كان مملوكا للأجانب وأزيح من بنك مصر .

بصورها صاحبنا كمؤامرة من ' البنك المركزي ' ، السلطة ، الإنجليز ، ولا يعرف أن هكذا بديهيات الاقتصاد ، وقروض البنك الأهلي قروض ناس ، وليست بحر ضرائب يغترب كما تعود هو . بنك مصر كانت طموحاته كانت أكبر من حجمه ، وكان لا بد لما حدث أن يحدث . البنك الأهلي كان أمامه إما أن يستولى عليهم ، أو يتركهم يبنهارون ، لكن أن يكون دوره تجاه بنك منافس هو إنقاذه من الإفلاس ، فهذا مما لم يحدث في كل التاريخ . لو كنت مكانهم لما فعلت غير ما فعلوا . بالمعايير التي لا ترحم لأرقام الميزانيات ، طلعت حرب -مع كل إجلال له- لم يكن اقتصاديا كفتا ، ولا حتى ربما مديرا كفتا ، ولا يمكن لهم الاحتفاظ به . هيكل يولول ، لكن لا أعتقد أن طلعت حرب نفسه ولول ! إن لغة الأرقام لا تعرف الشعارات أيها المسكين ، وأيضا لا تعرف الولولة !

ماذا يعني بالضبط يا ذاك البائس أن كل مصر كانت مملوكة للأجانب ؟ أي معنى أن مصر ' نهب ' ، أم أنها ' استعمرت ' ؟ هل كان لدى مصر بنوك وبورصة وعقارات وشركات نقل وسياحة وسفر وتصدير وتليجراف ومحطات إذاعة ومصانع أخشاب وأدوية وإسمنت وسماد ومطابع وصحف ومصائد أسماك ومحال سلع استهلاكية كبنزايون وعدس وصالون ثير ... إلخ ، كالتى ذكرها كلها وأسهب فيها بالاسم وكنت شخصيا أكاد أنساها ؟ هل كانت هذه كلها شركات زاهرة أنشأها المصريون ثم جاء هؤلاء الأجانب ووضعوا اليد عليها بقوة السلاح ؟ هل هؤلاء أناس جاءوا لينهبوا بلد متقدم غنى بالمزارع والمعادن ، تقوم بتصنيعها ويتهافت على استيرادها الجميع ، ثم جاء الأجنبي ليحتلها عنوة و' ينزحها نزحا ' ؟ أم هم جاءوا لإعمار بلد شديد التخلف ، وأطلعوه من الصفر المطلق على اختراعات اسمها الطرق ومشاريع الري والمصانع ، وجعلوا لأرضه ومنتجاتها وزراعتها ومعادنها ثمنا بعد أن كانت لا شيء ، لا شيء مطلقا . هل نقل منبر الأزهر لأحد أعظم متاحف إنجلترا سرقة لكنز لا يقدر بمال ، أم تكريما وتبجيلا وحبا للإسلام ، ولا أقول مجرد حفاظ على شيء كان سيتآكل ويندثر لو بقى عندنا ؟ هل بنى المصريون الأفاذ مصر الجديدة التى ذكرها أيضا بالاسم ، وجاء إيمان بجيوشه وسرقها منهم ؟ هل خروج القطن من مصر نهب ؟ ولا يقولون لنا هل كنا نزرع قطنا أصلا ، أم هم الذين جعلونا ' مزرعة ' ؟ ثم ما العيب فى أن يجعلونا مزرعة ، هل كنا صناعة أو ما بعد-صناعة قبل ذلك ، أم كنا صحراء ؟ وحتى لو كنا نزرع القطن فما قيمة إن يبقى فى مصر ؟ أكاد أجزم بأن كلمة تصدير مرادف عندهم لكلمة نهب .

يعود للكلام عن الملكيات ، فيذكر أن ملكية الخديوى إسماعيل للأراضى الزراعية ارتفعت من ٦ إلى ٩١٦ ألف فدان ، وإن كنت أشك فى الرقم الأول . أشك فى كل ذكر له للأرقام ، هو ليس لديه أدنى حساسية لها ، أو يزورها معتقدا أن كل الناس مثله لا تستوعبها . إسقاط . مرض نفسى يعنى . [فى مرة لاحقة (فى ١٥ مارس ٢٠٠٧) ، قال إن صادرات مصر من القطن عام ١٩٥٥ إبان صفقة السلاح السوفييتية كانت ٣٥٠ مليوناً سترلنيا ، وهذا محض عبط مضحك . كى يهون من شأن الإنفاق على السلاح ، هاجس ناصر الأوحى فى الحياة والذى جند له كل موارد مصر ، جعل صادرات القطن ٣٥٠ مليوناً ؟ إنها إذن قدرة عظمى ! إنها برقم كهذا سنويا ، يمكن أن تبني سدا عاليا شاملا محطة كهرباء إلى جواره كل ستة شهور . بضريبة ٥٪ فقط على القطن ، كان يمكنه بناء السد بأسرع مما بناه له الاتحاد السوفييتى . بأرقام كهذه تستطيع أن تبني ما تشاء من مصانع السلاح ، لا أن تستورده بالكاد . إنها تبني حتى القنبلة النووية وتستأجر كل عقول العالم مدى الحياة من

أجلها ، فتحرم كل الدنيا منها . (خللى على جنب تكاليف مسلسل الحروب الناصرية ، فهذا هو الشيء الوحيد الذى يحسب فعليا بالباليين فى تاريخ مصر البائسة !) [.

أنت ها تستعبطنا ؟ إيه الوقاحة والفجور دى ؟ المحرضون أمثالك لا يصلح فى الحقيقة إلا اقتلاعهم اقتلاعا . التزييف والتشويش هو ديدنهم ، ويعرفون أكثر من غيرهم لأى مدى هذا شعب غبي وجاهل ، أقصد لأى مدى ' الصحفيون الشبان ' أغبياء وجهلة . الصحفيون الشبان الذين أعتقد أنه لا يشاهد سواهم تلك الحفرية التاريخية التى انتهت أمرها ، يشاهدونه لا لشيء إلا طمعا فى الإثراء على طريقته . جاب منين إسماعيل الأراضى دى ؟ هل لف على فلاحى مصر المنتجين المبدعين العظام واستولى عليها فدانا فدانا منهم ؟ أم أنه أكمل وافتتح القناطر الخيرية ومشروعات أخرى بحيث أضاف هذه الأراضى لمصر من صحاريها . للأسف لعله فى حاجة أيضا لمن يذكره بأن مصر - كأى ملكية - لم تكن تعرف أصلا شيئا اسمه الملكية الخصوصية للأرض . كانت المعروف من الأرض كل الأرض ، ملكية خالصة لمحمد على وورثته . هكذا تنشأ أية مملكة فى الدنيا ، الملك للملك . فقط حين ثبت عدم كفاءة إدارته لها كلها ، واستبدلها سعيد - الذى كان النقيض المطلق من أخيه عباس - بنظام ملكية الأرض الأوروبى ، فأصدر قانون توريث الأراضى سنة ١٨٥٥ ، حيث سرعان ما أصبح كل المطلوب لملكية الأرض وحق التصرف الكامل فيها بعد ذلك ، هو حيازتها لمدة خمس سنوات ، ودفع ضريبتها خلال هذه المدة . إذن هل كان إسماعيل ينهب الأراضى أم يهب الأراضى ؟ طبعاً لم يجب أحد ، لأن أحدا لم يهتم أن يسأل .

عبد الناصر ساب ٢٠٠ فدان وأخذ الباقي . بعد ما بدد إالى أخده ولقاه موش مكفى ، أخذ ١٠٠ فدان تانيين . وبعد كده لقي كل الأرض موش مكفية ، فسرق القناة ، إالى هى أموال أرامل وأيتام اشتروا أسهمها ، إنما موش مهم . موش مكفية برضه . سرق كل أملاك الأجانب ، شركات ومصانع ومتاجر وكل حاجة ، وسماها التمصير . موش مكفية برضه . سرق كل شركات ومتاجر المصريين ، وسماها تأميم . ها أقول لك مفاجأة ربما لم تخطر ببالك أبدا : أنا شخصيا لست ضد أن تصادورا كل مليم فى البلد . أنا لست ديكتاتورية البروليتاريا . أنا لست ضد الحقد الطبقي . أنا لست ضد القومية العربية . أنا لست ضد أى شيء . افعلوا كل ما يحلو لكم ، وكما يحلو لكم . فقط بعدها اعطونا اقتصادا جيدا . أكرر إن لم تكن قد صدقت ما قلت : لا مانع عندى أن تنهبوا كل ما لدى أى أحد ، وأن توزعوه على الفقراء ، أو حتى على أنفسكم ، لن أعترض إلا فى حالة واحدة : أن تكتشفوا بعد خمس سنوات أن لم يحدث شيء ، وأن كل ما تغير هو أن هؤلاء الفقراء تزوجوا بسهولة أكبر ، وأنجبوا المزيد من الفقراء ، فتفاقم البؤس والعذاب والحرمان أضعافا . هذا فقط هو ما لا يمكن أن أقبل به !

يا سيدى ، ما أسهل إنفاق النقود (بالذات نقود الغير) ، وما أصعب توليد الثروة (بالذات لو لم يكن فى جيبناتك ما يؤهلك لهذا) . ولا غرابة عندى أن اعتبر روكيفيللر بناء الثروة هذا ، أعظم العبادات إطلاقا ! أخيرا يستنكر ضرب المثل ' الظالم ' بأن الميغى بدأوا فى نفس الوقت مع محمد على ، فكيف لم نصل لما وصلت إليه اليابان ؟ سأجيبك أنا . مصر قطعت من التقدم شوطا لا بأس به ، ولحد ما ساقا بساق مع اليابان ، ودون أن أحوض بالضرورة فى الفوارق الجينية بين الشعبين ، وأن من المستحيل فى كل الأحوال أن تتطابق التجربتان . إذ ربما المقارنة ظالمة بعض الشيء فعلا . متى جاءت الهوة ؟ سأجيبك أنا ! حين استولى الدهماء على كل شيء ، أولا بسعد زغلول ثم بجمال عبد الناصر . يقول السيد هيكلم إن اليابان لم تنهب ولذا ازدهرت ، وأقول ماذا كان سينهب أو سيزدهر فى تلك الجزر الصحيرية ، باستثناء البشر أنفسهم ، وبالأدق نخبة عقولهم

السياسية والفكرية ؟ وأقول ما كان يجب أن يذكرنا السيد هيكل بموارد تلك الجزر الصخرية ، وإلا بالقياس كان الأحرى أن تكون مصر قدرة عظمى أقوى وأغنى ألف مرة من اليابان . يقول السيد هيكل إن اليابان لم تعرف الاستعمار ولذا ازدهرت ، وأقول إنها هي التي كانت ترسل أبناءها لجلب المستعمر بكل الطرق . يقول إنها لم تكن غنيمة ولذا ازدهرت ، وأقول إنها لم تعرف الاشتراكية ولذا ازدهرت . يقول إنها حققت تراكما اقتصاديا وثقافيا ولذا ازدهرت ، وأقول إنها لم تعرف ثورات الدهماء ولا محرضيها ممن يهدمون كل شيء ولذا ازدهرت . وأخيرا أقول (أو بالأحرى أكرر <http://everyscreen.com/views/liberalism.htm#Pinochet>) ، أن ثورة الميحي تلك كانت حكما عسكريا يمينيا ، وأزيد (أو بالأحرى أكرر <http://everyscreen.com/views/globalization.htm#Koizumi>) ، أن تقريبا اليابان في كل لحظة من تاريخها حتى اللحظة لا تزال على العهد . وأقول إن الاحتلال الحقيقي لمصر ، لم يحدث ، ناهيك أن يصل لمستوى النزع والنهب البشعين ، إلا مرتين ، في حالتين : الأولى احتلال البدو العرب الذين نذر هيكل حياته للتنظير لانتمائنا لهم ولقوميتهم المزعومة ، والحالة الثانية هي احتلال المصريين لمصر ، الطغمة الناصرية ، واغتصاب ثرواتها التي بناها الأجانب ، والأجانب وحدهم ! حالتان هما المثاليتان للغاية لسيناريو قطاع الطريق ضد البنائين !

أنا لدى اقتراح بسيط ، أنت تقول الإنجليز نهبوا مصر ع الجاهز ، والمصريون هم الشعب المنتج المبدع . لماذا إذن لا يتبادلان المواقع ؟ يأتي الإنجليز للسكنى هنا ونذهب نحن مكائهم . عدد سكان مصر يساوى تقريبا عدد الشعب البريطاني أو الألماني أو الياباني . ماذا لو نقلنا أحد هذه الشعوب لأرض مصر ، وأرسلنا المصريين بدلا منهم إلى البلد المناظرة ؟ أكاد أجزم أن أولئك بعد عشر سنوات سينتجون في أرضنا مرة ونصف أو مرتين ما ينتجونه في بلادهم الحالية ، الجرداء والصغيرة لدى المقارنة ، وطبعا خمسون أو مائة ضعف ما تنتجه مصر الحالية ، أرض الخير كما نسميها جميعا . أما المصريون في مثل هذا السيناريو فطبعا سيموتون جوعا وبردا . ربما بعد ألفى سنة تنقلب المعادلة ، ويصبح الإنجليز سكان مناطق حارة متخلفين ، ونحن أنشط وأكفأ وأذكى الأعراق ، لكن بدون سيناريوهات تخيلية لا شك مطلقا في أن مشكلة مصر الوحيدة هي المصريون . منذ الأسكندر الأكبر وحتى اليوم ، من بناها دائما أبدا غير مصريين ، ومن يجرها المصريون ولا أحد سواهم . مجرد اقتراح أهمس به للسيد هيكل حتى لا ينفخ في المرة القادمة شذقيه كثيرا وهو يتحدث عن هذا الشعب الخلاق المنتج المبدع ، و : المنهوب ! بالأكثر ، هذا شعب مسكين طيب مغلوب لأنه ترك أمثالك يضللونه ويقودونه للهاوية ، وربما لو وجد قيادة تصارحه بالحقائق الجينية البسيطة لربما كد -بعضه على الأقل- واجتهد وحظى بحياة أفضل .

عزيزى القارئ ، البعض يقول على هيكل إنه يجرى 'مراجعة' ، ويهتمون به . ليست إشارة احترام هنا أو هناك لإسماعيل صدقى تعنى مراجعة . ليس تحاشى تسمية جريمة يوليو بالثورة مراجعة . هو لم يتغير . هل نسينا أنه صاحب مصطلحى النكسة والثغرة ؟ إنه دائما أبدا بارع فى المراوغة اللفظية والأكاذيب . هو يحول الاهتمام دوما عن تهافت محتواه بعبارة من نوع 'حاجة مهمة جدا جدا' و 'حاجة غريبة أوى أوى' . لا يوجد كاتب واحد فى العالم لديه الحد الأدنى من احترام الذات يستخدم مثل هذه العبارات إطلاقا . شخصا منذ آخر مرة حضرت فيها المهرجانات الخطابية الطلابية أيام الجامعة لم أسمع أحدا يجهد لكلامه بأنه مهم جدا سواه . تهافت محتواه ! بالضبط ! المحتوى ! هذه إجابتي ! كما أقول دائما المهم المحتوى . هو لا يخفى أنه ضد كل ما يمثله

إسماعيل صدقي ، ويغلف هذا بكلمات الرقة والود والصدقا . هو لا يجرى مراجعة من أى نوع . كل ما هناك أن أيام صوت العرب قد ولت ولا يستطيع الكتابة كالسابق : ' بصراحة ' .

من حيث المحتوى هو يشوه كل أحد ، الملكية ، الأحزاب ، الإنجليز ، الأميركيين ، حتى الحضارة الفرعونية يقول عنها مفلسة وحضارة موت . أما من حيث الظاهر -والظاهر فقط- الكل طيبون بائسون و' حالات إنسانية ' يخللها على أريكته . أتعتبرون هذا مراجعة ؟ حالات إنسانية يمن عليها هذا الإله بالشفقة ؟ إنها نفس اللعبة ، ولا أقول ذكية ، إنما مكشوفة مفضوحة . هو لا يشفق عليهم لطيبة قلبه ، إنما لأنه على نحو غير مباشر يفتح الطريق لشيء آخر . شيء يلعب بالغرائر أيضا . هؤلاء أغنياء ولدوا بمعالق ذهبية ولديهم كل السلطة والجبروت (اكرهوهم !) . لكنهم عقيمون بؤساء (توقفوا عن كرههم فنحن الأعلون وخير أمة أخرجت للناس ، ثم أننا قتلناهم بالفعل على أية حال ، زائد أن ربما لدى حل بديل) . الحل هو ذلك الضابط الشاب الفقير الجاد المجتهد (أحبه إذن وشجعوه وتعاطفوا معه كما تفعلون مع شجيع السيماء المكافح) . باختصار اكرهوا كل من حكموكم وكل من احتلوكم وأحبوا فقط روبيان هوود الطيب الجديد : عبد الناصر . بنفس الطريقة اكرهوا أميركا وإمبرياليتها ، وانسوا مصر وفراعنتها ، فالحل لكل المشاكل موجود ، وأقرب للسحر في مفعوله : العروبة .

ربما أوافق على كثير مما يقوله عن تدهور الملكيات العربية ، وعن قلة حيلة إنجلترا ، لكن قطعاً البديل ليس عبد الناصر .

نعم أوافق أن الحضارة المصرية حضارة موت عقيمة ، لكن قطعاً البديل ليس العروبة .

نعم أوافق أن القومية العربية فكرة عبقرية أبدع في اختراعها الكولونيل لورانس ، وأدت دوراً تقديمياً رائعاً في التاريخ بأن أسقطت الخلافة الإسلامية للأبد ، لكن المشكلة أن أناساً مثلك -أقصد قطاع طرق مثلك- أخذوها على محمل الجد بعد ذلك ، وصدقوها بينما هي أكذوبة مختلقة بالكامل !

...

خلاصة ما أرت قوله ، أو بالأحرى ما لم أقله ، وكان يعنيني عن قول كل هذا ، هو كلمة واحدة : الشيطان يعظ !

هو يتحدث عن كل الزعماء غرباً وشرقاً كبؤساء وك' ظروف ' أو ' حالات ' ' إنسانية ' تستحق الشفقة ، وأنه وناصره فوقهم جميعاً ، وإجابتي له وناصره هي فقط Look who's talking! . [للدقة الزعماء عنده نوعان ، وليس كلهم حالات إنسانية تستحق الشفقة . مثلاً تحدث لاحقاً في ٢٢ فبراير ٢٠٠٧ عن شواين لاى كصاحب نهضة الصين ' الحالية ' . كلام مضحك لا يستحق الرد !] .

يعظ في ضعف الأسر المالكة العربية وأنها ' لم تكن مستعدة ' لمواجهة التحديات التاريخية ، وإجابتي له وناصره هي فقط Look who's talking! .

يعظ في عدم وضوح الهدف عند ' الناس ' (وهى اللفظة التى يقصد بها السادات ومبارك) ، وفي عدم قراءتهم لخريطة العالم وخريطة المنطقة ولموازين القوى ، وإجابتي له وناصره هي فقط Look who's talking! .

يعظ في المؤتمرات الدولية والاستعمار والإمبراطوريات ، ويخترع بين السطور وفوقها مليون نظرية مؤامرة في كل تصرف صغير بسيط وعادى تماما عند العالم المتقدم ، وإجابتي له ولناصره ولما فعلاه على امتداد كل الخريطة العربية والأفريقية من انقلابات وتمويلات ودسائس ، هي فقط **Look who's talking!** .

يعظ في الذكاء والاستراتيجية والتخطيط وتحقيق النصر ، وإجابتي له ، منظر ' لا صلح ، لا اعتراف ، لا تفاوض ' ، ولناصره ولهزائمهم ، عفوا أقصد ' نكساتهم ' هي فقط **Look who's talking!** . يعظ (أحيانا قليلة للحق !) في التنمية والبناء والموارد وطبعا ثروات الشعوب العربية والمصرية ، وإجابتي له ولناصره ولفقرهم وإفقارهم للجميع هي فقط **Look who's talking!** .

يعظ (كثيرا جدا ، على العكس من هذه !) في النهب والسرقة ، وإجابتي له ولناصره سارقي القناة وكل بناء تم على أرض مصر لأكثر من قرن سابق عليهما ، أن الأسكندر بنى داخل مصر ، الرومان بنوا داخل مصر ، أسرة محمد على بنت داخل مصر ، الإنجليز بنوا داخل مصر ، اليهود بنوا داخل مصر ، لم ينزح لخارج مصر سوى بدو الجزيرة ، فيما عرف في حينه ببرنامج القمح مقابل الكلام ، ولم يسرق سوى أنتم ، المصريون ، وإجابتي لكم ولعروبتكم ولاشترakitكم وحتى لمصريتكم هي فقط **Look who's talking!** .

يعظ في الفساد وفي تكوين الثروات وفي مص دماء الشعوب ، وفي عدم إنقاذ البنك الأهلي لبنك مصر ، وإجابتي لمن كون أول فكرة تخطر ببالهم هي التأميم والمصادرة ، هي فقط **Look who's talking!** . يعظ في موضوعية الصحافة ومهنتها وفي الخبر لا الرأي ، وفي ' التحريض ' الذى يقوم به بعض كتاب الحكومة أو برلمانيتها ، وإجابتي لأصحاب أشهر إعلام تحريضي في تاريخ المنطقة ، الأبخع منذ رويسبير ولينين ، من فاقوا جاندى نفسه في فظاعته وسوداوية طموحاته ، ولصوت العرب ولجريدة الأهرام (المنهوبة هي نفسها بالمناسبة من أصحابها) ، إجابتي هي فقط و' بصراحة ' **Look who's talking!** .

[لاحقا أفاض على سبيل التشهير غير المباشر في الحديث عن ثروات أسرة آل أبى الفتح الصحفية ، وأيضا إجابتنا هي فقط **Look who's talking!**] .

يعظ في ' غلبة العاطفة على العقل ' في بعض الحسابات العربية الحالية ، وإجابتي له ، ولناصر الانتصارات ، هي فقط **Look who's talking!** .

يعظ في ارتباك الجهاز الحكومى والسلطة والوزراء وكل شىء في مصر السادات ومبارك ، وإجابتي له ولناصره ولعسكرهم الهواة بالكامل بسيطة جدا ، هي فقط **Look who's talking!** .

يعظ في القهر وفي التوترات وفي ' القلق ' وفي كل شىء في مصر السادات ومبارك ، وإجابتي له ولناصره ولأرخبيتها الديمقراطية ، هي فقط **Look who's talking!** .

أخيرا هو يعظ في الاقتصاد ، وإجابتي لمنظر ' لا صوت يعلو على صوت المعركة ' ، ممن لم يكونوا يجدون الصابون لغسل وجوههم صباحا ، ويخوضون في مياه المجارى كل يوم للذهاب لأشغالهم ، هي فقط **Look who's talking!** .

أوه نسيت شيئا : لم يحدث أن قرأت أو سمعت أحدا يعظ أو يعاير أحدا بتفكك أسرته . صاحبنا هذا يعظ في تفسخ الأسر المالكة وفي توتراتها الداخلية ، بل ويعايرهم به ، وعلى فقط أن أذكره بموقف أسرته هو نفسه العلنى منه ومن أفكاره ، وأقول مرة أخرى : **Look who's talking!** .

في كل ما سيقوله هيكل حتى آخر يوم في حياته أو حياتي ، لدى رد جاهز ، ربما يعفيني من الخوض كثيرا في سيرته العطرة ، ردى دائما أبدا سيكون : **Look who's talking!** .

...

' هذا بلد استغل إلى درجة غير طبيعية ولا يزال يستغل مع الأسف ' ، هكذا كان قد بدأ حلقة التليفزيونية الكارثية كغيرها أو أكثر قليلا . وردى أن هؤلاء الناس ، لأسباب سيكولوجية محض تتعلق بالدونية والأحقاد الطبقية والعرقية ، يرون في البيزنس ، أى بيزنس ، مع أى أحد ، أى أحد ، أنه نهب ! أى بيع وشراء نهب ! أى خد وهات هى نهب ! أى إعمار أو بناء أو مشروعات أو توظيف شغيلة ، هى نهب ! أية منفعة متبادلة هى نهب ! حتى التصدير نهب ! استصلاح مليون فدان نفسه نهب ! باختصار أى تعامل خارج نطاق القبيلة هو نهب ! دائما أبدا نحن منهوبون ومضحوك علينا ! والسبب واضح ولا غرابة فيه ، إسقاط نفسى بسيط لحد السفالة : أن عقولنا نفسها لا تعرف أن بالحياة منهاجا آخر غير محاولة نهب الآخرين أو الضحك عليهم ! عزيزى القارئ ، نعم عندك حق ! إن الرجل يسأل سؤالا جدير بالفعل بالإجابة : من هم البنائون ومن هم قطاع الطرق والقراصنة واللصوص ؟ لكن لدى مشكلة ، رغم كونى اليوم فى ' أسعد أيام حياتى ' . اعتبرها شخصية لو شئت . ما لا تعرفه يا عزيزى أنه لم يحدث قط أن سرت فى مظاهرة أو احتججت على شىء . فقط إما أن أفعل وإما أن أصمت . هكذا الفرق . البنائون ليسوا رد فعل لأحد . فقط إما أن أكون بناءا أو لا أكون شيئا !

في كل ما سيقوله هيكل حتى آخر يوم في حياته ، لدى رد جاهز ، ربما يعفيني من الخوض من جديد في سيرته العطرة ، الذى اعتقد أن سيكفيني منه للأبد تجربتى اليوم ، ' أسعد أيام حياتى ' ، ردى دائما أبدا سيكون : **Look who's talking!** .

عزيزى القارئ ، لا أعدك أنى سأزيد اهتمامى بهيكل بسبب ما حدث اليوم . أو تعرف لماذا ؟ ليس فقط لأن ردى جاهز سلفا ، إنما لأن كل تلك الدروس الأسبوعية له على قناة الجعيرة ، سواء كان عناونها نظريات الأمن القومى أو كيف يمكن أن تدير إيران أو حماس الصراع على نحو أفضل مع أميركا وإسرائيل ، كلها تدور حول موضوع واحد فقط لا يتغير أبدا . موضوع يريد تلقينه للجيل الجديد بكل وسيلة ممكنة . موضوع سقمته أنا شخصيا حتى درجة القبيء . موضوع عنوانه : كيف تسرق قناة وتفلت بفعلتك ١١ سنة كاملة !] .

الجرذ الأثغ اخترع مصطلحا جديدا اليوم تحديدا ، ◀ ١٥ أغسطس ٢٠٠٦ : قد
مصطلح الممانعة . يقصد نفسه ، فهو على سبيل الأمانة تقول إن الفارق بين الجرذ الأثغ
أو التواضع لا يدعى المقاومة كالضفدع ويكتفى والصفدع الأحنف [تعبيران دارجان في
بالممانعة . على أية حال ده ما يفرقش كثير عن كلامنا
القديم عن المعسكرين : معسكر المقاومة هنا والآن
والموت فى الحال ومعسكر التمسكن حتى التمكن يوم
القيامة الضهر ! وهذه قصة طويلة طالما خضنا فيها حين
تحدثنا عن نظرية حسنين هيكل المنقولة عن شارل
ديجول والمتمسحة خطأ فى كارل فون كلاوسفيتز الذى
يحب الأثغ ترديد اسمه رغم كثرة ما فيه من حرفى السين القتال مستعر ، ذلك أنه يرسل نعقاته
والزبن . كلاوثفيتث إالى أنا موش فاهم لغاية النهارده على هيئة أشرطة بيتاكام مسجلة لقنوات
إجابة ثؤال إيه الثر فى إثاى الأثد ريث النشام الثورى التليفزيون . أما الجرذ فهو لا يجرؤ أصلا
مبثوط من نثرياته فى الثياثة والثراتيحية ، النثرية -آسف :
النظرية- التى أسميناها كيد النسا ، وطبعا أحد أدواتها
الأساس هو التمتع ، أو على رأى النشامى الصغير بشار :
الممانعة !

الأوداج يتهم لبنان وكل العرب بالعمالة

والخيانة . يسب أوروبا وأميركا ومجلس الأمن ، باختصار يسب كل أحد (ويقال إنه بعد أن عادى العرب أنفسهم ، ولم
يعد يصادق سوى إيران ، اخترع مسميا جديدا لذلك اسمه التوجه الآسيوى . ألا يذكرك هذا بالاكشاف العظيم يوما
للعقيد معمر ' أبو قصرية ' القذافى ، المسمى بالتوجه الإفريقى ؟) .

أيضا الجرذ الأثغ اخترع مصطلحا جديدا اليوم تحديدا ، مصطلح الممانعة . يقصد نفسه ، فهو على سبيل الأمانة أو
التواضع لا يدعى المقاومة كالضفدع ويكتفى بالممانعة . على أية حال ده ما يفرقش كثير عن كلامنا القديم عن
المعسكرين : معسكر المقاومة هنا والآن والموت فى الحال ومعسكر التمسكن حتى التمكن يوم القيامة
الضهر ! وهذه قصة طويلة طالما خضنا فيها حين تحدثنا عن نظرية حسنين هيكل المنقولة عن شارل ديجول والمتمسحة
خطأ فى كارل فون كلاوسفيتز الذى يحب الأثغ ترديد اسمه رغم كثرة ما فيه من حرفى السين والزبن . كلاوثفيتث إالى
أنا موش فاهم لغاية النهارده إجابة ثؤال إيه الثر فى إثاى الأثد ريث النشام الثورى مبثوط من نثرياته فى الثياثة
والثراتيحية ، النثرية -آسف : النظرية- التى أسميناها كيد النسا ، وطبعا أحد أدواتها الأساس هو التمتع ، أو على رأى
النشامى الصغير بشار : الممانعة !

الأستاذ هيكل أدلى بدلوه ولم يخذلنى . قدم حديثا مطولا للجعيرة ، بالمناسبة قال فيه اسم كلاوسفيتز حوالى ١٠ مرات ، وإن كنت لا أعرف شخصا منذ متى أصبح 'على الحرب' هو دستور القومجيين العربية حيث لا يتحدث أحدهم مرة دون ذكر اسم كلاوسفيتز ، وشخصيا كنت حتى وقت قريب أتخيل ذلك الدستور هو كتاب ما لميشيل عفلق أو خطبة لعبد الناصر ، أو لو بعدنا شوية حاجة لشارل 'إلى اخترع كيد النسا' دي جول . أما من حيث المحتوى ، فلا شىء جديد عند السيد هيكل . كل الهراء المعتاد : حزب الله ما حسبهاش صح وكان لازم يتصل بيه هو الأول ، لبنان دمر وهزم ، حزب الله على الأقل لم ينتصر ، الغليان داخل إسرائيل ليس مؤشر انكسار إنما مقدمة لانتقام عسكري هائل ، إحنا ما شنفاش لسه قوة الدمار الإسرائيلية الحقيقية ، ناهيك عن قوة النيران الأميركية ، إيران هتندك لو حاربت ، كل الصواريخ كلام فاضى سواء حاولت ضرب تل أبيب أو حاملات الطائرات الأميركية ، ليس المهم أن تقصف تل أبيب المهم أن تحتلها ، كعرب موش لازم نحارب ، ولا حتى نقطع البترول . لغاية كده موش هراء أوى وجايز نوافق عليه . الهراء المعتاد إلى بجد هو إلى جاى : الصح فقط أننا نبتز لغاية النقطة إلى هنضرب فيها ، ونقف ! (حافة الهاوية بتاع فييتنام يعنى) .

باختصار كل الحكاية هي نفس الحكاية المعتادة من ستين سنة : حاورينى يا كيك ، قصدى يا أمريكا . وطبعا المشكلة الجوهرية أنه لا يمكن أن يفهم أبدا حكاية البنية التحتية ، التقنية والاقتصاد ، وأنها القوة الحقيقية ، وليست السياسة بتاع كلاوسفيتز ، وليست الكلام حرفة المتنبى ، أو القوى الناعمة ، أو إرادة الإنسان زى ما بيحب يسميها .

فهمنا أنه موش عاوز يحارب ، وده -قصدى أننا فهمنا حاجة- إنجاز كويس جدا . لكن ما فهمناش هو ليه إحنا بنعادي أميركا وإسرائيل أصلا ؟ وليه نبتز وليه 'نمانع' وليه نعوج رقبتنا ؟ إيه هو الهدف ؟ ليه لأ التبعية الصريحة البسيطة ؟ ده اقتصاد واحد عالمى ، ومصر إلى عاوزها 'تقطع العلاقات' و'تفتح باب التطوع' ، مجرد مشاركة فيه . وموش شايفة حاجة وحشة من حد ، بالذات من الكبار ، أميركا وإسرائيل . وشايفة أنها ممكن تمشى فى السكة دى ألف سنة قدام من غير مشاكل غير تحديات الاقتصاد والعلم والمنافسة العادية . ويتحرق أبو فلسطين على أبو سوريا على أبو لبنان ، إن كانوا موش عاوزين يمشوا زى بقية خلق الله .

[على فكرة ، بعد يومين (تحديدا فى يومى ١٧ و١٨) ، الأستاذ هيكل أدلى بدلوه ولم يخذلنى . قدم حديثا

مطولا للجعيرة ، بالمناسبة قال فيه اسم كلاوسفيتز حوالى ١٠ مرات ، وإن كنت لا أعرف شخصا منذ متى أصبح 'على الحرب' هو دستور القومجيين العربية حيث لا يتحدث أحدهم مرة دون ذكر اسم كلاوسفيتز ، وشخصيا كنت حتى وقت قريب أتخيل ذلك الدستور هو كتاب ما لميشيل عفلق أو خطبة لعبد الناصر ، أو لو بعدنا شوية حاجة لشارل 'إلى اخترع كيد النسا' دي جول . أما من حيث المحتوى ، فلا شىء جديد عند السيد

هيكل . كل الهراء المعتاد : حزب الله ما حسبهاش صح وكان لازم يتصل بيه هو الأول ، لبنان دمر وهزم ، حزب الله على الأقل لم ينتصر ، الغليان داخل إسرائيل ليس مؤثر انكسار إنما مقدمة لانتقام عسكري هائل ، إحنا ما شفنناش لسه قوة الدمار الإسرائيلية الحقيقية ، ناهيك عن قوة النيران الأميركية ، إيران هتندك لو حاربت ، كل الصواريخ كلام فاضى سواء حاولت ضرب تل أبيب أو حاملات الطائرات الأميركية ، ليس المهم أن تقصف تل أبيب المهم أن تحتلها ، كعرب موش لازم نحارب ، ولا حتى نقطع البترول . لغاية كده موش هراء أوى وجايز نوافق عليه . الهراء المعتاد إلیى بجد هو إلیى جاى : الصح فقط أننا نبتز لغاية النقطة إلیى هنتضرب فيها ، ونقف ! (حافة الهاوية بتاع فييتنام يعنى) .

باختصار كل الحكاية هي نفس الحكاية المعتادة من ستين سنة : حاوريني يا كيكا ، قصدى يا أمريكا . وطبعا المشكلة الجوهرية أنه لا يمكن أن يفهم أبدا حكاية البنية التحتية ، التقنية والاقتصاد ، وأنها القوة الحقيقية ، وليست السياسة بتاع كلاوسفيتز ، وليست الكلام حرفة المتنبى ، أو القوى الناعمة ، أو إرادة الإنسان زى ما بيحب يسميها .

أستاذ هيكل ، العالم على أيامك كان بيتقسم شيوعية فهمننا أنه موش عاوز يحارب ، ورأسمالية ، النهارده بيتقسم رأسمالية ورأسمالية . يا ريت **وده -قصدى** أننا فهمننا حاجة- إنجاز تفهمها بقى ، تنسى قليلا النظرية العربية المتمحورة حول كويس جدا . لكن ما فهمنناش هو الذات التي تقسم العالم لنحن والآخريين ، وتبني شيئا من ليه إحنا بنعادي أميركا وإسرائيل الجلوبية فى نظرتك ، وببساطة تقسم الأعداء والأصدقاء بناء أصلا ؟ وليه نبتز وليه 'نمانع' وليه على موقفهم من الاقتصاد العالمي : أنت جواه ولا براه ، نعوج رقبتنا ؟ إيه هو الهدف ؟ ليه لأ أنت حدائى ولا حفرة منقرضة ، أنت بتبنى ولا قاطع طريق التبعية الصريحة البسيطة ؟ ده اقتصاد (حفرة دى كانت ولا مؤاخذة تسميتي القديمة للأستاذ واحد عالمى ، ومصر إلیى عاوزها هيكل قبل ما ابتديت أتور من كام شهر وأفهم شوية هو عاوز 'تقطع العلاقات' و'تفتح باب إيه ، وأسميه كيدهن عظيم !) . ساعتها يا أستاذ هيكل التطوع' ، مجرد مشاركة فيه . وموش هيتنور مخك فجأة أن إسرائيل صديقة وحماس عدو ، أميركا شايقة حاجة وحشة من حد ، قائدنا العظيم الذى نفخر به ويفخر به كل عصر ما بالذات من الكبار ، أميركا بعد-الصناعة بحضاربيه ومتحضريه معا ، وبشار ونجاد مجرد عيال يلعبوا فى شخاخم على رأى رسوم مصطفى حسين وإسرائيل . وشايقة أنها ممكن تمشى فى القذافي ، مصر والسعودية والأردن 'متجمدة' وواقفة فى السكة دى ألف سنة قدام من تتفرج صحيح ، لكن المفروض عليها تغزو سوريا موش أى غير مشاكل غير تحديات الاقتصاد والعلم والمنافسة العادية . ويتحرق أبو حاجة تانية !

فلسطين على أبو سوريا على أبو

لبنان ، إن كانوا موش عاوزين يمشوا زى بقية خلق الله .

أستاذ هيكل ، العالم على أيامك كان بيتقسم شيوعية ورأسمالية ، النهارده بيتقسم رأسمالية ورأسمالية . يا ريت تفهمها بقى ، تنسى قليلا النظرية العربية المتمحورة حول الذات التي تقسم العالم لنحن والآخريين ، وتبني شيئا من الجلوبية فى نظرتك ، وببساطة تقسم الأعداء والأصدقاء بناء على موقفهم من الاقتصاد العالمي : أنت جواه

ولا براه ، أنت حدثائى ولا حفريه منقرضة ، أنت بتبنى ولا قاطع طريق (حفريه دى كانت ولا مؤاخذه تسميتى القديمة للأستاذ هيكل قبل ما ابتديت أتتور من كام شهر وأفهم شوية هو عاوز إيه ، وأسميه كيدهن عظيم !) . ساعتها يا أستاذ هيكل هيتتور مخك فجأة أن إسرائيل صديقه وحماس عدو ، أميركا قائدنا العظيم الذى نفخر به ويفخر به كل عصر ما بعد-الصناعة بحضاريه ومتحضريه معا ، وبشار ونجاد مجرد عيال بيلعبوا فى شخاخمهم على رأى رسوم مصطفى حسين فى القذافي ، مصر والسعودية والأردن 'متجمدة' وواقفة تتفرج صحيح ، لكن المفروض عليها تغزو سوريا موش أى حاجة ثانية !

أستاذ هيكل ، أستاذ هيكل ، أنت بتقول التاريخ يقول إن إسرائيل كيان أنت بتقول التاريخ مزروع وهيزول ، والعرب هم المحيط وهيبقى . أنا بأقول يقول إن إسرائيل كيان التاريخ الطبيعى يقول إن إسرائيل كيان يؤمن بالتقنية مزروع وهيزول ، وبالفلسفة المادية وهيعيش ويتوسع ، والعرب محيط تؤمن والعرب هم المحيط جبيناته بالتخلف والعناد ، قصدى بالعزة والكرامة ، أو بإرادة وهيبقى . أنا بأقول الإنسان بالمصطلح إالى بتحبه ، وهينكمش وينقرض . الأيام التاريخ الطبيعى يقول بيننا ، وأولادنا بيننا ، ويا ريت أطلع أنا إالى غلط !

إن إسرائيل كيان يؤمن بالتقنية وبالفلسفة المادية وهيعيش ويتوسع ، والعرب محيط تؤمن جبيناته <http://everySCREEN.com/views/culture.htm#ArabsAsIndoAborigines> أين أصلا التاريخ الذى تتحدث عنه والإنجليز كانوا كيانا مزروعا وسط الهنود الحمر ، ومع ذلك أبادوهم وأسسوا فى شمال أميركا أعظم حضارة فى التاريخ . ثم أليس الأبوريجين قصة ثانية ؟ ثم أليس الكلام عن إرادة الإنسان هو ما يسمى فى الفلسفة بالمثالية وقد عفا عليه الزمن ، ولا نقول إنه مرفوض منذ أرسطو ؟ لا أحد ضد إرادة الإنسان كفعل له حدوده أو ثانوى فى التاريخ ، لكننا ضد إرادة الإنسان إن أصبحت عنادا ضد أمننا الطبيعة وقوانينها وضد التطور وقوانينه . أليس ما فعله الهنود الحمر وأشباههم ، هو بالضبط نوع الإرادة الإنسانية الذى تطبل له لدى العرب ؟ ثم أخيرا هل أنت متأكد أنك وأقرانك فاهمين كلاوسثيتز صح ، أو بإرادة الإنسان بالمصطلح الإجمالية كان يقصد أن الحرب والسياسة معا ليستا إلا إالى بتحبه ، والاقتصاد بوسائل أخرى ، أو ربما بالأحرى : الحرب وهينكمش وينقرض . والسياسة والاقتصاد كلها معا ليست إلا التقنية بوسائل الأيام بيننا ، وأولادنا أخرى ؟

بيننا ، ويا ريت أطلع أنا إالى غلط !

أين أصلا التاريخ الذى تتحدث عنه والإنجليز كانوا كيانا مزروعا وسط الهنود الحمر ، ومع ذلك أبادوهم وأسسوا فى شمال أميركا أعظم حضارة فى التاريخ . ثم أليس الأبوريجين قصة ثانية ؟ ثم أليس الكلام عن إرادة الإنسان هو ما يسمى فى الفلسفة بالمثالية وقد عفا عليه الزمن ، ولا نقول إنه مرفوض منذ أرسطو ؟ لا أحد ضد

إرادة الإنسان كفعل له حدوده أو ثانوى فى التاريخ ، لكننا ضد إرادة الإنسان إن أصبحت عنادا ضد أمننا الطبيعية وقوانينها وضد التطور وقوانينه . أليس ما فعله الهنود الحمر وأشباههم ، هو بالضبط نوع الإرادة الإنسانية الذى تطبل له لدى العرب ؟ ثم أخيرا هل أنت متأكد أنك وأقرانك فاهمين كلاوسقثيتز صح ، موش زى ما قلنا قبل كده إن صاحب مفهوم الحرب الإجمالية كان يقصد أن الحرب والسياسة معا ليستا إلا الاقتصاد بوسائل أخرى ، أو ربما بالأحرى : الحرب والسياسة والاقتصاد كلها معا ليست إلا التقنية بوسائل أخرى ؟

بس لغاية حاجة من دى ما تحصل ، يا ريت كمان علشان خاطرى ، تسمح شوية الفرحة الزيادة إالى على وشك ، وإلى موش ماشية خالص مع الكلام ، وإلى جازيز إحنا عارفين سببها ، إلى هو كرم الجعيرة الكبير إلى باين عليه المرة دى أتحن من المعتاد !

أو جازيز تحت الأمور أمور ، وغسان بن جدو وعده بالهيرة الكبيرة ، فلوس إيران ، إلى بيوزعوها بالرزم ع الأرصفة اليومين دول . أقصد وعده يكلم له محسن بيه علشان وظيفة المستشار السياسى لحسن نصر الله ، إلى طول الحوار هيكل بيقدم مسوغات تعيينه لها ، أحيانا بطريقة ذليلة . أو ذليلة ليه ؟ الراجل طول عمره هى دى وظيفته : مستشار الزعيم الملهم للأمة إلى بيودى كل الأمة فى داهية !

...

أخيرا ، ملحوظة أخوية وودية جدا للأستاذ هيكل : حتى لا تفقد سمعتك فى عيون مريديك ، وأنا أعرف ١٠٠ واحد منهم على الأقل ، بلاش تتكلم من الأصل فى الإسلام . أنت علمانى ولا تخفى هذا وده الشق المحترم (الوحيد ؟) فىك ، لكن أشك أنك تعرف حاجة عن الإسلام حتى لو قلت إنك قابلت حسن البنا نفسه . يا ريت تفكر تانى فى الإسلام من خلال الشاب إلى حكييت مرة عنه فى المعتقل إلى ما يبطلش صلاة وبيقول ربنا قال ما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ، وساعتها جازيز تفهم حسن البنا نفسه أحسن . الفكرة إلى أنا عاوز أقولها ، أنك لما تقول النهارده فى حديثك إن إيران تناور ولن تحارب ، هيطلع بعد شوية أنك بتعك ، والموضوع موش محتاج لأولادنا علشان بيان ، إنما كلها مسألة شهور . يا سيدى ، الملالى زى الضفدع زى حماس زى البنا زى الشاب ده زى أصحابي القدام بتوع أسيوط

وبقية كلامى المستهلك ده <http://everyscreen.com/views/september.htm#CausesOfTerrorism> ، لا يحسبون شىء ، بل لا يسمحون لأنفسهم بفكرة الحساب أصلا . هم ببساطة يتلقون ليلا رسائل من السماء ، ورسائل السماء - كما لعلك تعلم- لا تحتل التفاوض أو الحلول الوسط . هذه الرسائل تحدثهم عن تشخيص رائع جدا لكل شىء وبسيط جدا لحد الجمال : الهوان سببه الفريضة الغائبة ، والحل هو العودة لجهاد السلف الصالح .

كلامى المستهلك ده http://everyscreen.com/views/politics_part_2.htm#IslamicButchersPartIII أن واجبنا عليهم أن نقتلهم ، ليس فقط لنخلص مجتمعاتنا من تخلفهم وشورهم وغباوتهم ، إنما أساسا رحمة بهم وإنقاذهم من العذاب اليومى المقيم الذى يعيشونه بسبب فشلهم فى تنفيذ تلك التعليمات السماوية . حتى لو كان فيه فعلا البعض بيناور ويلعب سياسة ويقول التمكن ولو يوم القيامة ، وأكد دول إلى بنيت حساباتك عليهم ، فإن كل ذلك ينتهى فى لحظة بمزايدة شاب صغير يذكرهم بأن كانت للسماء تعليمات يوما !] .

متابعات ٣ * : اليابان قائدا للعالم ، هل حان الوقت بهذه السرعة ؟



'Japan will immediately start discussing what kind of reaction and what kind of stern measures it can take as an individual nation!'
—Japan's new Prime Minister, Shinzo Abe, Seoul, October 9, 2006.

◀ ٣ أكتوبر ٢٠٠٦ : اليوم أعلنت كوريا الشمالية عن نيتها إجراء تفجيرها النووي الأول . هل نبوءتنا قبل أكثر من عقد كامل في الدراسة الرئيسة للصفحة (أعلاه) عن حكم اليابان للعالم ، باتت اليوم أقرب من أى وقت مضى ؟ هل ستعدل الدستور ، وتصنع القنبلة في ٢٤ دقيقة ، أقصد ٢٤ ساعة ، أم أن اليساريين والإنسانيين ضعاف القلوب ستكون لهم اليد العليا في تركيع روما من الداخل مرة أخرى .

حسب نبوءتنا القديمة جدا ، اليابانيون الذين استخدموا أسلحة الدمار الكتلبي البيولوجية في الحرب العالمية الثانية لإبادة الصينيين بهدف الإبادة في حد ذاته للأعراق الفاشلة والمارقة عبر الجلوب ، وليس حقنا للدماء كما قنبلت أميركا النوويين مرهفتي القلب ، ولأسباب أخرى كثيرة ذكرناها في حينها ، هم المرشحون بقوة لذلك الدور التاريخي . دور القائد الحازم الصارم لعالم يموج بالفوضى ويعيث فيه قطاع الطرق والقراصنة فسادا وخرابا ورعبا وإرهابا ، ذلك لا سيما وأن كل الثورات التقنية الكبرى المقبلة (جينية ، روبوتية ، نانوية) ، تتقدم جميعا على أرض هؤلاء بعد-الإنسان الذين لا يكفون عن مفاجأتنا تقنيا <http://everyscreen.com/views/posthuman.htm> وثقافيا <http://everyscreen.com/views/globalization.htm#Koizumi> كل يوم ، تتقدم أكثر من أى بقعة أخرى في العالم !

حسب نبوءتنا القديمة جدا ، اليابانيون الذين استخدموا أسلحة
الدمار الكتلى البيولوجية فى الحرب العالمية الثانية لإبادة الصينيين
بهدف الإبادة فى حد ذاته للأعراق الفاشلة والمارقة عبر الجلوب ،
وليس حقنا للدماء كما قبلتى أميركا النوويتين مرهفتى القلب ،
ولأسباب أخرى كثيرة ذكرناها فى حينها ، هم المرشحون بقوة لذلك
الدور التاريخى . دور القائد الحازم الصارم لعالم يموج بالفوضى ويعيث
فيه قطاع الطرق والقراصنة فسادا وخرابا ورعبا وإرهابا ، ذلك لا سيما
وأن كل الثورات التقنية الكبرى المقبلة (چينية ، روبوتية ، نانوية) ،
تتقدم جميعا على أرض هؤلاء بعد-الإنسان الذين لا يكفون عن
مفاجأتنا تقنيا وثقافيا كل يوم ، تتقدم أكثر من أى بقعة أخرى فى
العالم !

مهما تكلمنا عن البرود الإنجليزى ، ومهما تكلمنا عن العقلانية
الپراجماتية الأميركية ، وعن الثورة الهائلة لكليهما ، فالواضح أن العرق
الأنجلى مكبل بتراث هائل من القيم الإنسانية (أو ما أسميناه كعنوان
لتذييل الدراسة المذكورة ' للآخرين أيضا چينهم المفقود ') ، بما منع
أو يمنع هذا العرق من المضى حتى آخر الطريق فى بناء حضارته ،
حيث أنها تواجه بالضرورة فى لحظة معينة بحتمية اتخاذ قرارات
بعد-إنسانية ، أو بالأحرى لا إنسانية ، تفوق احتمال التركيبة الچينية
الأخلاقية له . هذه القرارات محورها أن عالما موحدًا ، أو إمبراطورية
جلوبية لا بد وأن يدار بقبضة حديدية وأن تقوم بمستويات معينة من
الإبادة ، وإلا صار العالم نهبا ومرتعا لقطاع الطرق والقراصنة ، سواء
كانت هذه حرفتهم عبر التاريخ كالعرق الساموى ، أو جدد ممن
سيفوتهم قطار التقدم ويفشلون فى التأقلم مع التقنية والعالم
الجديدين . ذلك كان الدرس الكبير باهظ التكلفة للحضارتين أو
الإمبراطوريتين الكبيرتين السابقتين .

الجوهر الذى يقبع فى خلفية فكرنا ، هو أولا : أن للعرق الأنجلى
حدودا لن يتخطاها فى قيادته للعالم ، سوف ينكشف يوما ، ويقر بأنه
لا بد وأن يسلم راية حضارة الكوكب لعرق آخر . وثانيا : أننا فى تفقدنا
للأعراق ولتواريخها وخصائصها الكبرى ، لم نجد من هو أكثر أهلية
للنهوض بتحديات عالم الغد الأعنف والأشرس من كل عوالم الماضى ،
أكثر من ذلك القطاع من العرق الأصفر ، المسمى باليابانيين !

حدث مع كل الثورات التقنية الكبرى ، الزراعة - الصناعة - ما بعد-الصناعة ، أو روما - بريطانيا - أميركا . المهم فى
النبوءة هو المفهوم نفسه كما قلت . مهما تكلمنا عن البرود الإنجليزى ، ومهما تكلمنا عن العقلانية الپراجماتية

الأميركية ، وعن الثورة الهائلة لكليهما ، فالواضح أن العرق الأنجلو مكبل بتراث هائل من القيم الإنسانية (أو ما أسميناه كعنوان لتذليل الدراسة المذكورة ' للآخرين أيضا جبينهم المفقود ') ، بما منع أو يمنع هذا العرق من المضي حتى آخر الطريق في بناء حضارته ، حيث أنها تواجه بالضرورة في لحظة معينة بجمية اتخاذ قرارات بعد-إنسانية ، أو بالأحرى لا إنسانية ، تفوق احتمال التركيبة الجينية الأخلاقية له . هذه القرارات محورها أن عالما موحدا ، أو إمبراطورية جلوية لا بد وأن يدار بقبضة حديدية وأن تقوم بمستويات معينة من الإبادة ، وإلا صار العالم نهباً ومرتعاً لقطاع الطرق والقرصنة ، سواء كانت هذه حرفتهم عبر التاريخ كالعرق الساموي ، أو جدد ممن سيفوتهم قطار التقدم ويفشلون في التأقلم مع التقنية والعالم الجديدين . ذلك كان الدرس الكبير باهظ التكلفة للحضارتين أو الإمبراطوريتين الكبيرتين السابقتين .

قد نقول كلاما تفتيا أو مؤقتا كثيرا . قد نقول إن إنجازات كبرى قد تحققت بالفعل على صعيد ضبط العالم والسيطرة عليه منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حتى الآن ، وأنه قد تم إسقاط ريجيم كذا وكذا ، وملاحقة تنظيم كذا وكذا . وقد نقول إن فقدان هبة أميركا الحالى تجاه إيران وكوريا الشمالية والسودان أو غيرها ، مرجعه مثلا لانتخابات التجديد النصفى الوشيكة للكونجرس ، وأن أشياء أكثر حسما قد تتخذ بعدها خلال العامين المتبقين من ولاية بوش . قد نقول أشياء كثيرة ، ربما تحدث وربما لا تحدث ، لكن الجوهر الذى يقبع فى خلفية فكرنا ، هو أولا : أن للعرق الأنجلو حدودا لن يتخطاها فى قيادته للعالم ، سوف ينكشف يوما ، ويقر بأنه لا بد وأن يسلم راية حضارة الكوكب لعرق آخر . وثانيا : أننا فى تفقدنا للأعراق ولتوارىخها وخصائصها الكبرى ، لم نجد من هو أكثر أهلية للنهوض بتحديات عالم الغد الأعنف والأشرس من كل عوالم الماضى ، أكثر من ذلك القطاع من العرق الأصفر ، المسمى باليابانيين !

أنت تخترع التقنية وتبنى الحضارة ، لكنك لا تعرف إلى أين سوف تقودك بالضبط . هذا درس تاريخى تعلمناه من الحضارتين السابقتين . واليوم بات واضحا أن أميركا أكثر إنسانية وتهديبا من أن تحكم عالم يعج بقطاع الطرق والقرصنة ممن يريدون ابتزاز وتركيع أية حضارة . حجما وعراقة وخبرة فى القرصنة وقطع الطريق ، تبدو كوريا الشمالية تهديدا تافها ، بالمقارنة مع العرب والمسلمين

<http://everyscreen.com/views/extermination.htm#MuslimlessWorld> . أيضا أميركا يوما بعد يوم تصبح خربة نخرة من الداخل أكثر وأكثر . حجم النخر والتخريب من الداخل الذى يقوم به العبيد المهاجرون داخلها ، بالإضافة لمن مال إليهم من قوى اليسار <http://everyscreen.com/views/liberalism.htm> ، ينبئ بنفس سيناريو سقوط إمبراطورية الحضارة الرومانية على يد العبيد المسيحيين قديما ، وسقوط إمبراطورية الحضارة البريطانية التى نخرت من الداخل أيضا على يد نقابات الشغيلة بعيد الحرب العالمية الأولى . أما فى اليابان فنحن لم نسمع عن وجود يسارى واحد فى الحكم فى الخمسين سنة الأخيرة (أو حتى خارجه !) ، هذا ناهيك عن السماع عن وجود صوت للمهاجرين ، بفرض وجودهم أصلا !

أنت تبتكر التقنية وتبنى الحضارة ، لكنك لا تعرف إلى أين سوف تقودك بالضبط . هذا درس تاريخي تعلمناه من الحضارتين السابقتين . واليوم بات واضحاً أن أميركا قد تكون أكثر إنسانية وتهذيباً من أن تحكم عالم يعج بقطاع الطرق والقرصنة ممن يريدون ابتزاز وتركيعة أية حضارة . حجماً وعراقة وخبرة في القرصنة وقطع الطريق ، تبدو كوريا الشمالية تهديداً تافهاً ، بالمقارنة مع العرب والمسلمين . أيضاً أميركا يوماً بعد يوم تصبح خربة نخرة من الداخل أكثر وأكثر . حجم النخر والتخريب من الداخل الذي يقوم به العبيد المهاجرون داخلها ، بالإضافة لمن مال إليهم من قوى اليسار ، ينبئ بنفس سيناريو سقوط إمبراطورية الحضارة الرومانية على يد العبيد المسيحيين قديماً ، وسقوط إمبراطورية الحضارة البريطانية التي نخرت من الداخل أيضاً على يد نقابات الشغيلة بعيد الحرب العالمية الأولى . أما في اليابان فنحن لم نسمع عن وجود يسارى واحد فى الحكم فى الخمسين سنة الأخيرة (أو حتى خارجه !) ، هذا ناهيك عن السماع عن وجود صوت للمهاجرين ، بفرض وجودهم أصلاً !

إذن نحن نرحب باليابان قائداً ، إن حدث وشاءت ذلك وحزمت أمرها عليه ، ليس لأن أميركا كانت سيئة معنا ، إنما بالتحديد لأنها كانت أفضل مما يجب معنا ، ولم يحدث وأن فهمتنا على حقيقتنا أبداً . وعاملتنا مفترضة أننا بشر كبقية البشر الذى تقابلهم عندها أو فى أوروبا ، ممن تخاطبهم وتناقشهم بالعقل والمنطق ومبدأ خذ وهات والمنفعة المتبادلة . قد لا يحدث ذلك التحول لمركز الإمبراطورية بين يوم وليلة ، لكن ما حدث اليوم - ما أعلن ريجيم يونج- إيل أنه مقدم عليه- أن بات من الأسهل علينا بكثير البدء فى تخيل أو تمثل عالم جديد مقدم أكثر روعة وانضباطاً ، وأيضاً أكثر اندفاعاً تقنياً للأمام . عالم ترضى فيه أميركا بوظيفة الأم العجوز لقائد العالم الجديد تفرح به وباستلامه مشعل الحضارة منها ، وتتمنى له النجاح فيما توقفت عنده هى . تماماً كما أصبحت بريطانيا العظيمة الأم العجوز لها يوماً ، فرحت لها ولاستلامها مشعل الحضارة منها ، وطالما تمت لها النجاح فيما توقفت عنده هى .

إذن نحن نرحب باليابان قائداً ، إن حدث وشاءت ذلك وحزمت أمرها عليه ، ليس لأن أميركا كانت سيئة معنا ، إنما بالتحديد لأنها كانت أفضل مما يجب معنا ، ولم يحدث وأن فهمتنا على حقيقتنا أبداً . وعاملتنا مفترضة أننا بشر كبقية البشر الذى تقابلهم عندها أو فى أوروبا ، ممن تخاطبهم وتناقشهم بالعقل والمنطق ومبدأ خذ وهات والمنفعة المتبادلة . قد لا يحدث ذلك التحول لمركز الإمبراطورية بين يوم وليلة ، لكن ما حدث اليوم - ما أعلن ريجيم يونج- إيل أنه مقدم عليه- أن بات من الأسهل علينا بكثير

البدء فى تخيل أو تمثل عالم جديد مقدم أكثر روعة وانضباطاً ، وأيضاً أكثر اندفاعاً تقنياً للأمام . عالم ترضى فيه أميركا بوظيفة الأم العجوز لقائد العالم الجديد تفرح به وباستلامه مشعل الحضارة منها ، وتتمنى له النجاح فيما توقفت عنده هى . تماماً كما أصبحت بريطانيا العظيمة الأم العجوز لها يوماً ، فرحت لها ولاستلامها مشعل الحضارة منها ، وطالما تمت لها النجاح فيما توقفت عنده هى .

أميركا لا زالت حتى اللحظة هي الأغنى (ثلاثة أضعاف الناتج الداخلى الإجمالى GDP لليابان) ، وهي الأقوى (بترسانتها العسكرية الهائلة التى لا تقارن ، وبجيشها الضخم المتقدم الباسل) . ولا زلنا نرحب ونسعد أن يظل بلد كالولايات المتحدة قائدا لنا ولكل شبر فى العالم ، يقوده حسب تصوراته المستقبلية التى هياتها له الثورة التقنية المذكورة . وأخيرا لا زلنا نرى أن الفرصة لا تزال قائمة أمامها ، هذا إن حدث وحزمت أمرها وتخلت عن تخطيطها وترددتها ، وقررت على الأقل ١- تصحيحات بنوية جذرية تتعلق بإعادة النظر فى من قبلتهم من العبيد المهاجرين كمواطنين فيها ، تعيدهم لمواطنهم الأصلية أو على الأقل تجردهم من حقوقهم السياسية ٢- تصحيحات جذرية لفكرة لديموقراطية نفسها ، بحيث تجرم الأفكار المخربة المعادية للإمبراطورية وتحظر مثل ذلك الحزب الأحزاب المنادية بها ٣- إخراج الأسلحة النووية من مخازنها الرطبة ، كشرط ضرورى وحتمى للقضاء على بؤر المروق والتمرد عبر العالم ، أو على الأقل أكثرها استعصاء ، كإيران وكوريا الشمالية ، إن لم نقل مستقبلا الصين وروسيا ، أو ربما فرنسا ، كل بحسب ما يجسده من عصيان وممانعة .

وحتى لا نكون نتحدث عن مستقبل بعيد أو فى سيناريوهات تخيلية ، فإن على الأقل جدا ، فى اللحظة الحالية جدا ، ومع تنحية روسيا التافهة جانبا ولو لحين ، على الأقل جدا نقول إن الإمبريالية الصينية أصبحت تلعب بالفعل دورا أكبر بكثير من حجمها فى كل القارات تقريبا . وهي قطاعا ليست بإمبريالية أفضل بحال من الإمبريالية الأمريكية أو الإمبريالية اليابانية ، بل النقيض بالضبط . إمبريالية شريرة ، ككل إمبراطوريات الشر الثلاث السابقة -الإسلامية والفرنسية والسوفييتية- لم تقدم للكوكب ثورة تقنية (ولا حتى تقنية واحدة مفردة !) ، إنما فقط تتطفل على تقنيات الغير من أجل ابتزاز السلطة والنفوذ . إمبريالية ما لم يوقفها أحد الاثنين -أميركا أو اليابان ، أو كلتاها معا- فورا ، فسيدخل عالما إلى المجهول بكل معنى الكلمة . ما لم يحدث كل هذا وذاك ، وعلى كل جهات التحدى والمروق ، ما لم يتقدم أحد لحمل الراية التى ربما باتت أثقل من أن تحملها أميركا ، فليس أمامنا إلا خيار وحيد : أن نجلس وتتفرج على حضارتنا المعاصرة تنزلق عائدا إلى حقبة عصور ما قبل التاريخ !

مع كل ذلك لا
زلنا حتى اللحظة نقول
إن ربما هذا كله لم يكن
أوانه بعد . أميركا قائد
عظيم ، أفضاله علينا
تبدأ بفتح الصنوبر فى
الصباح وتنتهى بإطفاء
مصباح الكهرباء والنوم
ليلا . تقريبا كل شىء
فى حياتنا هو شىء
تمثلته الحضارة الأمريكية
أولا ، وثورة ما
بعد-الصناعة التى
قادتنا هى أعظم
الثورات التقنية الثلاث
الكبرى وأوسعها
وأعمقها أثرا إطلاقا .
أميركا لا زالت حتى
اللحظة هي الأغنى
(ثلاثة أضعاف الناتج
الداخلى الإجمالى
GDP لليابان) ،
وهي الأقوى
(بترسانتها العسكرية
الهائلة التى لا تقارن ،
وبجيشها الضخم
المتقدم الباسل) . ولا
زلنا نرحب ونسعد أن
يظل بلد كالولايات
المتحدة قائدا لنا ولكل

شبر في العالم ، يقوده حسب تصوراته المستقبلية التي هيأتها له الثورة التقنية المذكورة . وأخيرا لا زلنا نرى أن الفرصة لا تزال قائمة أمامها ، هذا إن حدث وحزمت أمرها وتحلت عن تحببها وتردها ، وقررت على الأقل ١- تصحيحات بنوية جذرية تتعلق بإعادة النظر في من قبلتهم من العبيد المهاجرين كمواطنين فيها ، تعيدهم لمواطنهم الأصلية أو على الأقل تجردهم من حقوقهم السياسية ٢- تصحيحات جذرية لفكرة ديموقراطية نفسها ، بحيث تجرم الأفكار المخربة المعادية للإمبراطورية وتحظر مثل ذلك الحزب الأحزاب المنادية بها ٣- إخراج الأسلحة النووية http://everyscreen.com/views/extermination_part_2.htm#AtomicWar من مخازنها الرطبة ، كشرط ضروري وحتمي للقضاء على بؤر المروق والتمرد عبر العالم ، أو على الأقل أكثرها استعصاء ، كإيران وكوريا الشمالية ، إن لم نقل مستقبلا الصين وروسيا ، أو ربما فرنسا ، كل بحسب ما يجسده من عصيان وممانعة .

وحتى لا نكون نتحدث عن مستقبل بعيد أو في سيناريوهات تخيلية ، فإن على الأقل جدا ، في اللحظة الحالية جدا ، ومع تنحية روسيا التافهة جانبا ولو لحين ، على الأقل جدا نقول إن الإمبريالية الصينية أصبحت تلعب بالفعل دورا أكبر بكثير من حجمها في كل القارات تقريبا . وهي قطعا ليست إمبريالية أفضل بحال من الإمبريالية الأميركية أو الإمبريالية اليابانية ، بل النقيض بالضبط . إمبريالية شريرة ، ككل إمبراطوريات الشر الثلاث السابقة -الإسلامية والفرنسية والسوفييتية- لم تقدم للكوكب ثورة تقنية (ولا حتى تقنية واحدة مفردة !) ، إنما فقط تتطفل على تقنيات الغير من أجل ابتزاز السلطة والنفوذ . إمبريالية ما لم يوقفها أحد الاثنان -أميركا أو اليابان ، أو كليهما معا- فورا ، فسيدخل عالمنا إلى المجهول بكل معنى الكلمة . ما لم يحدث كل هذا وذاك ، وعلى كل جبهات التحدى والمروق ، ما لم يتقدم أحد لحمل الراية التي ربما باتت أثقل من أن تحملها أميركا ، فليس أمامنا إلا خيار وحيد : أن نجلس وتتفرج على حضارتنا المعاصرة تنزلق عائدة إلى حقبة عصور ما قبل التاريخ !

[تحديث : ٩ أكتوبر ٢٠٠٦ : بالفعل أجرت كوريا الشمالية تجربتها النووية الأولى اليوم . جدل حاد يكتسح العالم ، وحتى المساء لم نر موقفا جديدا ذا معنى ، كلها تهديدات بالعقوبات ، وبعضها إما يشكك في وجود القنبلة من الأصل ، أو يصفها بأنها هائلة الوزن (٤ طن) ، بحيث لا يوجد لدى الرفيق إيل الصاروخ اللازم لنقلها لأى مكان بعد (هناك كلام عن بدء فرض حصار بحرى حيث أن مخاوف أميركا الجديدة ليست من كوريا ، بل ممن ستبيع له كوريا القنبلة) . حتى اليسار الأميركي يلقي باللوم على ولاية بوش لأنها لم تجر مباحثات مباشرة مع بيونجيانج . هؤلاء السفلة المسمون بالحزب الديموقراطى يقولون إن العالم أصبح أقل أمنا بسبب وجود بوش في السلطة ، ونقول إنه كان سيكون أقل أمنا ألف مرة لو هم في السلطة ويطبقون سياساتهم الديماجوجية العبيطة تلك . روسيا والصين الأكثر سفالة ، أدانوا بشدة (بالكلام بس طبعاً ، لكن سيقولن لا عقوبات ولا حرب ، وعلى جثتنا !) . ولا يبدو أن أحدا قد تنبه لأن يوجه كلمة لوم واحدة ، لجرمهما الهائل في منح ذلك البلد المارق الوقت الكافى لإنجاز القنبلة . لا سيما وأنهما تكررنا ذات اللعبة اليوم لصالح ملالى إيران . ولا أحد -ديموقراطيون أو حتى بوش نفسه- يقول صراحة إن الدبلوماسية مع مثل تلك الريجييمات هى تضييع وقت مطلق (حماس تفاوض منذ قرون ، حزب الله يفاوض منذ قرون ، جرد دمشق يفاوض منذ قرون ، هل تزحج أيهم قيد أمثلة عن مواقفهم الأصلية ؟) .

أخيرا ما يجمع فريقى السفلة على ضفتى **باختصار ، لو حدث وقدمت أميركا ساقا الهادئ ، الديمقراطيون الأميركيون مع وأخرت أخرى كعادتها ، فالشيء الوحيد الذى الصينيين والروس ، هو أيضا أنهم يقولون إن سيعتد به فى هذه اللحظة التاريخية إسقاط ريجيم يونج-إيل سيقود لفوضى المفصلية ، هو الموقف اليابانى . فهل يطول عراقية . هذا ليس مجرد خطأ أو جهل ، إنما الانتظار ؟**

هو وقاحة صارخة . ما سيحدث فى حال إسقاط الحكم الشيوعى فى كوريا الشمالية سيكون أبعد ما يكون عن السيناريو العراقى ، بل سيكون فى الحقيقة نسخة طبق الأصل من السيناريو الألمانى . النصف الشيوعى سيهرع للحرية والرخاء ، والمشكلة الوحيدة ساعتها ستكون كيف ستطعم كوريا الجنوبية كل هؤلاء ، قبل بدء رحلة تدريبهم وتعليمهم متطلبات التحضر . ما نعرفه أنها مستعدة تماما للقيام بهذا العبء يوم تجده ألقى على عاتقها ! **باختصار ، الشيء الوحيد الذى سيعتد به فى هذه اللحظة التاريخية المفصلية ، هو الموقف اليابانى . فهل يطول الانتظار ؟** .

[تحديث : ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦ : بينما تبدو الدكتورة رايس مشغولة بأحلام الشرق الأوسط الجديد الطيب 'الديموقراطى' المسلم ، يبدو أن ملامح العالم الجديد برمته ترسم فى أماكن أخرى ! قبل أربعة أيام زل لسان إيهود أولميرت بما فهم أنه أول اعتراف علنى بامتلاك أسلحة نووية . هاجت وماجت الدنيا ، داخل وخارج إسرائيل ، كل الدنيا ، بينما نحن نفهم هذا ببساطة على أنه إعلان لأن الضربة النووية التى لا فكاك منها لإيران ستأتى من تل أبيب وليس من واشنطن . اليوم جاءت الخطوة الأكبر ، خطوة مزدوجة : تأسيس اليابان لأول وزارة دفاع بالمعنى الجدى للكلمة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وعودة تدريس 'الوطنية' فى المدارس ! ويا لها من نقلة تاريخية جبارة ، لا شك أن أولادنا سيعودون لتاريخ اليوم يوم يشاءون التأريخ لفجر العالم الجديد الذى سيعيشون فيه . للأسف الشديد ، وحتى اللحظة ، ودون مصادرة على ما قد يحدث فى المستقبل : أميركا نخرت من الداخل ، أو كادت . أميركا الديمقراطيين اختارت كالمعتاد <http://everyscreen.com/views/liberalism.htm> الركوع والتحالف والتفاوض مع قوى الظلام العالمية (التفاوض الذى لن يفضى إلا إلى إذلال أميركا دون أية نتائج سوى كسب الطرف الآخر للوقت) . وتتواصل مسيرة العزم الحضارى لأميركا ، المتصاعدة من ذروة إلى ذروة أعلى من أيزنهاور إلى نيكسون إلى ريغان إلى جورج دبليو . بوش وفريقه . فى كل مرة يتراخى العزم قليلا ، وينحون تحت ضغط الطابور الخامس إلى الليونة و'نشر الديمقراطية' وتجنب استخدام ما يلزمه حل المشاكل من قوة تدمير وإبادة كافرين . لكن دوما تأتى الذروة التالية أعلى من سابقتها ، قيادة جديدة أكثر طموحا وأمضى عزمًا من كل سابقتها .

ما نقوله ، إن العاصمة قد تنتقل من كاليفورنيا إلى طوكيو ، وقد لا تنتقل ، لكن أيا ما كان الأمر نكاد نجزم أن الراية لن تسقط ، لأنها إحدى حتميات أمننا الطبيعية . قد يندحر العرب والمسلمين سريعا ، وقد تنتقل الحرب من صورتها المقنعة الحالية إلى صورتها الصريحة ، حرب على روسيا والصين وفرنسا ، أعداء توحيد العالم وحرية الاقتصاد وكل حرية ، وهو انتقال أفضل للجميع . فقط فى كل الحالات ، الأرجح أن الحضارة نفسها لن

تسقط ، بل ستتجاوز حضارة ما بعد الصناعة ، إلى حضارة ما بعد ما بعد الصناعة ، حضارة ما بعد الإنسان
[http://everyscreen.com/views/posthuman.htm !] .

[تحديث : ٧ يناير ٢٠٠٧ : ها ! ها ! ها ! مرة أخرى كانت هذه واحدة من نبوءاتنا التي لحسن الحظ -أو
ربما لسوءه- قليلا ما تخطئ : إسرائيل تجهز بالفعل لضربة نووية تقتية لإيران . ليست عبقرية منا أن نعول في كل
هذا على زلة لسان . الضربة القادمة لإيران ستكون نووية ، كلام قلناه أصلا قبل أن يولد أولميرت
http://everyscreen.com/views/extermination_part_9.htm#NukingIran ! الأمور كانت
-بزلات لسان أو بدون- واضحة جدا من البداية
http://everyscreen.com/views/extermination.htm#MuslimlessWorld ، لأن ببساطة لا
حل آخر . الشعوب لا يعول عليها في إسقاط ريجيمات الظلام . هي تخلقها نعم ، لكن تسقطها لا .
الاستخبارات تجد سدودا منيعة من تفننات العقلية السيكوباتية . الأسلحة التقليدية لن تردع من يخفي كل شيء
في أماكن مبتكرة وتحت الأرض بأعماق تهون أمام السواعد المجرمة . لا حل إلا الضربات النووية . حسب التايمز
اللندنية اليوم http://www.timesonline.co.uk/article/0,,2089-2535310,00.html ، التي
اعتمدت حسب قولها على مصادر عسكرية إسرائيلية 'متعددة' ، الضربة ستكون للمنشآت النووية ،
وستستخدم فيها قنابل تدمير الدشم bunkers العميقة ، وهي قنابل نووية تقتية خفيفة الإشعاع على الأقل
بحكم انفجارها تحت الأرض ، وككل ذات قوة تدميرية تقل ١٥ مرة عن قنبلة هيروشيما (ارجع لمتابعتنا المتواصلة
منذ خمس سنوات لهذا النوع من القنابل في صفحة الإبادة
http://everyscreen.com/views/extermination_part_2.htm#AtomicWar) . حسب
مصادر الموساد ، ستستخدم هذه القنابل في حال أن اقتنعت القيادة السياسية بعدم جدوى الأسلحة التقليدية ،
وفي حال رفضت الولايات المتحدة التدخل !

رأينا ، أو نبوءاتنا لو شئت :

١- نعم أميركا مخترقة من الداخل ولن تتدخل . العبيد الآن في السلطة والسادة هم المحكومون ، وأسألوا
الكونجرس
http://everyscreen.com/views/liberalism_part_3.htm#MidtermCongressionalEle
ction2006 ، أو ربما أيضا الرئيسة القادمة
http://everyscreen.com/views/liberalism_part_2.htm#WesleyKClark . أما جورج
دبليو . بوش ولا شركات أميركا التي تملك نظريا الأرض ما عليها ولا قوات أميركا المسلحة (ولا تملك صوتا واحدا
في القرار السياسي) ، عند أي منهم أدنى استعداد لسد بوابة الكونجرس بدبابة وحماية الحضارة الإنسانية من
مستقبل مظلم لا يعرف أحد مداه .

٢- لن يفيد العالم كثيرا إذا ما ضربت ناتانز وأصفهان وآراك ، ولم تضرب بالأسلحة نفسه طهران وقم
ووزيرستان وغزة .

٣- المقال نفسه يقول إن الموساد قصد من هذا التسريب ثنى عزم إيران على المضي في صنع القنبلة ، ونقول
إن لدى خامنئي ونجاد :

أ- اعتقاداً أنهما سيصدان أى هجوم دون ملاحظة أن ما يملكه ليس سوى صواريخ القاهر والظافر الناصرية الشهيرة . هذا بينما المفاجأة الوحيدة المحتملة يمكن أن تأتي من إسرائيل فقط . ليس أولها هو نجاحهم في تنمية القنابل النووية ، والتقنية ، وهي تقنية جديدة نسبياً ، إنما قد يتضح أن لديهم أيضاً قاذفات استراتيجية بعيدة المدى ، أو غواصات برعوس نووية في مياه الخليج ، أو حتى قواعد جوية في كردستان العراق مثلاً !

ب- لديهما تكاليفات إلهية بإبادة اليهود والنصارى وكل المشركين والكفار في الأرض ، تكاليفات تمنعهما أصلاً من التراجع حتى لو فكرا فيه . وتحديداً ، لا أتحدث هنا عن أحمدى بنجاد الذى يبدو لى دوما كزعيم طلابي شيوعى علمانى من السبعينيات ، يتحدث عن 'المستضعفين' و'قوة الشعب' ويصادق تشافيز وأورتيجا ، ولا يبدو أن ثمة علاقة تذكر له بالإسلام . إنما أتحدث عن أسياده فى قم ، ممن يملكون وضع أى كلام يريدون على لسانه فى أى وقت ، وطبعاً يملكون عزله . هؤلاء تكليفاتهم السماوية لا تحتمل التفاوض ولا التنازلات ولا الحلول الوسط !

٤- من الجائز ، ونقول من الجائز ، أنه بعد نجاح الضربة الإسرائيلية ، تظهر أصوات فى الولايات المتحدة تجبذ استخدام السلاح النووى لحماية مستقبل الحضارة .

٥- سيفهمون أن إسقاط صدام حسين كان نصراً للحضارة بكل المقاييس ، وأن فشل أميركا اللاحق فى العراق يرجع كما قلنا منذ سنوات إلى أنها لم تستخدم القوة بالقدر الكافى ، ولجأت بدلاً من هذا للسينايو الكارثى -الانتحارى الصريح- المسمى بالديموقراطية . وليس المقصود بالقوة الكافية أولئك العشرين ألف جندي الإضافيين الذين تقوم الدنيا كلها وتعد من أجلهم الآن ، وكأنهم 'هيجيوا الديق من ديله' ، إنما المقصود السلاحين النووى والكيميائى .

٦- سيتضح فى النهاية أن المشكلة مشكلة تمويل . الشيوعيون سيطروا بالفعل على الكونجرس وكل همهم أخذ أموال البنائين كى يعطونها لمن أتوا بهم من مهاجرين جياع كاثوليك ومسلمين كى ينجبوا المزيد من جياع كاثوليك ومسلمين كى ينتخبوا المزيد والمزيد من أعضاء الحزب الديموقراطى مستقبلاً . على ملاك الثروة الحقيقيين فى عالمنا ، مثل اليابان والشركات الأمريكية ، أو حتى مثل دول الخليج ، أى كل من يخشى حقاً -أو يزعم أنه يخشى- عودة عصور الظلام ، أن يثبت ذلك . يثبت من خلال تعاونى مادى سخى يرفع عن رقبة بوش فى عاميه الأخيرين سلاح ابتزاز الكونجرس الساقط .

٧- بما أن الحال كذلك ، وبوابة الكونجرس لا تزال مفتوحة ، لعل الوقت سيحين ساعتها لتأسيس قوة حدائية عالمية ضاربة ، حكومة عالمية مستقلة عن كل الدول وكل المنظمات ، لا تكون رهينة لنتائج الانتخابات فى هذا البلد أو ذاك . تجمع على غرار أية منظمة عالمية مفتوحة للحكومات ولغير الحكومات (متندى ديقوس مثلاً) يقبل فى عضويته الشركات والدول الجزعة حقاً على مستقبل الحضارة ، لكن ذى قوة عسكرية نافذة كبرى . تجمع عالمى اقتصادى-عسكرى ، بوسع ذراعه العسكرى استخدام 'القوة الكافية' فى جميع الحالات التى يتطلبها هذا . أو حسبما قالت هذه الصفحة

<http://everyscreen.com/views/culture.htm#WorldEliteUnite> قبل أكثر من عقد من

الزمان ، يكون الترجمة العملية لشعار ' يا نخبة العالم اتحدوا ! ' . [

[تحديث : ٣١ يناير ٢٠٠٧ : چاك شيراك يصرح علنا ، بأنه يؤيد امتلاك إيران للسلاح النووي . كما قال في حديث عمم اليوم ' لا بأس إن امتلكت إيران قبلة نووية أو قنبلتين ' . نحن سعداء للغاية بمثل هذا التصريح ، لأنه يتفق مع كل كلمة كتبها هذا الموقع منذ فجر تأسيسه (انظر أعلاه) ، عن كون تعهدات الشعب الفرنسي والأمة الفرنسية هي - كما كانت طوال التاريخ وستظل حتى نهاية الزمان- تركيع حضارتنا المعاصرة وكل حضارة وإعادتها جميعا لعصور الظلام الأولى . وأنها القائمة الفعلية لكل معسكر المروق والظلام العالمى ، وأن العرب والمسلمين <http://everyscreen.com/views/civilization.htm#Fallaci> وحتى روسيا والصين http://everyscreen.com/views/globalization_part_2.htm#FrenchVeto ، ليسوا سوى بيادق في نظرها في حربها المستدامة تلك . وهي كما ترى ليست تعهدات خفية بالمرّة ، بل واضحة وكلية العلنية ! ... ولا مزيد لدينا !] .